دراسات في التاريخ العباسي

تاريخ الدولة البويهية

السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي

- مقاطعة فارس -

٣٣٤ - ٤٤٧ هـ، ٩٤٥ - ١٠٥٥ م

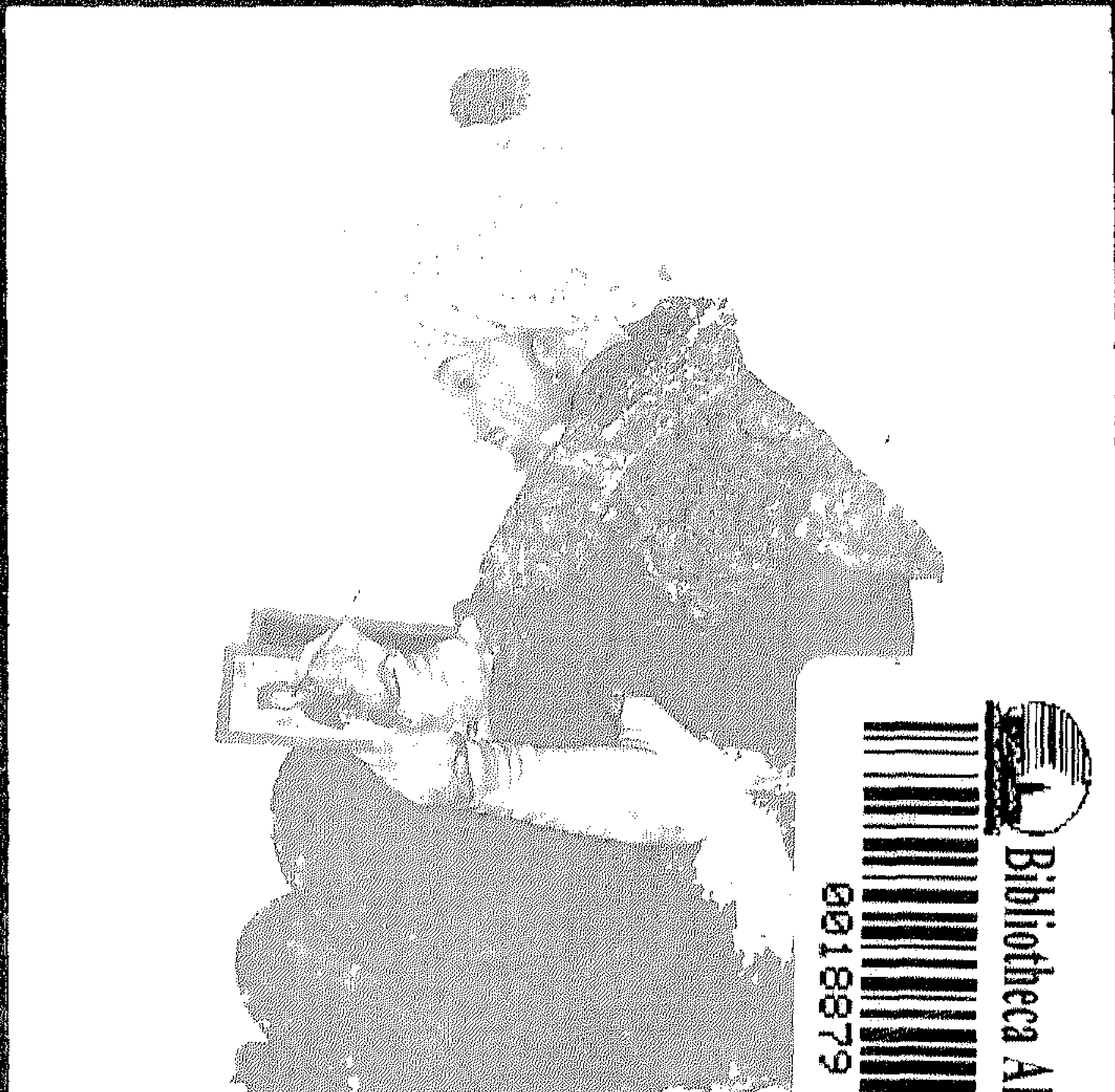

د. حسن منيمنة

Bibliotheca Alexandrina
0018879

الدار الجامعية

١٩٨٧

تاريخ الدولة البويهية

السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي

- مقاطعة فارس -

دراسات في التاريخ العبّاسي

تاريخ الدولة البويهيّة

السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي

- مقاطعة فارس -

٣٣٤ - ٤٤٧ هـ ، ٩٤٥ - ١٠٥٥ م

د. حسن منيمنة

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

الدار الجامعية

الاهداء

الى والديّ

عبد المجيد وحكمت

مقدمة

في الثلث الأول من القرن الرابع الهجري، وتحديداً منذ النصف الثاني لخلافة المقتدر، عاشت الدولة العباسية مرحلة من أكثر مراحلها سوءاً وعلى الصعد كافة. إذ عمّت الاضطرابات والفتن من كل نوع عاصمة المملكة، وزالت عن الجند والرعية هيبتهم، وبات قادة الجند يتحكمون بصورة كاملة في اختيار وعزل الخلفاء ويتدخلون في الأمور صغيرها وكبيرها. وتدريجياً أخذت سلطات الخليفة تنتقل إلى كبير القادة العسكريين، مما زاد من حدة صراعات هؤلاء. وشهد العراق نتيجة ذلك سلسلة من الفتن والصراعات الداخلية، كان يدفع ثمنها دائماً عامة السكان، قتلاً وتدميراً وتخريباً للمنشآت، فتدهورت الأحوال الاقتصادية وعانت البلاد من موجات غلاء ومجاعة، وفرغت خزائن الخلفاء، وتجرأ الأمراء المحليون على الخروج عن طاعة الخليفة والطمع بأراضي الخلافة والسيطرة على بغداد. وعندما عجز الخلفاء عن معالجة هذا الوضع الذي ازداد سوءاً يوماً بعد يوم، أقدم الخليفة على عمل ظناً منه أنه وسيلة للعلاج، فكان سبباً لتفاقم الاضطراب والفوضى. ففي سنة ٣٢٤ هـ استحدث الخليفة الراضي منصب « أمير الأمراء » واختار له أقوى المتنافسين على السلطة وهو ابن رائق، ونقل إليه معظم صلاحيات ومهام الخليفة، فكان ذلك مدعاة لزيادة التنافس والصراع ما بين المتنافسين. ووصل الأمر إلى أن توالى على هذا المنصب في سنة واحدة ٣٢٩ / ٩٤٠ أربعة أمراء، وغالباً، ما كان لأحدهم أن يصل إلى هذا المنصب إلا بعد انتصار عسكري يحققه على خصمه وكانت أرض الصراع بصورة أساسية بغداد والعراق عامة، التي عمتها الاضطرابات والأزمات وانتشر فيها العيارون واللصوص ليزيدوا أحوالها سوءاً على سوء. لقد شكلت هذه المرحلة عن حق، البداية الحقيقية لانهيار الدولة العباسية، وإن كانت هذه المؤشرات قد بدأت قبل ذلك بفترة.

في هذا الوقت، أخذت بالظهور على مسرح الأحداث في إيران، أسرة ديلمية، وتحديداً ثلاثة أخوة، ميزتهم الوحيدة مهارة عسكرية وحنكة سياسية امتاز بها كبيرهم وكانوا بالفعل نموذجاً للجند المرتزقة. وما كان لأحد أو هم أنفسهم توقع سيطرتهم على الخلافة، ولكن جملة من

الظروف اجتمعت لتدفع بهؤلاء البويهيين إلى داخل بغداد، وبالتالي ليتحكموا وورثتهم بالخلافة العباسية ١١٣ سنة. وجاءت سيطرتهم على الخلافة تتويجاً لمرحلة الصراع على السلطة بين قادة الجند داخل عاصمة الخلافة.

كانت السيطرة البويهية، إيذاناً ببدء مرحلة جديدة في حياة الدولة العباسية، وهي مرحلة انتقال السلطة فعلياً وبصورة شبه كاملة من أيدي العرب إلى أيدٍ غير عربية، تمثلت أساساً في قوى وشعوب انطلقت من جنوب بحر قزوين ومناطق ما وراء النهر (البويهيون، الأتراك بمختلف أسرهم الحاكمة) حاملة معها إلى داخل الدولة الإسلامية، التي كانت قد بلغت درجة عالية من التطور والرقي، ليس فقط عادات وتقاليد تتسم بالتخلف، بل والأهم من ذلك، مفاهيمها حول السلطة والملك والغلبة والولاء ودور العقيدة والأمة ونظرتها إلى الخلافة والخلفاء، وواجبات الملك والرعية.. الخ وستشكل هذه المفاهيم ـ التي ستأخذ بالتغلغل والترسخ ببطء داخل الدولة والمجتمع الاسلامي ـ عناصر هامة كانت وراء حالة الجمود والتقهقر التي ستعاني منها الدولة الإسلامية منذ ذلك الوقت؛ أي منذ السيطرة البويهية.

تحاول هذه الدراسة أن تقدم صورة عن أحوال الدولة العباسية خلال السيطرة البويهية، من خلال مقاطعة فارس. وهنا تجدر الإشارة إلى أمرين:

١ ـ بالرغم من أنها تبحث أساساً بأوضاع إقليم فارس خلال العهد البويهي، وتقدم صورة عن أحوال الدولة البويهية من خلال تلك المقاطعة، إلا أنها في الحقيقة أوسع من ذلك، إذ تتطرق لأحوال الدولة البويهية عامة وشؤون الخلافة العباسية التي حكموا باسمها ما يزيد عن القرن، خاصة في مركز الخلافة بغداد. ولم يكن ذلك هدفاً، إنما فرضته طبيعة العلاقة التي ربطت بين مقاطعتي فارس والعراق آنذاك. فالعديد من أمراء فارس تولوا في الوقت نفسه حكم العراق، بل إن فارس تحولت في بعض الفترات إلى المقر الأساسي للأمير البويهي، الحاكم الحقيقي للخلافة العباسية، عندما نقل هؤلاء مقر حكمهم من بغداد إلى شيراز، وباتت شؤون الخلافة تدار من شيراز عاصمة فارس. التي لم تكن مجرد عاصمة لإقليم من أقاليم المملكة، بل كانت إحدى عواصم الدولة البويهية إلى جانب بغداد والري.

هذا «التداخل» بين فارس والعراق خلال الحكم البويهي وإن فرض اظهار أحوال العراق بصورة عامة، في دراسة عن فارس، إلا أنه أيضاً أفضى إلى انطباع بأن هناك اختلافاً في سياسات البويهيين. إذ فيما عرفت فارس خلال فترات طويلة من الحكم البويهي أوج ازدهارها الاقتصادي والثقافي والعمراني، كان العراق وخلال الفترة نفسها يشهد سلسلة من الفتن والأزمات الاقتصادية الخانقة، وأعمال العيارين واللصوص، وما نتج عن كل ذلك من خراب وتدمير. والمسألة الأبرز هنا، تلك المتعلقة بسياستهم الدينية ـ المذهبية، ففيما اتسمت سياستهم المذهبية في العراق بالتعصب

والمغالاة وكانوا هم وراء إذكاء الصراع الشيعي ـ السني ووراء الفتن والصراعات المذهبية التي سببت الويلات وتدهور الأحوال عامة، في الوقت نفسه، اتسمت سياستهم الدينية والمذهبية في فارس بالتسامح الشديد، حتى باتت فارس مرتعاً لكل أصحاب المذاهب والفرق.

لكن الواقع، أن ما يبدو اختلافاً في سياسات البويهيين التي اعتمدوها في العراق عن تلك التي اتبعوها في فارس، لم يكن إلا نتيجة خصوصيات كل مقاطعة وظروفها وأوضاعها من جهة وشخصية الأمير وقدراته من جهة أخرى. ذلك أن سياستهم عامة، الإدارية والاقتصادية والاجتماعية، كانت في خطوطها الرئيسة سياسة واحدة في كل المقاطعات التي حكموها، وهي أساساً نابعة ومستمدة من خلفيتهم ومفاهيمهم التي حملوها معهم من بيئتهم الأصلية. من هنا أهمية ذلك الفصل الخاص بالديلم موطنهم الأول.

٣ ـ إن هذه الدراسة من الدراسات القليلة جداً عن البويهيين، ليس في اللغة العربية بل أيضاً في اللغات الأجنبية نسبة للكتب والأبحاث التي عالجت فترات حكم أسرٍ أخرى. والغريب أن تاريخ هذه الأسرة التي حكمت الخلافة العباسية، في مرحلة فاصلة، لم تحظ باهتمام كبير من المستشرقين أو الباحثين العرب، ولا نجد ما يفسر ذلك سوى ندرة المصادر الخاصة بالدولة البويهية مباشرة. لذلك نأمل أن تفتح هذه الدراسة الباب واسعاً أمام الباحثين لدراسات تفصيلية عن الدولة البويهية.

* * * * *

أخيراً، لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر والعرفان للمستشرق الكبير البروفسور كلود كاهين الذي أشرف على هذا العمل ولإرشاداته القيمة التي أمدني بها طوال فترة إعداد هذا البحث. كما وأشكر الأستاذين أندريه ميكال وجان أوبان ملاحظاتها واقتراحاتها المفيدة التي أبدياها خلال المناقشة.

انتهى هذا العمل في باريس سنة ١٩٨٢
وقدم له في بيروت ١٩٨٤

القسم الأول

الفصل الأول

نطاق البحث

دراسة المصادر والمراجع

الفصل الثاني

الأحوال العامة للخلافة العباسية عشية السيطرة البويهية

الفصل الثالث

الديلم، الزيدية، بنو بويه

الفصل الرابع

فارس، من الفتح العربي وحتى السيطرة البويهية
-نظرة عامة-

الفصل الأول:

نطاق البحث
دراسة المصادر والمراجع

نطاق البحث

١ ـ اقليم

تعني كلمة اقليم في اللغة العربية، منطقة مناخية، وهي مفرد أقاليم. ومع الجغرافيين العرب، أخذت الكلمة معنى جديداً، جغرافي ـ مكاني «مقاطعة».

لذلك، فكلمة اقليم في الصحاح للجوهري [١] (ت ٣٩٣ / ١٠٠٣) هو واحد أقاليم [٢] الأرض السبعة. كذلك في لسان العرب [٣] لابن منظور (ت ٦٣٠ / ١٣١١).

ويعتقد ابن دريد (ت ٣٢١ / ٩٨٣) بأن كلمة «الإقليم ليس بعربي» [٤]. فأصل الكلمة يوناني: KLIMA، تعني حرفياً؛ انحدار. أو بشكل أدق انحدار الأرض من الاستواء نحو القطب أي توزيع المناطق المناخية على الكوكب الأرضي، أي منطقة بشكل عام [٥]. وذهب ياقوت إلى أنها كلمة عربية مشتقة من الأقاليم واحدها إقليم وجمعها أقاليم [٦].

ويقسم حمزة الاصفهاني (ت ٣٦٠ / ٩٧٠) المسكون من الأرض إلى سبعة أقسام، يسمي كل قسم منها بلغة الفرس كشخر، ويقول إن العرب استعارت من السريانيين للكشخر اسماً وهو الإقليم. ثم يعطي للكلمة معنى جديداً هو الرستاق [٧].

وتراوحت كلمة إقليم عند الجغرافيين بين هذين المعنيين، منطقة مناخية أو منطقة من الأرض المعمورة، فابن خرداذبه الذي وضع كتابه سنة (٢٣٢ / ٨٤٦) يعطي للكلمة معنى كور، مفردها كورة، وبالتالي فهو يقسم الأرض المعمورة إلى كور [٨]. فعندما يتحدث عن اصفهان أو الأهواز

---

(١) الجوهري، جـ ٣ ص ٢٠١٤.

(٢) بالمعنى المناخي.

(٣) ابن منظور، جـ ١٢ ص ٤٩١.

(٤) ابن دريد جـ ٣ ص ٣٧٧. انظر أيضاً ابن منظور، جـ ١٢ ص ٤٩١.

(٥) EI^2, art IKILIM, T III p. 1103-1104.

(٦) ياقوت، بلدان. جـ ١ ص ٢٥ ـ ٢٨.

(٧) المصدر نفسه.

(٨) ابن خرداذبه ص ٥ ـ ٦.

يبدأ بقوله كور اصفهان وكور الأهواز، وكور فارس [1]، كما يقول أقاليم حمص، وكورة دمشق وأقاليمها [2].

ولا يبتعد اليعقوبي (وضع كتابه ٢٧٨ / ٩٨٨) عن ابن خرداذبه كثيراً في معنى كلمة إقليم. فهو يذكر أسماء الأمصار والأجناد والكور وما في كل مصر من المدن والأقاليم والطساسيج [3]. أما الأرض فيعتمد تقسيمها إلى أربعة أقسام [4]، حسب ما تقسم عليه أقطار الأرض بين المشرق والمغرب.

ويعود ابن الفقيه (وضع كتابه ٣٠٢ / ٩١٤) لاستعمال كلمة إقليم، كواحد من أقاليم الأرض السبعة [5]. ويضع فارس في الإقليم الثالث كذلك يفعل ابن رسته (وضع كتابه ٣٠٠ / ٩١٢)، ويستعمل كلمة بلاد عند الحديث عن خراسان وسجستان وفارس، وكل بلد يضم عدة كور [6]. كذلك الحال عند قدامة [7] (الخراج ٣١٦ / ٩٢٨)، إلا أنه يضع فارس في الإقليم الرابع ويستخدم كلمة نواحي، جمع ناحية للدلالة على الأهواز وفارس [8].. الخ.

هذا الغموض والاختلاف الذي أحاط بكلمة إقليم عند هؤلاء الجغرافيين سيزول بشكل حاسم مع الاصطخري في كتابه (مسالك الممالك: ٣١٨ - ٣٤٠ / ٩٣٠ - ٩٥٣)، فهو في هذا الكتاب الذي ارتكز فيه على كتاب البلخي (٣٠٨ / ٩٢٠) يحدد كلمة إقليم بأن المقصود بها ليس الأقاليم السبعة التي عليها قسمة الأرض بل أقاليم الأرض على الممالك أي بلاد الإسلام بتفصيل مدنها. وعلى ذلك فهو يقسم بلاد الإسلام إلى ٢٠ إقليماً [9]، كما فعل البلخي قبله.

وفي هذه الفترة التي أطلق فيها الاصطخري تحديده الواضح لكلمة إقليم، كتب المسعودي كتابيه، مروج الذهب (٣٣٢ / ٩٤٣)، والتنبيه والأشراف (٣٤٥ / ٩٥٦)، معتمداً لكلمة إقليم معناها المناخي بأنها واحد أقاليم الأرض السبعة [10]، إلا أنه يضع في كتابه الأول فارس في الإقليم الأول، وفي الثاني في الإقليم الرابع.

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٧، ٤٢، ٤٣، ٤٨.
(٢) المصدر نفسه، ص ٧٥ - ٧٧.
(٣) اليعقوبي، ص ٢٣٣.
(٤) المصدر نفسه، ص ٢٦٨.
(٥) ابن الفقيه، ص ٦.
(٦) ابن رسته، ص ٩.
(٧) قدامه، ص ٢٣٠ - ٢٣٤.
(٨) المصدر نفسه، ص ١٩٣.
(٩) الاصطخري، ص ٢ - ٤.
(١٠) المسعودي، مروج. جـ ١ ص ٨٧. التنبيه، ص ٣١ - ٣٢.

لكن ابن حوقل (المسالك والممالك ٣٦٧ / ٩٧٧)، سيلحق بالاصطخري، وسيردد تقريباً بالحرف ما قاله الاصطخري بأنه لم يقصد بكلمة إقليم الأقاليم السبعة التي عليها قسمة الأرض، بل أقاليم البلدان من جميع بلاد الإسلام، موضعها وما يحيط بها من الأماكن والبقاع، وما في اضعافها من المدن والاصقاع وما لها من القوانين والارتفاع [١]... الخ، وقد فصل ابن حوقل بلاد الاسلام اقليماً اقليماً وصقعاً صقعاً، وكورة كورة لكل عمل، لكنه جعل بلاد الإسلام ٢٢ إقليماً [٢].

كذلك سيلحق بهما المقدسي في كتابه «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» (وضعه بين ٣٧٥ - ٣٨٠ / ٩٨٥ - ٩٩٠)، حيث سيعتبر تقسيم العالم إلى سبعة أقاليم غير مجد من الناحية العملية [٣]، وهو بالتالي يقر بالتقسيم الجغرافي - المكاني، ويقسم مملكة الإسلام إلى ١٤ إقليماً [٤]. منها ستة أقاليم عربية وهي: جزيرة العرب، العراق، أقور، الشام، مصر، والمغرب. وثمانية أقاليم عجمية هي: المشرق، الديلم، الرحاب، الجبال، خوزستان، فارس، كرمان ثم السند.

إذن، في القرن الرابع الهجري، ومع الاصطخري، ابن حوقل والمقدسي، أخذت كلمة إقليم معناها الجغرافي - المكاني وليس المناخي. وغلب هذا الإصطلاح لكلمة إقليم الاصطلاحات السابقة، حتى أن ياقوت (ت ٦٢٦ / ١٢٢٩) يعتبره الأول بين أربعة اصطلاحات أساسية اعتمدتها الأمم في هيئة الأقاليم وصفاتها ويطلق عليه اسم «مصطلح العامة وجمهور الأمة» [٥] أي ما جاء على ألسنة الناس وهو أن يسموا كل ناحية مشتملة على عدة مدن وقرى إقليماً، كالصين وخراسان والعراق والشام وغير ذلك.

٢ - فارس

في العصر الإسلامي، علينا أن نميز بين ثلاث كلمات، فارس، فارسي، الفرس. ففارس التي يرجع بها العرب إلى أن اسمها مأخوذ من فارس بن علم بن نوح، وقيل من فارس بن طمهورث الذي ينسب إليه الفرس [٦]، كانت قبل العصر الإسلامي تطلق على كل المناطق التي تشغل الهضبة الإيرانية [٧]. كما نستدل على ذلك من استعمالاتها الأدبية وفي الأحاديث النبوية. فينقل ياقوت [٨]، في فضائل فارس «فارس والروم قريش العجم» وجاء في الحديث الشريف «أبعد

---

(١) ابن حوقل، ص ١٠.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٥.
(٣) المقدسي، ص ٤.
(٤) المصدر نفسه، ص ٩ - ١٠.
(٥) ياقوت، بلدان، جـ ١ ص ٢٥ - ٢٨.
(٦) ياقوت، بلدان، جـ ٤ ص ٢٢٦.
(٧) المصدر نفسه، ص ٢٢٦ - ٢٢٨.
(٨) المصدر نفسه.

الناس إلى الإسلام الروم، ولو كان الإسلام معلقاً بالثريا لتناولته فارس». ففارس هنا تقابل الروم. أي أرض فارس مقابل أرض الروم أو سكان أرض فارس مقابل سكان أرض الروم. مما يعني أن فارس هنا هي كل المنطقة التي يعيش عليها الفرس أي على امتداد الهضبة الإيرانية.

لذلك، فإن كلمة الفرس التي نجدها في المصادر الأدبية العربية القديمة تعني مجموع سكان بلاد الفرس، ولكنها أيضاً تشير إلى الفرس في عصر ما قبل الإسلام، أو إلى أقسام من السكان الذين حافظوا على آرائهم التقليدية والدينية القديمة. في هذا المعنى فإن هذه التسمية مرادفة بالإجمال إلى التعبير العربي «العجم»(١).

في العصر الإسلامي، أخذت كلمة فارس معنىً جديداً ومحدداً. فبلاد فارس أو أرض فارس القديمة تعامل معها الفاتحون الجدد على أنها مجموعة مناطق ذات خصائص مختلفة، وكل منطقة بحد ذاتها تشكل مركزاً سياسياً وثقافياً هاماً. لذلك أفرد الجغرافيون المسلمون لكل من هذه المناطق الإيرانية وضعاً خاصاً(٢).

هكذا أصبحت كلمة فارس تطلق على إحدى المناطق الإيرانية، وليس على كل الأراضي الإيرانية. وباتت تعني أحد أقاليم المملكة الإسلامية لها حدودها وعاصمتها وخراجها وسجلها في الدواوين(٣) بصفتها الجديدة مثلها مثل خراسان وخوزستان وكرمان وسجستان... الخ. وهي كذلك عند الجغرافيين الفرس. فابن البلخي(٤) يميز بين فارس (پارس) وبلاد الفرس (بلاد فرس). ويذكر أن فارس كانت أيام ملوك الفرس القدماء، مركز دولتهم والموقع الأصلي لسلطتهم. باعتبار أنه في ذلك الوقت، كانت المنطقة الممتدة من ضفة نهر جيحون إلى ضفاف نهر الفرات تحمل اسم بلاد فارس.

أما كلمة فارسي، فكانت تستعمل للتدليل على إحدى اللغات المحكية في المقاطعات الإيرانية. ومن هذه اللغة ستخرج ابتداء من القرن التاسع الميلادي اللغة الأدبية المكتوبة التي نطلق عليها اسم الفارسية(٥).

٣ ـ البويهيون

أما البويهيون فهم تلك الأسرة الديلمية(٦)، من المغامرين المرتزقة الذين خبروا قيادة الجنود

---

(١) EI, art perse, p.1110.

(٢) Ibid.

(٣) ياقوت، البلدان، جـ ٤ ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧، الاصطخري، ص ٦٧: ابن حوقل ص ٢٣٤ قدامه، ص ٢٤٢، ٢٤٥ و٢٤٩ ـ ٢٥١.

(٤) ابن البلخي، ص ١٧ ـ ١٨.

(٥) EI², art perse, p.1110.

(٦) Voir Minorsky, domination, p 8-11. EI2, t II, art daylan, p 195-200.

أكثر من إدارة شؤون البلاد، وكانوا يعيشون من الغنائم التي أصابوها في تلك الأقطار في بداية أمرهم [1]. وبفضل حنكة كبيرهم ومؤسس دولتهم علي بن بويه ومعرفته اقتناص الفرص في الوقت المناسب، وأيضاً بفضل حالة التفكك والاضطراب التي شهدتها الخلافة العباسية في تلك المرحلة، نجحوا في ارساء دعائم دولة، لا يبدو أنها كانت عند بداية قيامها، من ضمن مشروع سياسي قومي أو ديني، بل ولدت في خضم تلك الصراعات الضخمة التي شهدتها المملكة الإسلامية: صراعات رجال الدولة، والجند، والفرق الدينية والتجمعات القبلية والجنسية واضطراب الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.

كانت بداية التسلط البويهي، عندما قلد مرداويج بن زيار مؤسس الدولة الزيارية في جرجان وطبرستان، علي بن بويه ناحية الكرج [2] سنة ٣٢٠ / ٩٣٢. ولقد أتاحت له صفاته كقائد يسعى للتملك والسيطرة بأي ثمن وبأية وسيلة، وهو الذي سبق له قبل قليل أن تخلى عن سيده السابق ماكان بن كاكي لحظة هزيمته ليلتحق بسيده الجديد مرداويج المنتصر [3]، ان يوسع من حدود ولايته. فلقد أدرك البويهي الكبير اللعبة كاملة، وهو على كل حال ليس بغريب عنها، فامتلاك الجند لم يعد له طريق سوى المال، والحفاظ عليهم لا يكون إلا بالمغانم والتسامح معهم ومسايرتهم [4].

هكذا، اجتمعت كل العوامل لتدفع به إلى الأمام، فالحرب والشجاعة قائمة عند الضرورة وعند توافر ظروف الانتصار. والمراوغة والمهادنة قائمة عندما يتطلب الأمر ذلك. وخطوة خطوة تسير الأسرة البويهية في تدعيم دولتها مستفيدة من كل الظروف والعوامل المحيطة بها. ولا شك أن علي بن بويه كان يمتلك ذكاءً وحساً سياسياً هائلاً.

من الكرج، استولى علي بن بويه وأخواه على اصفهان ثم قصد فارس فسقطت مدنها الواحدة تلو الأخرى بين يديه [5]، وتم له الاستيلاء عليها عام ٣٢٢ / ٩٣٣. ومن فارس التي جعلها قاعدة ملكه، تابع علي بن بويه وأخواه فتوحاتهم. ففي هذه الأثناء كان الأخ الثاني الحسن قد احتل تقريباً كل إقليم الجبال، عقب مقتل مرداويج [6] سنة ٣٢٣ / ٩٣٤، فيما أخذ الأخ الثالث أحمد في غزو كرمان [7] وتم له فتحها سنة ٣٢٤ / ٩٣٥، ثم اتجه نحو خوزستان مستفيداً من صراع ابن

---

(١) Cahen, Islam, p.177.

(٢) مسكويه، جـ ١ ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٣١.

(٣) مسكويه، جـ ١ ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٧٧ ـ ٢٧٩.

(٥) مسكويه، جـ ١ ص ٢٨١ ـ ٣٠٠. ابن الأثير جـ ٦ ص ٢٣٩. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٨٢٩ ـ ٨٣١.

(٦) ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٤٧.

(٧) مسكويه، جـ ١ ص ٣٥٢ ـ ٣٥٦. ابن الأثير جـ ٦ ص ٢٥٥. بروكلمان، ص ٢٤٥.

رائق والبريدي، الأمر الذي سيفتح أمامه الطريق إلى بغداد بسهولة، خاصة بعد تمكن أحمد البويهي من السيطرة على الأهواز بصورة نهائية [1] سنة ٣٢٦ / ٩٣٧.

لم تتم للبويهيين السيطرة على تلك المناطق بسهولة، بل خاضوا في سبيلها معارك ضارية على أكثر من جبهة وفي وجه أكثر من خصم لا يستهان بقوته. ثم كان دخولهم بغداد عام ٣٣٤ / ٩٤٥ بمثابة المحصلة الطبيعية لكل تلك الانتصارات، وتلك الظروف التي عاشتها الخلافة العباسية في تلك المرحلة.

إذاً بدخول أحمد البويهي الأخ الأصغر في الأسرة البويهية، بغداد، دون صعوبات تذكر، خضعت الخلافة العباسية السنية، للسيطرة البويهية الشيعية كاملة، ولم يبق للخليفة سوى اللقب والخطبة، حتى هذه الأخيرة شاركوه فيها كما شاركوه في العديد من رسوم الخلافة التي كانت حكراً على الخلفاء وحدهم. وقد استمرت السيطرة البويهية على الخلافة العباسية، حتى الدخول السلجوقي إلى بغداد عام ٤٤٧ / ١٠٥٥ أي ١١٣ سنة، شاملة معظم القرن الرابع وحتى النصف الأول من القرن الخامس الهجري، لكنها استمرت فترة أطول في مركزها الأساسي أي فارس فبلغت ١٣٢ سنة (٣٢٢ - ٤٥٤ / ٩٣٣ - ١٠٦٢).

احتلت فارس لدى البويهيين مكانة خاصة، فهي نقطة انطلاقهم التي منها نجحوا في إقامة دولتهم، وهي أرض الخير [2] التي يتفاءلون بها ويستمدون منها جزءاً مهماً من مواردهم المالية، وهي ملاذهم الآمن وقت الشدائد. لذا نرى علي بن بويه يفضل البقاء في فارس تاركاً لأخويه الحسن إقليم الجبال، ولأحمد العراق. وخلال المرحلة الثانية من الحكم البويهي، حين دارت الصراعات بين الأبناء على السلطة، كانت فارس محور هذه الصراعات فهي الطريق الذي يصل بصاحبها إلى إمارة العراق، وبات من يملك فارس هو الذي سينجح في امتلاك بغداد. بل أصبحت فارس مقر الإمارة البويهية، إذ اكتفى بعض الأمراء في بعض الفترات، في تعيين نائب عنهم لإدارة شؤون بغداد فيما بقوا هم في فارس يحكمون الخلافة العباسية منها.

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٧٨. المصدر نفسه، ص ٢٦٤.

(٢) مسكويه، جـ ١ ص ٢٩٩. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٣٠.

دراسة المصادر والمراجع

إن الصعوبة الأساسية التي واجهتنا في هذا البحث هي قلة المصادر والمراجع. ففيما نجد عدداً لا بأس به من الكتب عن تاريخ الأسر التي حكمت أقساماً من المقاطعات الإيرانية كالغزنويين والسلجوقيين والصفويين [1].. الخ، وضعت في تلك العهود، فإننا لا نجد شبيهاً لها عن البويهيين، رغم أهميتهم وأهمية المرحلة التي حكموا خلالها. فالكتاب الوحيد الذي تخبرنا كتب التاريخ أنه وضع عن البويهيين، وهو الكتاب الذي ألفه أبو اسحاق الصابي بطلب من عضد الدولة تحت اسم التاجي في أخبار الدولة الديلمية أو في أخبار بن بويه [2]، مفقود. ويعتقد أن قطعة منه موجودة في آخر كتاب الجامع الكافي في فقه الزيدية. وقد طبع هذا القسم الذي يتضمن أخبار أهل الجيل والديلم ودخولهم في الإسلام عن طريق الدعاة الزيديين، تحت اسم «المنتزع من كتاب التاجي لأبي اسحاق الصابي» [3]. وبغض النظر عن مدى صحة نسبة هذا القسم إلى كتاب التاجي، فهو على كل حال لا يعني موضوعنا مباشرة.

أما الكتب التي تؤرخ للأقاليم أو للمدن، كتاريخ طبرستان، وتاريخ اصفهان، وتاريخ قم وتاريخ سيستان، وبخارا، وخراسان وكرمان [4]، فلا نجد شبيهاً لها عن فارس، اللهم سوى كتاب واحد عن شيراز تحت عنوان شيراز نامه [5]، ويحكي تاريخ المدينة منذ البدء إلى عام ٧٤٤ هـ. وهو، على كل حال مخطوط صغير الحجم رغم طول الفترة التي يتحدث عنها، وقد كتب بعد انقضاء العهد البويهي بما يقارب القرنين؛ مما يعني ضآلة المعلومات التي يقدمها لنا عن تاريخ شيراز خلال العهد البويهي. أما كتاب فارس نامه فيدخل من ضمن المصادر الجغرافية.

---

(١) Catalogue des Manuscrits persannes par E. Blachet. Bibliothèque Nationale. Paris.

(٢) ذيل، ص ٢٣. ياقوت، ادباء. جـ ١ ص ٣٢٤ - ٣٥٨. القفطي، ص ٥٤ - ٥٥.

(٣) محمد حسن الزبيري، المنتزع من كتاب التاجي، بغداد ١٩٧٧.

(٤) Voir cataloque des Manuscrits persannes.

(٥) ابن زركوب الشيرازي، شيراز نامه، مخطوطة في المكتبة الوطنية الفرنسية تحت رقم Supp. Pers. 1051.

لا شك أن هذه الفجوة في المصادر الأولية لدراستنا تطرح تساؤلاً عن سبب هذا التغييب من مؤرخي ومفكري العصر البويهي، وما أكثرهم، عن كتابة تاريخ هذه الأسرة التي حكمت الخلافة العباسية فترة طويلة، كما جرى الأمر بالنسبة للسلاجقة أو الغزنويين وغيرهم. ولماذا لم ينبر أحد للكتابة عن تاريخ فارس رغم الموقع الهام الذي احتلته خلال العهد البويهي، وأيضاً لماذا، لم يقم أحد من مؤلفي ذاك القرن بالكتابة عن أحد عظماء الأسرة أو تاريخ حكمه كما جرى الأمر مع الأميرين سبكتكين ومحمود الغزنوي، حيث ألف العتبي ممن عاش في بلاط محمود بن سبكتكين كتاباً عن هذين الأميرين [1]؟.

أما كتب التاريخ العام، فهي وإن تضمنت أخبار الدولة البويهية، إلا أنها ذات اشكالين بالنسبة لموضوعنا. فعدا عن كونها في الأساس لا تهتم إلا بالنواحي السياسية والعسكرية وبالأشخاص الذين لعبوا دوراً في ذلك، وبدرجات أقل بالحياة الاجتماعية ونتف عن الأوضاع الاقتصادية، لكن كل ذلك مقتصر على العواصم الأساسية، بغداد، القاهرة... الخ. وحينما يتم التعاطي مع أقاليم المملكة الأخرى، فإنما يتم ذلك وبالدرجة الأولى من باب علاقتها السياسية والعسكرية بالخلافة وتأثيرها عليها (اضطرابات، تمرد، محاولات للاستقلال... الخ). وفيما تتيح لنا هذه المعلومات عن الأقاليم التي شهدت الكثير من الاضطرابات، من تكوين صورة عن الحياة السياسية والعسكرية داخلها، إلا أن المعلومات الاقتصادية والاجتماعية تكاد تكون معدومة.

لكن اهتمام المؤرخين بالمقاطعات الأقل اضطراباً كانت قليلة. لذلك كانت فارس أقل حظاً من أخواتها الفارسيات كخراسان وإقليم الجبال باحتلال هذا الحيز الضئيل من الاهتمام لدى المؤرخين. وأيضاً باعتبار أن أمير فارس البويهي هو في معظم الأحيان أمير العراق ومقيم في بغداد، الأمر الذي قلّل من تعاطي المؤرخين مع أخبار فارس حيث لا محاولات للاستقلال أو اضطرابات ـ ما عدا المرحلة الأخيرة من الحكم البويهي وخلال بعض المنازعات على الزعامة البويهية ـ وحيث إن أخبار صاحب فارس مغطاة باعتباره صاحب العراق أيضاً.

أما كتب الجغرافيين، فتقدم لنا معلومات ثمينة عن الطبيعة الجغرافية لفارس: مناخ، مياه أراضٍ زراعية، منتوجات زراعية بالإضافة إلى معلومات عامة عن الحياة التجارية والصناعية والمالية والاجتماعية بفارس. وعدا هذا الاستثناء، كان علينا تجميع شتات المعلومات عن فارس من كتب الأدب والفرق والسير والتراجم.

١ ـ **المصادر العربية**، وتضم كل ما كتب باللغة العربية، ويمكننا تصنيفها إلى تاريخية وجغرافية وأدبية ودينية.

---

(١) Catalogue des Manuscrits persannes, Vol 1, p.274.

أ ـ المصادر التاريخية:

ـ **مسكويه**، أحمد بن محمد بن يعقوب الملقب مسكويه ويطلق عليه اسم أبي علي الخازن. فارسي ولد ما بين ٣٢٠ ـ ٣٢٥ / ٩٣٢ ـ ٩٣٦ بالري، بدأ حياته العملية كنديم بخدمة المهلبي وزير معز الدولة البويهي، ثم عاد إلى الري واتصل بابن العميد وزير ركن الدولة وعمل عنده خازناً لمكتبته الكبيرة، كما عمل بعد وفاته عند ابنه أبي الفتح بن العميد وزير ركن الدولة ومن ثم مؤيد الدولة، ثم انتقل اثر مصرع أبي الفتح إلى خدمة عضد الدولة حيث عمل عنده خازناً لمكتبته وأحياناً كرسول.

وبوفاة عضد الدولة سنة ٣٧٢ / ٩٨٢، انتهت مرحلة «مشايخ الملوك» عند مسكويه. فانكبّ بعدها للتدريس والتأليف، دون أن يقطع صلاته بخلفاء عضد الدولة، فاتصل بصمصام الدولة، وبخليفته شرف الدولة، وأيضاً ببهاء الدولة ويبدو أنه عمل عندهم أيضاً خازناً لمكتباتهم ونديماً في مجالس العلم والأدب.

ورغم أنه كان شيعياً، إلا أنه كان قليل الميول الدينية ومن الممكن أن تقرأ تاريخه دون أن تعرف ـ سوى في فقرة واحدة ـ أن مؤلفه مسلم [١].

ولقد أحصي لمسكويه ٣٣ كتاباً بين مخطوط ومطبوع ومفقود، وقد كتب في مختلف المواضع خاصة الفلسفة والتاريخ والطب والأدب [٢].

يعتبر مسكويه بصورة غير مباشرة، مؤرخ البويهيين، فهو قد عاش في بلاطهم، وعرفهم عن كثب، كما أن حياته التي امتدت إلى حوالى القرن (ت ٤٢١ / ١٠٣٠)، هي تقريباً عمر الدولة البويهية. وقد أهدى كتابه «تجارب الأمم» إلى عضد الدولة. وشارك في الحياة الفكرية والأدبية التي كانت محتدمة في ذلك الوقت. ولا نعرف لمسكويه سوى كتاب واحد في التاريخ هو تجارب الأمم وتعاقب الهمم، موضوع اهتمامنا الأول. والكتاب يبدأ منذ الخليقة وينتهي سنة ٣٦٩ / ٩٧٩ وقد طبع منه بعض الأجزاء، والقسم الهام منه والذي يهمنا، هو الجزء الذي قام بتحقيقه المستشرقان مرغليوث وآمدروز، والذي يضم الفترة الممتدة من ٢٩٥ ـ ٣٦٩ / ٩٠٧ ـ ٩٧٩.

وقد اعتمد مسكويه على الطبري وسنان بن ثابت والصولي لكتابة القسم الأول من هذا الجزء أي الفترة الممتدة من ٢٩٥ ـ ٣٤٠ / ٩٠٧ ـ ٩٥١. أما مصادره للفترة التالية الممتدة من ٣٤٠ ـ ٣٦٩ / ٩٥١ ـ ٩٧٩، فكانت كما يخبرنا هو في التجارب [٣]، مشاهدته المباشرة ومعايشته

---

(١) مرغليوث، ص ١٤٤.

(٢) انظر حول مسكويه، كتاب عزت عبد العزيز، «ابن مسكويه»، القاهرة ١٩٤٦.

M. ARKOUN, «Miskawayh, philosophe et historien» Paris, 1970.

(٣) مسكويه، جـ ٢ ص ١٣٧.

للأحداث، ما أخبره به أبو الفضل بن العميد وأبو محمد المهلبي، وما حدثه به من كان في خدمة الوزراء ودار الخلافة ودور الولاة والأمراء.

إذاً، وكما رأينا سابقاً، فمسكويه عايش عن قرب ومن مواقع مختلفة تاريخ الدولة البويهية. إذ لم يكن يمضي على قيام هذه الدولة ست سنوات حتى كان مسكويه في أقرب موقع يتيح له معايشة الأحداث. فقد التحق سنة ٣٤٠ هـ في خدمة المهلبي كاتب الأمير معز الدولة البويهي ومن ثم وزيره، ثم التحق بعد ذلك بخدمة ابن العميد (٣٥٣ - ٣٦٠ / ٩٦٤ - ٩٧٠)، وبعده بخدمة ابنه أبي الفتح (٣٦٠ - ٣٦٦ / ٩٧٠ - ٩٧٦)، ثم بخدمة عضد الدولة (٣٦٦ - ٣٧٢ / ٩٧٦ - ٩٨٢) إن قربه هذا من أماكن صناعة الأحداث لم يتح له فقط التقاط ما يجري بل إدراك وفهم حقائق الأمور وواقعها.

تطرق مسكويه في تاريخه، إلى أحوال الخلافة، فتحدث عن الخلفاء، تعيينهم وعزلهم، صفاتهم، صراعاتهم، مركز الخلافة ومهام الخليفة.. الخ، كذلك عن الوزارة والوزراء، كما تحدث عن الجيش وتركيبته ونزاعات مختلف فئاته، وعن القضاء والقضاة، والإرهاب والمصادرات التي عمت في ذلك العصر.

وإذا كان الطبري مُقلاً فيما يذكره عن اقتصاديات الخلافة؛ مصادر الخراج وطرقه وما أشبه، نجد مسكويه يفيض ويدقق [1]. وإن بدت تلك الأخبار غير كافية بمنظار اليوم. كما يعطينا صورة عن الحياة الثقافية والفكرية عبر حديثه عن مجالس الوزراء والشخصيات السياسية الفكرية، كالمهلبي وابن العميد. وعن أحوال السكان والمدن والاضطرابات والفتن الطائفية وغيرها. وينقل لنا صراعات الأمراء وقادة الجند وولاة الأقاليم والحركات الانفصالية.

وفي ما يتعلق ببني بويه، فيبدأ مسكويه بذكرهم منذ بداية ظهورهم على مسرح الأحداث. فيحدثنا عن سلوكهم وصفاتهم ووزرائهم وحروبهم وبداية دولتهم وعلاقاتهم بالخلافة، والأوضاع العامة خلال العهد البويهي والإصلاحات التي قاموا بها ومواقفهم الدينية وعلاقاتهم مع الأطراف والقوى الداخلية والخارجية... الخ.

تركز تاريخ مسكويه على عاصمة الخلافة بالدرجة الأولى، ومن ثم على بعض أقاليم شرق المملكة كخراسان والجبال وفارس وطبرستان، أي أنه لم يحدثنا إلا عن المناطق الواقعة تحت مراقبته ومتابعته. فهو لا يبدأ بالحديث الفعلي عن هذه المناطق إلا منذ الفترة التي التحق بها بابن العميد بالري، ومعظم ما يخبرنا به عن أوضاع هذه المناطق مرتبط بشكل أو بآخر بأحداث لها صلة بالري وبالبويهيين. في حين تغيب مصر عن تاريخه إلا مراراً عابرة. أما الأندلس فلا نسمع بوجودها وهذا عكس ما فعله ابن الأثير وتوسع فيه.

---

(١) مرغليوث، ص ١٤٣.

ولقد اتصفت كتابة مسكويه التاريخية بالموضوعية والحياد، وهذا ما يتبدى ظاهراً في موقفه من الحلاج والقرامطة. وينفرد مسكويه عن غيره بعدم تحفظه في أحكامه إلى جانب تخلصه من معظم صور التحيز، وعلى الرغم من خدمته البويهيين لا يخفي جرائمهم، بل يقسو في أحكامه عليهم أحياناً قسوة شديدة فيصور رأس الأسرة عماد الدولة مغامراً لا مبادىء له، ويلوم معز الدولة أعنف لوم لسوء أعماله [1]. ولا يخفي أطماع عضد الدولة. ولا يشذ مسكويه عن حياده وموضوعيته فيما يرويه، إلا عند الحديث عن ابن العميد وربما كان الأمر بسبب اعجابه الشديد بهذا الوزير الكبير.

وربما كان لزاماً علينا، أن نشير هنا الى التهمة التي أطلقها أبو شجاع الروذراوري صاحب كتاب «ذيل تجارب الأمم» والقائلة بأن مسكويه قد نقل القسم الأخير من كتابه «الخاص بالبويهيين» عن كتاب التاجي لأبي اسحاق الصابي، نقلاً حرفياً [2]. وإذا ما أضفنا إلى هذا الاتهام، الرواية التي نقلها ياقوت بأن الصابي قد وصف كتابه «التاجي» بأنه مجموعة أباطيل [3]، فإن ذلك يلقي ظلالاً خطيرة من الشك على ما دوّنه مسكويه عن مبتدأ أمر البويهيين والفترة الأولى لحكمهم. لكن ما لدينا من إشارات كافية لرد التهمتين، رغم أن قطع التاجي المحفوظة لدى العتبي والثعالبي ليست كافية لتمكيننا من معرفة ما إذا كان خبر أبي شجاع قريباً من الحقائق.

فالروذراوري غير دقيق عادة في أحكامه، ولو كانت التهمة صحيحة لما غاب أمرها عن التوحيدي الذي لم يترك سيئة لمسكويه إلا وتبنى ترويجها. أما القول الثاني بأن تاريخ الصابي مزيف وكاذب، فالرواية أساساً ضعيفة فلا اسناد لها، والأهم من ذلك أن كل الذين اطلعوا على كتاب «التاجي» أشادوا به، فأبو حيان [4] يقول بأن الصابي قد تقدم بهذا الكتاب عن كل ما سبق، كذلك أشاد أبو شجاع بالكتاب وبما تضمنه [5].

هذا، وقد أشاد كثير من المستشرقين بمسكويه، وبكتابه التجارب، سنكتفي هنا بنموذجين. فمرغليوث يعتبر أن التأليف التاريخي العربي قد بلغ أوجه في كتاب مسكويه، حتى أنه يفضله عن الطبري في مجالات كثيرة [6]. أما كيتاني فيقول عن مسكويه، بأنه ترك عملاً، أهميته أن منهجيته قريبة جداً من تلك التي اتبعها الغربيون لاحقاً، وخاصة المؤرخين الحديثين [7].

---

(١) مرغليوث، ص ١٤٤.

(٢) ذيل، ص ٢٣. انظر ترجمة: أبو اسحاق الصابي عند الثعالبي، يتيمة، جـ ٢.

(٣) ياقوت، أدباء، جـ ٢ ص ٢٢.

(٤) التوحيدي، امتاع، جـ ١ ص ٦٧ ـ ٦٨.

(٥) ذيل، ص ٢٣.

(٦) مرغليوث، ص ١٤٣، ١٦١.

(٧) من مقدمة ليون كيتاني للجزء الذي حققه من كتاب تجارب الأمم والممتد من البدء إلى سنة ٣٧ هـ. LEYDEN, BRILL 1909.

إذاً يقدم لنا مسكويه في كتابه تجارب الأمم، تاريخ البويهيين حتى سنة ٣٦٩ / ٩٧٩، وهو مادة غنية في هذا المضمار. وفي ما يتعلق بفارس، فيمكننا من معرفة الأوضاع السياسية في هذه المقاطعة خلال العهد البويهي، إلاّ أنه مقلٌ جداً في النواحي الأخرى، الاجتماعية والاقتصادية.

ـ **أبو شجاع الروذراوري**. محمد بن الحسين بن عبدالله بن ابراهيم (ت ٤٨٨ / ١٠٩٥)، وزر للمقتدي بالله خلال سنوات ٤٨١ ـ ٤٨٤ / ١٠٨٨ ـ ١٠٩١، وألف كتاب ذيله على كتاب تجارب الأمم لمسكويه، واحتوى على حوادث ٢٠ سنة أي من سنة ٣٦٩ / ٩٧٩، وهي السنة التي توقف عندها تاريخ مسكويه، إلى سنة ٣٨٩ / ٩٩٨.

كان الروذراوري متديناً ورعاً. وهو يقينا أقل من مسكويه من الناحية الفكرية ولا يكشف عن أي شيء شبيه بالمعرفة الخاصة التي حصل عليها مسكويه بالإدارة من اتصاله بابن العميد والمهلبي وبعنايته بها [١]. كما كان، على العموم، غير دقيق في أحكامه، فهو في بداية كتابه يفيض مدحاً لمسكويه وكتابه [٢]، ثم لا يجد مانعاً بعد صفحات قليلة من إطلاق تهمته لمسكويه بأنه نقل [٣] آخر كتابه عن كتاب «التاجي» للصابي. ورغم أن تاريخه لا يصل إلى المرحلة السلجوقية إلا أنه كثيراً ما يمدحهم «باعتبار أنه عاش في ظل حكمهم»، مقابلاً أعمالهم بأعمال البويهيين [٤]. ومن الأمور الهامة أن نقارن بين الكلام الموجز الحذر لصفات عضد الدولة عند مسكويه، وبين المديح المطنب المبالغ الذي يخصه به الروذراوري [٥].

حاول أبو شجاع الروذراوري في كتابه اتباع نفس طريقة مسكويه في الكتابة التاريخية، لكنه لم يبلغ ما وصل إليه مسكويه في ذلك. إلا أن كتابه يبقى ذا أهمية باعتباره يؤرخ لفترة الصراعات الحادة والانقسامات التي عرفتها الأسرة البويهية بعد وفاة عضد الدولة.

ـ **الصابي**، هلال بن المحسن (ت ٤٤٨ / ١٠٥٦). ينتمي الصابي [٦] إلى أسرة من الصابئة انتجت عدداً من المشهورين من علماء وأطباء وكتّاب. وكان هلال أول من أسلم من عائلته، وقد عاش هلال الصابي في ظل الدولة البويهية، وكان أحد كتابها، إذ تنقل في مناصب عدة قبل أن يعمل كاتباً لفخر الدولة وزير بهاء الدولة وسلطان الدولة. وبحكم منصبه كان على شيء من المعرفة الدقيقة بالأعمال الإدارية والأخبار كتلك التي نجدها عند مسكويه [٧].

---

(١) مرغليوث، ص ١٦١.
(٢) ذيل، ص ٥.
(٣) المصدر نفسه، ص ٢٣.
(٤) مرغليوث، ص ١٦١.
(٥) المصدر نفسه. انظر أيضاً. مسكويه جـ ٢ ص ٤٠٩. ذيل، ص ٧، ٨، ٤٠، ٤٥.
(٦) انظر ترجمته عند ياقوت، أدباء جـ ٧ ص ٢٥٥ ـ ٢٥٧.
(٧) مرغليوث، ص ١٦٢.

ما يهمنا من مؤلفات هلال الصابي ثلاثة، اثنان في التاريخ وواحد في الأدب سنتحدث عنه لاحقاً:

ـ التاريخ المعروف بتاريخ هلال الصابي، وهو ذيل على تاريخ ثابت بن سنان الصابي الطبيب وكان نسيبه. وتاريخ هلال يبدأ من سنة ٣٦٠ وينتهي بأخبار سنة ٤٤٧، لكن معظمه مفقود ولا يوجد منه سوى الجزء الثامن المتضمن أخبار خمس سنوات ٣٨٩ ـ ٣٩٣/٩٩٨ ـ ١٠٠٢، ويمكننا اعتبار هذا الجزء الموجود، كتكملة لكتاب الروذراوري.

ـ الوزراء، أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء. وهذا الكتاب لم يصلنا منه سوى جزء وهو الذي يضم أخبار وزراء المقتدر، ابن الفرات، علي بن عيسى وابن مقلة. ونجد مصدر كثير من أخباره في نشوار المحاضرة للتنوخي. ورغم أن الوزراء الذين يتحدث عنهم هلال ليسوا من عصر البويهيين، إلا أنه يقدم لنا خلال ذلك صورة عن الوزارة والوزراء وأعمالهم وعلاقاتهم بالخليفة ومرتباتهم وكتابهم... الخ.

ـ **التنوخي**، محسن بن علي (ت ٣٨٤/٩٩٤)، أبو علي القاضي [1]، عاش وعمل في ظل الدولة البويهية وكان قاضياً نائباً لقاضي القضاة ابن أبي الشوارب. ثم وُلّي القضاء في مدن مختلفة، مجتمعة ومنفصلة من الجزيرة وفارس. ويعود الفضل في ترقيته إلى أبي محمد المهلبي وزير معز الدولة، الذي كان على علاقة وطيدة بوالده. ثم التحق أبو علي بخدمة عضد الدولة الذي أولاه عنايته وقربه منه، لكنه غضب عليه في أواخر أيامه.

وضع التنوخي ثلاثة كتب، يعنينا منها اثنان، جامع التواريخ، والفرج بعد الشدة؛ وسنعود لنتحدث عن الثاني من ضمن كتب الأدب.

ـ جامع التواريخ أو نشوار المحاضرة. استغرق تأليفه عشرين عاماً (٣٦٠ ـ ٣٨٠/٩٧٠ ـ ٩٩٠) وهو في أحد عشر مجلداً، لم يصلنا منها سوى جزءين، الأول والثامن. واشترط التنوخي فيه أن لا يضمنه شيئاً موجوداً في كتاب آخر [2]. ولكنه لم يتشدد كثيراً في التزام هذه القاعدة [3].

ويبدو أن التنوخي استطاع أن يحصل على قدر كبير من المعلومات الغريبة، بحكم قضائه كل حياته في مجتمعات مشاهير العراق وفارس واتصاله خاصة بالرجال الذين جمعوا كل ما أمكنهم اكتشافه عن التاريخ من أسلافهم المباشرين ومعاصريهم اتصالاً وثيقاً. ورغم قلة الأخبار عن البويهيين ودولتهم، في هذين الجزئين إلا أن رواياته القليلة هذه ذات أهمية نظراً لأنها لم تورد عند مسكويه أو سواه.

---

(١) انظر ترجمته عند ياقوت، أدباء جـ ٦ ص ٢٥١ ـ ٢٦٧.
(٢) ياقوت، أدباء جـ ٦ ص ٢٥٦.
(٣) مرغليوث، ص ١٥٥.

ـ **الهمذاني**، محمد بن عبد الملك (ت ٥٢١ / ١١٢٧)، صاحب تكملة تاريخ الطبري، والكتاب يبدأ بخلافة المقتدر سنة ٢٨٦، وبعدها ينتقل المؤلف إلى سنة ٢٩٦ ويسلسل حوادث السنوات التالية إلى سنة ٣١٨، حيث يقفز الى سنة ٣٢١ وليبدأ التسلسل من جديد إلى سنة ٣٦٧ حيث ينتهي الجزء الأول. وفي آخر هذا الجزء يعد المؤلف بالجزء الثاني الذي ينتهي سنة ٤٨٧ كما يقول جرجي زيدان [1]. لكن هذا الجزء ما زال ضائعاً.

وفي ما يخص موضوعنا، فالهمذاني لا يضيف أي شيء عمّا كتبه مسكويه بل يختصر كثيراً، ولا يشير إلى الأحوال الاجتماعية والاقتصادية إلا بصورة عابرة جداً. أما فارس فلا شيء خاص بها.

ـ **ابن الجوزي**، عبد الرحمن بن علي، أبو الفرج (ت ٥٩٧ / ١٢٠٠). وضع ابن الجوزي عدداً من الكتب، أهمها كتابه في التاريخ «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» وهو في اثني عشر مجلداً، ما يهمنا منها الأجزاء ٦ و ٧ و ٨ التي حوت تاريخ الفترة البويهية. ويعتبر ابن الجوزي أول المؤرخين الذين كتبوا عن المرحلة الأخيرة من الحكم البويهي. فمن الواضح، أن الحقبة البويهية بعد بهاء الدولة ٣٧٨ ـ ٤٠٣ / ٩٨٨ ـ ١٠١٢، قد سجلت تسجيلاً مخلاً جداً، فما وصلنا من تاريخ هلال الصابي يتوقف عند سنة ٣٩٣ / ١٠٠٢، لكن ابن الجوزي نجح في سد هذه الفجوة، وبلغ بالتاريخ الإسلامي إلى سنة ٥٧٥ / ١١٧٩. ويقدم لنا «المنتظم» الكثير من الأخبار عن الأحوال العامة خلال العهد البويهي، خاصة في ما يتعلق بالأحوال السياسية بفارس التي عرفت خلال المرحلة الأخيرة من الحكم البويهي الكثير من الصراعات بين الأمراء البويهيين أنفسهم. والملاحظ أن أخبار الوفيات تحتل جزءاً هاماً في الكتاب، وهو الأسلوب الذي أخذ في الشيوع عند رجال التاريخ منذ ذلك الوقت.

ـ **ابن الأثير**، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الجزري [2] (ت ٦٣٠ / ١٢٣٢) صاحب كتاب الكامل في التاريخ، ويقع في تسعة أجزاء، ينتهي به إلى سنة ٦٢٨ / ١٢٣٠.

ويمتاز تاريخ ابن الأثير عن سابقيه كمسكويه، في أنه توسع فيما اعتاد غيره الاختصار أو عدم الخوض فيه. ولم يكتفِ في تاريخه على بغداد والخلافة العباسية، بل تحدث عن أقاليم شرق المملكة. وعني بأخبار الفاطميين في المغرب ومصر وأخبار أفريقيا والأندلس، وبهذا فهو أكمل كتب التاريخ حتى ذلك الوقت.

وإذا كان مسكويه قد اعتنى أكثر من الطبري بالأخبار الاقتصادية، فإن ابن الأثير لم يكن أقل من صاحب تجارب الأمم في هذا الاهتمام. لكن كما قلنا سابقاً، فإن هذه الأخبار لا تعدو

---

(١) من مقدمة الكتاب، ط ٢ بيروت ١٩٦١.

(٢) انظر ترجمته عند ابن خلقان، وفيات جـ ٣ ص ٣٤٨ ـ ٣٥٠.

شيئاً في مقاييس هذا العصر. كما أخذ ابن الأثير عن ابن الجوزي اهتمامه بالوفيات لكنه لم يبالغ فيها كما فعل سابقه. وعلى العموم، فإن كتاب ابن الأثير، يحتوي على تاريخ الدولة البويهية منذ قيامها وحتى سقوطها.

ـ **سبط ابن الجوزي**، أبو المظفر يوسف بن قيزوغلي (ت ٦٥٤ / ١٢٥٧)، صاحب كتاب « مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ». وأهم ما احتواه الجزء الثاني من مخطوطة باريس التي تحتوي على أخبار ٤٤٠ ـ ٥١٧، أخبار المرحلة الأخيرة من الحكم البويهي، خاصة في فارس التي شهدت ذروة الصراع بين أفراد الأسرة البويهية، كذلك نهاية هذه الدولة: ويبدو أن سبط قد أخذ كثيراً من رواياته عن كتاب جده عبد الرحمن « المنتظم »، حتى أن هناك روايات متشابهة باللفظ، إلا أن أهم ما اضافه هو أخباره المفصلة عن الصراع في الفترة الأخيرة في فارس، وبشكل خاص ما أورده عن فضلويه الشيبنكاره وسيطرته على ذاك الإقليم.

ـ وبالإضافة إلى هذه المصادر، هناك أيضاً، كتاب حمزة بن الحسن الاصفهاني (ت بعد ٣٥٠ / ٩٦١) تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء. وكذلك القطعة المنسوبة لكتاب « التاجي في أخبار الدولة الديلمية » لأبي اسحاق الصابي والمتضمنة أخبار أهل الجيل والديلم وبعض أحوالهم ومساكنهم وقبائلهم ودخولهم في الإسلام. وهناك أيضاً كتاب ابن خلدون، عبد الرحمن (ت ٨٠٨ / ١٤٠٥) « العبر وديوان المبتدأ والخبر »، حيث نجد أخباراً عن الدولة البويهية في المجلد الثالث.

كذلك رجعنا إلى كتاب الحافظ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ / ١٣٤٨) « دول الإسلام » وهو مختصر على ترتيب السنين لأهم الأحداث التاريخية من خلافة أبي بكر الى سنة ٧١٥ / ١٣١٥، ثم ذيله المؤلف إلى سنة ٧٤٤ / ١٣٤٣.

ويقدم لنا البلاذري أبي الحسن (ت ٢٧٩ / ٨٩٢) معلومات أساسية عن فتح فارس ومعرفة طبيعة تلك الفتوحات والمقاومات التي واجهتها، مما يساعدنا على تتبع أحوال ذاك الإقليم منذ الدخول الإسلامي. ويضيف الطبري أبو جعفر محمد بن جرير (ت. ٣١٠ / ٩٢٢) في كتابه « تاريخ الرسل والملوك » إلى الفتوحات، صورة عن الأوضاع السياسية في فارس منذ الفتح وحتى سنة ٢٩٨ / ٩١٠، وهي السنة التي اختتم بها كتابه.

وتفيدنا أخبار الثورات وحركات التمرّد التي شهدتها إيران وعلاقة فارس بذلك وتأثرها به، في معرفة الأوضاع في فارس قبل الدخول البويهي.

وإذا كان كتاب الطبري لم يتطرق إلى المرحلة البويهية وبدايات بروز تلك الأسرة، فإن المسعودي، أبا الحسن علي بن الحسن بن علي (ت ٣٥٦ / ٩٦٦) في كتابه « مروج الذهب ومعادن الجوهر » يختصر كثيراً ويكتفي بالحديث عن اسلام الديلم على يد الدعاة الزيديين وقيام الدولة

الزيدية في طبرستان، ومن ثم صراعات الديلم، وظهور مرداويج بن زيار حتى مقلته. ويبرر المسعودي هذا الاختصار رغم أنه انتهى من تأليف كتابه سنة ٣٣٦ / ٩٤٧ أي بعد ١٤ سنة على قيام الإمارة البويهية في فارس، وسنتين على قيام الدولة البويهية في العراق، بأنه أودع تفاصيل كل ذلك في كتابه «الأوسط» وهو مفقود حتى الآن، لكن رغم ذلك، فالكتاب، وهو في الواقع مزيج بين التاريخ والجغرافيا والأدب، يزودنا ببعض المعلومات الاقتصادية والجغرافية عن فارس. أما الكتب التي اختصت بتاريخ الخلفاء والوزراء، فبالإضافة الى كتاب الوزراء لهلال الصابي الذي تحدثنا عنه سابقاً، عدنا إلى كتاب ابن الطقطقي محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩ / ١٣٠٩) «الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية»، وكتاب السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١ / ١٠٣٧) المعروف بتاريخ الخلفاء. وأخيراً القطعة الموجودة من كتاب الجهشياري محمد بن عبدوس (ت ٣٣١ / ٩٤٢) «الوزراء والكتّاب».

ب ـ المصادر الجغرافية:

تقدم لنا المصادر الجغرافية مادة غنية جداً في ما يتعلق بفارس، فهي تصف لنا الإقليم ومدنه وقراه وأنهره وجباله، وتحدثنا عن أحوال السكان، وأصولهم وأخلاقهم وعاداتهم، ومعتقداتهم، وأعمالهم، ومنتوجاتهم الزراعية. وأنواع المكاييل والأوزان... الخ، فهي تكمل ما افتقدت اليه المصادر التاريخية حول أوضاع فارس الاقتصادية والسكانية. ومنها ما كتب خلال العهد البويهي نفسه وهو العصر الذي وصل فيه التأليف الجغرافي إلى أوجه.

من الكتب الجغرافية التي رجعنا إليها في دراستنا:

ـ **المسالك والممالك**، لابن خرداذبه، أبو القاسم عبيدالله. وقد وضع ابن خرداذبه كتابه حوالى ٣٣٢ / ٨٤٦، ثم أضاف إليه بعض المعلومات سنة ٢٧٢ / ٨٨٥. والكتاب مختصر جداً، يضم ذكر بعض كور ورساتيق فارس مع بعض المعلومات القليلة عنها.

ـ **البلدان**، لابن الفقيه، أبو بكر أحمد الهمذاني، الذي وضع كتابه حوالى ٢٩٠ / ٩٠٣، لكن الموجود بين أيدينا، هو اختصار للمؤلف الأصلي، وضع في القرن الخامس الهجري. ويقول المقدسي [1]، إن ابن الفقيه لم يذكر في كتابه إلا المدائن العظمى وأنه أدخل فيه ما لا يليق به من العلوم. وفيما يخص فارس، فيحتوي الكتاب على ذكر بعض الكور والرساتيق والمدن مع معلومات قليلة عنها، وعن خراجها ومنتوجاتها، وينقل عن ابن خرداذبه وصفه لزموم الأكراد.

ـ **الأعلاق النفيسة**، لابن رسته أبو علي أحمد بن عمر، المعاصر لابن الفقيه. وقد احتوى كتابه على شرح للفلك والأرض وما عليها من أنهار وبحار ولأهم كور الأرض، إلا أنه لا يتحدث

---

(١) المقدسي، ص ٣ ـ ٤.

عن فارس تخصيصاً كما فعل عند حديثه عن اصفهان وطبرستان وغيرها. وما يتضمنه كتابه عن فارس لا يتجاوز ذكر تعداد كور فارس وتعريفاً ببحر فارس.

ـ **الخراج وصناعة الكتابة**، لقدامة بن جعفر، أبو الفرج الكاتب (ت ٣٣٧ / ٩٤٨). وقد ألف قدامة كتابه هذا حوالى ٣١٦ ـ ٣٢٠ / ٩٢٨ ـ ٩٣٢، ويعتبر هذا الكتاب نموذجاً للجغرافية السياسية في ذلك الوقت. وقد وصف قدامة مملكة الإسلام وما جاورها من الممالك. لكن أهم ما تضمنه الجزء الذي وصلنا من كتابه هي لائحة تفاصيل خراج المملكة ومن بينها خراج فارس، كما يزودنا ببعض المعلومات عن الديلم وصفاتهم.

ـ **المسالك والممالك**، للاصطخري، أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الكرخي (ت بعد ٣٤٠ / ٩٥١).

ألّف الاصطخري كتابه حوالى ٣١٨ ـ ٣٢١ / ٩٣٠ ـ ٩٣٣، وظل يضيف عليه حتى حوالي منتصف القرن الرابع. أي أن الكتاب قد وضع عند بداية السيطرة البويهية. لذلك فإن وصفه لفارس وما يخبرنا به عن أوضاع هذا الإقليم الاقتصادية والاجتماعية والسكانية سيفيدنا كثيراً، خاصة إذا ما قورنت هذه المعلومات مع تلك التي سيقدمها لاحقاً ابن حوقل والمقدسي.

والحق أنه مع الاصطخري الذي ألف كتابه على قاعدة كتاب أبو زيد البلخي، سيبدأ علم الجغرافية في تثبيت أسسه وقواعده. من هنا قدم لنا الاصطخري صورة كاملة عن فارس، الحدود، التقسيمات الإدارية، المدن والقرى والحصون والقلاع، والمنتوجات الزراعية والصادرات «الصناعية» وحركة التجارة، أحوال السكان... الخ.

ـ لكن المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٥٥ أو ٣٥٦ / ٩٥٦، ٩٥٧) لم يفعل ما فعله الاصطخري، مع أن حبه للاستطلاع حمله إلى بلاد بعيدة في افريقيا والصين. وقد ألف المسعودي عدداً كبيراً من الكتب ما يهمنا منها اثنان؛ **مروج الذهب**، **والتنبيه والإشراف**، والثاني هو ملخص للأول. وكما أشرنا سابقاً، فإن كتب المسعودي هي مزيج من التاريخ والجغرافيا والأدب. وفي «المروج» هناك بعض المعلومات عن سيراف ودورها التجاري كمرفأ ونقطة مواصلات، وعن جزائر بحر فارس، وطرق استخراج اللؤلؤ، وذكر لبعض منتوجاتها. أما التنبيه والإشراف فلا شيء مهم في ما يخص فارس.

ثم جاءت كتب المقدسي وابن حوقل في القرن الرابع الهجري، فكانت هي الذروة التي بلغها العرب في وصف البلدان، وكلاهما قد سافر حتى دوخ الممالك، وحمله تيار الأسفار واستهوته حياة الارتحال والسياحة على طريقة المسلمين [1].

ـ فالمقدسي، شمس الدين محمد (ت ٣٩١ / ١٠٠٠)، وضع كتابه «**أحسن التقاسيم في معرفة**

---

(١) متز، جـ ٢ ص ١٠.

الأقاليم» حوالى ٣٧٥ ـ ٣٨٠ / ٩٨٥ ـ ٩٩٠ ، وفيه وصف شامل لفارس. وباعتباره عاش وكتب في عصر البويهيين، نراه يعدد أعمالهم ومنجزاتهم في فارس خاصة تلك التي قام بها عضد الدولة. كما أنه أغزر أخباراً من الاصطخري في ما يتعلق بالأوضاع الاجتماعية، ويعطينا صورة عن خراج هذا الإقليم والضرائب الأخرى في ذلك العهد.

ـ كذلك يفعل ابن حوقل، أبو القاسم محمد النصيبي، الذي يعتبر الابن الروحي للاصطخري، حيث نقل عنه نقلاً حرفياً.

بدأ ابن حوقل رحلته من بغداد سنة ٣٣١ / ٩٤٢ وزار فارس سنة ٣٥٠ / ٩٦١، ووضع كتابه **«المسالك والممالك»**، حوالى ٣٧٨ / ٩٨٨. وقد شاهد ابن حوقل كل ما كتب عنه وعاينه، إلا الصحراء الغربية الكبرى.

كان بالإمكان الاكتفاء بكتابي المقدسي وابن حوقل اللذين عاشا في ظل الدولة البويهية وزارا فارس، وقد ترسخت فيها السلطة البويهية بعد مرور حوالى ثلث قرن على قيامها، مما يعطينا صورة واضحة عن فارس من خلال كتابيهما. كما كان بالإمكان إضافة كتاب الاصطخري على أساس أنه قد أتم تأليفه عشية السيطرة البويهية. لكن ضرورات التدقيق والمقارنة والبحث عن المعلومات حتمت علينا العودة إلى كتب الجغرافيين ما قبل الاصطخري وكذلك إلى ما كتبه الجغرافيون المتأخرون وأهم هؤلاء ثلاثة، الأدريسي، ياقوت الحموي وأبو الفدا.

انتهى الشريف الإدريسي من تأليف كتابه **«نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»** عام ٥٤٨ / ١١٥٤ واستغرق في وضع الكتاب والبحث عن المعلومات والتدقيق بها أكثر من ١٥ سنة، لكنه لم يأت بجديد فيما خص فارس. أما شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ / ١٢٢٩) فقد لخص معلومات الاصطخري وابن حوقل والجغرافيين السابقين، والبلاذري والطبري وأضاف إليها مشاهداته الشخصية في كتابه العظيم **«معجم البلدان»**. ثم جاء كتاب أبي الفدا، السلطان عماد الدين اسماعيل بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماه (ت ٧٣٢ / ١٣٣١)، المسمى **«تقويم البلدان»** والذي انتهى من تأليفه سنة ٧٢١ / ١٣٢١ أقل بكثير من كتب سابقيه، خاصة وأن المؤلف لم يزر ويشاهد بنفسه سوى سوريا ومصر وقسم من الجزيرة العربية. أما بقية اخباره فهي عن ابن حوقل والإدريسي ومن سبقهم.

جـ ـ المصادر الأدبية والدينية وكتب التراجم:

تحتوي كتب الأدب العربي عامة، على معلومات متناثرة ولكنها غنية عن الأحوال الاجتماعية والسياسية والمعيشية وبشكل أوسع عن الحياة الثقافية والفكرية، وتقدم لنا صوراً عن الكثير من الشخصيات الأدبية والسياسية لتلك العصور. لكن المشكلة هنا، كما هي في كتب التاريخ العام، أن هذه المعلومات اقتصرت تقريباً على العواصم الرئيسية للدولة الإسلامية، وعلى رجالات الأدب

والعلم الذين عاشوا فيها أو مروا بها وتركوا وراءهم أثراً واضحاً، اللهم باستثناء بعض الحالات القليلة. لذلك، وبالرغم من أن فارس كانت إحدى العواصم الثلاث بالاضافة إلى الري وبغداد للدولة البويهية. إلا أن بغداد ظلت هي القطب الجاذب لكل رجال العلم والأدب، كما أن تولي الأمير البويهي لحكم العراق وفارس مجتمعتين في الكثير من الأحيان، قلل كثيراً من اهتمام الكتاب بفارس وبذكر اخبارها، وقد أدى هذا إلى قلة المعلومات التي يمكن الحصول عليها من هذه الكتب عن فارس.

- **رسائل الصاحب** أبي القاسم اسماعيل بن عباد (ت ٣٨٥ / ٩٩٥)، كان وزيراً (١) لبني بويه في أزهى عصورهم، وهو واحد من كبار وزرائهم. وكان إلى جانب ذلك أديباً كبيراً محباً للعلم والعلماء، حتى جمعت حضرته في الري وأصفهان وجرجان كبار علماء وأدباء عصره. وألف الصاحب عدداً من الكتب، وترك الكثير من الرسائل كتبت كلها في فترة حكم مؤيد الدولة (٣٦٦ - ٣٧٣) لهمذان وأصفهان.

تضمنت رسائل الصاحب، لوحة للحياة السياسية والتحالفات القائمة، والصراعات داخل الديلم وداخل الأسرة البويهية، ومع القوى الأخرى كالسامانيين والأكراد. وكان الصاحب يكتب العهود باسم اميره إلى الولاة والقضاة، ومن خلال هذه العهود نتبين مهام الولاة والقضاة والشروط التي يجب توافرها فيهم لتولي تلك المناصب. رغم أن ذلك لم يكن مطبقاً في الواقع. وفي الرسائل أيضاً إشارات لأحوال أهل الذمة والأكراد، وأهمية الخراج وأحوال التجارة..

- **رسائل أبو اسحاق الصابي**، ابراهيم بن هلال بن زهرون الصابي الحراني (ت ٣٨٤ / ٩٩٤). خدم الخلفاء والأمراء من بني بويه والوزراء، حتى أن عز الدولة بختيار عرض عليه الوزارة إن أسلم. تولى ديوان الانشاء للوزير المهلبي، كما كتب عن الخليفة الطائع. وله شعر حسن ضمنه مدح لعضد الدولة وللصاحب بن عباد (٢).

اشتهر أبو اسحاق برسائله الديوانية، ومن بينها تلك التي سببت له نكبته العظيمة التي كادت أن تودي بحياته. إذ نقم عليه عضد الدولة بعد ميله إليه وضنه به، بسبب فصل له من كتاب أنشأه عن الخليفة في شأن بختيار.

وتتشابه رسائل الصابي برسائل الصاحب من حيث مضامينها الأساسية، فهي أيضاً تخبرنا عن

---

(١) انظر ترجمته عند: الثعالبي، يتيمة جـ ٣ ص ١٨٨ - ٢٨٦. ياقوت، أدباء، جـ ٢ ص ٢٧٣ - ٣٤٣. ابن خلقان، وفيات جـ ١ ص ٢١٨، ٢٣٣.
EI², art Ibn Abbád t, III p. 692-694.

(٢) انظر ترجمة أبو اسحاق الصابي عند: الثعالبي، يتيمة جـ ٢ ص ٢٤١ - ٣٠٦، ياقوت، أدباء، جـ ١ ص ٣٢٤ - ٣٥٨. ابن خلقان، وفيات جـ ١ ص ٥٢ - ٥٤. القفطي، ص ٥٤ - ٥.

الصراعات التي كانت دائرة في تلك الفترة بين الديلم وداخل الأسرة البويهية، ومع الروم، والحمدانيين، وهناك أيضاً كتب العهود إلى الولاة والقضاة وكتب الألقاب.

ـ **سيرة المؤيد في الدين**، داعي الدعاة، هبة الله، الشيرازي (ت ٤٧٠ / ١٠٧٧). كان **المؤيد** حجة جزيرة فارس الفاطمي. ونجح في استمالة الملك البويهي أبي كاليجار إلى دعوته الذي اضطر لاحقاً إلى التخلي عن المؤيد (انظر لاحقاً). ففر هذا الأخير إلى مصر ومن ثم عهد إليه إمامه الفاطمي، بأن يتولى تنسيق الأمور مع القائد المتمرد البساسيري ضد العباسيين والسلاجقة، وتمكن المؤيد من استمالة العديد من الأمراء المحليين من أعراب وأكراد في العراق وشمال الشام لمساعدة البساسيري، الذي تمكن من هزيمة السلاجقة في أول الأمر ودخل بغداد سنة ٤٥٠/ ١٠٥٨ وخطب فيها للمستنصر الفاطمي صاحب مصر، إلا أن الأمر لم يطل، فبعد عام عاد طغرل بك السلجوقي واستعاد بغداد من البساسيري بمساعدة الأمراء الذين كانوا إلى جانب البساسيري في أول الأمر.

والغريب أن كتب التراجم أغفلت ذكر داعي الدعاة المؤيد الشيرازي، رغم الدور المهم الذي لعبه يوم كان بفارس أو عندما حاول القضاء على الدولة العباسية بمساعدة البساسيري. وأهمية هذا الكتاب، الذي هو بمثابة «مذكرات» الداعي، أنه يقدم لنا معلومات غير متوافرة بوضوح في المصادر الأخرى. فيحدثنا عن المذهب الفاطمي في فارس وعن علاقة البويهيين بالفاطميين والسلاجقة، ودور البساسيري وتحالفاته، وفيه نتف عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في فارس.

ـ **أبو حيان التوحيدي**، علي بن محمد بن العباس [1] (ت ٤١٤ / ١٠٢٣) صحب الوزيرين الصاحب بن عباد وأبا الفضل بن العميد فلم يحمدهما وألف كتاباً في مثالبهما. وكان متفنناً في النحو واللغة والشعر والأدب والفقه، إلا أنه لم يجد حظوة عند كبار رجال عصره، فنقم على الدنيا والناس ولم ينفذ من نقده وذمه سوى القلائل، لكنه رغم ذلك فقد كان فرد الدنيا الذي لا نظير له ذكاء وفطنة وفصاحة وربما كان أعظم كتاب النثر العربي على الإطلاق [2].

ما يهمنا من كتب التوحيدي العديدة، اثنين الأول، **الامتاع والمؤانسة** والثاني **مثالب الوزيرين**.

ألّف أبو حيان كتابه «الأمتاع والمؤانسة» بناء لرغبة صديقه أبي الوفاء المهندس، الذي كان له الفضل في صلته بالوزير أبي عبدالله الحسين بن أحمد بن سعدان وزير صمصام الدولة البويهي. وهو مجموع الأحاديث التي حدث بها أبو حيان الوزير البويهي في مجلسه، وكانت العادة أن يطرح الوزير عليه اسئلة في مسائل مختلفة فيجيب عنها أبو حيان. وموضوعات الكتاب متنوعة، تشمل مسائل

---

(١) انظر ترجمته، ياقوت، أدباء، جـ ٥ ص ٣٨٠ - ٤٠٧.

(٢) متز، جـ ١ ص ٤٤٢.

من كل علم وفن. فهو لذلك يلقي نورا كثيراً على العراق في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، إذ يتعرض لكثير من الشؤون الاجتماعية في ثنايا حديثه، فيصف الأمراء والوزراء ومجالسهم، ويصف العلماء ويحلل شخصياتهم، ويصور العادات الشائعة ويصف حالة الشعب في ذلك الوقت وموقفه مما يجري حوله، كما يعرض أحياناً للحياة الاجتماعية للسكان.

أما «مثالب الوزيرين»، فيخصصه أبو حيان لإبراز عيوب ابن العميد وابن عباد، وفي ثنايا تلك القصص والأخبار التي يرويها عنهما، نتعرف على الكثير من شخصيات ذلك العصر.

لكن في كلا الكتابين لا نجد عن فارس ما يخصها مباشرة، وعلى كل حال فعلينا بالحذر وعدم التسليم بأحكام أبي حيان في ما خص الرجال الذين كان على خصام معهم.

ـ وبالإضافة إلى ما ذكرنا، هناك أيضاً كتاب «رسوم دار الخلافة» لهلال بن المحسن الصابي (انظر سابقاً). وقد وضع هلال كتابه هذا خلال خلافة القائم بأمر الله (٤٢٢ ـ ٤٦٧ / ١٠٣٠ ـ ١٠٧٤)، ونجد فيه أخباراً عن بعض وزراء البويهيين، وعن بعض النواحي الاجتماعية والسياسية والإدارية. ويبدو بوضوح من خلال عرضه لرسوم الخلافة في العصر البويهي، كيف أدخلت مظاهر وعادات جديدة بفضل التفوق البديهي وضعف الخلافة.

ـ أما أبو الفرج علي بن الحسين الأموي الكاتب الأصفهاني [١] (ت ٣٥٦ / ٩٦٦)، صاحب كتاب الأغاني، فقد جمع في كتابه أخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم وأيامهم، وكان الكتاب لا يفارق عضد الدولة، والصاحب بن عباد. لكن رغم ما احتواه هذا الكتاب، فإننا لا نجد أشياء كثيرة تتعلق بفارس.

ـ وبالإضافة إلى كتابه «نشوار المحاضرة» الذي تحدثنا عنه آنفاً، فقد ألّف القاضي أبو علي المحسن بن علي التنوخي، من بين ما ألف، كتاباً شهيراً آخر، هو «الفرج بعد الشدة» ضمنه مجموعة حكايات وأخباراً نستدل منها على شخصيات تلك المرحلة، وبعض «موظفي» الإدارات وصفاتهم، كما تضمنت الحكايات أخباراً عن عضد الدولة والمهلبي ووزراء آخرين بالإضافة إلى بعض الإشارات الاجتماعية والاقتصادية.

ـ ومن بين كتب التراجم وطبقات الأدباء والعلماء والأعيان، عدنا إلى الثعالبي أبي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري (ت ٤٢٩ / ١٠٣٧)، صاحب «يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر»، و«تتمة اليتيمة»، وكذلك للبيهقي ظهير الدين (ت ٥٦٥ / ١١٦٩) وكتابه «تاريخ حكماء الإسلام»، وللقفطي الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف (ت ٦٤٦ / ١٢٤٨) وكتابه «أخبار العلماء بأخبار الحكماء»، وابن خلقان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١ / ١٢٨٢) وكتابه «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان»، وياقوت

(١) انظر ترجمته، ياقوت، أدباء، جـ ٥ ص ١٤٩ ـ ١٦٨.

بن عبدالله الحموي الرومي (ت ٦٢٦ / ١٢٢٩) وكتابه «ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب».

وتضم هذه الكتب أحياناً، إلى جانب ما تقدمه من معلومات وأخبار عن بعض رجالات العهد البويهي، معلومات متفرقة عن الأحوال المالية والإدارية.

ـ أما المصادر الدينية، والتي تهتم بالمسائل الفقهية ودراسة أحوال وأفكار الفرق الدينية، وبالأمور المالية، فهي مهمة من ناحية دراسة الأحوال الاقتصادية والاجتماعية بصورة عامة وإن كانت لا تعكس واقع الحال، لأن السلطة ما كانت تخضع في تطبيقاتها العملية للقوانين الإسلامية التي يدعو إليها رجال الدين، بالإضافة إلى أن الفقهاء انفسهم كانوا مختلفين في تفسير النصوص وفي محاولاتهم للتوفيق بين النص وبين رغبات الخليفة والأمراء.

لكن رغم ذلك، فقد زودتنا هذه الكتب بمعلومات كثيرة عن الضرائب وأنواعها ومقاديرها، وعن الخراج، ومعاملة أهل الذمة. ومن أهمها كتاب «الخراج» للقاضي أبي يوسف يعقوب بن ابراهيم (ت ١٨٢/ ٧٩٨)، وكتاب «الأحكام السلطانية» لأبي يعلي الفراء الحنبلي. وأيضاً كتاب «الأحكام السلطانية» للماوردي علي بن محمد بن حبيب (ت. ٤٥/ ١٠٥٨)، وأهمية هذا الأخير، أنه كان ذا منزلة كبيرة عند امراء بني بويه، يرسلونه للتوسط مع مناوئيهم، ويرتضون بوساطته ويقفون بتقريراته. أما كتب الفرق، فاعتمدنا كتاب «الملل والنحل» للشهرستاني أبي الفتح محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨ / ١١٥٣).

٢ ـ المصادر الفارسية

نعني بالمصادر الفارسية، تلك التي كتبت باللغة الفارسية، وهي قليلة جداً في ما خص موضوعنا، ومتأخرة. صحيح أن القرن الرابع الهجري قد شهد بدايات العودة للكتابة باللغة الفارسية، إلا أن المؤرخين والجغرافيين والأدباء والعلماء الإيرانيين ظلوا خلال هذا القرن يكتبون ويألفون باللغة العربية، ولم تبدأ حركة التأليف باللغة الفارسية بشكل فعلي إلا في القرن الخامس وعمت في القرن السادس وما بعده.

وأهم هذه المصادر:

ـ **حدود العالم**، وهو كتاب جغرافي مجهول المؤلف كتب حوالي ٣٧٢ / ٩٨٢، حققه وترجمه إلى الانكليزية المستشرق ف. مينورسكي سنة ١٩٣٧، ويعتقد أن معظم مواد هذا المؤلف تعود إلى كتاب المسالك والممالك الذي ألفه الوزير الساماني أبو عبدالله الجيهاني، ويضم الكتاب وصفاً لفارس.

ـ **سفر نامه**، كتاب الرحالة ناصر خسرو الذي وضعه سنة ٤٥٣ / ١٠٦١ والبعض يقول سنة ٤٥٥ / ١٠٦٣، وقد ضمنه وصفاً لما رآه خلال رحلته التي شملت لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة

العربية في القرن الخامس والتي استغرقت سبع سنوات ٤٣٧ ـ ٤٤٤ / ١٠٤٥ ـ ١٠٥٢. لكن الرحلة لم تشمل فارس، كما أنه وبالرغم من أن ناصر خسرو عاش والدولة البويهية ما زالت قائمة إلا أنه لا يذكرهم إلا في موضعين، الأول عند كلامه عن البصرة حين زارها في طريق عودته سنة ٤٤٣ / ١٠٤٢، والثاني عند كلامه عن مهروبان التي زارها في نفس السنة أيضاً، ويصف مهروبان وصفاً سريعاً، كما أنه يتحدث عن ارجان ويصفها، وفي هذين الموضعين فقط يتحدث ناصر خسرو عن فارس.

ـ **سياسة نامه**، للوزير الكبير نظام الملك أبي علي الحسن بن علي (ت ٤٨٥ / ١٩٢)، وزير ألب ارسلان وملكشاه السلجوقيين.

ألف نظام الملك كتابه للسلطان ملكشاه، وهو يحتوي على مواضيع كثيرة، خصص قسماً منها للحديث عن الدعوة الفاطمية والدعوات الباطنية الأخرى. وفي ما يتعلق بسياسة الملك، وهو الموضوع الأساسي للكتاب، فنراه يسعى لتأكيد أقواله حول هذا الموضوع، بالاستعانة بتجارب وأحداث الآخرين، والتي عبرها ينقل الينا ما يخص الفترة البويهية. فينقل إلينا مثلاً، رسالة بعث بها السلطان محمود الغزنوي إلى حاكم كرمان يتحدث فيها عن مساوىء الديلم وعن الظلم الذي يعانيه الفلاحون، وانتشار الزنادقة متهماً أمير الري مجد الدولة البويهي (٣٨٧ ـ ٤٢٠ / ٩٩٧ ـ ١٠٢٩) بأنه كان باطنياً. كذلك ينقل إلينا نظام الملك في كتابه بعض أعمال عضد الدولة في معرض ابداء اعجابه به.

ـ **فارس نامه**، وهو المصدر الفارسي الأهم بالنسبة لدراستنا. مجهول المؤلف، إلا أن المستشرق لسترانج محقق الكتاب ومترجم قسم منه إلى الانكليزية، يستنتج من مقدمة المؤلف، أنه ابن البلخي وأن الكتاب قد ألف في الربع الأول من القرن السادس الهجري.

يتضمن الكتاب وصفاً لفارس، وتاريخ ملوك الفرس قبل الإسلام، كذلك يتحدث عن جغرافية الإقليم، وتاريخ الأكراد والشيبنكاره، ويذكر مداخيل فارس خلال عهد الخليفة القادر بالله.

ـ وبعد مرور حوالي القرنين على وضع كتاب فارس نامه، ألف حمدالله مستوفي كتابه «**نزهة القلوب**»، معتمداً على معلوماته التي قام بتجميعها خلال رحلاته، وعلى كتب الجغرافيين الذين سبقوه. وقد وضع حمدالله كتابه سنة ٧٤٠ / ١٣٤٠ وفيه معلومات عن مدن وقرى فارس تحتوي على مدلولات اقتصادية واجتماعية.

قبل ذلك بقليل، كان حمدالله قد ألف كتاباً آخر هو «**تاريخ كزيده**» سنة ٧٣٦ / ١٣٣٥ وهو موجز في التاريخ العام من البدء وحتى عام ٧٣٠ / ١٣٢٩، ولكنه في الواقع ليس سوى مختصر غير ذي أهمية كبيرة لكتاب جامع التواريخ.

ألف «جامع التواريخ»، رشيد الدين فضل الله، وزير الغرزنويين، وهو كتاب في التاريخ العام منذ البدء وحتى سنة ٧٠٣/١٣٠٣، استغرق في تأليفه عشر سنوات ٧٠٠ - ٧١٠/١٣٠٠ - ١٣١٠ ويتضمن الكتاب فصلاً عن تاريخ البويهيين.

أخيراً، لا بد من الإشارة إلى مخطوطة «شيراز نامه» لابن زركوب وقد سبق وتحدثنا عنه.

المراجع:

قدمت الدراسات الحديثة جهداً مميزاً في مجالي إعادة كتابة التاريخ الإسلامي حسب الموضوعات، وفي استخلاص عدد من الاستنتاجات التي تتيح معرفة افضل لقراءة احداث الماضي كما يعتقد أنها كانت.

وفي ما خص الفترة التي نحن بصددها، فقد تطرقت تلك الدراسات إلى مختلف أوجه الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية، تارة في إطار دراسة القرن الرابع الهجري، وأحياناً في معرض معالجتها لتاريخ الأسر الحاكمة، أو المناطق والمقاطعات الأساسية، أو عبر تتبع النشاط الثقافي أو الديني... الخ. لكن مع الأسف الشديد فإن حصة البويهيين عموماً، وفارس خصوصاً كانت قليلة جداً.

تبدأ مراجعنا الحديثة مع تلك الكتب التي تولت تقديم عرض شامل نسبياً للتاريخ الإسلامي أو الفترات طويلة منه. ورغمن الاختصار الشديد الذي يميز هذه الكتب إذ إنها تؤرخ لفترة طويلة جداً متعددة الدول والقوى والتيارات، ورغم قلة المعلومات التي تقدمها، إلا أنها مفيدة جداً لمعرفة الأحوال العامة التي كانت سائدة عشية قيام الدولة البويهية.

- من هذه الكتب كتاب المستشرق الألماني كارل بروكلمان الذي وضعه سنة ١٩٣٩ تحت عنوان: Geschichte der islamischen Völker und staaten، وقد اعتمدنا الترجمة العربية التي هي تحت عنوان «تاريخ الشعوب الاسلامية» (١)، والكتاب لا يفيدنا بشيء عن البويهيين، إذ لم يفرد لهم المؤلف سوى صفحتين من كتابه الكبير، لكنه يفيدنا في ما خص احداث الخلافة قبل السيطرة البويهية، وفي ما يتعلق بالقوى المجاورة للبويهيين كالسامانيين.

- وهناك أيضاً كتاب المستشرق الفرنسي كلود كاهين، تحت عنوان: «L'Islam des Origines au debut de L'empire ottoman» (٢). ويركز المؤلف في هذا الكتاب على التغييرات والتطورات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية التي شهدها العالم الإسلامي، ويتحدث عن البويهيين في أكثر من موضع خاصة في الفصل العاشر من الكتاب.

(١) ط ٧، بيروت ١٩٧٧.

(٢) Bordas, Paris 1970.

ـ وفي هذا الإطار يمكننا أن نضع كتاب ادم متز Die Renaissance des Islams (1922), وقد اعتمدنا الترجمة العربية [1]: عصر النهضة في الإسلام ـ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري.

والكتاب بضم معلومات غنية عن الأوضاع السياسية والاجتماعية والإدارية والمالية والعلمية، للدولة الإسلامية خلال القرن الرابع، فهو بالتالي يضم معلومات عن البويهيين في مختلف مواضيع الكتاب.

ـ ويمكننا أن نضيف أيضاً في هذا المجال، كتاب موريس لومبار [2] «L'islam dans sa premiére grandeur» كذلك كتاب فيليب حتي، « تاريخ العرب المطول » [3]، وكتاب حسن وعلي ابراهيم حسن « النظم الإسلامية » [4]، وكتاب حسن ابراهيم حسن، « تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي » [5]، وأيضاً مجموعتي أحمد أمين « ضحى الاسلام وظهر الاسلام » [6].

ـ ومن الدراسات التي اهتمت بتاريخ إيران، هناك كتاب الباحثة السوفياتية بيكلفسكاجا N. pigulevskaja,[7] «Les Villes de l'état iranien aux époques parthe et Sassanide» ويضم الكتاب دراسة عن وضع المدن الإيرانية في تلك المراحل وتقسياتها الإدارية والنظم الاقتصادية والاجتماعية التي كانت سائدة حتى نهاية العصر الساساني. أما كتاب R.N. Frye [8]، «The heritage of persia» فالقسم الأخير منه يتحدث عن الفتح الإسلامي لإيران، وعن الحركات الدينية والشعوبية التي شهدتها المنطقة اثر تلك الفتوحات، وبداية بروز النزعة الوطنية الفارسية. لكن كتابه الثاني [9] «The Golden Age of persia» هو أكثر أهمية لنا، إذ أنه يتحدث عن إيران في ظل السيطرة العربية الأموية والعباسية، مفصلاً الصراعات التي عصفت داخل إيران، وقيام الأسر الحاكمة: الطاهريون، الصفاريون، السامانيون والبويهيون.

وكذلك، فهناك مقالة[10] «La perse» في الموسوعة الإسلامية والتي تتضمن عرضاً ملخصاً ومكثفاً لإيران، تاريخياً ولغوياً وجغرافياً.

---

(١) ط ٤، القاهرة، بيروت ١٩٦٧.

(٢) Flammarion, Paris, 1971.

(٣) بيروت ١٩٦١.

(٤) القاهرة، ١٩٦٢.

(٥) ط ٧، القاهرة ١٩٦٤.

(٦) ط ٥، بيروت ١٩٦٩.

(٧) Mouton, Paris, 1963.

(٨) U.S.A., Ohio, 5éme édit, 1963.

(٩) London, 1975.

(١٠) EI, p.1109-1140.

وعن تاريخ إيران من القرن الأول إلى الثالث الهجري، هناك أطروحة M.K. Khadjavian في مكتبة جامعة السوربون بباريس، تحت عنوان [١]: «L'iran musulman du 1ièr au 3ème S.H.» وعن حركات «المقاومة الإيرانية للسيطرة العربية»، فهناك كتاب M.Azizi «La domination: arabe et l'épanouissement du sentiment national en iran» [٢] الذي وبالرغم من تعمد المؤلف تفسير كل الأحداث التي يتحدث عنها، بمنظار قومي إيراني، إلا أنه غني بالمعلومات.

ـ وفي ما يخص جغرافية فارس، فهناك كتاب غي ليسترانج «The land of Eastern caliphat» [٣] وفيه وصف لطبيعة إيران وبالتالي فارس التي خصها المؤلف بفصلين ضمنهما كل ما يتعلق بالثروة المائية، والأراضي الزراعية... الخ. كما احتوى الكتاب على مجموعة خرائط اعتمدنا منها تلك العائدة لفارس وأخرى للمملكة الإسلامية عموماً. وفي الموسوعة الإسلامية مقال عن فارس (Fars) وآخر عن بحر فارس (Bahr Fars) [٤]، افادانا في بعض المعلومات، ونشير هنا إلى مقالي ف. مينورسكي البيبلوغرافيين [٥] «Géographes et voyageurs musulmans» والثاني [٦] «Etudes géographiques et historiques sur la perse».

وعن الديلم والبويهيين، اصولهم، صفاتهم، اسرهم الحاكمة، فهناك الدراسة الهامة والقيمة التي كتبها ف. مينورسكي تحت عنوان [٧]: «La domination des daïlamites» وأيضاً مقالته في الموسوعة الإسلامية: الديلم [٨] «Daylam».

ـ وحول التاريخ السياسي للبويهيين موزعاً فترات أو مراحل أو مرتبطاً ببعض الأمراء، فالواقع، أن هناك عدداً من الدراسات التي تعرضت لذلك. لكننا لا نجد دراسة كاملة لكل التاريخ البويهي. فكتاب الباحث الباكستاني M.Kabir، تحت عنوان «The Buwayhide dynastie of Baghdad» مقتصر أساساً على بغداد، ومعظم فصول الكتاب كانت قد نشرت في عدد من المجلات المتخصصة [٩].

---

(١) thèse 3éme cycle, Sorbonne, 1977.

(٢) Paris, les presse modernes, 1938.

(٣) London 1905.

(٤) EI^2, T.I, p.955-956 et T.II p.830-832.

(٥) Extrait du Bulletin de la Société Royale de géographie d'egypte, T XXIV, 1951.

(٦) Acta Orientala, Vol X (1931) XVI (1937) XXI (1951), XXII, (1957).

(٧) Paris, 1932.

(٨) EI^2,T. II p.195-200.

(٩) Voir, Indo Iranica, Vol 15 (1961). J.A.S. Paxistan Vol IX No 1 (1964) et No 1 (1956). I.C. Vol XXXIII (1959) et XXXV (1961).

أما مقالة كلود كاهين في الموسوعة الإسلامية، حول البويهيين (١) «Buwayhides ou Buyīdes» فرغم أهميتها وشموليتها، إلا أنها وبحكم كونها مقالة في موسوعة، فهي شديدة الاختصار.

ونشير هنا إلى دراسة W.Madelung تحت عنوان «The Assumption of the title Shahanshah By the buyides and the reign of the Daylam» (٢) اما الدراسات التي عنيت بتاريخ وأعمال بعض امراء الدولة البويهية ورجالها الكبار، فهناك كتاب J. christoph Bürgel (٣) «die Hofkorrespondenz Adud al-dawla». كذلك مقالة Richter-Bernburg بعنوان (٤): «Amir Malik-shahanshah, Adud al-dawla» وأيضاً مقالة M.kabir بعنوان (٥) «Ustad: Abu'l-Fadl ibn Al-Amid» وكذلك كافة المقالات الخاصة بامراء الدولة البويهية ورجالاتها الواردة في الموسوعة الاسلامية وهي تزيد عن عشرين مقالاً (٦).

ـ إن الفترة الأكثر غموضاً والأقل دراسة هي فترة أواخر الدولة البويهية، والتي كانت فارس محورها باعتبارها آخر معقل سقط للبويهيين. ولا عجب في ذلك إذ أن المصادر العربية نفسها لم تتطرق إليها بوضوح، وأهم من تحدث عنها، كما أشرنا، هو سبط ابن الجوزي في كتابه «مرآة الزمان»، كذلك ابن البلخي في آخر كتابه فارس نامه حيث يتطرق إلى تاريخ الشبنكاره وسيطرتهم على فارس. كما نجد بعض المعلومات عند ابن الأثير في الكامل، وفي شيراز نامه لابن زركوب.

هذه الندرة في المعلومات عن هذه الفترة في المصادر، انعكست على الدراسات الحديثة، فكانت قليلة جداً. فهناك الدراسة التي كتبها H.bowen تحت عنوان «The Last Buwayhids» (٧). وهي من أهم ما كتب عن هذه الفترة وتضمنت لائحة بأهم المصادر والمراجع الخاصة بها. كذلك هناك مقالة صغيرة لكلود كاهين تحت عنوان (٨): «Fadluwayh le Shavenkareh» وهي في معظمها ترجمة لما ورد عند سبط ابن الجوزي وغيره عن فضلويه، وتستعرض الأحداث التي وقعت بفارس بين الفترة من ٤٤٩ ـ ٤٦٢ / ١٠٥٧ ـ ١٠٦٩، ويمكننا في هذا المجال الاستفادة من

---

(١) EI², T.I p 1390-1397.

(٢) J.N.E.S. Vol 28 (1969).

(٣) Wiesbaden 1965.

(٤) IRAN. J.B.I.P.S.XVIII (1980).

(٥) I.C. Vol XXXV (1961).

(٦) Voir EI, EI².

(٧) J.R.A.S. Part II April 1929.

(٨) Studia Iranica, t. 7, fascicule 1, p.111-115 (1978).

مقالات الموسوعة الإسلامية حول فضلويه ««Fadlawayh» والأكراد .«Kurdes»

ـ وعن أصول البويهيين الدينية ومواقفهم، وعلاقاتهم بالفاطميين والقرامطة، هناك دراسة M. Kabir: «A Distinguished Alid Family of Baghdad during the buwayhid period» [١]. كذلك كتاب: De Goeje «Mémoires sur les Carmathes du Bahraïn et les Fatimides» M.J. [٢]. وهناك أيضاً كتاب: B. Lewis: «The origins of Isma'ilism» [٣].

ـ وعن علاقة البويهيين بالأطراف، والقوى المجاورة كالسامانيين والزياريين والحمدانيين، أكراد... الخ. فبالإضافة إلى كتب التاريخ العامة التي ذكرناها آنفاً والتي تضمنت في سياق تاريخها للبويهيين أخباراً عن علاقاتهم مع القوى الأخرى، يمكننا أن نضيف دراسة M. Kabir «The buwayhid of jibal and rayy» [٤]. كذلك كل مقالات الموسوعة الإسلامية الخاصة بتلك القوى مثل:

Ziyarides, samanides, Mazyarides, Marwanides, Hamdanides... etc.

ـ ولمعرفة الأحوال الاقتصادية في فارس خلال هذا العهد، فيمكننا التقاط بعض المعلومات المفيدة عن ذلك، من خلال الدراسات التي عالجت الأحوال الاقتصادية عامة خلال القرن الرابع الهجري، ومن خلال الكتب التي درست بعض موضوعات الاقتصاد الإسلامي.

ومن هذه الكتب عدنا إلى دراسة عبد العزيز الدوري «تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري» [٥]. وأيضاً كتاب E. Ashtor:

«Histoire des prix et des salaires dans l'orient médiéval» [٦].

بالإضافة إلى دراسة Cl. Cahen بعنوان: «Quelques problème économiques et fiscaux de l'Irak buyide» [٧].

كذلك دراسته الشهيرة حول الإقطاع بعنوان: «L'Evolution du l'Ikta, du IV° au XIII° siècle» [٨]. ونشير إلى كتاب M. Lombard:

«Les Textiles dans le monde Musulman VIIème - XIIème Sciècle» [٩].

---

(١) J.A.S. Pakistan Vol IX, No 1 (1964).

(٢) Leiden 1886.

(٣) الترجمة العربية، ط ٢، ١٩٨٠.

(٤) J.A.S. Pakistan Vol III (1955).

(٥) ط ٢، بيروت ١٩٧٤.

(٦) Paris, 1966.

(٧) Les peuples musulman dans l'histoire médiévale p.367-403. Damas 1977.

(٨) Les peuples musulmans dans l'histoire médiévale. p.231-270. Damas. 1977.

(٩) Mouton. Paris 1978.

بالإضافة إلى كل المقالات الواردة في الموسوعة الإسلامية حول هذا الموضوع مثل: ,Ikta
. Darība

ـ أما بالنسبة للجيش البويهي فليس هناك سوى دراسة المستشرق الإنكليزي .C.E Bosworth بعنوان: «Military organisation under the buyide of persia and Irak» [1].

ـ وعن « المؤسسات » الأخرى في الدولة نشير إلى دراسة: M. Kabir: «Administration of justice during the Buwayhid's period» [2].

ـ أخيراً، وفيما خص النقود، النقوش، الآثار، وكلها تفيدنا في قراءة بعض أحداث الماضي، فهناك ثبت بها ضمن لائحة المصادر والمراجع في آخر الكتاب.

---

(١) Oriens Vol 18-19. 1967.

(٢) I.C. Vol XXXIII. 1959.

الفصل الثاني:

الأحوال العامة للخلافة العباسية عشية السيطرة البويهية

الأحوال العامة للخلافة العباسية
عشية السيطرة البويهية

١ ـ تدهور أحوال الخلافة

شكلت حادثة مقتل المتوكل سنة ٢٤٧ / ٨٦١ على أيدي قواده الأتراك [١] الذين اصطنعهم بداية الإنحطاط وانقسام الدولة العباسية كما يعتقد ابن خلدون [٢]. فضعفت الدولة بعد الاستفحال وتغلب على الخليفة فيها الأولياء والقرابة والمصطنعون، وحدثت الفتن ببغداد، وصار العلوية إلى النواحي مظهرين دعوتهم، فدعا أبو عبدالله الشيعي سنة ٢٨٦ / ٨٩٩ بافريقيا في طاعة لعبيدالله المهدي وظهر بطبرستان الحسن بن زيد ويعرف بالداعي [٣] سنة ٢٥٠ / ٨٦٤ أيام المستعين وملكها. وظهر باليمن الرئيس وهو ابن ابراهيم طباطبا فأظهر دعوة الزيدية وملك صعدة وصنعاء وبلاد اليمن، وملك بنو سامان ما وراء النهر آخر سنة ٢٦٠ / ٨٧٣ وبدأت دولة بن الصفار [٤] في الظهور سنة ٢٥٣ / ٨٦٧ بعد استيلائه على سجستان وهراة من خراسان كما بدأ أمر صاحب الزنج [٥] سنة ٢٥٥ / ٨٦٨، وفي سنة ٢٥٤ / ٨٦٨ بدأ أمر ابن طولون بالظهور [٦]. وما كادت سنة ٢٦٤ / ٨٧٧ تغيب حتى ملك الشام بالإضافة إلى مصر. وبدأ أمر القرامطة سنة ٢٧٦ / ٨٨٩. وفي سنة ٢٨٦ / ٨٩٩ عظم أمرهم واشتد في البحرين [٧]: أما المغرب الأقصى والأندلس فاقتطعا عن المملكة منذ أزمان.

ولم تكن تلك الحادثة، وهي الأولى من نوعها في تاريخ الخلفاء العباسيين، مجرد اغتيال

---

(١) الطبري، جـ ١١ ص ٦٢ ـ ٦٧.
(٢) ابن خلدون، جـ ٣ ص ٥٩٤.
(٣) الطبري، جـ ١١ ص ٩٠ ـ ٩٣.
(٤) ابن الاثير، جـ ٥ ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩.
(٥) الطبري، جـ ١١ ص ١٨٧. ابن الأثير، جـ ٥ ص ٣٤٦
(٦) ابن الأثير، جـ ٥ ص ٣٣٩، وجـ ٦ ص ١٨.
(٧) المصدر السابق، جـ ٦ ص ٦٩، ٧١ و٩٢ و٩٤.

للمتوكل، بل تعتبر البداية الأولى لما سيؤول إليه أمر الخليفة، والنتيجة الحتمية لغلبة العناصر غير العربية على الجيش، فسينتزع قادة الجند بالتدريج كل سلطات الخليفة ولن يبقوا له غير السكة والخطبة، وحتى هذه الأخيرة شاركوه فيها. أما تعيينه وعزله فبات أيضاً محكوماً بمشيئة القائد التركي أو الديلمي اللذين يتحكمان أيضاً بطريقة مقتله.

لكن الأمور لم تجرِ على هذه الصورة فور مصرع المتوكل، فقد حافظ خلفاؤه على الكثير من سلطاتهم فيما استمر الصراع بينهم وبين قادة جندهم. وكثيراً ما انتهى إلى مقتل الخلفاء، فسمّ المنتصر قبل أن تبلغ ولايته ستة أشهر [1] وذبح المستعين بعد عزله [2]، أما المعتز فقتل عطشاً [3]. والمهتدي فحصر على خصيته حتى مات [4]. لكن كل ذلك لم يحول دون ظهور خلفاء أقوياء كالمعتضد حتى سمي «السفاح الثاني» لأنه جدد ملك بني العباس [5] تيمناً بالخليفة «أبو العباس السفاح».

لذلك يعتبر حمزة الاصفهاني، مرحلة تدهور الخلافة العباسية قد بدأت ١٣ سنة من خلافة المقتدر وذلك في آخر سنة ٣٠٨ / ٩٢٠ «فعندها بدأت الأحداث والفتن في دار مملكتهم فأزالت عن الجند والرعية هيبتهم واخلت من الأموال خزانتهم ومن ذخائر أوائلهم بيوت أموالهم وكانت مدة لبث هذه الأحداث في دار مملكتهم ٣٥ سنة» [6] أي حتى الدخول البويهي إلى بغداد.

٢ ـ الخلفاء

تولى الخلافة خلال هذه الفترة خمسة خلفاء هم: «المقتدر بالله (٢٩٥ ـ ٣٢٠ / ٩٠٧ ـ ٩٣٢)، القاهر بالله (٣٢٠ ـ ٣٢٢ / ٩٣٢ ـ ٩٣٣). الراضي بالله (٣٢٢ ـ ٣٢٩ / ٩٣٣ ـ ٩٤٠)، المتقي لله (٣٢٩ ـ ٣٣٣ / ٩٤٠ ـ ٩٤٤) والمستكفي بالله (٣٣٣ ـ ٣٣٤ / ٩٤٤ ـ ٩٤٥).

كانت الصفة الأساسية، الشرط الذي يتطلبه الجند والوزراء والحاشية الذين يعود إليهم وحدهم اختيار الخلفاء، لتنصيب الخليفة، ضعفه مما يتيح لهم حرية التصرف بأمور المملكة، وعلى هذا الأساس اختير المقتدر وهو لم يتجاوز الحادية عشرة سنة من عمره، بناء لنصيحة أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات الكاتب الذي صار فيما بعد وزيراً، للوزير أبو أحمد العباس بن الحسن، وبناء على

(١) السيوطي، ص ٣٥٧.
(٢) المصدر نفسه، ص ٣٥٨.
(٣) المصدر نفسه، ص ٣٦٠.
(٤) المصدر نفسه، ص ٣٦٣.
(٥) المصدر نفسه، ص ٣٦٩.
(٦) الأصفهاني، تاريخ، ص ٢٠١ ـ ٢٠٢.

ذلك بات واجباً أن لا يولى أمر الخلافة « من عرف دار هذا ونعمة هذا وبستان هذا، ومن لقي الناس ولقوه وعرف الأمور وحنكته التجارب »[1]. ولقد ذبح أحد القضاة لأنه رفض مبايعة المقتدر قائلاً « هو صبي ولا يجوز المبايعة له »[2].

لكن أم المقتدر وهي أم ولد رومية، قبضت على زمام الأمر، فكانت تولي وتعزل وحالت دون سيطرة القوم على الخليفة. لكنها لم تتمكن من إيقاف الصراعات الداخلية. الأمر الذي أدى إلى خلع المقتدر مرتين في زمن خلافته الذي امتد ٢٤ سنة وشهرين. المرة الأولى بعد استخلافه بأربعة أشهر بعد مقتل العباس بن الحسن الوزير، وفاتك مولى المعتضد، ونصب ابن المعتز مكانه لكن ذلك لم يدم أكثر من يوم واحد، عاد بعده المقتدر إلى الخلافة وقتل ابن المعتز[3] وذلك سنة ٢٩٦ / ٩٠٨. أما المرة الثانية فكانت بعد ٢١ سنة وشهرين من خلافته، فقد أجمع القواد والجند والأكابر والأصاغر مع مؤنس الخادم على خلعه فقهروه وخلعوه وطالبوه بأن يكتب رقعة بخلع نفسه ففعل، واحضروا محمد بن المعتضد فنصبوه وسموه « القاهر » وذلك يوم السبت للنصف من محرم سنة ٣١٧ / ٩٢٩ فأقام على ذلك يوم السبت والأحد، ولما كان يوم الاثنين اختلف الجند وتغير رأيهم واعيد المقتدر إلى الخلافة[4].

إن كل ما نقل عن المقتدر يشير إلى أنه كان ميالاً إلى المهادنة والهدوء ولكنه كان مؤثراً للشهوات وللشراب مبذراً فتوسع في رسوم الخلافة، في الطعام والوظائف[5]. وكان النساء غلبن عليه فأخرج عليهن جميع جواهر الخلافة ونفائسها وأعطى بعض حظاياه الدرة اليتيمة ووزنها ثلاثة مثاقيل، وأعطى زيدان القهرمان سبحة جوهر لم ير مثلها. وكان في داره « ١١ ألف غلام » خصيان غير الصقالبة والروم والسود[6]. ودفعه تبذيره للمال وحبه له أيضاً، إلى المصادرات فصادر تقريباً كل وزرائه بعد عزلهم. وينقل لنا مسكويه سرداً لهذه المصادرات[7]، وينقل لنا التنوخي عن ابن القصاص قصة ابيه مع الوزير أبي الحسن بن الفرات يستفاد منها كيف أصبح منصب الوزير عرضة للبيع لمن يدفع أكثر[8]. وعرف عن المقتدر تردده وتبدل رأيه، وذلك بسبب غلبة أمه وحاشيتها، وينقل هلال الصابي عن أبي الحسن ابن الفرات وزيره، نقصان المقتدر، وشدة تلونه

---

(١) مسكويه، جـ ١ ص ٣. متز جـ ١ ص ٣٣.
(٢) عريب، ص ١٦.
(٣) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٦ ص ٦٩. مسكويه جـ ١ ص ٦ - ٨. السيوطي ص ٣٧٨ - ٣٨٨.
(٤) المصدر نفسه، مسكويه، جـ ١ ص ١٨٤ - ١٨٥.
(٥) المصدر نفسه، ص ٦٧.
(٦) السيوطي، ص ٣٨٤ - ٣٨٥.
(٧) مسكويه، جـ ١ ص ٨ - ٢١٢ و٢٣٩ - ٢٤١.
(٨) التنوخي، نشوار جـ ١ ص ١٩ - ٢٢.

واختلاف رأيه؛ ويروي كيف كان يبدل رأيه تبديلاً سريعاً دون تمحيص أو تدقيق [1]. ولم يخرج المقتدر في جيش ليقاتل إلا مرة واحدة، وقد قتل فيها. وذلك أن مؤنس الخادم الملقب بالمظفر قد استوحش من المقتدر وتنكر له بعدما بلغه اتفاق الوزير الحسن بن القاسم مع جماعة من القواد على التدبير عليه [2]، وتطورت الأمور حتى اتهم مؤنس، المقتدر باشتراكه في تلك المؤامرة. وكان مؤنس قد خرج إلى الموصل، فملكها وهزم بنو حمدان ثم انحدر إلى بغداد ووقعت الحرب بينه وبين جند الخليفة، وكان قد أبى أن يخرج بنفسه إلى الحرب فما زال به قواده حتى خرج معهم وقد جهدت أمه ألا يخرج وكشفت عن ثدييها وبكت، وركب المقتدر واشتدت الحرب، ووافى أصحاب مؤنس فضربه رجل منهم من خلف ضربة سقط منها على الأرض، واضجعه فذبحه بالسيف وسلب ثيابه حتى سراويله وتركه مكشوف العورة إلى أن مر به رجل من الفلاحين فستر عورته بالحشيش ثم حفر له في الموضع ودفن حتى عفا أثره [3].

ويعلق مسكويه على هذه الحادثة قائلاً: «فكان ما فعله مؤنس من ضربه وجه المقتدر بالسيف وقتله إياه ودخوله بغداد على تلك السبيل سبباً لجرأة الأعداء وطمعهم فيما لم تكن أنفسهم تحدثهم به من الغلبة على الحضرة وانخرقت الهيبة وضعف أمر الخلافة منذ ذلك وتفاقم» [4].

بعد مقتل المقتدر، كان مؤنس يميل إلى تعيين ابنه أبي العباس مكانه [5]، لكن قواده الذين جمعهم للإستشارة عارضوه وقال له أحدهم وآسمه اسحاق بن اسماعيل التنوخي «بعد الكد استرحنا ممن له والدة وخالة وخدم فنعود إلى تلك الحالة» [6]. ومازالوا به حتى عدلوا به إلى محمد بن المعتضد بالله وكان مؤنس قد كرهه ونهاهم عنه فقالوا له: «هو كهل ولا أم له ونرجو أن تستقيم أمورنا معه» [7]. فأطاعهم فيه. لكن أمورهم لم تستقم كثيراً معه، فقد نجح الخليفة الجديد القاهر بالله وهو نفس اللقب الذي حمله عام ٣١٧ / ٩٢٩ عند تعيينه خليفة ليومين إثر خلع المقتدر، في القضاء على مؤنس وبعض قواده. وذبح مؤنس رغم ما كان له من سلطان ونفوذ كما تذبح الشاة إذ جر برجله إلى البالوعة وذبح، والقاهر يراه [8] وذلك سنة ٣٢١ / ٩٣٣.

والصفتان الأساسيتان اللتان اتصف بهما هذا الخليفة، هما إدمانه الخمر وسفك الدماء. ففي سنة

---

(١) الصابي، وزراء ص ١٣٤.
(٢) مسكويه، جـ ١ ص ٢٢١.
(٣) المصدر نفسه، ص ٢٣٣ - ٢٣٧.
(٤) مسكويه، جـ ١ ص ٢٣٧.
(٥) المصدر نفسه، ص ٢٤١.
(٦) المصدر نفسه، ص ٢٤٢.
(٧) عريب، ص ٩٣.
(٨) مسكويه، جـ ١ ص ٢٦٧ - ٢٦٨.

٣٢١ / ٩٣٣ أمر بتحريم القيان والخمر، وقبض على المغنين وقضى على المخانيث وكسر آلات اللهو وأمر ببيع المغنيات من الجواري على أنهن سواذج، وكان مع ذلك مولعاً بالشراب لا يكاد يصحو من السكر، ولا يفتر عن سماع المغنيات [١]. كما كان لا يتورع عن تعذيب أقرب المقربين إليه ويسفك دماءهم بأبشع الصور. وقد بدأ أعماله هذه فور توليه الخلافة بإعتقال أم المقتدر فقام بضربها بيده وعلقها بفرد رجل وأسرف في ضربها على المواضع الغامضة، ولم يرع لها إحسانها وقت إعتقال المقتدر إياه [٢]. وفي سنة ٣٢١ / ٩٢٣ قام بإعتقال أبي أحمد ابن المكتفي وكان قد تنازل له عن الخلافة يوم عرضها عليه مؤنس، فأمر بأن يطين عليه بين حيطين وهو حي [٣]. وفي سنة ٣٢٢ / ٩٣٣، أحضر اسحاق بن اسماعيل التنوخي وكان هو الذي أشار وألحّ على مؤنس بتوليه الخلافة، وأمر بطرحه في بئر وبطم البئر بالتراب، وهو واقف يتفرج [٤]. وكل ذنب اسحاق أنه زايد القاهر قبل الخلافة في جارية واشتراها فحقد عليه.

وكان لا بد لأفعاله هذه، أن تثير خوف قادته فاتفقوا على خلعه، فدخلوا عليه وكان سكراناً وقبضوا عليه [٥]، في جمادي الآخرة سنة ٣٢٢/ ٩٣٣، وعندما امتنع عن خلع نفسه سملت عيناه [٦] بموافقة خليفته الراضي ولم يسمل قبله أحد من الخلفاء. وسمل الأعين عادة أخذها المسلمون عن البيزنطيين [٧].

عندما قبض الجند على القاهر، استدلوا على الموضع المختبىء بداخله أبو العباس ابن المقتدر فدخلوا عليه وبايعوه بالخلافة ولقب الراضي بالله (٣٢٢ - ٣٢٩ / ٩٣٣ - ٩٤٠)، وبعكس القاهر فقد أجمع المؤرخون على الإشادة به، وقد افتتح عهده باستشارة الوزير علي بن عيسى وأخيه عبد الرحمن في تدبير أمور ملكه [٨]. وكان سمحاً سخياً شاعراً فصيحاً يحب محادثة الأدباء والفضلاء والجلوس معهم [٩]. ولم يجد أصحابه فيه من العيب إلا أنه كان يؤثر لذّته وشهوته على رأيه. لكن حالة الخلافة في عهده وصلت إلى أسوأ مراحلها، نتيجة ازدياد الصراعات الداخلية بين قادة الجند والمتغلبين على النواحي، ففي سنة ٣٢٤ / ٩٣٥ قلّد الراضي ابن رائق الإمارة ورئاسة الجيش وجعله أمير الأمراء ورد إليه تدبير أعمال الخراج والضياع وأعمال المعاون في جميع النواحي،

---

(١) مسكويه، جـ ١ ص ٢٦٩ و٢٨٨. ابن الأثير جـ ٦ ص ٢٣٤. السيوطي ص ٣٨٦.
(٢) المصدر نفسه، جـ ١ ص ٢٤٣. السيوطي ص ٣٨٦.
(٣) المصدر نفسه، ص ٢٦٦.
(٤) المصدر نفسه، ص ٢٨٥. المصدر نفسه، ص ٣٨٧.
(٥) مسكويه، جـ ١ ص ٢٨٩. السيوطي ص ٣٨٧. ابن الأثير جـ ٦ ص ٢٣٦.
(٦) المصدر نفسه، ص ٢٩١. المصدر نفسه، ص ٢٣٧.
(٧) متز، جـ ١ ص ٣٦.
(٨) مسكويه، جـ ١ ص ٢٩٠.
(٩) السيوطي ص ٣٩٣. الطقطقي ص ٣٨٠. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٧٦.

وفوض إليه تدبير المملكة وأمر بأن يخطب له على جميع المنابر في الممالك [١]. وبطل منذ يومئذٍ أمر الوزارة فلم يعد الوزير ينظر في شيء، وباتت أموال النواحي تحمل إلى خزائن الأمراء فيأمرون وينهون فيها وينفقونها كما يرون ويطلقون لنفقات السلطان ما يريدون وبطلت بيوت المال [٢]. فلقد أصبح أمير الأمراء منذ يومئذ هو «الخليفة» الفعلي. أما الراضي فكان خاتمة الخلفاء الذين احتفظوا ببعض السلطات ومظاهر الخلفاء، خاصة قبل توليته ابن رائق امرة الأمراء، فكان آخر خليفة إنفرد بتدبير الملك، وآخر خليفة خطب على منبر الجمعة، وآخر خليفة جالس الجلساء ووصل إليه الندماء والعلماء، وآخر خليفة كانت مراتبه وجوائزه وخدمه وحجابه تجري على قواعد الخلفاء المتقدمين، وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والأموال [٣].

أما خلفاء الراضي، فلم يعد لهم من الخلافة شيء. فالمتقي بالله (٣٢٩ - ٣٣٣ / ٩٤٠ - ٩٤٤) كان حسن السيرة، متديناً يتعبد ويصوم ولم يشرب النبيذ لكن عدا ذلك فقد كان مغلوباً على أمره، والحل والعقد والإبرام بأيدي القواد. وأصبح وزير الخليفة عاملاً من عمالهم متصرفاً تحت أحكامهم، وبات التدبير الفعلي لكتاب الأمراء [٤]. وهو أول خليفة هرب من بغداد خوفاً وطلباً للنجاة [٥]. وعندما عاد إلى بغداد معتمداً على مواثيق القائد التركي توزون، غدر به هذا الأخير لأجل ٨٠٠ ألف دينار، عرضها عليه أحد طالبي عرش الخلافة فقبض عليه وخلعه [٦]. ثم كحله وأدخل بغداد مسمول العينين. وأحضر توزون، عبدالله بن المكتفي ولقبه المستكفي بالله.

تولى المستكفي الخلافة (٣٣٣ - ٣٣٤ / ٩٤٤ - ٩٤٥) وهو يحمل عار تآمره على المتقي، ولم يكن له من الأمر شيئاً، إذ تولت أموره [٧] قهرمانته «علم» وتسمى حسن الشيرازية وهي التي سعت له بالخلافة مع توزون. ولم يدم الأمر كثيراً لهذا الخليفة، فسرعان ما دخل أحمد البويهي بغداد سنة ٣٣٤ / ٩٤٥ مصادراً كل ما تبقى للخليفة من مهام ورسوم، محولاً إياه إلى مجرد موظف يتقاضى مرتباً شهرياً محدداً [٨]. ثم إن أحمد البويهي الذي لقب بمعز الدولة اتهم المستكفي وقهرمانته علم بالتآمر عليه لإبعاده، وبالقبض على رئيس الشيعة، فخلعه، وسملت عيناه [٩]. وكان القاهر عندما

---

(١) مسكويه، جـ ١ ص ٣٥١.
ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٥٤. السيوطي ص ٣٩٢.

(٢) المصدر نفسه ص ٣٥٢. المصدر نفسه ص ٢٥٥.

(٣) ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٧٦. الطقطقي ص ٣٨٠ - ٣٨١. السيوطي ص ٣٩٣.

(٤) السيوطي، ص ٣٩٤. الطقطقي ص ٣٨٥. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٨٧١.

(٥) مسكويه، جـ ٢ ص ٢٥، ٤٧ - ٥٠. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٨٣ - ٢٨٤ و٢٨٩ - ٢٩٩.

(٦) المصدر نفسه، ص ٧٢ - ٧٥. المصدر نفسه، ص ٣٠١. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٦ ص ٣٣٨.

(٧) المصدر نفسه، ص ٧٥. المصدر نفسه، ص ٣٠٢.

(٨) مسكويه، جـ ٢ ص ٨٧. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٣١٤. السيوطي، ص ٣٩٧.

(٩) مسكويه، جـ ٢ ص ٨٦، ٨٧. المصدر نفسه، ص ٣١٥.

سمع بسمل الخليفة المتقي، قال: « صرنا اثنين نحتاج إلى ثالث »، فكان كذلك إذ لحق بهما المستكفي [1].

٣ ـ الوزارة والوزراء

ولقد انتهت حالة الوزارة إلى مثل ما انتهت إليه حالة الخليفة إن لم يكن أسوأ، عشية السيطرة البويهية. فمع منح الراضي لابن رائق لقب أمير الأمراء وإطلاق يده في تدبير أمور المملكة، زال أمر الوزارة ولم يعد الوزير ينظر في شيء، وانتقلت مهامه ودوره إلى كاتب أمير الأمراء، وكان ذلك عام ٣٢٤ / ٩٣٥. قبل ذلك بعامين كان البويهيون قد ملكوا فارس. وبعد ذلك بعشر سنوات دخلوا بغداد وملكوا الخلافة، وزال أمر الوزارة كلياً، ولم يعد للخليفة وزير بل كاتب يقوم بمهام السكرتير الشخصي له. لكن ظهرت بالمقابل وزارة حقيقية وقوية هي وزارة الأمير البويهي التي لا علاقة لها نظرياً بالخلافة.

لكن قبل ذلك، كانت الوزارة قد « بلغت أوسع مداها وقمة استقلالها بسبب قوتها المكتسبة وبحكم ما بذلت من جهد لمقاومة عوامل الانحلال وأيضاً بنتيجة ضعف سلطة الخليفة.. فسيطرة الجيش تتعارض مع وجود خليفة يتمتع بشخصية بارزة، إلا أن إرضاء الجيش يتطلب قيام إدارة فعّالة، شرط أن تكون أقل ارتباطاً بالخليفة. وعلى هذا النحو أصبح الوزير، الرئيس المباشر والفعلي للدوائر الإدارية جميعاً، وهو الذي كان في الأصل مساعداً شخصياً للخليفة في شؤونه العامة. ولهذا السبب بالذات لم يعد الوزير ينتقى من حاشية الأمير أو من أصدقائه بل من ارستقراطية الكتاب » [2]. وحتى في الفترة التي بات فيها منصب الوزارة عرضة للمقايضات المالية فلم يخرج الأمر عن مجموعة الوزراء والكتاب المعروفين بمهارتهم في إدارة شؤون الدولة [3]. ولقد أصبح المال أحد الأسباب الرئيسية وراء تعيين وعزل الوزراء، خاصة ابتداء من عهد المقتدر، وبعكس سلفه المكتفي الذي رفض عرض وزيره العباس بن الحسن لمصادرة جزء من ثروة كاتبة ابن الفرات، باعتبار أن نعمة الكاتب هي من نعمة الخليفة، وتخوفاً من نتائج ذلك العمل [4] نرى المقتدر وخلفاءه لا يتوانون عن عزل الوزراء طمعاً بقبضة من المال يتعهد بها الطامع الجديد بالوزارة. وتنقل لنا كتب التاريخ وصفاً دقيقاً لهذا الوضع، وتظهر من خلال أعداد الوزراء الذين توالوا على الوزارة في عهد المقتدر وخلفائه جانباً من الصورة. فلقد بلغ عدد الوزراء الذين تناوبوا على

---

(١) السيوطي، ص ٣٩٧.

(٢) Cahen, Islam p. 150.

(٣) الصابي، وزراء، ص ١٢٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٥٤.

الوزارة في عهد المقتدر الذي حكم ٢٥ سنة (٢٩٥ - ٣٢٠ / ٩٠٧ - ٩٣٢) ١٥ وزيراً بينهم واحد وهو ابن الفرات تولى المنصب ثلاث دفعات وتراوحت مدة وزارتهم ما بين شهرين وأربعة سنين. وإذا ما قورن هذا العدد بعدد وزراء الخلفاء الذين سبقوا المقتدر وامتد حكمهم حوالي مدة حكمه لظهر ضخامة الأمر. فالرشيد الذي حكم ٢٣ سنة بلغ عدد وزرائه خلال هذه المدة ٤ وزراء والمأمون حكم ٢٠ سنة ٦ وزراء، والمتوكل وحكم ٢٣ سنة ٤ وزراء [١].

ولقد رافقت علية عزل الوزراء منذ عهد المقتدر عادة اعتقالهم ومصادرتهم. ولم يكن الأمر يتم بسهولة، فلم يقر الوزراء المعزولون بأموالهم إلا عن طريق التعذيب الشديد واعتقال عائلاتهم ونهب دورهم وملاحقة أنصارهم، بل دفع ثلاثة من وزراء المقتدر حياتهم ثمناً لذلك. واستمرت هذه الصورة في عهد خلفاء المقتدر، حتى بات الأمر قاعدة «طبيعية» ملازمة لمنصب الوزارة. لقد أصبح على المرشح للوزارة أن يرشو الخليفة وأحياناً قهرمانته أو أحد النافذين في عهده، ويتعهد له بمصادر الوزير وجماعته حتى يتهيأ له تسلم المنصب، ومن ثم عليه أن يؤمن طلبات وحاجات الخليفة من المال؛ كذلك عليه تأمين طلبات الجند حتى يحتفظ بمنصبه، وأخيراً عليه أن يستعد ليوم مصادرته ويتكفل بدفع ما يبعده عن القتل. لذا توجب عليه بدوره أن يجمع المال بأية طريقة، فكان بدوره يقوم بمصادرة العمال والتجار والأثرياء، ولم يتوان ابن الفرات من إطلاق عهود أمان لجماعة من المستترين فلما ظهروا صادرهم واستخرج منهم اموالاً طائلة [٢]. وأحياناً كان الوزراء يقتطعون من ضياع السلطان ويضيفونها إلى ضياعهم [٣]، أو بأن يضمن إحدى المناطق بمبلغ أقل بكثير جداً مما تغل [٤]... إلخ. لذلك فقد جمع بعض الوزراء ثروات هائلة، فينقل الصابي أن أبا الحسن بن الفرات عندما وُزِّر كانت ارتفاع ضيعته وضيعة أخيه أبي العباس نحو مائتي ألف دينار وعندما صرف من الوزارة بعد أربع وعشرين شهراً، بلغت ثمانمائة ألف دينار وكسراً، وذلك مما استضافه واجتذبه من الأملاك والضياع [٥]. وإثر عزله من وزارته الأولى قبض خليفته أبو علي ابن خاقان ما كان لابن الفرات من الضياع والأملاك والإقطاع والعقار والأموال والغلات وصح له ما مقداره مليون وستمائة ألف دينار عيناً سوى الأثاث والكراع والجمال [٦]. في حين كان مرتبه الشهري ٥ آلاف دينار بالإضافة إلى ألف وخمسمائة دينار لأولاده الثلاثة واقطاع يبلغ ارتفاعه

---

(١) Voir, Zambaur, Mannuel de généologie.

(٢) مسكويه، جـ ١ ص ١٢٣.

(٣) الصابي، وزراء، ص ١٥١.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٠٨.

(٥) الصابي، وزراء، ص ١٥١.

(٦) المصدر نفسه، ص ٣٤ - ٣٥ و٣٤٨.

خمسين ألف دينار وهي المخصصات التي جرت للوزراء في تلك الفترة [1].

إذاً تحولت علاقة الخليفة بالوزير إلى محض علاقة مالية [2]، فيما تخلّى له عن إدارة المملكة. فالمقتدر بعد فتنة ابن المعتز سنة ٢٩٦ فوض أمور الخلافة إلى وزيره أبي الحسن بن الفرات فيما انغمس هو في لذاته ومجالسة المغنيين [3]. ولقد بلغت الوزارة في هذا الوقت أوجها، وملك الوزراء صلاحيات واسعة وكبيرة أهمها إدارة مالية البلاد، فالوزير هو الذي يعمل الدخل والخرج ويفرض الضرائب ويسقطها [4] ويحصل الأموال من النواحي. واستدعى هذا الحال إلى أن صار الوزير مقدماً على جميع القواد، لكن هذا الأمر لم يدم طويلاً، فكلما ازداد نفوذ القواد، ضعف وتقلص نفوذ الوزراء، ففي عام ٣١٢ / ٩٢٤ وإثر عودة القائد مؤنس من الرقة ودخوله بغداد، ركب الوزير ابن الفرات طياره للسلام عليه ولتهنئته بمقدمه، وهذا ما لم تجرِ به عادة الوزير وما لم يفعله مثله وزير من قبل حتى أن الوزير لما خرج لينصرف خرج معه مؤنس إلى أن نزل في طياره [5].

وحافظ الوزراء الأوائل للمقتدر على عظمة الوزارة وأبهتها، وحاول بعضهم إصلاح أوضاع المملكة، فحاول الوزير علي بن عيسى التخفيف من مصاريف الجند ودار الخلافة [6]، وعمل على زيادة دخل البلاد [7]، كما عمل على تحسين الأوضاع الاقتصادية والتخفيف من حدة الضرائب وتشدد مع الولاة على أمل تحسين علاقاتهم بالسكان [8]. كذلك حاول الإيقاع بأهل الدعارة والنهب وإيقاف أعمالهم [9]. لكن كل المحاولات لم يكتب لها الاستمرار نتيجة حالة الإضطراب التي عرفتها الخلافة آنذاك.

وقد أشادت كتب التاريخ بعظمة هذين الوزيرين وقدراتها في إدارة شؤون الدولة. أما الوزراء الذين خلفوهما فقد أوكلوا أمور وزارتهم إلى بعض عمالهم وكتبتهم فيما انصرفوا هم إلى تأمين حاجات الخليفة والجند لإرضائهم. فأبو علي الخاقاني، الذي خلف ابن الفرات بعد وزارته الأولى، كان متشاغلاً بخدمة السلطان ومراعاة اعدائه. لا يقرأ الكتب الواردة عليه ولا النافذة، واعتمد

(١) المصدر نفسه، ص ٢٩ و٢٨٥.
(٢) مسكويه، جـ ١ ص ٥٦.
(٣) مسكويه، جـ ١ ص١٣.
(٤) مسكويه، جـ ١ ص ١٨.
(٥) المصدر نفسه، ص ١٢٢.
(٦) المصدر نفسه، ص ٢٩.
(٧) مسكويه، جـ ١ ص ١٥٩.
(٨) المصدر نفسه، ص ١٨ و ١٥١.
(٩) الصابي، وزراء، ص ٢٨.

على ابنه الذي بدوره كان مهتماً بالشراب ومراعاة أمر القواد والجيوش والعمال وترك مهمة تصريف أعمال الوزارة الى كتابه مما أفسد الأمور [1]. أما حامد بن العباس الذي وُلّي الوزارة عام ٣٠٦ / ٩١٨ فكان أصله تاجراً، ولم يكن يعرف عن أمور الكتابة شيئاً وكان المدبر للأمور علي بن عيسى [2]. أما أبو العباس الخصيبي الذي تولى الوزارة سنة ٣١٢ / ٩٢٤ فكان مشغولاً بالشراب والمصادرات وترك أمور الوزارة لكتاب الدواوين [3].

كان لا بد بعد أن أصبح لقادة الجند والحجاب وحاشية الخليفة اليد الطولى في تعيين وعزل الوزراء [4] أن يصبحوا طرفاً مباشراً في الصراع بين الخليفة وقادته فنشأ بين طبقة الكتاب أحزاب لكل منها أنصاره، وغالباً ما اتصلت الأحزاب الادارية بطغمة عسكرية أو أحياناً بأسرة دينية، فكان انشقاق بينها أيضاً [5]. وعلى هذا الأساس شارك الوزراء في المؤامرات المحاكة تارة من قبل قادة الجند ضد الخليفة وتارة بالعكس، فقد اتفق الوزير ابن مقلة مع مؤنس القائد على الإطاحة بالقاهر، لكن هذا الأخير علم بالمؤامرة فاعتقل مؤنس وقتله فيما اختبأ ابن مقلة وتابع تأمره وتحريض الجند على الإطاحة بالقاهر حتى نجح في ذلك [6]. وكان من نتيجة هذه الأحوال، أن تجرأ القادة والحاشية على الوزراء، فقبل ذلك لم يكن بإمكان القادة والحاشية اعتقال أي كبير كالوزير والإساءة إليه دون أمر الخليفة، وظل الأمر هكذا حتى أيام المقتدر [7].

لقد أفقدت الأحداث الجارية، وتطاول الجميع من خليفة وجند وحاشية على الوزير، الوزارة كل عظمتها وقوتها، حتى الوزراء الكبار عانوا من هذا الأمر ووصل الأمر بعلي بن عيسى إلى أنه اعتبر ما يعانيه من جراء توليه منصب الوزارة أصعب من الحبس والنفي [8]. وغرق الوزراء في إرضاء الخليفة وتلبية وتأمين حاجاته وحاجات الجند خوفاً، والتآمر على منافسيهم واعدائهم تاركين أمور الوزارة إلى كتّاب هم بدورهم طرفاً فيا يجري ففسدت الأحوال ولم يعد أحد يشعر بضرورة الوزارة، وأهميتها لتنظيم أمور الدولة، كما كان يشعر مؤنس القائد أيام المقتدر الذي عمل على استقرار وهيبة الوزارة باعتبارها مسؤولة عن تأمين حاجات الجند والمملكة، لذلك ما إن أصبح ابن رائق أمير الأمراء حتى بطل أمر الوزارة والدواوين وتولى هو وكتابه جميع الأمور [9].

---

(١) مسكويه، جـ ١ ص ٢٣.
(٢) المصدر نفسه، ص ٥٩.
(٣) مسكويه، جـ ١ ص ١٤٣ - ١٥٤.
(٤) المصدر نفسه، ص ٤٠ و٥٧.
(٥) Cahen, Islam p. 150.
(٦) مسكويه، جـ ١ ص: ٢٦١، ٢٨٦
(٧) الصابي، وزراء، ص ١١٠.
(٨) مسكويه، جـ ١ ص ١٧٠.
(٩) المصدر نفسه، ص ٣٥١. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٥٤. السيوطي، ص ٣٩٤ ابن خلدون. جـ ٣ ص ٨٣٩، ٨٤٠.

٤ ـ القضاء والقضاة

ويعتبر التنوخي، ان اختلال أمر القضاء قد سبق اختلال أمر الوزارة، فهو أول ما انحل من نظام سياسة الملك، ويحمل مسؤولية ذلك للوزراء، كابن الفرات الذي أوصل إلى القضاء رجالاً لا علم لهم وذلك سعياً وراء الضمانات [١]. لكن يبدو هذا الكلام مغالياً به بعض الشيء، فالحوادث التي أشار إليها التنوخي في هذا الصدد نادرة جداً في تلك الفترة. وكل ما وصلنا إليه ان ابن الفرات قد حث القاضي يوسف بن يعقوب على رشوة المقتدر كي يطلق سراح ابنه المعتقل، بسبب حادثة ابن المعتز [٢]. والحادثة الثانية هي تقليد ابن الفرات، أبي أمية قضاء البصرة وواسط والأهواز، وكان أبو أمية تاجراً قليل العلم؛ استتر عنده ابن الفرات أيام محنته فأراد رد الجميل له فلم يجد غير القضاء منصباً له. ولكن عفة أبي أمية وصدقه غطيا على نقصه في العلم، وعندما اعتقل ابن الفرات مرة ثانية، قبض أمير البصرة على أبي أمية وأودعه السجن، ومات فيه [٣] سنة ٣٠٠ / ٩١٢. ولا يعرف عن قاضٍ مات في السجن سواه؛ وهذا ما يدل على رهبة منصب القضاء في ذلك العهد. ففي حين كان الأمراء والوزراء كثيراً ما يساقون إلى السجن، فإننا لا نجد مثل ذلك إلا عند قليل من القضاة [٤].

وكان الخليفة صاحب الحق الوحيد في تعيين القضاة. حتى في عصر امرة الأمراء وتغلب قادة الجند ظل هذا الحق مما تبقى للخليفة من سلطات. فلما بويع المستكفي عام ٣٣٣ / ٩٤٤ سأل عن القضاة وكشف عن الشهود بالحضرة فأمر باسقاط بعضهم وقبول بعضهم فامتثل القضاة ما أمر به وقال العامة ساخرين «إلى هنا بلغ سلطانه وانتهى في الخلافة أمره ونهيه» [٥].

واجمالاً ظل القضاء بمنأى عن سلطة القواد والوزراء واحتفظ المنصب بهيبته حتى أيام البويهيين فبات أمراء الدولة البويهية يتولون تعيين القضاة، ولكن بعد موافقة الخليفة وبدونها لا يتم هذا التعيين. فعندما عين بهاء الدولة سنة ٣٩٤ / ١٠٠٣ النقيب أبا أحمد الموسوي والد الشريف الرضي قضاء القضاة والحج والمظالم، لم ينظر في قضاء القضاة لامتناع الخليفة القادر بالله من الإذن له بذلك، بالرغم من قوة وعظمة بهاء الدولة [٦]. وقبل ذلك في سنة ٣٥٠ / ٩٦١ في عهد معز الدولة، اشترى أبو العباس بن ابي الشوارب منصب قضاء بغداد بـ ٢٠٠ ألف درهم تعهد بدفعها سنوياً للسلطان معز الدولة، فامتنع الخليفة من اقرار توليه ومنعه من الوصول إليه في يوم موكب

---

(١) التنوخي، نشوار، جـ ١ ص ١١٤.

(٢) مسكويه، جـ ١ ص ١٤.

(٣) متز، جـ ١ ص ٤٠٠.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المسعودي، مروج، جـ ٤ ص ٣٥٦.

(٦) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٢٢٤.

ولا غيره، ثم عزل من منصبه بعد عامين وتولى مكانه بشر بن عمر بن اكثم واعفي مما كان يحمله ابن ابي الشوارب إلى السلطان وأمر بأن لا يمضي شيئاً من أحكام ابن ابي الشوارب وسجلاته [1]. وكان فعل معز الدولة هذا من أقبح الأعمال.

٥ ـ الجيش

ويعتبر ابن خلدون أن أحد أسباب ضعف الوزارة وعدم ثباتها ناتج عن قلة الأموال بسبب تضايق نطاق الدولة لسيطرة الولاة والعمال واستقلالهم بالأمور [2]، بالإضافة إلى ذلك يشدد سائر المؤرخين على دور الجند وحالة الجيش [3] فيما وصل إليه أمر الخلافة، ويشكل هذان العنصران بتداخلهما أحد الأسباب الرئيسية لتدهور حالة الخلافة العباسية. لقد بات المال عنصر القوة الأساسية التي تستمد منها الخلافة قوتها وثباتها، كذلك يستمد منه ولاة الأطراف الطامحين للإستقلال قوتهم واستقلالهم عن الخلافة وهذا ما ينقله الصابي قائلاً: قوام الملك بالمال، وإن الجند لا يسمعون ولا يطيعون إلا أن اعطاهم، وإنْ عدموا المال كان ذلك الداعية القوية إلى ذهاب الملك وسفك الدماء وانقطاع السبل وانتهاك المحارم» [4]. هذا القول نقله الصابي عن ابي العباس أحمد بن محمد بن الفرات أحد أصحاب الدواوين في عهد المعتضد.

لكن المال والثروة قوام الملك لنهضة البلاد وقيام العمارة وتحسين أوضاع السكان، بات دورها الأساسي إن لم يكن الوحيد في تلك الفترة إرضاء الجند وشراء تأييدهم للسلطان. وتظهر بوضوح أحداث الربع الأول من القرن الرابع الهجري، التي عصفت داخل عاصمة المملكة وفي الأطراف دور الجند في ما آلت إليه أحوال الخلافة.

ولا يمكننا تفسير الحالة التي وصلت إليها «المؤسسة العسكرية» إلى عامل واحد، بل تضافرت مجموعة عوامل حكمتها تطورات بنية الدولة الإسلامية. فلقد انتهى من زمن بعيد دور الحماس الديني كعنصر لتجميع وتوحيد الجند وضمان طاعتهم للأمير بسبب الإنقسامات الداخلية والصراعات الدامية التي شهدها المجتمع، وانخرط العرب مادة الجيش الأولى في هذه الصراعات ذات الأوجه الدينية ـ السلطوية، كما لم يعد للفتوحات البعيدة نفس الوهج والاغراء، بعد أن استقروا في الأمصار التي فتحت ومالوا إلى حياة أكثر استقراراً، وأكثر رفاهية ونعيماً، مشكلين ما يُعرف أو مع عُرف بالارستقراطية العربية. أما أولئك النفر القليل من العرب الذين ما زالوا يرون

---

(١) مسكويه، جـ ١ ص ١٨٩، ١٩٦. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٣٠٠، جـ ٧ ص ٧.
(٢) ابن خلدون، جـ ٣ ص ٨٣٨.
(٣) الأصفهاني، ص ٢٠٤، ٢٠٥، ٣٠٩، ٣١٦.
(٤) الصابي، الوزراء، ص ٢٠٠.

في الجهاد واجباً مقدساً وآثروا الاستمرار في حياة التقشف تشبهاً بالخلفاء الراشدين، وابتعاداً عن مباذخ وترف حياة القصور والأمصار الجديدة فقد تحولوا إلى متطوعين في الجهاد على التخوم، يعيشون من الغارات على الكفار (١).

مع العباسيين سينتهي الدور العربي في الجيش، وسيؤول جيش الخلافة إلى الخراسانيين. فبالإضافة إلى الأسباب التي ذكرت، والتي أدت إلى بعد واستبعاد العرب عن الجيش، ارتأى العباسيون الإعتماد على قوى لم تنخرها الصراعات القائمة، ولا تشكل اصلاً منافساً لهم. وكان من قوة الخلفاء العباسيين الأوائل وتماسك الخلافة، ما جعلهم قادرين على إستئصال كل محاولة أو طموح لدى قادة جيشهم للتمرد أو لتشكيل قوى ضغط أساسية على الخلافة. كذلك ساعد غنى الدولة آنذاك وكثرة المداخيل على تأمين حاجات الجند ومصاريفهم الباهظة وإرضاء قادتهم.

ولقد استمرت هذه الحالة حتى خلاف الأمين والمأمون. ومع انتصار المأمون الذي تم بفضل الخراسانيين، ستزداد شكوك الخليفة المنتصر من العرب الذين أخذوا جانب الأمين، وسيتعاظم دور الجند الخراسانيين واعتماد الخليفة عليهم، وستظهر نتائج ذلك واضحة في تولية قادتهم آل طاهر وإطلاق يدهم في خراسان وجوارها امراء شبه مستقلين كما ستؤول إليهم امرة الشرطة في بغداد لضبط الأمن الداخلي. ولقد أحس المعتصم بالخلل الذي احدثته أحداث فتنة الأمين ـ المأمون لصالح الجيش الخراساني وبدأ يشعر بضغط هذه القوى على مركز الخلافة، فقرر تشكيل جيش جديد من قوى جديدة يضمن طاعاتها وبعدها عن الصراعات الداخلية، فاتخذ خطوتين بالغتي الأهمية (٢). فقد أوقف كل تطوع عسكري من أصل عربي، وكان هذا الشكل هو الذي بقي للعرب خاصة اعراب البادية الذين وجدوا فيه، منفذاً لتأمين رزق معيشتهم. وإن لم تحل هذه الخطوة دون استمرار التطوع للجهاد على التخوم، إلا أنها قطعت كل علاقة بين هؤلاء المتطوعين والحكومة، وأنسدت بشكل كامل أبواب الجيش أمام هذا القسم من العرب الذين لم يستفيدوا من موجة الفتوحات الأولى، وظلوا على صلة قوية بالبادية، فمنعهم من دخول الجيش والتطوع يعني ببساطة عودتهم إلى حياة البادية. وسيؤدي هذا الوضع فيما بعد، إلى أن يشكل هؤلاء الاعراب وقود حركات التمرد خاصة القرامطة، وإلى الارتداد لتشكيل عصابات للسلب والنهب، وفي أحسن الأحوال إلى الأنضواء تحت لواء امراء محليين سيزيدون حالة الاضطراب والفوضى التي عمت القرن الرابع الهجري.

أما الخطوة الثانية التي أقدم عليها المعتصم (٣)، فكانت شروعه في بناء جيش من العبيد الأتراك

---

(١) Cahem, Islam p. 142-143.

(٢) Cahen, Islam p. 143. EI², art. Djaysh t. II p.518.

(٣) Cahen, Islam p.143. EI², art. djaysh t. II p.518.

ليحلوا محل المرتزقة الخراسانيين وخصوصاً أنه بحاجة إلى حرس وجند يتفانى في خدمته وطاعته، وهو قادر على الحصول على هؤلاء العبيد منذ نعومة اظفارهم كما يمكنه انتقاؤهم على أساس لياقتهم العسكرية وكفاءتهم الأخلاقية [1]. وإذا كان اختيار العباسيين الأوائل للخراسانيين ليكونوا قادة الجيش، هو في أحد وجوهه اختيار عسكري تقني باعتبار أن طريقة القتال العربية التي تعتمد على الشجاعة الفردية ولا تعرف السلاح الثقيل ولا حرب الحصار كما تجهل من الناحية التعبوية تنظيم رماة السهام لم تعد كافية، فإن الخراسانيين كانوا أكثر معرفة باستخدام الخيالة من رماة السهام ولغم الأماكن المحصنة وقذفها واستعمال النفط (النار الإغريقية) [2]. كذلك فإن اختيار المعتصم للأتراك كان يحمل بدوره سبباً تقنياً، لما امتاز به الأتراك من ضروب الجلد والصبر والنظام والقدرة على رمي السهام من ظهور الخيل فهم بالدرجة الأولى فرسان [3].

وإن أظهر الأتراك طاعة مطلقة لسيدهم الجديد، إلا أن الأمر لم يستمر طويلاً، فلقد أدركوا بدورهم أنهم القوة التي عليها وحدها يعتمد الخليفة وبالتالي أصبح الخليفة خاضعاً لقواته الخاصة الجديدة. وهذا الأمر بدا واضحاً إثر مقتل المتوكل على يد قائد تركي، من يومها استولى الأتراك على المملكة واستضعفوا الخلفاء فكان الخليفة في يدهم كالأسير إن شاؤوا أبقوه وإن شاؤوا أبعدوه وخلعوه وإن شاؤوا قتلوه [4]. كما بات الأتراك طرفاً أساسياً في الصراعات الداخلية، ورغم كل ذلك ظلوا بعاداتهم وطباعهم وتقاليدهم جنوداً أغراباً عن الأمة وكانت خصوماتهم الداخلية التي عُرفوا بها أيضاً بعيدة عن مشاغل الشعب، فبدا هذا الجيش وكأنه جهاز غريب وبدا النظام ذاته الذي زوده الجيش بالإطارات السياسية نظاماً غريباً يتحمله الأهالي على مضض [5].

ومرة أخرى يحاول الخلفاء تحقيق التوازن في الجيش لمنع الأتراك من التسلط كما أن الصراعات داخل الأتراك أنفسهم تدفعهم إلى الاستعانة بقوات أخرى، فينضاف إلى الجيش قوات من الديلم والأكراد، ستزيد من حدة الصراعات وتعميم الفوضى والإضطرابات.

لقد أصبح الجيش في الحقيقة مجموعة جيوش متناحرة متنافرة متصارعة على السلطة والمال مفتقدة لعناصر التوحيد، فلا وحدة قومية تجمعهم ولا وحدة دينية إذ إن طرفيه الأساسيين الأتراك والديلم أحده سني والآخر شيعي. ولم يعد مركز الخلافة والوزارة لهذه القوات، عنصر ضبط. فالمنصب الديني الذي كان يكسب الخليفة نوعاً من المهابة والتعظيم، لا يعني كثيراً عند

---

(١) Cahen, Islam p.143.

(٢) Ibid p.144. EI², art djaysh t. II p.518.

(٣) Ibid p.146. Idem.

(٤) الطقطي، ص ٣٢٢.

(٥) Cahen, Islam p.146-147.

هؤلاء المسلمين الجدد، كما أنهم لم يعتادوا طاعة أحد إلا من بني قومهم. أما السكان فقد تحملوا الويلات من هؤلاء الجند الغلاظ الآتين من الجبال ومن مناطق ما زالت بعيدة جداً عن مدنية بغداد، ذوي العادات والتقاليد المخالفة لسكان عاصمة الخلافة. ومما زاد في الأمر سوءاً اشتداد ساعد الحركات المناهضة للعباسيين كالقرامطة وحركات الإستقلال في أطراف المملكة، الأمر الذي أدى إلى تقلص موارد الدولة بشكل كبير. كذلك توقفت عمليات الغزو الخارجية على الحدود مع بيزنطة.

كل ذلك ساهم في اختلال المؤسسة العسكرية ولم يعرف الجيش في هذه الفترة وحدة داخلية بين أطرافه. فالصراع بين كتله شبه دائم، وأحياناً كثيرة داخل الكتلة الواحدة بسبب تنافس القادة على الزعامة والسيطرة. وحتى في مواجهة قوى أخرى كالقرامطة والأمراء المحليين كالحمدانيين أو الزعماء الإقطاعيين كالبريديين، كانت وحدة الجيش في مواجهة هذه القوى وحدة لا أساس لها. تبدأ بتشكيك كل كتلة في الجيش في نوايا الكتلة الأخرى، وتنتهي أثناء المعركة أو في نهايتها بحركة انسحاب والتحاق متبادلة بين مختلف مجموعات الجيش والخصم. (ما عدا في حالة القرامطة) ففي كل مرة كان يهزم فيها الجيش، في وجه القرامطة وغالباً ما كان يهزم، كانت عودته إلى بغداد تعني موجة جديدة من الصراع بين أجنحته والتي غالباً ما يدفع ثمنها الخليفة أو الوزير بخسارة منصبه وأحياناً حياته، ودائماً كان يدفع ثمنها السكان الذين يتعرضون للحصار والقتل والجوع [1].

٦ ـ الصراعات الداخلية

وصلت الصراعات الداخلية في هذه المرحلة ـ مرحلة أمير الأمراء ـ إلى ذروتها، وتمثلت في الباب الأول، بمحاولات قادة الجند والأمراء المحليين الاستقلال بولاياتهم، ولقد نجح بعضهم خاصة في مناطق الخلافة الشرقية في تأسيس أسر حاكمة كما فعل السامانيون والزياريون، وبنو الياس والديلم، وكذلك الحمدانيون في الجزيرة. أما المناطق الغربية من دار الخلافة كواسط والبصرة والأهواز وفارس قبل التمكن البويهي، فقد كانت تنتقل من يد إلى أخرى وفي فترات متقاربة تبعاً للصراع الدائر داخل بغداد. إذ كان الجيش الذي يحتل إحدى الولايات يستولي على مواردها ويعيش فيها بصورة مستقلة، مما كان يؤدي إلى حرمان السلطة من موارد أعالي بلاد الرافدين وهي

---

(١) أنظر حول صراعات الجند وفتنهم واعتداءاتهم على السكان: مسكويه، جـ ١ ص ٢٤، ٥٦، ١٥٩، ٢٠٢، ٢١٩، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٦١، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٣٣، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٧، ٣٦٦. جـ ٢ ص ١٠، ١١، ١٣، ١٧، ١٩، ٢٠، ٢٢، ٢٣، ٢٥، ٣٣.
ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٥٠، ٣٢٣، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٧٩، ٢٨٠ ـ ٢٨٣.
ابن الجوزي، المنتظم جـ ٦ ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦.
الأصفهاني، ص ٢٠٤، ٣١٠، ٣١١.

التي كانت تموّن بغداد. لذلك كان الصراع على أشده بين أمير الأمراء، والمتسلطين على تلك النواحي، كل يحاول ابتلاع الآخر لضمان استمراره، وكثيراً ما تبادلوا المواقع.

لقد وصف معظم المؤرخين حال التفتت التي وصلت إليها الدولة الإسلامية في سنة ٣٢٥ / ٩٣٦، «إذ صارت واسط والبصرة والأهواز في يد البريديين، وفارس في يد علي بن بويه وكرمان بيد أبي علي بن الياس والري وأصفهان والجبل في يد أبي علي الحسن بن بويه ووشمكير بن زيار يتنازعانها بينهما، والموصل وديار ربيعة وديار بكر في يد بني حمدان، ومصر والشام في يد محمد بن طغج وخراسان في يد نصر بن أحمد الساماني وطبرستان وجرجان في يد الديلم واليمامة والبحرين في يد أبي طاهر الجنابي ولم يبق في يد الخليفة الراضي وأمير الأمراء ابن رائق غير مدينة السلام وبعض السواد (١).

كان كافة المتغلبين على النواحي يطمعون في السيطرة على بغداد عاصمة الدولة ومقر الخليفة ومركز العلماء والأدباء والحياة الاجتماعية المميزة، ومما زاد في طمعهم، كما أشرنا سابقاً، الصلاحيات المطلقة التي أصبح يملكها أمير الأمراء. فعندما اختار الراضي ابن رائق أمير واسط آنذاك لمنصب أمير الأمراء، بعد أن عجز الوزراء عن تدبير الأمور وتأمين الأموال اللازمة للجند والخلافة (٢)، وباعتبار أن ابن رائق أقوى المتصارعين، كان الراضي يأمل أن يؤدي هذا التعيين، إلى إيقاف حالة الاضطراب والصراعات الدامية التي كانت تعم بغداد. لكن النتيجة جاءت عكسية.

عمد ابن رائق سنة ٣٢٥ / ٩٣٦ إلى محاربة البريدي صاحب الأهواز بعد أن امتنع عن تأدية ما يتوجب عليه للدولة. إذ كان هو الآخر يطمح في تولي إمرة الأمراء، والبريدي هذا وهو أبو عبدالله محمد بن أحمد كان أحد «دجالي الدنيا وشياطينها» كما يصفه مسكويه (٣). وقد بدأ حياته كاتباً صغيراً وعاملاً من أواسط العمال فاصطنع وأهل لجليل الأعمال فطغى وكفر بالنعمة وقابل الإحسان بالسوء وخلع الطاعة (٤). وقد عرف عن البريديين الظلم والجور حتى باتوا مضرب المثل، وكانوا هم يعرفون أنفسهم. فعندما هزموا أمام بجكم سنة ٣٢٥ / ٩٣٦ وغرق الطيار الذي كانوا يقلونه قال أبو عبدالله لأخيه أبي يوسف: «ما نجونا والله من الغرق بصالح أعمالنا ولكن لصاعقة

---

(١) الهمذاني، ص ١٠١. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٦ ص ٢٨٨؛ عجائب ورقة ٣٤. ابن الطقطقي، ص ٣٨١. مسكويه، جـ ١ ص ٣٦٦. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٥٥.

(٢) مسكويه، جـ ١ ص ٣٥٠ ـ ٣٥١. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٥٤. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٨٣٩، ٨٤٠ EI², art Ibn Rà'ik t. III p.926.

(٣) مسكويه، جـ ١ ص ١٥٨. EI², art al-Baridi, t. I p.1078.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٥٨.

يريدها الله لهذه الدنيا »[1]. وفي مناسبة أخرى سنة ٣٢٦ / ٩٣٧ عندما لحق أبو عبدالله بالبويهيين واستنجد بهم ضد ابن رائق وبجكم سأل طبيبه عن حمى تنتابه، فقال له « خلط (يعني في المأكول) لترمي بالأخلاط. فقال له: اكثر بما خلطت يا أبا زكريا قد أرهجت ما بين فارس والحضرة فإن اقنعك ذلك وإلا ملت إلى الجانب الآخر وارهجت إلى خراسان »[2]. وكان أبو عبدالله في سنة ٣١٥ / ٩٢٧ يضمن الضياع الخاصة بالأهواز، ولما وزر ابن مقله، رشاه أبو عبدالله بعشرين ألف دينار فقلده الأهواز[3]. ثم تنقل بين حالات عمل واعتقال ومصادرة حتى استولى في سنة ٣٢٣ / ٩٣٤ على جميع الأهواز تغلباً[4]. وحارب الجيش العباسي فكسره وقتل قائده ياقوت[5] وذلك سنة ٣٢٤ / ٩٣٥. وعندما سار في هذه السنة ابن رائق والخليفة الراضي إلى الأهواز لدفع البريدي عنها بعد أن أخر الأموال واستبد بها وأفسد الجيوش وحسن له الخروج عن الطاعة[6]، كما أشرنا، عمد البريدي بدهائه، وبعد إن قدر الهزيمة، إلى تجديد ضمان الأهواز والتعهد بدفع ما يتوجب عليه وتسليم جيشه إلى من يؤمر بتسليمه. لكن ما إن رجع ابن رائق والخليفة إلى بغداد حتى نكث البريدي، فلم يدفع ديناراً واحداً للخليفة، ورفض تسليم جيشه إلى من بعث به الخليفة ليقوم بهذه المهمة[7]. كما نجح بالإتفاق مع كاتب ابن رائق، أبي عبدالله الكوفي في ضمان البصرة وواسط لأخيه أبي يوسف[8]. فقويت شوكته وأخذ في تحريض الناس على ابن رائق وبالإستعداد لمقاتلته، ونجح في ذلك، خاصة وإن أهل البصرة كانوا في نهاية الاستيئاس من ابن رائق وعامله الذي ظلمهم في معاملاتهم ظلماً مفرطاً واساء السيرة معهم فقدروا بالبريدي خيراً، الذي سيكون أشد ظلماً من سلفه[9]. لذلك نجح البريدي في دخول واسط وهرب عامل ابن رائق منها، إلا أن هذا الأخير وجه جيشه بقيادة بجكم، إلى الأهواز فهزم البريدي الذي فر ملتجأً إلى البويهيين في فارس[10] سنة ٣٢٥ / ٩٣٦.

أما بجكم[11] الذي بدأ يتطلع إلى تولي امرة الأمراء، فكان نموذج قائد الجند المرتزق[12]. وقد

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٧١.
(٢) المصدر نفسه، ص ٣٨٠. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٦٣.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٥٢.
(٤) مسكويه، جـ ١ ص ٣٢١.
(٥) المصدر نفسه، ص ٣٣٩. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٥١.
(٦) المصدر نفسه، ص ٣٥٨. ابن الأثير، ص ٢٥٨.
(٧) المصدر نفسه، ص ٣٥٩. ابن الأثير، ص ٢٥٨.
(٨) المصدر نفسه، ص ٣٦٣، ٣٦٤. ابن الأثير، ص ٢٥٩.
(٩) مسكويه، جـ ١ ص ٣٧٠.
(١٠) المصدر نفسه، ص ٣٧١ - ٣٧٣. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٦٠.
(١١) انظر ترجمته. ابن الجوزي، المنتظم جـ ٦ ص ٣٢٠ - ٣٢١.
(١٢) متز، جـ ١ ص ٦٨. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٦٦.

تنقل من خدمة قائد إلى آخر حتى وصلت إليه الحال على ما هي عليه. ولم يكن يعرف العربية ويحتاج لمن يترجم له (١)، وإلى جانب شجاعته النادرة فقد كان يتصف بكل صفات الغلظة التي امتاز بها الاتراك والجند عامة. فعندما دخل واسط طالب أهلها بالمال واشتد في تعذيبهم حتى نبهه البعض إلى سوء أفعاله خاصة، وإنه طامع ببغداد، فلا يليق أن يتصرف بمثل ما كان يفعله مرداويج بأهل الجبل، فدار الخلافة وبغداد ليست مثل الري واصفهان فلا تحتمل مثل هذه الأخلاق (٢). لكنه بالمقابل كان من بين القواد القلائل المتصارعين في ذلك الوقت الذي أبدى أحياناً اهتماماً بعمارة البلاد (٣).

وكما أشرنا فإن البريدي كان قد التحق بالبويهيين في فارس طلباً لنجدتهم، واطمعهم في العراق والاستيلاء عليه. وقد نجح البريدي والبويهي في بداية الأمر من إنزال هزيمة ببجكم واستولوا على عسكر مكرم (٤). لكن سرعان ما اختلف البريدي مع البويهيين وهرب الى البصرة فيما استقر بجكم في واسط أما البويهيون فقد استولوا على الأهواز (٥). وقد بدأ بجكم في هذه السنة ٣٢٦ / ٩٣٧ في محاولاته للحلول محل ابن رائق في امرة الأمراء، وهذا الأخير ما إن شعر بتعاظم قوة ونفوذ بجكم، حتى سارع الى مصالحة البريدي لقطع الطريق على بجكم الذي عمد إثر هزيمته للبريدي، عند محاولة هذا الأخير التقدم إلى واسط، إلى عرض الصلح عليه فأجابه، واتفقا على التخلص من ابن رائق على أن تكون واسط للبريدي وامرة الأمراء لبجكم (٦). ولم يغد أمام بجكم سوى التقدم إلى بغداد وانتزاعها من ابن رائق وهذا ما حصل، في هذه السنة ٣٢٦ / ٩٣٧، وقام الخليفة وقلده امرة الأمراء وكانت إمارة ابن رائق سنة وعشرة أشهر (٧).

لكن كثرة المتنافسين على السلطة، وتفتت حالة الجند وتبدل ولائهم كما رأينا سابقاً، وسوء الأحوال الإقتصادية، وتعدد الحركات الإستقلالية لم تكن تسمح لأي طرف بتأمين غلبة دائمة أو لمدة طويلة، لذا، ما ان تمكن بجكم من بغداد حتى كان عليه إخضاع الحمدانيين وإجبارهم، على دفع ما عليهم من ضمان (٨)، وكان ذلك سنة ٣٢٧ / ٩٣٨، فاستغل ابن رائق خروج الخليفة وبجكم لقتال الحمدانيين ليعاود سيطرته على دار الخلافة ثم عرض الصلح على بجكم مقابل أن يقلده

---

(١) مسكويه، جـ ١ ص ٣٧٦.
(٢) مسكويه، جـ ١ ص ٣٧٨. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٦٣.
(٣) متز، جـ ١ ص ٧٠.
(٤) مسكويه، جـ ١ ص ٣٧٨. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٦٣.
(٥) المصدر نفسه، ص ٣٨:، ٣٨٣ ـ ٣٨٤. المصدر نفسه، ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤.
(٦) مسكويه، جـ ١ ص ٣٨٤ ـ ٣٨٥. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٦٤.
(٧) المصدر نفسه، ص ٣٩٤ ـ ٣٩٦. المصدر نفسه، ص ٢٦٦.
(٨) المصدر نفسه، ص ٤٠٥. المصدر نفسه، ص ٢٦٦.

بعض الولايات فكان له ما أراد وعاد بجكم والراضي إلى بغداد (1) ليبدأ من جديد في مواجهة البريدي.

كان بجكم قد ولى البريدي الوزارة (2). وفي سنة ٣٢٨ / ٩٣٩ اتفقا على محاربة البويهيين لكن البريدي طمع في الإستيلاء على بغداد فامتنع عن الخروج لحرب البويهيين واستعد لدخول بغداد فعرف بجكم بنواياه فعاد إلى بغداد واسقط اسم البريدي عن الوزارة وتوجه إلى قتاله لكنه فر من واسط إلى البصرة، ثم فر من البصرة خوفاً من بجكم (3). لكن الأمر لم يطل لبجكم، فمع مطلع سنة ٣٢٩ / ٩٤٠ عاد البريدي إلى الظهور فأرسل له بجكم جيشاً على رأسه توزون فهزم، فاضطر بجكم إلى المسير بنفسه لقتال البريدي لكن توزون عاد وانتصر عليه، مما دفع بجكم للعودة إلى بغداد (4). وفي طريق عودته اراد أن يتصيد فطمع بمال بعض الأكراد فلحق بهم بقلة من رجاله فطعنه احدهم برمح من الخلف دون أن يعرفه وقتله، وكانت مدة إمارة بجكم سنتين وثمانية أشهر (5).

استغل البريدي وفاة بجكم وانضمام قسم من جيشه إليه ليدخل إلى بغداد ويستولي عليها (6). واجبر الخليفة على دفع مال للجند لكن امره لم يطُلْ فسرعان ما انقلب عليه الديلم واجبروه على الفرار إلى واسط وكانت مدة إقامته ببغداد ٢٤ يوماً، ولم يلقب بأمرة الأمراء، وإنما نودي بالوزارة (7). ولما هرب البريدي استولى الديلم على بغداد وقلد المتقي لله أميرهم كورتكين الإمارة ووقع قتال بين الديلم والأتراك اثر تفرد كورتكين بالحكم وقبضه على قائد الأتراك (8) ووقف العامة إلى جانب الأتراك بعد أن أساء الديلم معاملتهم وتعديهم عليهم في معاملاتهم. ومرة أخرى يعود ابن رائق للظهور، ويتقدم من الشام التي سبق واستولى عليها إلى بغداد، وينجح بمعونة الأتراك وعلى رأسهم توزون الذين سبقوا والتحقوا به إثر مصرع بجكم من هزيمة كورتكين الديلمي ووضع السيف بالديلم وتسلم امرة الأمراء (9)، وبذلك تكون دار الخلافة في سنة واحدة هي ٣٢٩ / ٩٤٠ قد انتقلت بين أيدي أربعة قواد: بجكم والبريدي وكورتكين وابن رائق.

إستمرت هذه الأحوال حتى الدخول البويهي سنة ٣٣٤ / ٩٤٥. ففي سنة ٣٣٠ / ٩٤١ عاد

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٠٨ - ٤٠٩. المصدر نفسه، ص ٢٦٩.
(٢) المصدر نفسه، ص ٤٠٩. المصدر نفسه، ص ٢٧٠.
(٣) مسكويه، جـ ١ ص ٤١١ - ٤١٤. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٧٣.
(٤) المصدر نفسه، جـ ٢ ص ٩ - ١٠. المصدر نفسه، ص ٢٧٩.
(٥) المصدر نفسه، جـ ٢ ص ٩ - ١١. المصدر نفسه، ص ٢٧٩. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٦ ص ٣٢٠ - ٣٢١.
(٦) المصدر نفسه، ص ١٣ - ١٦. المصدر نفسه، ص ٢٧٩.
(٧) مسكويه، جـ ٢ ص ١٦ - ١٧. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٨٠.
(٨) المصدر نفسه، ص ١٨.
(٩) المصدر نفسه، ص ١٩ - ٢٢. المصدر نفسه، ص ٢٨١. السيوطي، ص ٣٩٤ - ٣٩٥.

البريدي واستولى على بغداد وهرب الخليفة المتقي وابن رائق إلى الموصل مستنجدين بالحمدانيين [١]. وقام البريدي وأصحابه بالنهب، وظلموا ظلمهم المعروف وغلت الأسعار، فنفرت عنه قلوب العامة والجند والتحق توزون التركي مع عدد من القواد والجند بالحمدانيين فقوي أمرهم، وكان ابن حمدان قد قتل ابن رائق [٢]. وتوجه الحمدانيون إلى بغداد فهرب البريدي بعد أن امضى ببغداد ثلاثة اشهر وعشرين يوماً. وتولى ابن حمدان منصب امير الأمراء ولقبه المتقي بناصر الدولة [٣]. لكن امارة الحمداني لم تستمر سوى ١٣ شهراً، كان عليه خلالها أن يخرج من بغداد لمقاتلة البريديين فهزمهم [٤]، لكن الديلم والأتراك انقلبوا على الحمدانيين وكان قائد الأتراك توزون قد طمع بدوره بإمارة الأمراء ونجح في اجبار الحمدانيين على الهرب من بغداد فدخلها في هذه السنة ٣٣١ / ٩٤٢ وقلده المتقي امرة الأمراء [٥]. وظل توزون في منصبه حتى وفاته سنة ٣٣٤ / ٩٤٥ وخلفه في هذا المنصب كاتبه ابن شيرزاد الذي لم يستمر في منصبه سوى ثلاثة أشهر [٦] وانتهت بدخول أحمد البويهي بغداد.

٧ ـ القرامطة

وبالإضافة إلى ما ذكرنا، فقد كان للحركة القرمطية دور كبير وأساسي في تدهور حالة الخلافة واضطرابها وتفتتها. خاصة وان هدفها لم يكن منافسة القادة الآخرين في السيطرة الداخلية على الخلافة، بل الإطاحة الكاملة بالخلافة العباسية وتحقيق مشروعها الخاص الذي كان يلتقي على الأقل في الفترة الأولى مع المشروع الفاطمي [٧].

ولقد نجح القرامطة بفضل تماسكهم وانضباطهم وتنظيمهم القوي وبالإستفادة من سوء أوضاع الخلافة الداخلية وأزماتها، في إنزال ضربات موجعة وشديدة بقوات الخليفة أكثر من مرة، واقتربوا من بغداد وكادوا ان يطيحوا بالخلافة بالفعل، كما سنرى لاحقاً. وكان ابتداء أمر هذه الفرقة التي عرفت بقرامطة البحرين [٨] سنة ٢٨٦ / ٨٩٩، وكان معظم انصارها من البدو الاقحاح [٩] الذين كانت حياة البؤس والبداوة التي يعيشونها تدفعهم للإنضمام إلى أية حركة تمرد

---

(١) مسكويه، جـ ٢ ص ٢٤ ـ ٢٥. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٨٣. الذهبي، دول، جـ ١ ص ١٤٨.
(٢) المصدر نفسه، ص ٢٦ ـ ٢٧. المصدر نفسه، ص ٢٨٤. السيوطي، ص ٣٩٤ ـ ٣٩٥.
(٣) المصدر نفسه، ص ٢٨. المصدر نفسه، ص ٢٨٥. السيوطي، ص ٣٩٤ ـ ٣٩٥.
(٤) المصدر نفسه، ص ٣٩، ٤١. المصدر نفسه، ص ٢٨٥، ٢٩١.
(٥) المصدر نفسه، ص ٤٠ ـ ٤٤. المصدر نفسه، ص ٢٩١.
(٦) مسكويه، جـ ٢ ص ٨١ ـ ٨٢. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٣١٣ ـ ٣١٤.
(٧) De Coéje, p.77, 78, 81, 100. لويس، ص ١٣٥ ـ ١٤٦.
(٨) الطبري، جـ ١١ ص ٣٦٤. المسعودي، مروج، جـ ٤ ص ٢٦٤. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٩٢.
(٩) المصدر نفسه. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٩٢ و٩٩. De Coéje, p.85.

بل وإلى تشكيل مجموعة مسلحة للغزو والسلب لتأمين حاجاتهم (١). وفي السنة التالية بدأ القرامطة بزعامة ابي سعيد الجنابي اعمالهم العسكرية فأغاروا على نواحي هجر واقترب بعضهم من نواحي البصرة وهزموا جيش الخليفة المعتضد (٢). وفي سنة ٢٨٩ / ٩٠١ بدأ أمر قرامطة الشام، فما أنزل أحد قادة المعتضد هزيمة قوية بجيش قرمطي وصل إلى سواد الكوفة (٣). وفي ٢٩٠ / ٩٠٢ حقق قرامطة الشام بقيادة صاحب الشامة انتصارات سريعة في معظم مناطق الشام وكثر القتل والتخريب مما اضطر الخليفة إلى أن يسير إلى الشام لمقاتلتهم، لكن القرمطي انزل هزيمة قاسية بإحدى فرق الخليفة قرب حلب. فما نجح أحد قواد ابن طولون، وكان صاحب الشام ومصر، في هزيمة القرمطي وقتل من اصحابه خلق كثير وهرب اكثرهم نحو البادية فوجه المكتفي في أثرهم الحسين بن حمدان (٤). كذلك قتل امير البحرين ولي عهد أبي سعيد الجنابي وافتتح القطيف (٥). وفي سنة ٢٩١ سيحقق المكتفي نصراً باهراً على صاحب الشامة قرب حماه ومن ثم يعتقله ويقتله (٦). لكن خليفته زكرويه أعاد تنظيم صفوف القرامطة وضم أتباعاً جدداً من الأعراب. ومن جديد في سنة ٢٩٣ / ٩٠٥، هاجموا دمشق واذرعات والأردن وانزلوا هزائم متكررة بولاة الخليفة ثم دخلوا الكوفة فأرسل الخليفة مجموعة من قواده على رأس جيش لمقاتلة القرامطة فهزمهم القرامطة شر هزيمة وقتل من جند الخليفة عدا الغلمان ١٥٠٠ رجل (٧). وفي سنة ٢٩٤ / ٩٠٦، هاجم القرامطة قوافل الحجاج العائدين فقتلوا منهم وسلبوا أعداداً كبيرة حتى قيل أن عدد القتلى عشرون ألفاً من الحجاج (٨)، فجهز المكتفي الجيوش وساروا نحو القرامطة واقتتلوا قتالاً شديداً انتهى بهزيمة القرامطة وقتل زكرويه (٩). وبهذا الحادث ينتقل دور وثقل القرامطة إلى قرامطة البحرين.

بمقتل زعيم قرامطة البحرين ابي سعيد الجنابي سنة ٣٠١ هـ/ ٩١٣، على يد أحد خدمه(١٠)، وتسلم ابنه الثاني أبي طاهر مكانه ستعرف الحركة القرمطية أوج قوتها. وحتى هذا التاريخ لم تكن الدولة العباسية تدرك العلاقة بين القرامطة والفاطميين حتى أن الوزير علي بن عيسى باشر التفاوض

---

(١) الطبري، جـ ١١ ص ٣٦٦.
(٢) المصدر نفسه، ص ٣٦٦ ـ ٣٦٨. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٩٥.
(٣) المصدر نفسه، ص ٣٧٢. المصدر نفسه، ص ١٠٠. المسعودي، مروج، جـ ٤ ص ٢٧٠ و٢٨٠.
(٤) المصدر نفسه، ص ٣٨٠ ـ ٣٨٣. المصدر نفسه، ص ١٠٤ ـ ١٠٦.
(٥) ابن الأثير، جـ ٦ ص ١٠٦.
(٦) الطبري، جـ ١١ ص ٣٨٦. ابن الأثير، جـ ٦ ص ١٠٨. المسعودي، مروج، جـ ٤ ص ٢٨٠.
(٧) الطبري، جـ ١١ ص ٣٩٤ ـ ٣٩٧. ابن الأثير، جـ ٦ ص ١١٣ و١١٤.
(٨) المصدر نفسه، ص ٣٩٩ ـ ٤٠١. المصدر نفسه، ص ١١٦.
(٩) المصدر نفسه، ص ٤٠٢. المصدر نفسه، ص ١١٧.
(١٠) المصدر نفسه، ص ٤٠٨. المصدر نفسه، ص ١٤٧. مسكويه، جـ ١ ص ٣٣.

مع ابي سعيد فكتب إليه لإقناعه بالعدول عن مبادئه الخاطئة ودعوته الدخول في الطاعة، ويقول دي خويه، إن الوزير لو كان يعلم حقيقة علاقة القرامطة بالفاطميين وان هدفهم القضاء على الخلافة العباسية لأدرك عدم جدوى هذه المحاولات [1].

حدث أول تحرك فعلي قرمطي بعد موت أبي سعيد، وبقيادة أبي طاهر سنة ٣١١ / ٩٢٣. حيث قاموا بغزو البصرة، ووضعوا السيف في أهلها وغنموا غنائم وافرة [2] أغرتهم بالقيام بغزوات جديدة في المستقبل. وفي سنة ٣١٢ / ٩٢٤ أوقع أبو طاهر بقوافل الحجاج العائدة وكانت مجزرة فعلية، اقضّت مضجع الناس ببغداد وسببت بانفجار شعبي على الوزير ابن الفرات الذي لقب بالقرمطي الكبير إهانة له وشتيمة [3]. وفي العام نفسه، وبعدما امتنع الخليفة إجابة أبي طاهر عن شروطه بامتلاك البصرة، والأهواز بعد أن افرج القرامطة عن الأسرى من الحجاج، التفت أبو طاهر عندئذٍ الى الكوفة فسباها وأنزل هزيمة قاسية بجيش الخليفة وعمل فيها مثلما فعل في البصرة وقد تحمل أهلها الفظائع التي ترافق عادة فتح المدن واجبروا على مشاهدة تدنيس القرمطي للمسجد الجامع إذ أقام فيه هو وخلائفه [4]. واضطرب أهل بغداد للفاجعة الجديدة وانتقل أكثر أهل الجانب الغربي الى الجانب الشرقي واستدعى مؤنس القائد إلى بغداد وأمر بالسير برجاله إلى الكوفة فلم يصلها إلا بعد انسحاب القرامطة منها. فذهبت حملة مؤنس التي كلفت مليون دينار سدى [5]. وفي هذه السنة لم تصل إلى مكة سوى قوافل الشام ومصر، وفي العام ٣١٣ هـ / ٩٢٥ ترك أبو طاهر قافلة العراق تمر لقاء فدية باهظة فرضها بعدما هزم الحامية العسكرية [6]. وفي السنوات الثلاث التالية لم تجرؤ أية قافلة عراقية على الذهاب إلى الحج، وعندما بلغ أهل مكة في سنة ٣١٤ / ٩٢٦ أن أبا طاهر مقبل إليها أخذ أهلها بالنزوح عنها [7].

لا شك أن القرامطة كانوا مقاتلين شرسين باسلين، مندفعين بحماس المدافع عن قضية مقدسة. وبحكم اعتقادهم أنهم هم المؤمنون فقط، فقد أباحوا لأنفسهم القيام بأبشع المجازر بحق الآخرين، حتى بات اسمهم يثير الهلع في النفوس. وتنقل كتب التاريخ ذلك القول على لسان احد القرامطة المستأمنين عندما سُئل عن سبب انتصاراتهم وهزائم أصحاب السلطان فقال: « السبب أن اصحاب

---

(١) De Coéje, p.74-77.

(٢) عريب، ص ٥٧. الاصفهاني ٢٠٣. مسكويه، جـ ١ ص ١٠٤ ـ ١٠٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦١. المصدر نفسه، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤. المصدر نفسه، ص ١٢٠ ـ ١٢١. ابن الأثير، جـ ٦ ص ١٧٧.

(٤) عريب، ص ٦٤. الأصفهاني، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤. مسكويه، جـ ١ ص ١٤٥ ـ ١٤٦.

(٥) المصدر نفسه، ابن الأثير، جـ ٦ ص ١٨٠.

(٦) ابن الأثير، جـ ٦ ص ١٨٢.

(٧) المصدر نفسه، ص ١٨٥. مسكويه، جـ ١ ص ١٤٧.

السلطان يقدرون أن السلامة في الهرب فيقدمونه ونحن نقدر أن السلامة في الصبر فنثبت ولا نبرح »[١].

أدت الهزائم المتلاحقة التي حلت بقوات الخليفة، والخسائر الضخمة التي لحقت بالسكان، إلى تململ شعبي واسع داخل بغداد، خاصة وان الجميع بات يدرك أن بغداد نفسها لن تكون بعيدة عن هجمات أبي طاهر القرمطي. فكان على الخليفة أن يبحث عن أي حل يساعده للوقوف بوجه القرامطة فأشار عليه وزيره الخصيبي سنة ٣١٤ / ٩٢٦ استدعاء أمير اذربيجان والجبال يوسف بن ابي الساج المعروف بشدة بأسه وقوته، وعندما عاد علي بن عيسى الى الوزارة سنة ٣١٥ / ٩٢٧ عارض بشدة استدعاء ابن ابي الساج[٢] خاصة أن تكاليف حملته ستبلغ حوالي ثلاثة ملايين دينار، فيما يستطيع الخليفة تجنيد قوات من بني اسد وشيبان بتكاليف لا تتجاوز مليون دينار. كما أن علي بن عيسى كان يشكك بفاعلية جند ابن ابي الساج في حروب الصحراء والسواحل وهم الذين اعتادوا الجبال[٣].

المهم ان قوات ابن أبي الساج وصلت إلى واسط في ربيع الأول من العام ٣١٥ / ٩٢٧، وبقي فيها ما يقارب سنة لا يحرك ساكناً، وعندما وردت الأخبار إلى بغداد بأن أبا طاهر غادر هجر متوجهاً إلى الكوفة أمر الخليفة ابن أبي الساج بالتوجه إلى الكوفة لكنه أبطأ في سيره حتى سبقه إليها أبو طاهر واستولى عليها وهرب نواب السلطان[٤]. وسرعان ما وقعت الحرب بين القرامطة وابن أبي الساج وانتهت بهزيمة هذا الأخير ووقوعه أسيراً في يد أبي طاهر[٥]. ولما وصل نبأ الهزيمة إلى بغداد امتلأت المدينة هلعاً ورعباً وعزم السكان على الهرب الى حلوان، فيما تابع القرمطي تقدمه يريد بغداد، وعبر جسر الأنبار فأعلنت حالة « الإستنفار العام »، وخرج كافة قادة الخليفة وعلى رأسهم مؤنس القائد ونصر الحاجب وهارون بن غريب وأبو الهيجاء الحمداني على رأس جيش يزيد على اربعين ألف مقاتل سوى الغلمان[٦] لمواجهة القرمطي، والتقت جموع جيوش الخليفة على بعد فرسخين فقط من بغداد وأصر أبو الهيجاء الحمداني على قطع قنطرة النهر المعروف بزبارا للحيلولة دون تقدم أبي طاهر. وبالفعل ما إن وصل القرمطي حتى اضطر إلى التراجع بعدما رأى القنطرة مقطوعة. ويقول مسكويه انه لو لم تكن القنطرة مقطوعة لعبر أصحاب القرمطي عليها وما

---

(١) مسكويه، جـ ١ ص ١٧٩. ابن الجوزي، جـ ٦ ص ٢٢٤ و٢٢٥.
(٢) مسكويه، جـ ١ص ١٤٧، ١٥٣. عريب، ص ٦٦، ٦٧. ابن الأثير، جـ ٦ ص ١٨٣، ١٨٤.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٥٣.
(٤) المصدر نفسه، ص ١٧٣. ابن الأثير، جـ ٦ ص ١٨٦.
(٥) مسكويه، جـ ١ ص ١٧٤ - ١٧٥. ابن الأثير، جـ ٦ ص ١٨٧. عريب ص ٦٨.
(٦) المصدر نفسه، ص ١٧٥ - ١٧٦. المصدر نفسه، الأصفهاني، ص ٢٠٥.

هالهم وفود عسكر السلطان ولا انهزم اصحاب السلطان وملك القرمطي بغداد [١]. خاصة وإن اصحاب السلطان هربوا إلى بغداد منهزمين لما بلغهم وصول أبي طاهر إلى النهر من دون أن يروهم لعظم ما تداخل القلوب من الرعب، أما أهل بغداد فقد اشتروا سفناً واستعدوا للهرب إلى واسط وحلوان ليسيروا إلى خراسان [٢].

انسحب أبو طاهر إلى ما وراء الفرات من دون أن يواجهه أحد، وتابع غزواته على ضفاف النهر خلال تلك السنة والتي تلتها ٣١٦ / ٩٢٨، ينهب أو يفرض الفدية على بعض المدن أو الجزية على القبائل العربية القاطنة في بلاد ما بين النهرين علامة على طاعتها له [٣]. وبعد محاولة فاشلة لاحتلال الرقة وخشية أن تفاجئه قوات الخليفة فضّل الإنكفاء إلى البحرين بما غنم من الغنائم.

ورغم أن كل الاحتمالات باتت متوقعة مما قد يقوم به القرمطي، إلا أن احداً لم يكن ليتصور أن يفعل ما فعله عام ٣١٧ / ٩٢٩. ففي هذه السنة هاجم أبو طاهر مكة في موسم الحج وقتل الحجاج بالمسجد الحرام وهم متعلقون بأستار الكعبة واقتلع أبواب الكعبة وجردها من كسوتها وأخذ جميع ما كان فيها من آثار الخلفاء، وأخذ أموال الناس وطرح القتلى في بئر زمزم، واقتلع الحجر الأسود وأخذه معه إلى هجر. وكان قد خرج إليه امير مكة في جماعة من الأشراف فقتل معظمهم [٤].

كانت فاجعة حقيقية بالنسبة للمسلمين، «فتدنيس» الكعبة وسرقة الحجر الأسود وقتل الألوف من الناس والحجاج، كل ذلك كان من المفترض أن يحرك الخلافة، لكن شيئاً من هذا القبيل لم يحدث فالكل مشغول بصراعاته الداخلية، والتنافس على الأمرة والإثراء. ولم يكن أمام أبي طاهر بعد تلك الإنتصارات والغنائم الضخمة التي كان يغنمها سوى أن يتابع حملاته.

ففي العام التالي ٣١٨ / ٩٣٠ فتح عُمان وفر واليها لاجئاً إلى فارس، وفي سنة ٣١٩ / ٩٣١ استولى القرمطي على الكوفة فمكث فيها ٢٥ يوماً ثم عاد إلى بلده [٥]. وبإخضاعه عمان اضحى أبو طاهر سيد الجزيرة العربية غير منازع وصار بإمكانه أن يفكر في السيطرة على بغداد، ويرجح دي غويه أن أبا طاهر كان يعتبر عام ٣٢٠ / ٩٣٢ وقتاً مؤاتياً لضرب خلافة بغداد ضربة قاضية، لكن ظهور المهدي الدجال [٦] سنة ٣١٩ حال دون ذلك. ففي ذاك العام وبعد غزوة الكوفة ظهر

---

(١) نفس المصدر، ص ١٧٧. نفس المصدر. الأصفهاني، ص ٢٠٥.

(٢) مسكويه، جـ ١ ص ١٧٧. ابن الأثير، جـ ٦ ص ١٨٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٨٢ - ١٨٣. المصدر نفسه، ص ١٩١ - ١٩٢. عريب، ص ٦٩.

(٤) مسكويه، جـ ١ ص ٢٠١. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٠٣ - ٢٠٤. عريب، ص ٧١. الأصفهاني، ص ٢١٢، ٢١٤.

(٥) عريب، ص ٨٤. الأصفهاني، ص ٢١٢ - ٢١٤.

(٦) عريب، ص ٨٤. الهمذاني، ص ١٣٩. مسكويه، جـ ٢ ص ٥٥. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٦٨. De Coeje, p.113, 129, 136.

بين القرامطة دجال زعم أنه صاحب العلامة ونجح في أن يحوز على طاعة الجميع فسلمه ابو طاهر مقاليد الأمور، وقد استخدم هذا الرجل نفوذه ليقضي على عدد من القرامطة البارزين إلا أن تصرفاته وأعماله جعلت أبا طاهر يرتاب في أمره فكشف كذبه وقتله. ويظهر أن أعمال هذا الدجال وقتله للكثيرين من الرجال النافذين بين القرامطة سببت عداوات داخلية. كما أن اعتقاد قادة الحركة في ما ادعاه الدجال باديء الأمر، ومن ثم كشفه وقتله قد أثار تململ قاعدة الحركة. ولا عجب أن يعتبر عريب وابن الأثير هذه الحادثة سبباً لانحطاط القرامطة وفنائهم [١]. ولا شك ان هذه الأحداث كانت ستعيق أي مشروع لأبي طاهر لغزو بغداد.

بيد أن القرامطة وإن عادوا الى نشاطهم، لكن وبالتأكيد أقل تشدداً في مواقفهم تجاه الأطراف الأخرى، واضعف عسكرياً، ففي سنة ٣٢٢ / ٩٣٣ ساروا إلى توج وسينيز في فارس لكنهم هزموا على يد امير البلد واسر منهم ثمانون قرمطياً وارسلوا إلى بغداد [٢]. وفي هذه السنة بدأ محمد بن ياقوت حاجب الخليفة الراضي المفاوضات مع ابي طاهر، وقد طلب مبعوث الخليفة من القرمطي ان يدين بالولاء للخليفة وأن لا يتعرض للحجاج وأن يرد الحجر الأسود مقابل اعتراف الخليفة به اميراً على البلاد التي يحكمها ويقلده بعد ذلك ما شاء من البلدان [٣]. وجاءت إجابة أبي طاهر على هذا العرض لطيفة « ومهادنة ». فلم يعترض للحجاج في هذا العام، لكنه في العام التالي ٣٢٣ / ٩٣٤ اعترض قافلة الحجاج وأجبرها على العودة ثم سار إلى الكوفة وأقام فيها عدة أيام ثم رحل عنها [٤]. وفي عام ٣٢٥ / ٩٣٦ احتل أبو طاهر الكوفة ثانية، فتوجه ابن رائق امير الأمراء بجيشه للقائه وبادر إلى التفاوض معه فطالب أبو طاهر بجزية تبلغ ١٢٠ ألف دينار مالاً وطعاماً. ويبدو أن المفاوضات لم تنتهِ إلى شيء وعاد كل طرف من حيث أتى [٥]. وظل الحج مقطوعاً إلى عام ٣٢٦ / ٩٣٧ حيث نجح أبو علي عمر بن يحيي العلوي أحد علويي الكوفة وأمير الحج من عقد اتفاقية عام ٣٢٧ / ٩٣٨ مع ابي طاهر بحكم صداقتها الشخصية يسمح بموجبها أبو طاهر لقافلة الحج بالمرور لقاء فدية سنوية، ورسماً فردياً يدفعه كل حاج [٦].

توفي أبو طاهر عام ٣٣٢ / ٩٤٣ بمرض الجدري [٧] وبموته خسارة لا تعوض للقرامطة، إذ بعد ذلك دب الصراع حول خلافته وكان موقف [illegible] من ذلك أحد الأسباب التي ستؤدي

---

(١) عريب، ص ٨٤. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٦٨.
(٢) مسكويه، جـ ١ ص ٢٨٤.
(٣) ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٤٢.
(٤) مسكويه، جـ ١ ص ٣٣٠. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٤٩.
(٥) المصدر نفسه، ص ٢٦٧. المصدر نفسه، ص ٢٥٩.
(٦) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٦ ص ٢٩٦. عجائب و٣٤.
(٧) مسكويه، جـ ٢ ص ٥٥. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٩٩.

لاحقاً إلى صراع دموي بين حلفاء الأمس. وسيكون من شأن ذلك أن يسبب انحطاط سلطانهم (وسنعود إلى ذلك عند دراسة علاقتهم بالبويهيين).

لم يبدأ عجز الخلافة عن التصدي للقرامطة بشكل فعلي إلا منذ عهد المقتدر. قبل ذلك، رأينا كيف نجح المعتضد والمكتفي رغم الإنتصارات الباهرة والضخمة التي حققها قرامطة الشام في بداية الأمر، من انزال هزائم قوية بهم حتى انتهت بنهاية هذه الفرقة من القرامطة (انظر سابقاً). لكن منذ عام ٣١١ / ٩٢٣ أخذ قرامطة البحرين بتوجيه ضربات قوية ومتتالية للخليفة وهزموا كل الحملات التي نظمت للتصدي لهم وهددوا بغداد بالذات. والملفت للنظر أن قوات القرمطي في تلك الحروب كانت قليلة جداً بالنسبة لقوات الخليفة، ففي سنة ٣١٥ / ٩٢٧ عندما هزم أبو طاهر ابن أبي الساج وشتت قواته التي بلغت ٣٠ ألـفاً ومن ثم لجأ جيش الخليفة، الذي جمع حوالي ٤٠ ألفاً للوقوف بوجه تقدم أبي طاهر إلى قطع قنطرة ليمنع أبا طاهر من العبور، لم يكن مع أبي طاهر من القوات سوى الف وخمسمائة جندي [1] (٧٠٠ فارس، ٨٠٠ راجل). ولا يمكن ارجاع هذه الانتصارات بهذه الأعداد بسبب تخاذل قوات الخليفة، خاصة أن هذه القوات كانت تضم في تلك المراحل قادة لا يشك أحد بشجاعتهم وعزمهم كمؤنس القائد؛ بل ان هذه الإنتصارات تحققت بفضل تماسك وانضباط القرامطة مقابل تفكك قوات الخليفة، وشعور القرامطة بأنهم يدافعون عن قضية، فيما كان جيش الخلافة موزع الولاءات غارقاً في الصراعات الداخلية. كذلك نجح القرامطة في التسرب الى داخل الدولة العباسية. فالأهم من شبكة العملاء التي كان القرامطة يملكونها داخل بغداد ذاتها والتي كانت تمدهم بانتظام وبسرعة بكل المعلومات عن الأوضاع الداخلية [2]، كان هناك احتمال بوجود علاقة ما، ما بين بعض قادة الخليفة كابن ابي الساج وابن حمدان مع القرامطة [3].

منذ ظهور «الدجال» بين القرامطة سنة ٣١٩ / ٩٣١ وما سببه ذلك على القرامطة انفسهم (انظر سابقاً) بدأ موقف أبي طاهر يخفف من تشدده، وبدا أكثر استعداداً للتفاوض مع حكومة بغداد (انظر سابقاً)، وربما اقتنع بضرورة الدخول كطرف في الصراعات الداخلية التي كانت تعصف بالخلافة بأمل تفتيت قوى الخلافة، واستمالة بعضَ القوى اليه. فرغم كل الضربات القوية التي وجهها للخلافة لم يؤدِّ ذلك إلى سقوطها واحتلاله بغداد، بل غالباً ما كانت تؤدي إلى توحيد القوى المتصارعة مؤقتاً للوقوف في وجهه. وهذا ما يفسر إلى حد ما وجود فرقة قرمطية [4] مع

---

(١) مسكويه، جـ ١ ص ١٧٩. ابن الأثير، جـ ٦ ص ١٨٨. الهمذاني، ص ٥٤.

(٢) مسكويه، جـ ١ ص ١٢٢، ١٢٦، ١٨١. ابن الأثير، جـ ٦ ص ١٨١. عريب، ص ٥٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٦٦، ١٦٧. ابن الأثير، ص ١٨٨.

(٤) ينقل عريب (ص ٨٧) أنه كان مع مؤنس سنة ٣٢٠ عند توجهه لقتال المقتدر ٧٠ قرمطيا. ويعتقد دي خويه أنهم ربما التحقوا بمؤنس خوفاً من الدجال. (De Coeje, p.141).

الخليفة الراضي سنة ٣٢٧ / ٩٣٨ إلتحقت من ثم بابن رائق[1]. ونجد أيضاً قوة قرمطية مع توزون [2] أحد قواد بجكم سنة ٣٢٩ / ٩٤٠. وعندما احتل البريدي بغداد سنة ٣٣٠ / ٩٤١ كان معه أيضاً مجموعة من القرامطة [3]. ولما اضطر البريدي للإلتجاء إلى هجر سنة ٣٣٢ / ٩٤٣ استقبل احسن استقبال وطلب معونتهم للرجوع إلى البصرة فسار معه اثنان من إخوة أبي طاهر في محاولة لاعادته إلى السلطة [4].

٨ ـ حركات التمرد و « الاستقلال » / الحروب الخارجية

الواقع ان الخلافة في هذه الفترة لم تشهد فقط صراعات داخلية بين « أجهزة الدولة » أو داخل الجيش، أو التصدي لحركات تريد الإطاحة بها كلياً كالقرامطة، بل في الوقت نفسه تزايدت حركات التمرد والاستقلال التي كان يقودها أمراء الجند في الولايات أو الأمراء المحليون، وكذلك عمليات الغزو الخارجية البيزنطية التي بدأت تستعيد حيويتها وقوتها.

قبل عهد المقتدر نجح الخلفاء رغم كل الصعوبات في القضاء على معظم حركات التمرد والاستقلال، كحركة بابك التي أخمدت سنة ٢٢٢ / ٨٣٦ وحركة الزنج التي انتهت بالإستيلاء على مدينتهم وقتل صاحب الزنج سنة٢٧٠ / ٨٨٣ [5]. واستولى المكتفي سنة ٢٩٢ / ٩٠٤ على الشام ومصر وانقرضت الدولة الطولونية [6]. كما نجح المقتدر نفسه في افشال محاولات الفاطميين للإستيلاء على مصر؛ ففي سنة ٣٠١ / ٩١٣ هزم مؤنس جيش المهدي واجلاهم عن مصر، وعادوا إلى المغرب. وتكرر الأمر سنة ٣٠٧ / ٩١٩ [7]. ولم ينجحوا في السيطرة على مصر إلا في سنة ٣٥٨ / ٩٦٨.

لكن حالة الانهاك التي أخذت تضرب الدولة العباسية، أتاحت لعدد من القوى المحلية في انشاء دويلاتها « المستقلة »، فأخذت المقاطعات تنتقل من يد أمير إلى آخر، أو من ظل سيطرة أسرة محلية إلى أخرى. فالدولة الطاهرية انتهت في خراسان سنة ٢٦١ / ٨٧٤ باستيلاء الصفاريين عليها. والدولة الصفارية انتهت في سجستان سنة ٢٩٠ / ٩٠٢ بإستيلاء السامانيين عليها، وان ظل ورثة الصفاريين يحاولون إعادة ملكهم وينتقلون من السيطرة على مقاطعة إلى أخرى فيما بعد.

---

(١) مسكويه، جـ ١ ص ٤٠٥. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٦٩.
(٢) المسعودي، مروج، جـ ٤ ص ٣٤٠.
(٣) مسكويه، جـ ٢ ص ٢٤. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٨٤.
(٤) المصدر نفسه، ص ٦٠. المصدر نفسه، ص ٢٩٦. الهمذاني، ص ١٤٠. الذهبي، دول، جـ ١ ص ١٥١.
(٥) الطبري، جـ ١١ ص ٣٢١. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٥١.
(٦) المصدر نفسه، ص ٣٩٢، ٣٩٣. المصدر نفسه، ص ١١٠.
(٧) المصدر نفسه، ص ٤٠٩. المصدر نفسه، ص ١٤٧، ١٦١. عريب، ص ٢٧، ٤١.

وبالاجمال شهدت كل مناطق الخلافة حالة من الاضطراب السياسي لا مثيل لها، ولم يكن للخلافة أمام عجزها عن التصدي لهذه الحركات سوى أن تقر أصحابها على ما بأيديهم.

استمرت غزوات المسلمين لأرض الروم بنجاح [1] حتى حوالي سنة ٣١٣ / ٩٢٥ يومها كتب ملك الروم إلى أهل الثغور يأمرهم بحمل مال اليه وإلا قصدهم وقال: «لقد صح عندي ضعف ولاتكم» [2]. وعندما امتنع الأهالي سار إليهم، ودخل الروم ملطية سنة ٣١٤ / ٩٢٦ فخرّبوها وسلبوا ونهبوا وأقاموا فيها ١٤ يوماً، ونزح أهلها إلى بغداد مستغيثين مما نزل بهم [3]. وفي العام التالي ٣١٥ / ٩٢٧ أغار الروم على ثغر شمشاط فذبحوا الناس وسبوا عامة أهلها [4]. وفي العام نفسه هزم الروم سرية للمسلمين ثم سار الدمستق في جيش كبير من الروم إلى مدينة دبيل ثم هزموا [5]. وفي العام التالي ٣١٦ / ٩٢٨ وصل الدمستق في جيش كبير إلى أرمينيا فحاصروا خلاط فصالحه أهلها ورحل عنهم وخافه أهل أرزن وغيرهم وهربوا إلى بغداد، فاستغاثوا بالخليفة فلم يغاثوا [6]. وفي سنة ٣٢٧ / ٩٢٩ ضعفت ثغور الجزيرة عن دفع الروم، فعزمت ملطية وميافارقين وأمد وأرزن وغيرها على طاعة ملك الروم والتسليم له لعجز المقتدر عن نصرهم وأرسلوا إلى بغداد يستغيثون لكن بدون فائدة [7].

لكن عام ٣١٩ / ٩٣١ شهد غزوات ناجحة للمسلمين، فقد غزا والي طرسوس بلاد الروم وحقق نصراً باهراً. ثم عاد مرة ثانية ودخل بلاد الروم وبلغ عمورية. وسارت عساكر الروم إلى سمسياط فحاصروها فهب سعيد بن حمدان والي الموصل وكان المقتدر قد اشترط عليه غزو الروم ولم يمكن الروم من دخول البلد [8]. وفي سنة ٣٢٢ / ٩٣٣ سار الدمستق قرقاش وحاصر ملطية وهلك أكثر أهلها جوعاً وفتحها ثم ملك سمسياط وكثر القتل والتخريب [9]. وفي سنة ٣٣٠ / ٩٤١ وصل الروم إلى قرب حلب ونهبوا وخربوا وسبوا، وفيها غزا المسلمون من ناحية طرسوس الى بلاد الروم وغنموا وأسروا عدداً من بطارقتهم المشهورين [10]، وفي سنة ٣٣٢ / ٩٤٣

---

(١) الطبري، جـ ١١ ص ٣٧٢، ٣٨٥، ٣٩١، ٣٩٩، ٤٠٢، ٤٠٦، ٤٠٨، ٤٠٩. عريب، ص ٥، ٨، ٩، ١٠، ١٧ - ٢٠. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٩٩، ١٠٩، ١١٧، ١٤٠، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٨، ١٦١، ١٧٢، ١٧٥.

(٢) مسكويه، جـ ١ ص ١٤٦. ابن الأثير، جـ ٦ ص ١٨٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٤٦، ١٤٧. المصدر نفسه، ص ١٨٢.

(٤) مسكويه، جـ ١ ص ١٥٩. ابن الأثير، جـ ٦ ص ١٨٦. الأصفهاني، ص ٣٠٥.

(٥) ابن الأثير، جـ ٦ ص ١٨٩.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٩٩.

(٧) ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٠٦.

(٨) المصدر نفسه، ص ٢١٦، ٢١٧.

(٩) المصدر نفسه، ص ٢٤٣.

(١٠) المصدر نفسه، ص ٢٨٨.

دخل الروم رأس عين إحدى مدن الجزيرة ونهبوها وسبوا من أهلها (١).

٩ ـ حركات البدو، عصابات المدن

انعكست مجمل هذه الأحداث التي عصفت بالخلافة من الداخل والخارج على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية. فأدى ضعف الدولة وتفكك الجيش وصراعاته، الى انتعاش عمليات البدو الذين أصلاً يعيشون حياة بداوة صعبة وشاقة وفقيرة. وجاءت الاضطرابات العاصفة داخل الخلافة لتزيد من فقرهم وسوء أحوالهم، فالتحق قسم منهم بأية حركة معارضة ومناهضة للسلطة المركزية، والقسم الآخر عاد إلى حياة الغزو والسلب.

في الحالة الأولى كانت حركة القرامطة في أحد وجوهها مثلاً رائعاً لذلك. قبلها كان إلى جانب ثورة الزنج قسم من الاعراب من بينهم قوم من بني تميم (٢). وبالإجمال فقد انضوى الإعراب تحت لواء أية حركة ولبوا نداء كل من شاء الخروج عن سلطة الخلافة (٣). وفي الحالة الثانية شكل بنو شيبان رمزاً لعمليات السلب والنهب والإغارة على السهول والمناطق الزراعية والأسواق التجارية التي قام فيها البدو واضطر المعتضد أكثر من مرة أن يخرج لقتالهم هو وولاته (٤). كذلك فعل الخلفاء الذين أتوا بعده، فخرج أحد قادة المقتدر سنة ٣٠٢ / ٩١٤ وأوقع ببني شيبان (٥) الذين لم تتوقف هجماتهم إلا حين حطم عضد الدولة (٦) سنة ٣٦٩ / ٩٧٩ قوتهم. وأيضاً ففي أيام المكتفي كانت عدة وقعات بين قادة المكتفي واعراب من بني كلب وطيء وأسد وغيرهم (٧). وسير المقتدر أكثر من مرة جيشاً لرد الإعراب (٨).

وشاركت بعض الجماعات الكردية البدو في عملياتهم (٩). وشملت هذه العمليات الهجوم على قوافل الحجاج ومهاجمة القوافل التجارية والمناطق الزراعية والمدن المتاخمة للصحراء وكانوا يستولون على كل ما يجدونه من نقود وبضائع ومواد غذائية ويدمرون كل ما يمرون به. ولا يبدو أن الدولة قد قامت بجهود فعلية سوى القمع عندما تكون قادرة على ذلك لوقف هذه العمليات. وكما أشرنا سابقاً فقد كانت عملية استبعاد العرب عن الجيش واستبدالهم بعناصر أخرى سبباً في

---

(١) ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٩٩.
(٢) المصدر نفسه، جـ ٦ ص ٣٧. الطبري، جـ ١١ ص ٢٩٠.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٨١.
(٤) الطبري، جـ ١١ ص ٣٤٢، ٣٦٦. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٧٢، ٧٦، ٧٧ ـ ٩٨.
(٥) المصدر نفسه، ص ٤٠٩. المصدر نفسه، ص ١٥٠.
(٦) مسكويه، جـ ٢ ص ٣٩٨ ـ ٣٩٩.
(٧) الطبري، جـ ١١ ص ٤٠٣. ابن الأثير، جـ ٦ ص ١١٧.
(٨) عريب، ص ٢٩. ابن الأثير، جـ ٦ ص ١٩٠ ـ ١٥٢.
(٩) ابن الأثير، جـ ٦ ص ٧٧ و ١١١.

عودة هؤلاء إلى البادية وبؤسها، وبالتالي فقد بات عليهم أن يؤمنوا حاجاتهم عن أي طريق، ولا يبدو اقتراح الوزير علي بن عيسى [1] سنة ٣١٥ / ٩٢٧ بتكليف بني شيبان وبني أسد في حماية قوافل الحج والتصدي للقرامطة بدلاً من استدعاء ابن أبي الساج، إلا تأكيداً على ذلك. فالوزير الكبير بات يدرك فعالية هؤلاء العسكرية خاصة في حرب الصحراء مع القرامطة وبأن في تجنيدهم إحدى الوسائل لوقف أعمالهم التخريبية.

أما في داخل المدن فقد ازدادت أعمال اللصوصية التي كانت تجد فرصتها دائماً في فترات الاضطرابات، ما بين مقتل الخليفة وتعيين آخر، وصراع المتصارعين على السلطة وأثناء تدهور الأوضاع الأمنية الداخلية واشتداد الأزمات الاقتصادية [2]. بل وقد تحول الأمر الى أن يشكل اللصوص مجموعات كبيرة ونافذة، لم تستطع الدولة أن تقضي عليها بسهولة، كما هي حال اللص الشهير المعروف بابن حمدي. وكان الفساد قد وصل داخل الدولة إلى منتهاه سنة ٣٣٢ / ٩٤٣ حتى أن ابن شيرزاد كاتب أمير الأمراء توزون والذي سيتولى بدوره منصب أمير الأمراء إثر وفاة توزون سنة ٣٣٤ / ٩٤٥، عقد اتفاقاً لم يسمع بمثله قط مع ذاك اللص، وبموجبه أمن له الحماية وخلع عليه وأثبته برسم الجند مقابل أن يدفع ابن حمدي في كل شهر لابن شيرزاد مما يسرقه ١٥ ألف دينار، وكان ابن شيرزاد يستوفي هذه المبالغ من ابن حمدي مقابل وصولات رسمية [3].

وينقل التنوخي قصة أحد التجار مع اللص ابن حمدي، فبعد أن يطلب التاجر من ابن حمدي أن يعيد له نصف تجارته التي سرقها يجيبه هذا الآخر: «يا هذا، الله بيننا وبين هذا السلطان الذي أحوجنا إلى هذا، فإنه قد أسقط أرزاقنا وأحوجنا إلى هذا الفعل، ولسنا فيما نفعله نرتكب أمراً أعظم مما يرتكبه السلطان. وأنت تعلم أن ابن شيرزاد ببغداد يصادر الناس ويفقرهم حتى أنه يأخذ الموسر المكثر فلا يخرج من حبسه إلا وهو لا يهتدي الى شيء غير الصدقة وكذلك يفعل البريدي بواسط والبصرة والديلم بالأهواز. وقد علمت أنهم يأخذون أصول الضياع والدور والعقار ويتجاوزون ذلك إلى الحرم والأولاد فاحسب اننا نحن مثل هؤلاء وان واحداً منهم صادرك» [4].

١٠ ـ الأزمات الاقتصادية

أدت بمجمل هذه الأوضاع الى عدم استقرار أحوال السكان، فغالباً وأمام أية اضطرابات داخلية أو خارجية كانت الفتنة تعم بغداد، خاصة وان الصراعات لم تكن صراعات مستورة بل كانت دائماً صراعات علنية ومباشرة تمس السكان بصورة مباشرة. فصراع الجند والقادة والحروب بينها

(١) عريب، ص ٦٧.
(٢) ابن الأثير، جـ ٦ ص ١٥٧، ٢٠١. مسكويه، جـ ١ ص ٣٩. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٦ ص ٣٣٥؛ عجائب و٣٦.
(٣) مسكويه، جـ ٢ ص ٥١. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٩٩.
(٤) التنوخي، الفرج، جـ ٤ ص ٢٣٨ ـ ٢٤٠.

كان ضحيتها الأولى السكان، كذلك عند الإطاحة بالخليفة أو الوزير أو عند الحروب مع القرامطة وغيرهم. فعندما قبض المقتدر على الوزير ابن الفرات ٢٩٩/ ٩١١ وهتك حرمه ونهب ماله ونهبت دور أصحابه ومن يتعلق به، افتتنت بغداد ولقي الناس شدة ثلاثة أيام [١]. وفي سنة ٣٠٦/ ٩١٨ عندما أجبر أصحاب الشرطة العمل بموجب فتاوى الفقهاء ضعفت هيبة السلطان وطمع اللصوص والعيارون وكثرت الفتن وكبست دور التجار وأخذت بنات الناس في الطريق المنقطعة وكثر المفسدون [٢].

وفي المرتين اللتين عزل فيهما المقتدر سنة ٢٩٦ و ٣١٧/ ٩٠٨ و ٩٢٩ وقعت فتنة وكثر النهب والقتل في بغداد ووقع قتال بين العامة والجند [٣]. وفي سنة ٣٢١/ ٩٣٣ قام كاتب ابن ياقوت، القراريطي، خلال صراع قادة المقتدر، الهاربين اثر مقتله، مع جند الخليفة الجديد، القاهر، فدخل قصبة الأهواز ونهب جنده أهلها وعمل بها ما لا يعمله الدمستق وفتح الدكاكين في الليل وبعث اليها البغال وحمل فيها أمتعة التجار وصادر الأسود والأبيض [٤]. ثم دخل رجال الخليفة إلى تستر وعسكر مكرم فعملوا بها [٥] أعظـم مما عمل القراريطي. وقد أخذ الأهالي في مقاومة الأمراء والعمال السيئي السيرة والذين كانوا يضطهدون الناس وينهبونهم، ففي سنة ٣٢٥/ ٩٣٦ وقف أهل البصرة الى جانب البريدي ضد ابن رائق وعامله بعد أن أساءوا معاملتهم آملين بالبريدي خيراً فشاركوا في القتال ضد ابن رائق [٦]، وكان لموقف أهالي البصرة ومعاداتهم لابن رائق أمر عظيم حتى قال بجكم لابن رائق: «ما الذي فعلته بهؤلاء القوم حتى أحوجتهم إلى ما خرجوا إليه» [٧]. لكن أهل البصرة سيكتشفون أن ابن رائق وعماله «ملائكة» أمام ظلم البريديين وتعديهم. حتى غدا البريديون مضرب مثل في الجور والاعتداءات وظلم الناس. وعندما وقع الخلاف بين البريديين مع الأتراك والديلم سنة ٣٢٩/ ٩٤٠ وقفت العامة ضد البريديين حتى أجبروهم على الهرب من بغداد [٨]. وفي نفس هذا العام، عندما تقلد كورتكين الديلمي أمرة الأمراء قام جنده الديلم بالتعدي على الناس، واجتمعت العامة في جامع دار السلطان وتظلمت من الديلم ونزولهم في دورهم بغير أجرة وتعديهم عليهم في معاملاتهم ومنعت العامة الإمام من الصلاة وكسرت المنبر ووقع قتال

(١) ابن الأثير، جـ ٦ ص ١٣٩.
(٢) مسكويه، جـ ١ ص ٦٩. ابن الأثير، جـ ٦ ص ١٦١.
(٣) المصدر نفسه، ص ٧ و١٩٤. المصدر نفسه، ص ١٢٢ و ٢٠١.
(٤) المصدر نفسه، ص ٢٥٥. المصدر نفسه، ص ٢٢٤.
(٥) المصدر نفسه، ص ٢٥٧. المصدر نفسه، ص ٢٢٤.
(٦) مسكويه، جـ ١ ص ٣٧٠. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٦٠.
(٧) المصدر نفسه، ص ٣٧٣.
(٨) المصدر نفسه، جـ ٢ ص ١٧. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٨٠.

بين الجند [1] وفي سنة ٣٣٠هـ/ ٩٤١ وقفت العامة إلى جانب ابن رائق لمنع البريدي من الإستيلاء على بغداد وعمت الفتنة وكثر القتل والنهب ووقفت العامة على جانبي النهر يقاتلون جند البريدي، لكن أهل بغداد سرعان ما هزموا، وفر ابن رائق والمتقي، واستولى البريدي على بغداد، وأخذ جنده من الديلم في النهب والسلب ودخلوا البيوت وأخرجوا أهلها، وظلم البريدي ظلمه المعروف. وافتتح الخراج قبل وقته فلحق بالفلاحين ضرراً كبيراً وأساء إلى أهل الذمة، وأخذ الأقوياء بالضعفاء وصادر بضائع التجار ووقعت معركة بين جند الديلم والعامة وفعل بالعراق وسكانه ما لم يسمع بمثله قط [2]. وبعدما عاد المتقي مع ابن حمدان في نفس العام ٣٣٠ إلى بغداد وهرب البريدي منها، اضطربت العامة ونهب الناس بعضهم بعضاً [3]. وفي سنة ٣٣٢/ ٩٤٣ قام ابن شيرزاد كاتب الأمير توزون اثر دخوله إلى بغداد ولجوء المتقي إلى الحمدانيين بظلم الناس وعسفهم وصادرهم [4]. وعندما تولى ابن شيرزاد امرة الأمراء سنة ٣٣٤/ ٩٤٥ وزاد في أرزاق الجند لكسبهم إلى جانبه لجأ إلى المصادرات فقسط على الكتاب والعمال والتجار وسائر طبقات الناس ببغداد مالاً لأرزاق الجند. وصادر حاجات الناس ومؤنهم وأكثر من الضرائب حتى هرب التجار من بغداد [5].

كذلك تسبب التأزم الاقتصادي، ودورات الغلاء التي عانت منها البلاد في تلك الفترة، في حدوث حالة تذمر وانتفاضات وفتن داخلية. ففي هذه المرحلة وحتى الدخول البويهي وقعت أربع موجات غلاء: سنة ٣٠٧/ ٩١٩ و ٣٢٣/ ٩٣٤ و ٣٢٩ ـ ٣٣٠/ ٩٤٠ ـ ٩٤١ وسنة ٣٣٢/ ٩٤٣.

ففي سنة ٣٠٧/ ٩١٩ ارتفعت الأسعار [6] فتحركت العامة والخاصة وشغبوا شغباً عظيماً متصلاً أشفى به الملك على الزوال وبغداد على الخراب، وكان أحد أسباب هذا الغلاء احتكار الوزير حامد بن العباس وغيره من القواد والحاشية للغلال، وتخزينها ومنع بيعها في البيادر، فتجمع الناس ونهبوا دكاكين الدقاقين وتم استدعاء حامد من الأهواز لينظر في الأمر ويبيع الغلات لتنخفض الأسعار، وفي اليوم التالي تحرك الجند أيضاً لارتفاع الأسعار، وتحركت العامة في المساجد الجامعة ببغداد وكسروا المنابر، وفي المسجد الجامع في دار الخليفة هاجم العامة أحد قواد الخليفة ورجموه. كما وقع قتال بين العامة وغلمان الوزير عند مهاجمة دار الوزير، ولم يستطع صاحب

---

(١) مسكويه، جـ ٢ ص ١٨. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٨٠. الهمذاني، ص ١٢٤. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٦ ص ٣١٨.
(٢) مسكويه، جـ ٢ ص ٢٤ ـ ٢٧. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤.
(٣) مسكويه، جـ ٢ ص ٢٩. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٨٥.
(٤) المصدر نفسه، ص ٤٨. المصدر نفسه، ص ٢٩٥.
(٥) نفس المصدر، ص ٨٣ ـ ٨٤. نفس المصدر، ص ٣١٤. الهمذاني، ص ١٢٧.
(٦) مسكويه، جـ ١ ص ٧٣ ـ ٧٥. ابن الأثير، جـ ٦ ص ١٦٣.

الشرطة مقاومة العامة لكثرتهم. ثم توجه العامة في اليوم التالي إلى الجسور فأحرقوها وفتحوا السجون ونهبوا دار صاحب الشرطة ودار غيره من القواد. ثم وجه الخليفة بجيش عظيم لقمع الفتنة وقتل عدداً كبيراً من العامة؛ ورغم ذلك استمرت الفتنة والمناوشات بين العامة والجند حتى أمر المقتدر بفتح الدكاكين والبيوت التي للوزير وللسيدة أمه والأمراء أولاده والوجوه من أهل الدولة وبيع الحنطة بنقصان خمسة دنانير في الكر الشعير بحسب ذلك ومطالبة التجار والباعة أن يبيعوا بمثل هذا، فرضيت العامة وسكتوا وانحل السعر [1]. وفي هذه السنة وقعت فتنة في الموصل بين أصحاب الطعام وبين الاساكفة واحترق سوق الأساكفة وما فيه [2]. وربما كان سبب هذه الفتنة غلاء الأسعار وتجددت هذه الفتنة سنة ٣١٧ / ٩٢٩.

أما سنة ٣٢٣ / ٩٣٤ وأول ٣٢٤ / ٩٣٥ فقد أدى الغلاء إلى حصول المجاعة. وينقل الاصفهاني وابن الجوزي أنه توفي بسبب تلك المجاعة ٢٠٠ ألف انسان باصبهان [3]، ويذكر ابن الأثير انه بسبب الغلاء مات من أهل خراسان خلق كثير من الجوع [4]. وتكرر الأمر خلال أزمة ٣٢٩ - ٣٣٠ / ٩٤٠ - ٩٤١ فاشتد الغلاء وعمت المجاعة حتى أكل الناس النخالة والحشيش وكثر الموت ورخصت العقارات والأثاث والقماش حتى بيع ما ثمنه دنانير بدراهم [5]. ففي سنة ٣٣٠ / ٩٤١ عاد الغلاء وبلغ كر الحنطة ٢١٠ دنانير ثم ارتفع إلى ٣١٦ ديناراً، وأكل الضعفاء الميتة ودام الغلاء وكثر الموت [6]. ويشير الهمذاني وابن الجوزي إلى موجة غلاء جديدة في سنة ٣٣١ / ٩٤٢ [7]. أما في سنة ٣٣٢ / ٩٤٣ فقد أدت موجة الغلاء إلى تعطل الحياة العامة لقلة الناس [8].

عشية السيطرة البويهية، كانت أحوال الخلافة العباسية قد وصلت إلى درجة كبيرة من التدهور والانحطاط: فسلطة الخليفة لم تتوقف عن التقلص التدريجي. والفوضى الداخلية تعم وحركات التمرد و «الاستقلال» تنتشر في مقاطعات الدولة، وأطماع البيزنطيين لا تجد من يقف بوجهها. ويرافق كل ذلك موجات من الغلاء وتدهور للأوضاع الاقتصادية لا يوازيها سوى سوء أحوال السكان

---

(١) مسكويه، جـ ١ ص ٧٣ - ٧٥. ابن الأثير، جـ ٦ ص ١٦٣.
(٢) ابن الأثير، جـ ٦ ص ١٦٥.
(٣) الأصفهاني، ص ١٩٣. ابن الجوزي، عجائب و٣٣.
(٤) ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٤٩.
(٥) مسكويه، جـ ٢ ص ٨. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٦ ص ٣١٨. عجائب و٣٥. الهمذاني، ص ١٢٠. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٨١.
(٦) مسكويه، جـ ٢ ص ٢٥. ابن الجوزي، منتظم، جـ ٦ ص ٣٣٠. عجائب و٣٦. الهمذاني، ص ١٢٧. الذهبي، دول، جـ ١ ص ١٤٨.
(٧) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٦ ص ٣٣١. عجائب و٣٦. الهمذاني، ص ١٣٤.
(٨) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٦ ص ٣٣٥. الأصفهاني، ص ١٩٣. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٩٩.

الذي كانوا يعانون من نتائج هذه الأحوال.

لقد كان الجميع، خليفة وسكاناً بانتظار من ينقذهم من هذه الأوضاع. وعندما دخل أحمد البويهي بغداد، دون أية مقاومة تذكر، ظنه الجميع أنه «المنقذ» المنتظر، لكن ظنهم لم يكن في محله أبداً.

الفصل الثالث:

الديلم، الزيدية، بنو بويه

الديلم، الزيدية، بنو بويه

إلى الجنوب من بحر الخزر، تقع أربع مقاطعات تبدأ شرقاً بجرجان حتى جيلان والران غرباً، مروراً بمقاطعة طبرستان. ويحيط بهذه المقاطعات جنوباً مقاطعات خراسان، وقومس، والجبال وأذربيجان.

وتأخذ مقاطعة جيلان شكل هلال على الطرف الجنوبي الغربي لبحر الخزر الذي يحدّها من الشرق، ومن الشمال الغربي أذربيجان ومن الجنوب اقليم الجبال ومن الجنوب الشرقي طبرستان ومن الشمال ارآن.

ويمكننا تقسيم هذه المقاطعة «جيلان» إلى قسمين: السهل الساحلي (المناطق المنخفضة) وتسكنه قبائل الجيل الذين أعطوا اسمهم للإقليم، والمناطق الجبلية التي سكنها الديلم وعرفت منطقتهم هذه باسم ديلمان [1].

إذن، في البدء لم تكن منطقة الديلم التي سمّيت بالديلمان سوى منطقة صغيرة تقع داخل جيلان إلى الجنوب من مدينة «لاهيجان».

لكن في القرن ٤ / ١٠، وبعد قيام الدويلات الديلمية، وخاصة قيام الدولة البويهية، أخذت كلمة ديلم تحديداً جغرافياً جديداً، وباتت تشير تقريباً إلى كل المقاطعات الواقعة إلى الجنوب من بحر الخزر [2]. وهذا ما نجده عند الجغرافيين العرب. فعند ابن حوقل، فإن بلاد الديلم تعني مقاطعات جيلان، وطبرستان وقومس، وجرجان وجزءاً من إقليم الجبال (الري وقزوين) وأجزاءً من أذربيجان وارآن [3]. أما المقدسي، فيجعل اقليم الديلم يشتمل على قومس وجرجان ثم طبرستان والديلمان [4] ثم الخزر [5]. ولا يدخل فيه كما فعل سابقوه الري وقزوين.

(١) Minorsky, domination, p.1. El², art daylam t. II, p.190.

(٢) Minorsky, domination p.2. El², art daylam t. II, p.199.

(٣) ابن حوقل، ص ٣١٨ - ٣٢٦.

(٤) يستبدل المقدسي اسم مقاطعة جيلان بديلمان، ص ٣٥٥. (٥) المقدسي، ص ٣٥٣.

عاش الديلم، أساساً في تلك المنطقة الجبلية في مقاطعة جيلان، ويبدو أنهم انتشروا تدريجياً فيما بعد في المقاطعات المجاورة، ولا نملك الكثير من المعلومات عن أصولهم البعيدة، ولكننا نعلم أنه في عصور ما قبل التاريخ كانت تعيش في منطقة بحر الخزر شعوب غير ايرانية على الأرجح، ولكنها قريبة من الايرانيين (١). ولربما جاء الديلم من تلك هذه الشعوب.

فأول ذكر أو إشارة للديلم وردت عند المؤرخ اليوناني polybe (يوليبيوس حوالي القرن الثاني قبل المسيح). حيث أشار إلى شعب يسمى Delymaioi . كذلك عند الجغرافي ptolémée (حوالي القرن الثاني الميلادي) الذي يشير إلى بلاد تدعى Delymais (٢).

أما في المصادر الايرانية، فلا تبدأ المعلومات عن الديلم بالذكر إلا مع العصر الساساني. وينقل مينورسكي في مقالته عن الديلم عدداً من الشواهد، التي تأتي على ذكر الديلم ومشاركتهم كمرتزقة جبليين في حروب الدولة الساسانية وأحياناً إلى جانب البيزنطيين وذلك طوال القرن السادس الميلادي (٣). وتشير تلك المصادر إلى طبيعتهم الحربية، وبأنهم مقاتلة جبلية مشاة ذات بأس شديد لكنهم لا يحسنون استعمال الخيل (٤).

وقد اختلف المؤرخون والجغرافيون العرب حول أصل الديلم، فقد حاول بعضهم أن يجد لهم نسباً عربياً، فذكروا أنهم من بني ضبة وانهم هاجروا في البدء إلى أذربيجان ثم تفرقوا في البلاد التي هي موطنهم الآن، وكانت هجرتهم بسبب نزاع بينهم وبين جيرانهم من القبائل الأخرى، وعند هجرتهم افترقوا فرقتين لأنهم كانوا ينسبون إلى أخوين «ديلم و» جيل» فبقيت ذرية كل واحد من الأخوين منسوبة إليه (٥). وعلى هذا الأساس يرجعون إلى أصل عربي. لكن معظم المؤرخين لم ياخذوا بهذا الرأي ووقفوا منه موقفاً متحفظاً. وعلى الأرجح فإن الدوافع التي دفعت أصحاب هذا الرأي بإدعاء نُسب عربي للديلم هي نفس الدوافع التي ستدفع أيضاً بإدعاء نسب عربي للبويهيين (كما سنرى لاحقاً).

أما أصحاب الرأي الآخر من المؤرخين والجغرافيين العرب، فقالوا إن الديلم جنس متميز عن غيره من الأجناس كذلك الجيل، وان مناطقهم التي سكنوها في الجنوب الغربي من بحر قزوين هم موطنهم الأصلي وقد تميزوا عن غيرهم بصفات وعادات وأخلاق خاصة، مما أعطاهم شخصية مستقلة، ومن هذه الصفات الخشونة والجلد والعجلة وقلة المبالاة (٦). ومما يؤكد على هذه الشخصية

(١) Minorsky, domination p.3. EI^2, art daylam, t. II, p.196.

(٢) Ibid. Ibid.

(٣) EI^2, art daylam t. II, p.196.

(٤) EI^2, art daylam t. II, p.196.

(٥) المنتزع، ص ٢٩ - ٣٢. المسعودي، مروج، جـ ٤ ص ٣٠٨.

(٦) الاصطخري، ص ١٢٠. المسعودي، مروج، جـ ١ ص ١٣١.

المستقلة، اللغة. فمعظم الجغرافيين العرب يقرون بأن لغة الديلم تختلف عن غيرها من عربية، وفارسية وأرمنية. بل أنه في منطقة الديلم نفسها، هناك قبيلة تتكلم لغة تختلف عن لغة الديلم والجيل [1].

ويقول ابن حوقل « ولسانهم منفرد عن الفارسية والرانية والأرمنية وفي بعض الجيل فئة وطائفة تخالف لسان الجيل والديلم » [2]، وهذا ما يؤكده أيضاً المقدسي [3].

ولكن إلى أي مدى تختلف هذه اللغة عن اللغات الأخرى الموجودة في تلك المنطقة، هل الاختلاف لدرجة أنها تشكل لغة قائمة بذاتها أما أنها مجرد لهجة محلية؟

الواقع أن هؤلاء الجغرافيين الذين كتبوا في القرن العاشر لا يخبروننا تماماً عن مدى هذا الاختلاف، على أننا نعرف ان البويهيين ذوي الأصل الديلمي كانوا يتكلمون الفارسية، ويقول مينورسكي في هذا الصدد: إن البقاء المشتت للغات القديمة أمر ممكن، ولكن من المؤكد أنه في العصر الإسلامي كان معظم الديلم قد باتوا « إيرانيين ». ولغة الديلم كانت لهجة من شمال ايران، تختلف عن الفارسية التي كانت لهجة الجنوب، وبالأخص لهجة مقاطعة فارس [4].

كذلك، يكتنف الغموض ديانة الديلم القديمة. والأرجح انها ديانة غير محددة. وقد دخلت اليهم الزرادشتية وربما أيضاً المسيحية [5]. لكن المسعودي يؤكد بأن « الديلم والجيل - مذ كانوا - لم ينقادوا إلى ملة ولا استحبوا شرعاً » [6]. وانهم إلى أن دخلوا في الاسلام على يد الأطروش الزيدي في بداية القرن الرابع الهجري، كانوا ما زالوا « كفاراً على دين المجوسية، ومنهم جاهلية، وكذلك الجيل » [7]. لكننا نجهل تماماً، طبيعة الديانة الوثنية التي اتبعها الديلم. غير أن البيروني يخبرنا بأنهم كانوا يتبعون تعاليم افريدون الأسطورية، التي تأمر الرجال بأن يكونوا رؤساء في عائلاتهم، وتسمى « خذخدا » [8].

المنطقة الجبلية التي عاش فيها الديلم طبعتهم بطابعها، ويصفهم المقدسي قائلاً: « بأن ليس لهم لباقة ولا علم ولا ديانة ولهم هيبة ورسوم عجيبة » [9]. ويضيف ابن حوقل قائلاً: « بأن ليس عندهم

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) ابن حوقل، ص ٣٢٠.

(٣) المقدسي، ص ٣٦٨.

(٤) Minorsky, domination, p.3.

(٥) Minorsky, domination, p.4. EI², art daylam, t. II, p.196. Azizi, domination, p.259.

(٦) المسعودي، مروج، جـ ٤ ص ٣٧٥.

(٧) المسعودي، مروج، جـ ٤ ص ٣٠٨.

(٨) EI², art daylam, t. II p.196-197.

(٩) المقدسي، ص ٣٥٥.

من الدواب ما يستقلون بها. والغالب على خلقهم النحافة وخفة الشعر والعجلة والطيش وقلة المبالاة»

ومن عاداتهم التي فاجأت المقدسي، انهم كانوا «لا يزوجون إلى غيرهم» (٢). ويقول أنه شاهد «صبية تعدو ورجلاً شاهراً سيفه يعدو خلفها يروم قتلها، فقلت ما فعلت حتى استوجبت القتل، قال إنها زوجت من غيرنا وقتل من فعل ذلك واجب عندنا» (٣).

وكان من عاداتهم أن يلهو الرجال والنساء سوية بعد العمل. وإذا ما أحب رجل امرأة فالزواج بينهما يتم بالإتفاق المباشر بينهما ومن ثم يبارك أهاليهما هذا الزواج (٤). وكانت المرأة تعمل في الزراعة مثل الرجال. ويؤكد الروذراوري بأن نساء أكابر الديلم «كن يجرين مجرى الرجال في قوة الحزم واصالة الرأي والمشاركة في التدبير» (٥). ومن أغرب عادات الديلم، النواح والندب واللطم الشديد على أمواتهم، بل أيضاً على أقربائهم المرضى (٦). وهذه العادة من أبرز العادات التي مارسها البويهيون والتي ستكون أساس فكرة التعزية عند الشيعة فيما بعد (٧).

لكن الصفة الأساسية التي اتصف بها الديلم وعرفوا بها، كانت الصلابة، والقدرة على التحمل. وصبرهم على المجاعة والشدة في الحرب (٨). وهاتان الصفتان أعطتهما شهرة عسكرية كقوات مشاة، لكنهم كانوا دائماً نموذجاً للقوات المرتزقة التي تنتقل من طاعة أمير أو دولة إلى طاعة خصومهما فقط وراء الكسب المادي والمنفعة المباشرة ولم يجدوا إطلاقاً حرجاً بذلك. وقد أشرنا سابقاً، كيف كان الديلم ينتقلون من خدمة الساسانيين إلى خدمة أعدائهم البيزنطيين وسنرى نفس الشيء يتكرر خلال الدولة البويهية.

لقد جعلت منهم كل الصفات التي أشرنا إليها شعباً مقاتلاً فقط، مرتزقة برابرة، لا أثر لأي حضارة فيهم، حتى عندما دخلوا في الإسلام، وأقاموا دولتهم على أرض الخلافة، فقد حافظوا كشعب على تلك الصفات، وكثيراً ما عانت بغداد من بربريتهم هذه. والتنوخي بعد أن يضيف إلى صفاتهم صفة الوساخة (٩)، ينقل قول المعتضد بـ «إن الديلم شر أمة في الدنيا واتمهم مكراً وأشدهم بأساً وأقواهم قلوباً، والله لقد طار عقلي فزعاً على الدولة من أن يتطرق اليهم دخول

---

(١) ابن حوقل، ص ٣٢٠.
(٢) المقدسي، ص ٣٦٨.
(٣) المقدسي، ص ٣٦٨ - ٣٦٩.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) ذيل، ص ٣١٣.
(٦) المقدسي، ص ٣٦٩. مسكويه، جـ ٢ ص ١٨٢.
(٧) EI², art daylam, t. II, p.199-200.
(٨) مسكويه، جـ ٢ ص ١٤٠ - ١٤١.
(٩) التنوخي، نشوار، جـ ١ ص ٨٨ - ٨٩.

قزوين سراً ويملكونها ويلحق بالملك من الضعف والوهن بذلك أمر عظيم يكون سبباً لبطلان الدولة »[1]. وهذا ما كان.

توزع الديلم على مجموعة قبائل وأسر[2]. وكان لهم أمراء يترأسونهم. فعند الفتح العربي، قاد أميرهم « مؤتا » قوات ديلمية لمقاتلة العرب. كما عرف الديلم التنظيم العشائري الذي يقوم على سلطة رؤساء الأسر[3].

ساعدت طبيعة البلاد الجبلية الديلم على الوقوف بوجه كل الغزوات الخارجية. لذلك لم يستكن الديلم للفتح العربي بسهولة، بل شكلوا حتى القرن الثالث الهجري بؤرة مقاومة مستمرة للدولة الجديدة.

كان أول صدام فعلي بين العرب والديلم سنة ٢٢ / ٦٤٢[4]. فبعد فتح نهاوند والدينور تابع نعيم بن مقرن بأمر من الخليفة عمر تقدمه للإستيلاء على همذان والري وأذربيجان، وبعدما استولى على همذان اتفق الديلم وأهل الري وأذربيجان على مقاتلته، وكان على رأس الديلم أميرهم مؤتا، لكن نعيم أنزل بهم هزيمة كاسحة[5]. في بواج روز بين الري وهمذان.

بعد هذه المعركة دخل نعيم بن مقرن الري حرباً ثم أرسل أخاه سعيد بن مقرن إلى قومس وجرجان وطبرستان وجيلان ففتحها صلحاً[6]. ولم يزل أهل طبرستان وجرجان وجيلان ومن بينهم الديلم يؤدون الصلح مرة ويمتنعون عن إدائه مرة أخرى فترسل لهم الدولة قوات لإخضاعهم من جديد، فبعدما تم فتح الري وجيلان، عادوا فنقضوا الصلح فبعث لهم عمر، كثير بن شهاب فقاتلهم حتى رجعوا وغزا الديلم فأوقع بهم. وكان الديلم أكثرهم تمرداً ومقاومة للفتح العربي حتى بلغت الحملات العسكرية على بلاد الديلم منذ عهد عمر وحتى عهد المأمون سبع عشرة غزوة[7]، ولكن كل الغزوات لم تؤدِ إلى نتيجة حاسمة واحتفظ الديلم باستقلالهم، وظلت هذه المنطقة معتبرة دار حرب. وينقل عن علي بن أبي طالب قوله للرافضين مقاتلة معاوية « من كره منكم أن يقاتل معنا معاوية فليأخذ عطاءه وليخرج إلى الديلم فليقاتلهم ». فخرج ما بين أربع وخمسة آلاف مقاتل[8].

---

(١) التنوخي، نشوار، جـ ١ ص ١٥٤.
(٢) المنتزع، ص ٢٩ - ٣٥.
(٣) Voir Minorsky, domination, p.4.
(٤) الطبري، جـ ٤ ص ٢٥١. والبعض يجعلها سنة ٢٣ أو ٢٤ هـ. انظر البلاذري، فتوح، ص ٣١٣ - ٣١٦.
(٥) الطبري، جـ ٤ ص ٢٥١ - ٢٥٣. البلاذري، فتوح، ص ٣١٣ - ٣١٦.
(٦) المصدر نفسه، ص ٢٥٣ - ٢٥٥.
(٧) البلاذري، فتوح، ص ٣١٣ - ٣٣١.
(٨) المصدر نفسه، ص ٣١٨.

وكان المتطوعة والغزاة يقصدون القلاع الإسلامية الواقعة على حدود الديلم لمقاتلتهم. وأهم هذه القلاع والثغور، هي قزوين وكلار وشالوس (١).

ظلت الحال على ما هي عليه حتى دخول الديلم في الإسلام على يد الأطروش العلوي أواخر القرن الثالث الهجري (٢)، والواقع إن الإسلام ما دخل الى بلاد الديلم إلا بطريقة سلمية. فقد فشلت كل الحملات في اخضاع الديلم، هؤلاء السكان الجبليين الذين شكل لهم العمل العسكري كمرتزقة مورداً للمعيشة بسبب قلة مواردهم الزراعية وموارد صيد البحر التي يتمتع بها سكان السهول الساحلية. لكن محافظتهم على استقلالهم كانت لا شك تكلفهم كثيراً بسبب غزوات المسلمين المستمرة، والأخطار المحتملة من الدولة العباسية بعد أن سيطر الإسلام على كل المناطق المحيطة بهم. فكان لا بد لهم من حلفاء يقفون الى جانبهم بوجه الدولة العباسية. وعلى هذا الأساس استقبلوا دعاة العلويين المعادين للعباسيين، بترحاب على أساس انهم حلفاؤهم المحتملون. ومن جهتهم أدرك هؤلاء الدعاة الفائدة التي تعود عليهم من التبشير في بيئة لا تزال بكراً ومركزاً للديانات القديمة بدلاً من نشر دعوتهم بين قدماء المسلمين (٣).

كان أول من التجأ إلى الديلم من العلويين هرباً من اضطهاد العباسيين يحي بن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، وكان زيدي المذهب، سار إلى الديلم سنة ١٧٥ / ٧٩١. فاشتدت شوكته وقوي أمره ونزع إليه الناس من الأمصار مما أخاف الرشيد فسيّر إليه سنة ١٧٦ / ٧٩٢ الفضل بن يحي بن خالد البرمكي في جيش مؤلف من ٥٠ ألف مقاتل وعلى رأسه كبار القواد، ثم نجح الفضل في مكاتبة يحي ودعوته إلى الصلح وكذلك كاتب صاحب الديلم طالباً منه بالترغيب أو الترهيب أن يسهل له خروج يحي مانحاً إياه مليون درهم. وقد وافق يحي على الصلح مقابل عهد أمان من الرشيد فكان له ما أراد وعاد إلى بغداد وأكرمه الرشيد واحتفى به، ثم اعتقله وتقول شيعته أنه مات مسموماً (٤).

وتوالت ثورات الزيدية بعد ذلك في العراق بعد وفاة يحي، فخرج محمد بن ابراهيم بن طباطبا في الكوفة واستولى عليها وهزم جيش الخليفة سنة ١٩٩ / ٨١٤ لكنه توفي فجأة في نفس العام (٥). فعقد بعده لمحمد بن محمد بن زيد وكان غلاماً صغيراً، وقد دارت معارك عديدة بين العلويين والعباسيين انتهت بانتصار العباسيين وأسر محمد بن محمد بن زيد فعفا عنه المأمون وتوفي سنة

---

(١) قدامه، ص ٢٦١.
(٢) المسعودي، مروج، جـ ٤ ص ٣٠٨.
(٣) Cahen, Islam p.202. Minorsky, domination p.5. azizi, domination p.260.
(٤) الطبري، جـ ١٠ ص ٥٣ ـ ٥٩. المنتزع، ص ٣٨ ـ ٣٩. ابن الأثير، جـ ٥ ص ٩٠.
EI[2], art daylam t. II p.196-197. Madelung Alids p.27-28.
(٥) الطبري، جـ ١٠ ص ٢٢٧.

٢٠٢ / ٨١٧، وكان لا يتجاوز العشرين من عمره [١]. ثم ظهر محمد بن القاسم الصوفي في الكوفة وجهر بالدعوة سنة ٢١٩ / ٨٣٤ وجمع أنصاراً كثيرين واتجه بهم إلى خراسان لكن عبدالله بن طاهر عامل المعتصم في خراسان، استطاع بعد معارك كثيرة كان النصر فيها في بداية الأمر لمحمد بن القاسم، من القبض عليه وأرسله إلى سامراء، فسجنه المعتصم ثم قتله بالسم [٢]. وفي عام ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ ثار يحيى بن عمر في الكوفة واستولى عليها فطلب المستعين بالله من أمير بغداد محمد بن طاهر إخماد الحركة التي انتهت بقتل يحيى بن عمر وتفرق أصحابه [٣].

إذاً، انتهت كل حركات التمرد والثورة الزيدية في العراق، وحتى محاولتهم في خراسان [٤]، إلى الفشل، أي بعد ما ينيف عن قرن وربع من ثورة [٥] زيد بن علي بن حسين بن علي ابن أبي طالب الذي تنسب إليه الزيدية ومقتله سنة ١٢٢ / ٧٣٩ في خلافة هشام بن عبدالملك. فكان لا بد لدعاة الحركة وأئمتها من موقع جديد بعيد نسبياً عن سلطة الخلافة، ومن أنصار جدد لم تثبط الصراعات الفكرية الدينية والاجتماعية من هممهم ويكون لأفكار الدعوة ودعاتها أثر أقوى في نفوسهم وهذا ما تحقق في الديلم.

يعتبر عام ٢٥٠ / ٨٦٤ بداية مرحلة جديدة في حياة الدعوة الزيدية؛ ستكون من أهم مراحل دعوتهم. خلالها حققوا بعض حلمهم. صحيح أنهم لم يستطيعوا القضاء على الدولة العباسية، إلا أنهم نجحوا أخيراً في إقامة دولة مستقلة في طبرستان ارتبط قيامها باسمهم (وأقاموا فيما بعد دولة في اليمن). ورغم أن هذه الدولة التي عرفت أوجها في مطلع القرن الرابع / العاشر بفضل شخصية الأطروش الفذة، إلا أنها لم تستمر طويلاً بسبب صراعات خلفائه وطموحات الأمراء المحليين في إقامة ممالكهم الخاصة. لكن الأثر الكبير الذي تركته الزيدية أنها أدخلت إلى الإسلام أهالي ذلك الإقليم وسكان الجبال المجاورة، الأمر الذي سيتيح لهم في المستقبل أن يلعبوا دوراً مهماً في حياة الدولة الإسلامية، خاصة الديالمة.

بدأت هذه المرحلة اثر مقتل يحيى بن عمر سنة ٢٥٠ / ٨٦٤ في أيام المستعين بالله، فهرب أنصاره وانتشروا في البلاد، وكان من بينهم الحسين بن زيد أحد أحفاد زيد بن علي، وكان منتظماً في حركة يحيى بن عمر في الكوفة، فالتجأ إلى الري وأقام فيها. وكان المستعين بالله قد أقطع محمد بن طاهر بعض الإقطاعات بطبرستان مكافأة له على قمع حركة يحيى بن عمر، ومن بين هذه الإقطاعات واحدة قريبة من ثغري طبرستان مما يلي الديلم، كلار وشالوس وكان بمحاذاتها أرض

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٢٨ - ٢٣٢.
(٢) المصدر نفسه، ص ٣٠٥.
(٣) الطبري، جـ ١١ ص ٨٧ - ٨٩. ابن الأثير، جـ ٥ ص ٣١٥.
(٤) الطبري، جـ ٨ ص ٣٠٠ - ٣٠١.
(٥) الطبري، جـ ٨ ص ٢٧٢ - ٢٧٧.

لأهل تلك الناحية من الأرض الموات لكنها ذات غياض وأشجار ومنعة لأهل الثغرين. فقام عمال الطاهريين، بالإستيلاء على تلك الأرض وأيضاً الإغارة على الديلم. وكان أهل مدن طبرستان في غاية الإستياء من عمال الطاهريين فاتفق الجميع، الديلم وأهل كلار وشالوس من المسلمين على محاربة عمال الطاهريين فاستدعوا الحسن بن زيد من الري فانتقل الى طبرستان وبايعه أهل الثغور عامة ورؤساء الديلم، كجايا ولاشام ووهسوذان بن جستان، فقوي أمر الحسن بن زيد وتعاظم [1]. فزحف بجيشه نحو مدينة آمل أول مدن طبرستان مما يلي كلاروشالوس واستولى عليها، وكبر جيشه ومال إليه الناس في تلك النواحي، ثم توجه إلى سارية وهزم عاملها وبذلك استولى على طبرستان بكاملها [2]. عندها قامت الدولة الزيدية بطبرستان ودامت نحو قرن من الزمن (٢٥٠ - ٣٥٥ / ٨٦٤ - ٩٦٥).

تابع الحسن بن زيد توسعه فاستولى أحد أتباعه على الري [3]. وعمد الطاهريون إلى استعادتها ففشلوا. وفي العام التالي نجح أحد عمال الطاهريين بدخول طبرستان [4] وأجبر الحسن بن زيد على الهرب والإلتجاء الى منطقة الديلم المنيعة كذلك انتزع عمال الخليفة الري من أيدي العلويين. وتكرر الأمر سنة ٢٥٥ / ٨٦٨ بحيث أنزل أحد قواد الخليفة مفلح الهزيمة بالحسن بن زيد داخل طبرستان فهرب الحسن إلى الديلم فدخل مفلح آمل وأحرق منازل الحسن ثم عاد إلى طبرستان [5]. وفي العام التالي ٢٥٦ / ٨٦٩ استعاد الزيدي الري فوجه إليه الخليفة المعتمد، قائده موسى بن بغا لقتاله [6]. لكن في العام ٢٥٧ / ٨٧٠ حقق الحسن بن زيد انتصاره الثاني بالإستيلاء على جرجان [7]. إلا أنه في سنة ٢٦٠ / ٨٧٣، كاد يعقوب بن الليث الصفار أن يقضي على الدولة الزيدية اذ هزم الحسن بن زيد فالتجأ هذا الأخير إلى أراضي الديلم واستولى يعقوب على طبرستان ولحق بالحسن إلى بلاد الديلم، لكن صعوبة المسالك ومخاطرها الحقيقية على جيشه اضطرته إلى التراجع عن فكرته [8]. وعاد الحسن بن زيد إلى طبرستان وأحرق شالوس لمالاة أهلها يعقوب وأقطع ضياعهم الديالمة [9].

---

(١) الطبري، جـ ١١ ص ٩٠ - ٩٢. المنتزع، ص ٣٨ - ٤٥. المسعودي، مروج، جـ ٤ ص ١٥٣. ابن الأثير، جـ ٥ ص ٣١٦ - ٣١٧. Madelung, Alids p.28.

(٢) الطبري، جـ ١١ ص ٩٢ - ٩٣. الأصفهاني، ص ٢٣٩. ابن الأثير، جـ ٥ ص ٣١٧.

(٣) الطبري، جـ ١١ ص ٩٣.

(٤) الطبري، جـ ١١ ص ١١٣. ابن الأثير، جـ ٥ ص ٣٢٩.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٦٧. المصدر نفسه، ص ٣٤٥.

(٦) المصدر نفسه، ص ٢١١؛ المصدر نفسه، ص ٣٦٠.

(٧) ابن الأثير، جـ ٥ ص ٣٦٣.

(٨) الطبري، جـ ١١ ص ٢٣٣. ابن الأثير، جـ ٥ ص ٣٧١. الأصفهاني، ص ٢٣٩ - ٢٤٠.

(٩) الطبري، جـ ١١ ص ٢٣٤. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٧.

توفي الحسن بن زيد وكان لقبه الداعي الكبير وهو الداعي الأول[1] سنة ٢٧٠ / ٨٨٣ فخلفه أخوه محمد بن زيد الملقب بالداعي الصغير[2] الذي عرف بصفاته الجيدة. لكن في سنة ٢٧٥ / ٨٨٨ انتزع منه رافع بن هرثمة باسم السامانيين جرجان[3]. فتراجع محمد الى استراباذ فحصره فيها رافع لمدة سنتين. وفي سنة ٢٧٧ / ٨٩٠ انهزم محمد من جديد أمام رافع الذي استولى على طبرستان نفسها وهرب محمد إلى أرض الديلم[4]. لكن رافع سرعان ما اضطر إلى مصالحة محمد بن زيد سنة ٢٨٠ / ٨٩٣ للوقوف بوجه عمر بن الليث، فأعاد إليه طبرستان سنة ٢٨٢ / ٨٩٥ ووعده محمد بن زيد بإمداده بأربعة آلاف رجل من الديلم. لكن عمر بن الليث هدد محمد بن زيد بألا يفعل ذلك، فامتنع، وفي سنة ٢٨٣ / ٨٩٦ انهزم رافع أمام عمر بن الليث ثم قتل[5]. وبعد أربع سنوات أي سنة ٢٨٧ / ٩٠٠ قتل محمد بن زيد على أيدي أحد قواد السامانيين الذي استولى على طبرستان نفسها[6].

امتدت هذه المرحلة وهي الأولى التي عرفتها الدولة الزيدية في طبرستان وأرض الديلم وأحياناً في جرجان والري، ٣٧ سنة (٢٥٠ ـ ٢٨٧ / ٨٦٤ ـ ٩٠٠) وشكل الديلم قواها المحاربة الأساسية، كما شكلت منطقتهم الجبلية الوعرة، الخطوط الخلفية للزيديين وقت الشدائد كما رأينا. وحتى نهاية هذه الفترة، لم يكن الإسلام قد انتشر بصورة كبيرة بين الديلم، وذلك أن يحي بن عبدالله الذي إلتجأ إلى الديلم أيام هارون الرشيد[7]، لم يطل مقامه عندهم ولا دعاهم إلى الدين إنما جاء إليهم معتصماً من الرشيد. لذلك كان ابتداء دخول الديلم في الإسلام أيام الحسن بن زيد الداعية الكبير، فأسلمت على يديه أطراف الديلم، دون الداخل والأرجح أن ظروف توليه الزعامة، وابتداء أمره بمنازعة ولاة السلطان كذلك الأمر أيام خليفته محمد بن زيد حالت دون إعطائهم لهذه المسألة الأهمية الأولى وبالتالي لم يشمل الإسلام كل الديلم[8] في تلك الفترة، ولم يتم هذا الأمر إلا على يد الأطروش.

ارتبط التحالف الزيدي ـ الديلمي خلال هذه المرحلة، بأسرة بني جستان، وهي على ما يبدو كانت تتولى زعامة الديلم حيث يشير المؤرخون إليهم « بصاحب الديلم » أو « ملك الديلم » وأول مرة

---

(١) الطبري، جـ ١١ ص ٢٧١. المنتزع، ص ٢٤ ـ ٤٥. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٥٥.
(٢) الأصفهاني، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠. المنتزع، ص ٤٥ ـ ٤٨.
(٣) ابن الأثير، جـ ٦ ص ٦٥.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) الطبري، جـ ١١ ص ٣٤٩ ـ ٣٥٢. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٧٤، ٧٥، ٨٤.
(٦) المصدر نفسه، ص ٣٧٠. المصدر نفسه، ص ٩٦ ـ ٩٧.
(٧) المنتزع، ص ٣٨.
(٨) المصدر نفسه، ص ٣٨ ـ ٤٥.

يشير فيها المؤرخون إلى هذه الأسرة سنة ١٨٩/ ٨٠٤ عندما زار هارون الرشيد الري وقدم عليه صاحب الديلم [1] مرزبان بن جستان وعلى هذا الأساس يمكن اعتباره أول أمير لبني جستان [2]. وربما كان هو أو سلفه الذي لا نعرف عنه شيئاً الذي خضع لضغوط الرشيد وساعده في إعادة يحيى بن عبدالله سنة ١٧٥/ ٧٩١. وفي سنة ٢٥٠/ ٨٦٤ عندما تم الإتفاق بين المرابطين في الثغور والديلم على استدعاء الحسن بن زيد وبمبايعته والوقوف بوجه العباسيين وولاتهم الطاهريين كان على رأس الديلم وهسوذان بن جستان الذي يعتقد أنه الثالث في إمارة هذه الأسرة [3]. وخلفه ابنه جستان الذي استمر في تحالفه مع الزيديين وكان إلى جانبهم في كل معاركهم وقدم لهم الحماية في بلاده عندما اضطروا إلى ذلك.

ويبدو أن هذا التحالف استند إلى استقلالية الطرفين، فظل بنو جستان ملوكاً للديلم لا ينازعهم فيها الزيديون ولربما كان عدم طغيان طرف على آخر، أحد أسباب توقف انتشار الإسلام في هذه المرحلة على أطراف منطقة الديلم.

بمقتل محمد بن زيد واستيلاء السامانيين على طبرستان هرب أصحابه إلى بلاد الديلم، وكان من بينهم الحسن بن علي، ناصر الدين الثائر الأطروش.

كان الأطروش من دعاة محمد بن زيد المقربين، دخل خراسان للدعوة له فاعتقل ثم هرب وعاد وحضر معه المعركة التي قتل فيها ثم انسحب الى بلاد الديلم، وأقام عند ملكهم جستان بن وهسوذان. وكان الأطروش عالماً زاهداً شجاعاً وشاعراً [4].

انصب عمل الأطروش خلال فترة اقامته بين الديلم التي استمرت ١٣ سنة على ادخالهم في الإسلام. فأظهر لجستان الملك أنه لا يرغب في التدبير أو الملك، وأنه فقط معلم ومرشد إلى الدين ولم ينتحل لنفسه الإمامة، وأخذ ينتقل من قرية الى أخرى، والناس يسلمون على يده، إلى أن استوعب من بلاد الديلم وتجاوزه إلى بلد الجيل [5]. فأسلم معظمهم على يده فيما أسلم معظم الجيل على مذهب ابن حنبل السني. وقد نجح الأطروش في ضمان طاعة الديلم له بسبب اسلامهم على يديه من جهة ونفورهم من ملوكهم لسوء سيرتهم. عند ذلك انتحل الإمامة ويقال إنه لقب بالناصر الحق ولبس القلنسوة على رسم من قبله. وأخذ في مطالبة الناس بالأعشار والصدقات. وقام الأطروش بوضع حد لهجمات العرب من الثغور على بلاد الديلم؛ ففي سنة ٣٠٢/ ٩١٤ قام بتدمير حصن

---

(١) الطبري، جـ ١١ ص ٩٦. ابن الأثير، جـ ٥ ص ١٢١.

(٢) EI², art daylam, t. II p.197.

(٣) Ibid.

(٤) المنتزع، ص ٤٩. ابن الأثير، جـ ٦ ص ١٤٦. Madelung, Alids, p.29.

(٥) المنتزع، ص ٤٩. المسعودي، جـ ٤ ص ٣٠٨.

شالوس، ثم عمد إلى اعطاء حركته طابعاً «ديمقراطياً»، فدعا السكان للوقوف بوجه أمرائهم من بني جستان، واستلام السلطة بأنفسهم [١]، الأمر الذي أثار جستان فحاول الحد من سيطرة الأطروش وقال له: «إنما أطعناك على أنك معلم مرشد ولا طاعة لك إذا نازعتنا على ملكنا» [٢].
وأدى الأمر إلى عدة معارك بين الطرفين انتصر فيها الأطروش لأن الديلم مالوا إليه، فاضطر جستان إلى الخضوع والطاعة وصالح الأطروش وبايعه [٣]. استتب الأمر للأطروش بين الديلم، وبدأ يستعد لاستعادة طبرستان من أيدي السامانيين، فكان له مع ولاة الخراسانيين عدة وقائع حتى تم له الأمر وانتصر على جيش الخراسانيين وملك طبرستان [٤] سنة ٣٠١ / ٩١٣. وفي العام التالي حاول الخراسانيون استعادة طبرستان ففشلوا [٥].

في هذا الوقت، اغتيل جستان على يد أخيه [٦] علي بن وهسوذان الذي كان موالياً للخليفة ومتقلداً أعمال الضرائب في أصفهان منذ سنة ٣٠٠ / ٩١٢. وفي سنة ٣٠٤ / ٩١٦ عين القائد العباسي مؤنس، علي بن وهسوذان حاكماً على الري ودیناوند وقزوين وزنجان وأبهر [٧]، لكنه قتل في نفس هذه السنة على يد محمد بن مسافر [٨] (من الأسرة الديلمية الثانية الحاكمة في طارم) فخلفه أخ له هو خسرو فيروز [٩].

في هذه السنة أيضاً ٣٠٤ توفي الناصر الأطروش بطبرستان. ورغم قصر مدة حكمه (٣٠١ - ٣٠٤ / ٩١٣ - ٩١٦) إلا أنه استطاع أن يدخل معظم الديلم في الإسلام، وأن يعيد قيام الدولة الزيدية في طبرستان، وقال عنه الطبري: «بأن الناس لم يروا مثل عدله وحسن سيرته وإقامته الحق» [١٠].

وبمقتل الأطروش، سيسود الصراع والتنافس بين المتنافسين على خلافته، كذلك الأمر بالنسبة لآل جستان الديلم، حيث سيؤول أمرهم بعد مقتل جستان بن وهسوذان إلى الانحلال وسيبرز قادة جدد للديلم.

---

(١) Minorsky, domination ,p.8.
(٢) المنتزع، ص ٥١.
(٣) المنتزع، ص ٥١.
(٤) المصدر نفسه، ص ٥٣ - ٥٦. المسعودي، مروج، جـ ٤ ص ٣٠٨. ابن الأثير، جـ ٦ ص ١٤٦، ابن خلدون، جـ ٣ ص ٧٧٠ - ٧٧٢.
(٥) الطبري، جـ ١١ ص ٤٠٩. مسكويه، جـ ١ ص ٣٦.
(٦) EI^2, art daylam t. II, p.197.
(٧) مسكويه، جـ ١ ص ٥٠. ابن الأثير، جـ ٦ ص ١٥٦.
(٨) المصدر نفسه، ص ٥١. المصدر نفسه، ص ١٥٦.
(٩) EI^2, art daylam t. II, p.198.
(١٠) الطبري، جـ ١١ ص ٤٠٩.

خلف الناصر الأطروش الحسن بن القاسم الداعي الذي أبعد ابني الناصر إلى جرجان وولاهما حرب الخراسانيين. وبعد سلسلة من المعارك كان النصر فيها بادئاً لابني الناصر عادا فانهزما أمام الخراسانيين (١). ومن ثم خلعا طاعة الحسن بن القاسم الذي خرج لمقاتلتهما حيث تبادلا النصر والهزيمة أكثر من مرة. واضطر الحسن بن القاسم إلى اللجوء إلى بلد الجيل وظل مقيماً فيه إلى أن توفي ابن الناصر.

في هذه الأثناء بدأت مجموعة من قواد الديلم الذين خدموا إلى جانب العلويين بالبروز مكان بني جستان، في حين أن بني مسافر أقرباء بني جستان بالمصاهرة والذين دخلوا في صراع مع خلفة جستان بن وهسوذان انتقاماً لمقتله، اتجهوا نحو أذربيجان وما وراء النهر. أول من برز من هؤلاء القواد، ليلى بن النعمان حوالي سنة ٣٠٨ / ٩٢٠ بعد أن عقد له الديلم رئاسة الجيش (٢)، وكان ليلى أحد قواد أولاد الأطروش وقد استعمله الحسن بن القاسم الداعي سنة ٣٠٨ على ولاية جرجان ونجح في هذه السنة من الإستيلاء على نيسابور في خراسان وأقام الخطبة للداعي بعد أن هزم جيش الخراسانية، لكن في العام التالي ٣٠٩ / ٩٢١ عاد الخراسانيون وهزموه وأرسلوا برأسه إلى بغداد (٣). ثم برز ماكان ابن كاكي، لكن سرعان ما نشبت الخلافات بين ما كان وأخيه حسين من جهة ومحمد بن أبي الحسين بن الناصر الأطروش الذي نصبوه أماماً خلفاً لأبيه، وأدت هذه الخلافات إلى استدعاء ما كان للحسن بن القاسم الذي كان ملتجئاً في بلاد الجيل وولاه الإمامة واستوليا على الري وجرجان (٤). لكن قتل الداعية بن القاسم لبعض قادة الديلم والجيل الذين ناهضوه سابقاً، أدت إلى خروج قسم كبير من الجيش عن الطاعة وعقدوا الرياسة عليهم لأسفار بن شيرويه والتحقوا بصاحب خراسان طالبين عونه بوجه الداعي وماكان بن كاكي. فمدهم بالعساكر وهزموا ماكان بن كاكي واستولى أسفار على جرجان (٥) وذلك سنة ٣١٥ / ٩٢٧. ثم استدعى أسفار مرداويج بن زيار الجيلي وكان من قادة الجيل وقد نقم على الداعي لقتله أحد أقاربه، وجعله أمير الجيش وأحسن اليه وقصدوا طبرستان واستولوا عليها وانهزم الداعي وقتل على يد مرداويج (٦) شخصياً وكان ذلك سنة ٣١٦ / ٩٢٨.

---

(١) المنتزع، ص ٥٨ ـ ٥٩.

J.O.N.E.S., Vol 26 (1967) p.32-35.

(٢) المنتزع، ص ٦٠ ـ ٦١. الهمذاني، ص ٥١. Minorsky, domination, p.8.

(٣) مسكويه، جـ ١ ص ٧٦. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٧٩٩ ـ ٨٠٠. Ibid.

(٤) المنتزع، ص ٦٢ ـ ٦٣. ابن الأثير، جـ ٦ ص ١٨٥. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٦ ص ٢٠٧. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٧٩٨ ـ ٨٠٠.

(٥) المنتزع، ص ٦٣ ـ ٦٥. EI[2], art Asfar B.Shirawayh t. I, P.709. Madelung, Alids,p.37-38.

(٦) المصدر نفسه، ص ٦٤ ـ ٦٥. الأصفهاني، ص ٢٤٠ ـ ٢٤١. ابن الأثير، جـ ٦ ص ١٨٩ و١٩٥. ابن خلدون، جـ ١ ص ٨٠٠ ـ ٨٠٢.

وبسرعة تعاظم أمر أسفار واستولى بالإضافة إلى بلاد طبرستان وجرجان على الري وقزوين وزنجان وأبهر وقم والكرج (١). وكل ذلك باسم صاحب خراسان الساماني إلاّ أنه سرعان ما خرج عن طاعة السامانيين وأراد أن يجعل على رأسه تاجاً وينصب بالري سرير ذهب للسلطنة ويحارب الخليفة وصاحب خراسان (٢). وبالفعل هزم أسفار جيش الخليفة بقيادة هارون بن غريب (٣)، إلا أنه اضطر إلى مصالحة صاحب خراسان بعد أن سار إليه بجيوش عظيمة لقتاله (٤). لكنه تابع سياسته التعسفية بحق الناس وأطلق يد الديلم في مصالح الناس فاستغل مرداويج هذا الوضع لينقلب على سيده فقاتله وهزمه وقتله (٥). وأخذ مرداويج في الإستيلاء على البلاد فملك قزوين والري وهمذان وكنكور والدينور وقم وقاشان واصفهان وغيرها. ثم طمع بجرجان وطبرستان وكانتا بأيدي ماكان بن كاكي الذي ساعده في القتال ضد أسفار، ولم يصمد ماكان أمام جيوش مرداويج الذي استولى على جرجان وطبرستان فيما التحق ماكان بخراسان وانضوى تحت لواء السامانيين (٦).

وثبت مرداويج بن زيار سلطته، خاصة بعد هزيمته لقوات الخليفة التي أرسلت لقتاله سنة ٣١٩ / ٩٣١، وبالتالي اضطر الخليفة إلى أن يقاطعه على الأعمال التي استولى عليها (٧). وبالرغم من أن الأسرة الزيارية أصلها من جيلان، أي لم تكن ديلمية، إلا بالمعنى الواسع للكلمة، باعتبار أن الجيل كانوا مجاورين للديلم ويعيشون في نفس المنطقة، لذلك اعتبرت هذه الأسرة امتداداً للأسر الحاكمة التي خرجت من بلاد الديلم خاصة وإن القسم الأكبر من قواتها كانت من الديالمة. لذلك قال الاصفهاني أن مرداويج تولى رئاسة الجيل والديلم (٨).

والواقع، لأنه مع أسفار بن شيرويه، بدأت في شمال - غرب ايران، السيطرة الديلمية، التي استكملت مع ماكان بن كاكي ثم مرداويج بن زيار. والأسرة الزيارية (٣١٦ - ٤٣٤ / ٩٢٨ - ١٠٤٢) كانت أول أسرة حاكمة ايرانية أستقرت إلى الغرب من السامانيين (٩).

---

(١) الأصفهاني، ص ٢٤١. ابن الأثير، جـ ٦ ص ١٩٥. Madelung, Alids, p.39.

(٢) ابن الأثير، جـ ٦ ص ١٩٦.

(٣) المصدر نفسه، عريب، ص ٧١.

(٤) المصدر نفسه. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٨٠٢ - ٨٠٤.

(٥) عريب، ص ٧٩. الهمذاني ص ٥١. مسكويه، جـ ١ ص ١٦٢. ابن الأثير، جـ ٦ ص ١٩٧ - ١٩٨. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٦ ص ٢٠٧. الأصفهاني، ص ٢٤١. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٨٠٣ - ٨٠٤.

(٦) مسكويه، جـ ١ ص ٢٧٥ - ٢٧٦. ابن الأثير، جـ ٦ ص ١٩٨. Madelung, Alids, p.41-43.

(٧) مسكويه، جـ ١ ص ٢١٥، ٢٢٨. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢١٤، ٢١٥.

(٨) الأصفهاني، ص ٢٤٢.

(٩) Minorsky, domination p.9. EI^2, art Asfar B.Shirawayh. T.I. p.709.

لكن مرداويج مؤسس هذه الأسرة والذي كان يطمح للسيطرة على العراق ويعيد ملك الفرس، ويقضي على السيطرة العربية، لم يعش طويلاً حتى يحقق حلمه، فقد قتله عبيده الأتراك سنة ٣٢٣ / ٩٣٤ وهو يستعد لتنفيذ مخططه (١). وبوفاته تقلصت الدولة الزيارية مع خلفائه، رغم انها استمرت إلى سنة ٤٣٤ / ١٠٤٢، إلى حدود إحدى السلطات المحلية تاركة المجال لبروز أهم أسرة ديلمية حاكمة أي البويهيين.

بدأ أول ذكر للبويهيين في فترة الناصر الأطروش ومن بعده أيام ولديه أحمد وجعفر؛ فيذكر البعض أن من بين من خرج مع الناصر من وجوه الديلم والجيل علي بن بويه (٢)، وعندما تولى الحسن بن القاسم الداعي، خلافة الناصر، أرسل ولديه أحمد وجعفر لمقاتلة السامانيين فكان من بين الذين برزوا في قتال السامانيين أبو شجاع بويه بن فناخسرو (٣). والثابت عند المؤرخين أنه اثر الخلافات التي نشبت بين خلفاء الأطروش خرج من الديلم جماعة من القواد التي أشرنا اليهم لامتلاك البلاد منهم ليلى بن النعمان وماكان بن كاكي وأسفار بن شيرويه وخرج مع كل واحد منهم ناس كثير من الديلم، وخرج أولاد بني بويه مع ماكان بن كاكي وكان مرداويج بن زيار من أصحاب أسفار (٤). وعندما انهزم ماكان أمام مرداويج والتجأ إلى السامانيين، وبان ضعفه وعجزه استأذنوه (بنو بويه) بتركه وقالوا له: «إن الأصلح لك مفارقتنا إياك لتخف عنك مؤونتنا ويقع كلنا على غيرك فإذا تمكنت عاودناك» (٥) فأذن لهم ماكان والتحقوا بخصمه مرداويج.

ولم ينسحب البويهيون وحدهم بل اقتدى بهم عدد من قواد ماكان، ولما صاروا عند مرداويج خلع عليهم وأكرمهم وقلد كل واحد منهم ناحية من نواحي الجبل وأما علي بن بويه فإنه قلده الكرج (٦).

وهؤلاء البويهيون الذين نتحدث عنهم والذين على أيديهم قامت الدولة البويهية هم ثلاثة أخوة: علي (عماد الدولة). الحسن (ركن الدولة). أحمد (معز الدولة). وهذه الألقاب لقبهم بها الخليفة العباسي فيما بعد اثر استيلائهم على بغداد.

ولا نعرف الكثير عن نشأتهم الأولى، سوى بعض الإشارات التي وردت في تلك الحكاية

---

(١) مسكويه، جـ ١ ص ٣١٠ ـ ٣١٧. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٤٤ ـ ٢٤٦. .azizi, domination, p.262-263
ابن الطقطقي، ص ٣٨٠. التنوخي، نشوار، جـ ١ ص ١٥٦ ـ ١٥٧. السيوطي، ص ٣٩١. Cahen, islam p.177
(٢) المنتزع، ص ٥٤.
(٣) المصدر نفسه، ص ٥٨.
(٤) مسكويه، جـ ١ ص ٢٧٥. ابن الأثير، جـ ٢٣١. ابن خلدون، جـ ٢ ص ٧٧٢.
(٥) مسكويه، جـ ١ ص ٢٧٧. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٣١.
(٦) المصدر نفسه، .Frye, the golden, p.208-209

الأسطورية التي ينقلها المؤرخون عن تفسير الحلم الذي رآه والدهم في المنام والذي فسر على أنه دليل على تملكهم للبلاد [1].

ومن هذه الحكاية نستشف أن والدهم أبا شجاع بويه كان حطاباً وكانوا فقراء وقد توفيت والدتهم وهم صغار، ويحكى أن أحمد (معز الدولة) في شبابه كان يحتطب على رأسه [2]، ولا شك أن هذه الحياة الصعبة قد دفعتهم كما دفعت معظم الديلم إلى العمل العسكري لتأمين معيشتهم.

أما نسبهم فقد اختلف الكثيرون حوله، فيذكر ابن خلقان [3]، ان الصابي ذكر في كتابه «التاجي» إنهم يرجعون في نسبهم إلى بهرام جور بن يزدجرد الملك الساساني لكن ليس هناك اجماع على صحة هذا النسب، فقد اختلف المؤرخون في بهرام الذي رفع اليه نسب بويه، فقال بعضهم بنسبته إلى الفرس: بهرام جور بن يزدجرد بن سابور [4] وقال آخرون بنسبته إلى العرب وهو بهرام الضحاك بن الأبيض بن معاوية بن الديلم بن ضبة بن آد [5]. ويرى ابن الأثير نسبتهم إلى الديلم بسبب طول مقامهم ببلادهم [6] وينقل ابن خلدون ما ذكره ابن ماكولا من أن نسبهم يعود إلى الساسانية وما قاله مسكويه، بنسبتهم إلى يزدجرد بن شهريار، لكنه يؤكد بأن هذه الأنساب موضوعة، وضعها من لا يعرف طبائع الأنساب في الوجود، واستبعد أن يكونوا من غير الديلم ثم تكون لهم رياسة الديلم لأن الرئاسة على قوم لا تكون في غير أهل بلدهم [7].

أما الأصفهاني وهو أكثر المؤرخين معرفة بأصول ملوك الفرس، فرغم أنه يجعل للبويهيين أصلاً يعود إلى الملك الساساني بهرام غور [8]، إلا أنه يعود ويذكر أن علي بن بويه كان زعيماً لإحدى قبائل الديلم تسمى شيرذيل اوندان [9]، تقيم في قرية كياكاليش في ديلمان[10].

إذاً، فالبويهيون على الأرجح ينتسبون إلى الديلم، دخلوا في الإسلام، مع من دخله من الديلم على يد الناصر الأطروش، شيعة زيديين، وبسبب الأحوال المعيشية التي تفرضها طبيعة البلاد عليهم. فقد عملوا مثل معظم الديلم كجند مرتزقة لتأمين معيشتهم. فالتحقوا بإحدى القيادات التابعة للديلم، الصاعدة في ذلك الوقت، ماكان بن كاكي، الذي كان في البداية أحد قادة

---

(١) ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٣٠ - ٢٣١.
(٢) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٦ ص ٢٧٠.
(٣) ابن خلقان، وفيات، جـ ١ ص ٣٥. Madelung, Alids p.24.
(٤) ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٣٠. ابن الطقطقي، ص ٣٧٦.
(٥) البيروني، الآثار، ص ٣٨.
(٦) ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٣٠. ابن الطقطقي، ص ٣٧٦.
(٧) ابن خلدون، تاريخ، جـ ٣ ص ٨٢٦.
(٨) الأصفهاني، ص ٢٤١.
(٩) المصدر نفسه، ص ٢٤٢ - ٢٤٣.
(١٠) Voir, Minorsky, domination p.9.

الأطروش وخلفائه. ولا شك أنهم استطاعوا في وقت قصير أن يصلوا إلى مراكز مهمة في جيش ماكان لشجاعتهم وخبرتهم العسكرية ولما حلت الهزيمة بـ ماكان التحقوا بالقائد الجديد الذي بدا نجمه في الصعود مرداويج بن زيار (١). كل ذلك بانتظار فرصتهم المناسبة لتحقيق مشروعهم الخاص، هذا المشروع الذي سيكتب له النجاح فيما فشل الآخرون من الديلم وغيرهم في تحقيقه. وستقوم الدولة البويهية لتسيطر على الخلافة العباسية حوالي قرن وربع، ولتشكل كما أسماها مينورسكي (٢) « مرحلة الانتقال الإيرانية بين السيطرة العربية منذ بداية الإسلام والغزو التركي في القرن الخامس / الحادي عشر ».

---

(١) Frye, the golden p.209. the cambridge, volume 4 p.250-255. Madelung, Alids, p.85-89.

(٢) Minorsky, domination p.21. EI², art Buyides T.I. p.1390.

الفصل الرابع:

فارس، من الفتح العربي وحتى السيطرة البويهية

- نظرة عامة -

فارس، من الفتح العربي وحتى السيطرة البويهية

إلى الجنوب من إقليم الجبال، تقع فارس، التي كان اسمها يطلق على بلاد الفرس عامة، والتي كانت منبت السلالات الحاكمة الفارسية مثل أسرة «الآخامنة» وآل ساسان. وبالرغم من أنها تتصل بسهولة بالعراق الأدنى، إلا أنها على هامش المناطق المحورية للدولة العباسية (١).

ويحد فارس من الشرق كرمان، ومن الغرب خوزستان، ومن الشمال «المفازة» أي الصحراء التي تفصل فارس عن خراسان وقسم من الجبال، أما في الجنوب فيحدها بحر فارس (٢).

وتبلغ مساحة هذه المقاطعة ١٥٠ فرسخاً طولاً و ١٥٠ فرسخاً عرضاً (٣). عدا الجزر الموجودة في الخليج الفارسي والتابعة لها وهي خارك وكيش (قيس) واللار ولافت. وكلها عامرة ومأهولة (٤).

وتغطي الجبال هذه المقاطعة. فليس فيها بلد إلا وفيه جبل بحيث تراه إلا اليسير (٥). وهذه الجبال تعتبر امتداداً لجبال زاغروس ولكنها أقل ارتفاعاً. وتفصل بين هذه المرتفعات المتوازية وديان ضيقة ومضائق يصعب اجتيازها خاصةعلى الطريق بين شيراز وبوشهر (٦).

وتملك فارس عدداً من الأنهر والينابيع والتي منها يتم ري الأراضي الزراعية. وأهمها نهر طاب، شيرين، شاذن، دارخيد، خوبدان، كور، رس، ساكان، فرواب، ومعظمها تصب في بحر

---

(١) Cahen, islam, p.176. Le strange, p.248. azizi, domination p.248.

(٢) اصطخري، ص ٦٧. ابن حوقل، ص ٢٣٤. ابن البلخي، ص ١٨ - ١٩. ابن زركوب. ورقة ٩. EI², art fars, T.II p.830.

(٣) ابن خرداذبه، ص ٤٧. ابن البلخي، ص ١٥. ابن الفقيه، ص ٢٠٤.

(٤) أبو الفدا، ص ٣٧٢ - ٣٧٣. ادريسي ص ١٥٢، ٣٧٢. مستوفي ص ١٣٥ - ١٣٦. المسعودي، مروج، جـ ١ ص ١١٠ - ١١١. ياقوت، بلدان، جـ ٢ ص ٣٣٧. جـ ٤ ص ٤٢٢ و٤٩٧. جـ ٥ ص ٧. Le strange, p.261.

(٥) الاصطخري، ص ٦٧. ابن حوقل، ص ٢٣٥. حدود العالم، ص ٦٥ و٦٦.

(٦) azizi, domination, p.387. EI², art fars, T.II, p.830. Lombard, islam, p.54.

فارس وقليل منها مثل كور يصب في البحيرات [1].

وبحيرات فارس بعضها مالح، حيث يتم استخراج الأملاح منها، وصيد السمك، وبعضها الآخر ذو مياه عذبة يستفاد منها في ري الأراضي الزراعية. وتحيط بهذه البحيرات القرى العامرة، وبحيرات فارس خمس هي البختكان التي يصب فيها نهر كور، وبحيرة دشت ارزن، وبحيرة توّز، والجنكان والبسافوريا [2].

ومنذ وقت مبكر، احتلت فارس موقعاً تجارياً هاماً بفضل موانئها الواقعة على بحر فارس « الخليج الفارسي » وهو أحد خلجان المحيط الهندي أخذ اسمه من مملكة الفرس التي كانت أطول وأعمر الممالك الواقعة عليه. وينتهي هذا الخليج بأرض البصرة فيما يحده شرقاً فارس ومكران وكرمان وغرباً بلاد العرب أي البحرين وعمان ومسقط [3]. وعلى امتداد الساحل الفارسي تقع عدة مدن: مهروبان، سينيز، جنابة والتي يقابلها في وسطه جزيرة خارك، ثم بوشهر ونجيرم وسيراف وقلعة هزو ويقابلها جزيرة قيس (كيش). كما تقع على ساحل فارس نواحي سيف بن زهير، وسيف بن الصفار وحصن بني عمارة [4]. لكن سيراف من بينهم جميعاً هي ميناء فارس الأكبر والأساسي. أما مهروبان فميناؤها يكاد يقتصر على السفن الذاهبة والآتية من خوزستان والبصرة [5]. واتصف هذا الساحل بشدة الحرارة وصعوبة الإرتياد خاصة في فصل الخريف [6]. وليس فيه من مقومات العيش سوى التجارة بالدرجة الأولى، التي انتعشت منذ أن نجحت الدولة الساسانية في جذب التجارة التي كانت غايتها القسطنطينية، إلى الخليج الفارسي [7].

ولن تتوقف أهمية فارس الاقتصادية، كموقع تجاري هام ومركز أساسي في شبكة خطوط المواصلات التجارية آنذاك، اثر الفتح العربي. بل على العكس ستزداد نمواً وقوة خلال العهد الإسلامي، وستبلغ أوجها خلال العهد البويهي وكان للبحارة والتجار الفرس والسيرافيين خاصة دور كبير في ذلك كما سنرى لاحقاً.

---

(١) الاصطخري، ص ٧٤، ٧٥. ابن حوقل، ص ٢٣٦ - ٢٣٧. ابن البلخي، ص ٨٦٨، ٨٧٢. الادريسي، ص ٣٨٠، ٣٨٥، ٤٠٩. حدود العالم، ص ٧٤. المقدسي، ص ٤٤٥.

(٢) الاصطخري، ص ٣٦. ابن حوقل، ص ٢٣٧، ٢٤٥. ابن البلخي، ص ٨٧٢ - ٨٧٣. الادريسي، ص ٤١١ - ٤١٢. المقدسي، ص ٤٤٩.

(٣) ياقوت، بلدان، جـ ١ ص ٣٤٤. ابن البلخي، ص ٨٦٧ - ٨٦٨. ابن رسته، ص ٨٦ - ٨٧. المسعودي، مروج، جـ ١ ص ٣٤٣، ٣٤٤.

(٤) الاصطخري، ص ٣٦. المسعودي، مروج، جـ ١ ص ١١١. ياقوت، بلدان، جـ ١ ص ٣٤٣ - ٣٤٤ وجـ ٣ ص ٢٩٨.

(٥) ابن البلخي، ص ٨٦٧ - ٨٦٨، ٨٢٢.

(٦) المسعودي، مروج، جـ ١ ص ١٤٧. ابن رسته، ص ٨٦ - ٨٧.

(٧) Cahen, Islam, p.129..

ولقد ساعد تنوع المناخ في فارس، على تنوع انتاجها الزراعي. وقسم الجغرافيون فارس إلى ثلاثة مناطق مناخية، المنطقة الحارة « جروم » والمنطقة الباردة « صرود » والمنطقة المعتدلة وتقع بين المنطقتين [١]. وإلى جانب الانتاج الزراعي المتنوع، عرفت فارس ومنذ ما قبل الفتح العربي بعض أنواع الانتاج الحرفي، خاصة النسيج[٢].

وكانت فارس في العهد الساساني، مقسمة إلى خمسة كور هي: اردشير خره، شابور خره، ارجان، اصطخر، ودارا بجرد[٣]. وتشير أسماء هذه الكور إلى أسماء ملوك الفرس الذين أسسوها. وكانت اصطخر التي أسسها كيومرث وأضاف عليها الذين خلفوه عاصمة ملوك الفرس[٤]. أما ارجان فقد أسسها الملك قوباذ والد كسرى انوشروان. وكانت كل كورة مقسمة إلى وحدات اصغر [٥].

واحتفظت فارس بهذا التقسيم، بعد الفتح العربي، فهي خمس كور عند ابن خرداذبه والاصطخري في حين يجعلها المقدسي ست كور باضافة شيراز إذ يجعلها كورة مستقلة [٦]، نظراً لأنها باتت عاصمة الاقليم ومركز الإمارة والدواوين.

بدأت المحاولات العربية الأولى لاحتلال فارس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، حين بعث واليه على البحرين العلاء بن الحضرمي، بعرفجه بن هرثمة البارقي لمهاجمة فارس بحراً، فتمكن عرفجة من فتح جزيرة في البحر مما يلي فارس. ولما ولى الخليفة عمر، عثمان بن أبي العاص، البحرين خلفا للعلاء، أرسل أخاه الحكم بن أبي العاص، في البحر إلى فارس في جيش عظيم ففتح جزيرة لافت ثم صار إلى توج وهي من مدن اردشير خره ففتحها وبنى فيها المساجد وجعلها دار للمسلمين[٧] وذلك سنة ١٩ / ٦٤٠. وبناء على طلب عمر تابع عثمان غزوه لفارس، فتقدم إلى توج ومنها قصد جور واصطخر وقاتل جيش الساسانيين وهزمهم وفتح المدينتين ودعا سكانها إلى الجزية فوافقوا، وعاد عنهم عثمان وذلك في سنة ٢٣ / ٦٤٤. في الوقت نفسه، كان الخليفة عمر قد طلب من أميره على البصرة أبو موسى الأشعري مساعدة عثمان بن أبي العاص. فكان أبو موسى يغزو فارس من البصرة ثم يعود إليها. فيما تابع عثمان تقدمه، ففتح كازرون والنوبندجان،

---

(١) الاصطخري، ص ٨٢. ابن حوقل، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣. المقدسي، ص ٤٤٨. الادريسي، ص ٤١٤. Le strange, p.249.

(٢) Piguleveskaja, p.163.

(٣) ابن البلخي، ص ١٩. EI², art fars, T.II, p.830.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٥. الاصطخري، ص ٧٦.

(٥) Piguleveskaja, p.129.

(٦) الاصطخري، ص ٦٧ ـ ٦٨. ابن خرداذبه، ص ٤٧. المقدسي، ص ٤٢١.

(٧) البلاذري، فتوح، ص ٣٧٨ ـ ٣٨٠.

وبمساعدة أبي موسى فتح القائدان، شيراز وارجان وسينيز على الجزية والخراج، ثم توجه عثمان إلى جنابة ففتحها وفتح أيضاً جهرم بعد أن هزم تجمعات الفرس هناك [1]. وسرعان ما نقض مرزبان فارس شهرك، الصلح وذلك في آخر خلافة عمر وأول خلافة عثمان، فعاد اليه عثمان بن أبي العاص ثانية،وكانت معركة كبيرة قتل فيها الكثير من الساسانيين، وقتل فيها شهرك وابنه [2]. اثرها بعث عثمان بن أبي العاص بقوة من جيشه، واستولى على دار بجرد، وفسا وسابور [3]. لكن هذه الأخيرة عادت ونقضت الصلح في خلافة عثمان بن عفان، فعاد أبو موسى الأشعري وفتحها سنة ٢٦ / ٦٤٦، وكان على مقدمته عثمان بن أبي العاص [4].

وخلال ولاية عبدالله بن عامر على البصرة من قبل الخليفة عثمان بن عفان، بعد عزل أبي موسى الأشعري، انتفض أهل فارس فسار إليهم عاملها عبيدالله بن معمر، والتقوا على باب اصطخر، فانهزم المسلمون وقتل عبيدالله. عندها سار عبدالله بن عامر من البصرة والتقى الطرفان باصطخر فانهزم الفرس وقتل منهم اعداد كثيرة وفتحت اصطخر عنة، ثم سار إلى دارابجرد وكانت قد نقضت ففتحها وكذلك فعل بجور. لكن اصطخر عادت مرة أخرى ونقضت فعاد إليها ابن عامر وفتحها عنوة بعد حصار وقتال شديد ورميت بالمجانيق وقتل فيها خلقاً كثيراً من العجم. وافنى أكثر أهل البيوتات ووجوه الأساوره وكانوا قد لجأوا إليها، وكان ذلك سنة ٢٩/ ٦٤٩ [5].

الأمر الواضح أن فارس قاومت أكثر من أية منطقة أخرى الفتح العربي، وكانت أشد مراكز المقاومة فيها، اصطخر عاصمة الفرس القديمة. كذلك نقضت معظم مدن فارس الأساسية الواحدة تلو الأخرى عهود الصلح التي ابرمتها مع العرب وثارت في وجههم مما استدعى عودة الجيوش العربية لاخضاعها، وكانت كلفة هذه الثورات فادحة. ففي المرة الثانية التي فتحت فيها اصطخر سنة ٢٩ / ٦٤٩ قتل في المعركة من الفرس حوالي ٤٠ ألفاً.

والملاحظ هنا، أنه في حين استغرقت عملية احتلال بلاد ما بين النهرين وبابل، وتثبيت السيطرة العربية هناك، ثلاث سنوات ١٢ - ١٤ / ٦٣٣ - ٦٣٥، فإن مقاطعة فارس الصغيرة ظلت تواجه السيطرة العربية على امتداد عشر سنوات ١٩ - ٢٩ / ٦٤٠ - ٦٤٩ وعندما تم فتح فارس نهائياً عام ٢٩ / ٦٤٩، بات احتلال مجمل الهضبة الإيرانية يتم بسهولة تامة، ولم يستغرق ذلك أكثر من عام ٣١ أو ٣٢ / ٦٥١، ٦٥٢.

لقد استتب الأمر للعرب في فارس بعد سنة ٢٩ / ٦٤٩ فلم تشهد المقاطعة بعد ذلك حركات

---

(١) البلاذري، فتوح، ص ٣٧٨ - ٣٨٤. الطبري، جـ ٥ ص ٢ - ٣.
(٢) الطبري، جـ ٥ ص ٤. ابن الأثير، جـ ٣ ص ٢٠ - ٢١.
(٣) البلاذري، فتوح، ص ٣٨٠ - ٣٨٣.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) البلاذري، فتوح، ص ٣٨٠ - ٣٨٥. الطبري، جـ ٥ ص ٥٤ - ٥٦. ابن الأثير، جـ ٣ ص ٤٩ - ٥١.

تمرد أو ثورات فعلية مناهضة للفاتحين، إلا ما حدث في عهد الخليفة علي سنة ٣٩ / ٦٥٩. ففي أوج الصراع بين علي ومعاوية، استغل أهل فارس وكرمان الوضع، وأعلنوا العصيان وامتنعوا عن دفع الخراج، لكن الخليفة الرابع، أسرع وارسل زياد بن أبيه أميراً على فارس، الذي نجح بالقوة والدهاء في إعادة الإقليم إلى الطاعة (١).

ولا شك، أن فتح فارس وإيران عامة، كان سهلاً وسريعاً رغم المقاومة التي ظهرت في بعض الأحيان، والتي ارتكزت على فلول الجيش الامبراطوري وانضوائها تحت قيادة النبلاء ورجال الدين الفرس. لكن المدهش، كان، تلك التغييرات والتبدلات التي حدثت والتي مست بالعمق الأنظمة والمؤسسات والحياة الاجتماعية الفارسية نتيجة الفتح. فالسكان والبلاد، تشبعوا بالدين الإسلامي وبالعادات العربية، وفقدت الامبراطورية (الإيرانية) إلى حد ما مع تغيير ديانتها، لغتها وطريقة كتابتها وطريقة تفكيرها وعملها (٢).

فالإسلام الذي بدأ انتشاره بطيئاً أول الأمر، واقتصر في القرن الأول الهجري على فئة الموالي، سرعان ما انتشر بعد ذلك، وتحول معظم السكان عن ديانتهم القديمة إلى الدين الجديد بفضل طبيعة الدين الجديد والأسباب الاقتصادية والاجتماعية التي نتجت عن السيطرة العربية (٣). كذلك باتت اللغة العربية هي لغة الدين والعلم والإدارة في فارس كما في كافة المناطق الإيرانية، دون أن يعني ذلك زوال اللغة الفارسية.

فمن الواضح أن السكان الأصليين ظلوا يتكلمون لغتهم بعد أن تطورت بفعل احتكاكها باللغة العربية. فنحن نعلم أن لغة البلاد عند الفتح كانت الفهلوية (Le moyen persan) لكن بعد قرنين أصبحت اللغة السائدة بينهم هي الفارسية (Le persan moderne) (٤). ففي القرن الرابع الهجري، كان سكان فارس، كما يخبرنا جغرافيو هذه الفترة يتكلمون ثلاث لغات: الفارسية التي يتكلمها معظم أهل فارس، والفهلوية التي انحصر تداولها في أوساط رجال الدين الزرادشت، والعربية لغة الدولة والدواوين والأمراء وعامة الناس (٥).

كذلك أدى انتقال قبائل عربية للاستقرار في المناطق الإيرانية، وأيضاً حركة الموالي، إلى اختلاط سكاني واضح. فيحدثنا الاصطخري عن فرس تعربوا وعرب تفرسوا (٦). ونتج عن كل ذلك تداخل وتوحيد للعادات والتقاليد، حتى باتت مثلاً أعياد الفرس القديمة، النيروز والمهرجان

---

(١) الطبري، جـ ٦ ص ٨٠.

(٢) Voir azizi, domination, p.286.

(٣) Cahen, Islam, p.37-38. peuples, art, hist. écon-Soc. p.182-183.

(٤) Minorsky, la perse, p.413.

(٥) الاصطخري، ص ٨٣. ابن حوقل، ص ٢٥٣. Frye, the heritage, p.240-242.

(٦) المصدر نفسه، ص ٨٥.

أعياداً لكل سكان فارس من عرب وفرس مسلمين [١].

ويمكننا تفسير سهولة الفتح وسرعته وبالتالي عمق التغييرات التي حدثت نتيجة الفتح داخل المجتمع الإيراني ومؤسساته بأوضاع الامبراطورية الساسانية في مرحلتها الأخيرة من جهة، وإلى ما حمله الإسلام من دعوات عدالة ومساواة وأمل للمضطهدين والمعدومين من جهة ثانية.

فعشية الفتح العربي، كانت الأمبراطورية الساسانية تعيش أسوأ مراحلها، فالصراعات الدموية بين العائلات الارستقراطية وداخل الأسرة الحاكمة قد وصلت إلى أوجها، والحروب الخارجية مع البيزنطيين قد انهكت الطرفين. وفي كلا الحالتين كانت جماهير الشعب الإيراني هي وقود هذه الحروب. وفي هذه المرحلة كان المجتمع الإيراني آخذاً في التحول من مجتمع عبيد إلى مجتمع الإقطاع. وفي كلا الحالتين كان التفاوت الطبقي داخل المجتمع حاداً بشكل مروع. فمن جهة هناك السادة الارستقراطيون ملاك الأرض ومعهم صغار الملاكين ـ الدهاقين ـ وعلى رأس الجميع الأسرة الساسانية الحاكمة وكانوا جميعاً الطبقة السائدة (حكام الولايات وقادة الجيش والقضاة وكبار رجال الدين من هذه الطبقة فقط)، ومن جهة مقابلة كان هناك مجموع الشعب الايراني، الفلاحون ومعهم الحرفيون والشغيلة والعبيد. وأدى سلب الأراضي من الفلاحين وتسليمها للاقطاعيين الناشئين، إلى حصر ملكية الأرض بالأسر الارستقراطية والمعابد ورجال الدين. وإضافة إلى الاستغلال الاقتصادي وأعمال السخرة، كانت الضرائب تشكل عبئاً لا يحتمل على السكان، كل ذلك أدى إلى قيام حركات معارضة شعبية بإطار ديني، فإذا كان رجال الدين الزرادشتي (دين الدولة الرسمي) أحد أطراف الطبقة السائدة، فقد التف جموع الشعب حول المانوية والمزدكية حتى باتت الأخيرة التي أصبحت أكبر حركة فلاحية، أول احتجاج لفلاحي ايران ضد الاستغلال. ولقد ساهمت المزدكية في زعزعة الكيان الساساني، وساهمت إلى جانب العوامل التي ذكرناها في هدم صرح الامبراطورية الإيرانية، ويسرت للعرب الفتوحات[٢].

فقد نجح العرب باندفاعتهم القوية في تفتيت جيش الامبراطورية الساسانية، وجاءت انتصاراتهم المتلاحقة، بمثابة «تأكيد» لعظمة الدعوة التي يحملونها. وكانت أخبار التحولات الاجتماعية التي حدثت في المجتمع العربي نتيجة الإسلام قد وصلت أصداؤها إلى الداخل الإيراني، مع ما كان يدعو إليه المسلمون من مساواة وعدالة واخاء. فكان من الطبيعي أن ينظر اليهم الإيرانيون الذي يقاسون الظلم والاستبداد والاستغلال بتعاطف على أمل أن يساعدهم العرب بالخلاص من أوضاعهم المزرية.

هذا الوضع هو ما يفسر أحد أسباب سهولة فتح ايران أمام جيش العرب المسلمين، وبالتالي

---

(١) المقدسي، ص ٤٤١.

(٢) Pigulevskaja, p.133-155, 169-170. Frye, the heritage p.224-299. البابكيه، ص ٣٩ ـ ٤٨.

يفسر أيضاً مقاومة فارس في المرحلة الأولى لهذا الفتح، باعتبارها موقعاً قوياً للنبلاء والأشراف ورجال الدين الزرادشتي.

والواقع، أنه رغم التأثيرات العربية ـ الاسلامية القوية التي شملت ايران في مختلف الوجوه، إلا أن فارس تميزت بأنها ظلت الموقع الحافظ للتراث واللغة والعادات الفارسية [(١)].

ويخبرنا المسعودي ما يؤكد على دور فارس في حفظ التراث الفارسي فيذكر أنه رأى في مدينة اصطخر سنة ٣٠٣ / ٩١٥ « عند بعض أهل البيوتات المشرفة من الفرس كتاباً عظيماً، لم اجدها في شيء من كتب الفرس « كخداى ناماه » و « كهناماه » وغيرها مصور فيه ملوك فارس من آل ساسان سبعة وعشرون ملكاً فهم خمسة وعشرون رجلاً وامرأتان قد صور الواحد منهم يوم مات شيخاً كان أو شاباً وحليته وتاجه ومخط لحيته وصورة وجهه وأنهم ملكوا الأرض اربعمائة سنة وثلاثاً وثلاثين سنة وشهراً وسبعة أيام، وأنهم كانوا إذا مات ملك من ملوكهم صوروه على هيئته ورفعوه إلى الخزائن كي لا يخفى على الحي منهم صفة الميت، وصورة كل ملك كان في حرب قائماً، وكل من كان في أمر جالساً وسيرة كل واحد في خواصه وعوامه، وما حدث في ملكه من الكوائن العظيمة والأحداث الجليلة، وكان تاريخ هذا الكتاب أنه كتب مما وجد في خزائن ملوك فارس للنصف من جمادي الآخرة سنة ١١٣ ونقل لهشام بن عبد الملك بن مروان من الفارسية إلى العربية » [(٢)].

وكانت فارس مليئة بالحصون والقلاع، حتى قيل أن قلاعها تزيد على خمسة آلاف موزعة في الجبال وبقرب المدن وفي المدن [(٣)]. وكانت معظم هذه القلاع صعبة المنال حصينة حتى أن بعضها لم يتمكن أحد من فتحها عنوة. وبالتالي أمكن لبعض هذه القلاع بأن تشكل مراكز لحفظ التراث والثقافة الفارسية، بفضل عناية ورعاية النبلاء وبدرجة أكبر رجال الدين الزرادشتي [(٤)]. فالاصطخري وابن حوقل يذكران بأن قلعة الجص الواقعة في كورة ارجان « يسكنها المجوس باياذ كارات الفرس وأيامهم يتدارسون فيها علومهم وهي منيعة رفيعة » [(٥)].

ويذكر الاصطخري أيضاً، عند حديثه عن آثار فارس أنه توجد على أحد جبال كورة سابور، رسوم لكافة ملوك ومرزبانات وموبذات وكبار كهنة معابد النار الفرس. وهذه الرسوم أيضاً موجودة مع أخبار وسير حياة أصحابها على أوراق « أدراج » محفوظة في قلعة الجص بارجان [(٦)].

---

(١) Voir azizi, domination, p.311-312.

(٢) المسعودي، تنبيه، ص ٩٢ ـ ٩٣.

(٣) الاصطخري، ص ٧٣. ابن حوقل، ص ٢٤١.

(٤) ابن البلخي، ص ٨٧٢ ـ ٨٧٨. المقدسي، ص ٢٤١.

(٥) الاصطخري، ص ٧٣. ابن حوقل، ص ٢٤٢.

(٦) الاصطخري، ص ٩٠. azizi, domination, p.313.

ويشير الجغرافيون أيضاً إلى تمركز رجال الدين الزرادشتيين وأتباعهم في أكثر من قلعة، كما أن معظم بيوت النيران المنتشرة في أنحاء فارس ظل معظمها بحوزة اتباعها. ويذكر الاصطخري وابن حوقل بأن المجوس «الزرادشتيين» كانوا أكثر أهل الملل عدداً في فارس ومن ثم النصارى واليهود. وإن كتبهم وبيوت نيرانهم وأديانهم وما كانوا عليه في أيام ملوكهم ما زال في أيديهم ويتدينون به. وكانت فارس تضم أكبر تجمع للمجوس «الزرادشتيين» داخل إيران، لأن بها دار ملكهم وأديانهم وكتبهم [1].

لكن رغم هذا الدور الهام الذي قام به رجال الدين الزرادشتيون في الحفاظ على التراث الفارسي القديم، ورغم أن فارس كانت تضم أكبر تجمع للزرادشتيين داخل إيران، إلا أن فارس لم تعرف بروز حركات معادية للعرب والإسلام، وحتى أن مشاركتها في مثل هذه الحركات التي عمت إيران الشرقية والشمالية تكاد لا تذكر. كما أن دورها في إحياء وبعث النشاط الأدبي والثقافي الفارسي الذي عاد للظهور في القرن الخامس الهجري، كان مقتصراً على حفظ ونقل التراث الفارسي القديم، في حين قامت المناطق الشرقية من إيران بإحيائه.

اتخذت الحركات والانتفاضات المسلحة التي قام بها الإيرانيون، أو التي شاركوا فيها اشكالا ودوافع مختلفة. والشيء الوحيد الذي يجمع بينها أن أحد أسبابها كان، خيبة أمل السكان من سياسات الحكام الجدد الاجتماعية والاقتصادية.

بدأت خيبة الأمل هذه منذ العهد الأموي، حين عمد الأمويون وهم ممثلو الارستقراطية القبلية العربية، إلى التعامل مع سكان المناطق المفتوحة من موقع العصبوية الجنسية والغلبة السياسية، متجاوزين بذلك تلك الدعوات والمبادىء التي نادى بها الإسلام.

فالموالي [2] الذين هم بمعظمهم من الإيرانيين، الذين أسلموا، وارتبطوا بالقبائل العربية عن طريق «صلة الولاء»، لم يستطيعوا رغم ذلك أن يحظوا بالمساواة التامة مع العرب، فظلوا مواطنين من الدرجة الثانية إن جاز التعبير رغم كل الخدمات التي قدموها للدولة الجديدة إذ كان معظم الموظفين والعمال منهم. أما جماهير الفلاحين الإيرانيين، الذين آملوا أن تتحسن أحوالهم على يد الفاتحين الجدد، ودخلوا في الإسلام لما بشر به من مساواة وعدالة اجتماعية، فسرعان ما أخذوا بالتذمر بسبب سياسات الأمويين، الذين أعادوا فرض الضرائب القديمة، كضرائب أعياد النوروز والمهرجان، كما وكان الدهاقين الذين لم يفقدوا سوى موقعهم السياسي، قد احتفظوا بدورهم الاقتصادي والاجتماعي، وأخذوا كسابق عهدهم تولي مهمة جمع الضرائب من السكان بالاتفاق مع السادة العرب الجدد، وكان الفلاحون يكنون لهؤلاء الدهاقين كرهاً شديداً بسبب قساوتهم في

---

(١) الاصطخري، ص ٨٤. ابن حوقل، ص ٢٥٥. المقدسي، ص ٤٢٧ - ٤٢٩.

(٢) Cahen, Islam, p.38-39.

تحصيل الضرائب، كما عانى الفلاحون من جشع العمال وسوء معاملتهم.

خلال العهد الأموي، انحصرت أشكال المعارضة الإيرانية للسلطة العربية، بانضواء الفرس في حركات المعارضة الدينية التي اندلعت بوجه الأمويين والتي حمل لواءها آل علي، خاصة بعد مصرع الإمام الحسين في كربلاء، وكانت من أوائل هذه الانتفاضات، ثورة المختار الثقفي، الذي نجح في السيطرة على العراق بكامله وعلى الأمصار الشرقية حيث انضوت الشعوب المغلوبة على أمرها تحت لوائه في حماسة واندفاع [1]. ورغم الانتصار الكبير الذي حققه المختار على الجيش الأموي، إلا أنه سرعان ما هزم وقتل في شعبان ٦٨ / نيسان ٦٨٧ على أيدي قوات مصعب بن الزبير. ومن يومها شارك الموالي الفرس في معظم حركات المعارضة التي قامت وكانوا وقودها. فعندما نادى العلويون في الكوفة بعبدالله بن معاوية حفيد جعفر أخ علي إماماً، الذي فر إلى إقليم الجبال، بعد هزيمته في الكوفة. هنـاك نجح في استقطاب خلق كثير من الفرس، وجعل مقره في اصطخر وبسط سلطانه على خوزستان وفارس وكرمان، وفتح أبواب هذه البلاد في وجه الخوارج، إلا أن أمره لم يطل فسرعان ما هزم على يد أحد قواد الخليفة الأموي مروان بن محمد وذلك سنة ١٣٠ / ٧٤٧ ومن ثم فر إلى خراسان فقتله أبو مسلم الخراساني بعد أن رأى فيه منافساً مزعجاً.

وعلى هذا المنوال تابع الموالي معارضتهم للأمويين، فما ان تفشل إحدى الحركات حتى تقوم أخرى، ينضوون تحت لوائها على أمل إسقاط الحكم الأموي، وانتزاع حق المساواة مع العرب، فكان الموالي أيضاً عـدة كل الحركات الزيدية. ولئن لم تستطع أي من هذه الحركات الإطاحة بالأمويين فإنها بمجموعها وما ترتب عنها قد أدت في آخر الأمر إلى ذلك.

والملاحظة المهمة هنا، أنه «وإذا اسقطنا من حسابنا بعض الأقطار الهامشية المتطرفة في آسيا الوسطى وفي بلاد البربر، فإننا لا نجد ابان الحكم الأموي ثورة اتصفت بالعداء للعرب والإسلام، في حين أن هذه الثورات قد حدثت في ظل العباسيين» [2]. كذلك وفي حين أن معظم الثورات أبان الحكم الأموي قد انطلقت على العموم من العراق. سيشهد العصر العباسي انتقال موقع المعارضة الأساسي إلى الداخل الإيراني في الوقت الذي عمت فيه الاضطرابات والانتفاضات مختلف أنحاء المملكة.

صحيح أن الثورة العباسية قد حققت للخراسانيين الذين شكلوا إحدى الدعامات الأساسية لها، وللموالي الإيـرانيين عـامـة، حـق المسـاواة مـع العـرب. حتى زالت مـن الاستعمال لفظـة «مولى» [3]، إلا أنها لم تستطع حل المشاكل الإجتماعيةوالاقتصادية التي بدأت مع الأمويين والآخذة

---

(١) بروكلمان، ص ١٣٣.

(٢) Cahen, Islam, p.45.

(٣) بروكلمان، ص ١٧١. Cahen, Islam, p.54.

في التفاقم. كما أن دور الفرس في الثورة لم يعن ولم يؤد إلى زوال النفوذ والسيطرة العربية، التي وإن لم تعد سيطرة كاملة ووحيدة، إلا أنها احتفظت بالموقع الأساسي في الدولة «الخلافة»، كما احتفظت اللغة العربية بسلطانها المطلق في المعاملات الرسمية، وفي مجمل الحياة الفكرية وفي الدين فوق كل شيء [1]. وكان لا بد أن يؤدي كل ذلك إلى ردات فعل للخصوصيات المحلية، وأن تعتمد بعض الثورات التي قامت وقتئذ على قواعد اجتماعية وقومية إلى حد ما. خاصة وإن الحكم العباسي أشد عناية من الأمويين في إدارة دفة الدولة إدارة فعلية وبروح إسلامية، في حين منحت الدولة الأموية حرية التصرف لولاتها في الأقاليم [2].

ويمكننا تصنيف هذه الثورات والفتن التي عمت إيران بوجه الدولة العباسية إلى مجموعتين أساسيتين: حركات اسلامية؛ وحركات غير إسلامية.

أما الأولى فتضم كل الحركات العلوية والزيدية بالإضافة إلى الخوارج.

ولقد عمت ثورات الخوارج إيران منذ القرن ٢ / ٨، فلا شك أنهم شاركوا في فتنة يوسف البرم في خراسان سنة ١٦١ / ٧٧٧. وفي سنة ١٧٩ / ٧٩٥، نودي بحمزة الأزرق أميراً للمؤمنين وبسط سلطانه حتى مدينة حرات. ولم يتم اخضاعه إلا في سنة ٢١٣ / ٨٢٨. وظل الخوارج حتى منتصف القرن التاسع عنصراً مرهوب الجانب من عناصر الحياة العامة، وإذا كان الخلفاء لم يتمكنوا من التغلب عليهم فإن أهالي البلاد ارتدوا عليهم وقهروهم [3].

لكن الخوارج الذين هزموا باستمرار، استطاعوا أن يحققوا نجاحاً مهماً في المغرب وفي افريقيا الشرقية، حيث أنشأ زعيمهم ابن رستم في المغرب الأوسط مدينة طاهرت واتخذ لنفسه رسمياً لقب الإمام عام ١٦١ / ٧٧٧.

أما العلويون الذين كانوا حتى اللحظة الأخيرة من قيام الدولة العباسية يعللون النفس بأن أهل خراسان يعملون لمصلحتهم فسرعان ما تابعوا ثوراتهم بعدما استأثر أبناء عمومتهم العباسيون بالسلطة. لكن معظم هذه الثورات والفتن انحصرت في الجزيرة العربية حتى القرن التاسع. وكان أهمها تلك التي قام بها محمد بن عبدالله المعروف بالنفس الزكية سنة ١٤٥ / ٧٦٢ بالمدينه. لكن جيش المنصور سرعان ما أخمدها وقتل محمد، في هذا الوقت كان أخوه ابراهيم قد أعلن العصيان في البصرة وقويت شوكته ومد نفوذه إلى فارس والسوس لكن قوات الخليفة تمكنت أخيراً من هزيمته وقتله سنة ١٤٦ / ٧٦٣. ومنذ القرن ٣ / ٩، انتقلت الانتفاضات والفتن العلوية إلى خارج الجزيرة العربية، بعيداً عن مركز الخلافة خاصة في المغرب حيث لجأت جميع حركات

---

(١) بروكلمان، ص ١٧١.

(٢) Cahen, Islam, p.55.

(٣) Voir Cahen, Islam, p.57.

المقاومة. أما الحركات الزيدية التي نجحت في النصف الثاني من القرن ٣ / ٩ في إقامة دولتين لها في اليمن وطبرستان فقد سبق وتحدثنا عنها في الفصل السابق.

إلى جانب هذه الحركات التي كان يجمع فيا بينها، معارضتها للحكم العباسي انطلاقاً من فهمها للإسلام ونظمه، قامت حركات أخرى، انطلقت بشكل أساسي من إيران. وكانت متعددة الأهداف والغايات إلا أن ما كان يجمع بينها هو أنها وبعكس الحركات الأولى، لم تنطلق من منطلق اسلامي، بل من منطلقات معادية للإسلام وللعرب، وإن ادعت أحياناً عكس ذلك. وقد بدأت أولى هذه الحركات فور مصرع أبي مسلم الخراساني. إذ ظهرت جماعات قوية تطالب بالثأر له، وتعلن على الملاء أنها تنكر موته، وأنه سوف يعود في زمن قريب. ففي نفس السنة التي قتل فيها أبو مسلم سنة ١٣٧ / ٧٥٤ خرج أحد أتباعه وكان مجوسياً من اتباع زرادشت، يدعى سنباذ، في نيسابور، وكثر اتباعه وكان معظمهم من أهل الجبال، وغلب على نيسابور وقومس والري، واظهر أنه يريد أن يمضي إلى الحجاز ويهدم الكعبة. لكنه هزم في نهاية الأمر على يد قوات الخليفة المنصور ثم قتل على يد أمير طبرستان (١).

ثم برزت الراوندية في سنة ١٤١ / ٧٦١ وربما قبل ذلك في سنة ١٣٦ و ١٣٧ / ٧٥٣ و ٧٥٤ وظهر ممثلون لها خاصة في خراسان كما وجدوا أيضاً في بغداد. وقد بالغ هؤلاء في نشر الأفكار المتطرفة عن العباسيين وكانوا يؤمنون بتناسخ الأرواح. فعندما أتوا قصر المنصور قالوا: هذا قصر ربنا. لكن المنصور سرعان ما أخمد حركتهم (٢).

كذلك قامت حركات مماثلة في مقاطعة ما وراء النهر، حول اسحاق الملقب بالتركي، وحول استاذسيس سنة ١٤٩ / ٧٦٦ في مدينة هرات. وهذا الأخير كان أيضاً مجوسياً وبلغت قواته زهاء ٣٠ ألفاً وغلب على عامة خراسان، لكن قوات الخليفة عادت وهزمته سنة ١٥١ / ٧٦٨ (٣). إلا أن أشهر الفتن والتي دامت من سنة ١٥٩ إلى ١٦٣ / ٧٧٥ - ٧٧٩ هي التي دبرها وقادها ذلك الشخص المسمى هاشم بن حكيم، من أهل مرو وكان رجلاً أعور قصيراً وقد اتخذ وجهاً من ذهب فجعله على وجهه لئلا يرى فسمي المقنع. ولعله كان قد تطوع في قوات ابي مسلم الخراساني ثم انتسب بعدئذٍ إلى الطائفة الراوندية في مدينة مرو. وكان يؤمن بالتناسخ وزعم أن جوهراً إلهياً تجسد على التوالي في شخص آدم وشيت ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وعلي ومحمد بن الحنفية

---

(١) الطبري، جـ ٩ ص ١٦٩. ابن الأثير، جـ ٤ ص ٣٥٧. ابن الطقطي، ص ٢٣٢.
Cahen, Islam, p.55. Frye, the golden, p.128.

(٢) الطبري، جـ ٩ ص ١٧٣. ابن الأثير، جـ ٤ ٣٦٥. Cahen, Islam, p.55-56.

(٣) الطبري، جـ ٩ ص ٢٧٦ - ٢٧٨. ابن الأثير، جـ ٥ ص ٢٨ - ٢٩.
Cahen, Islam, p.55-56. Frye, the golden, p.129.

وابي مسلم وأخيراً في شخصه هو بالذات. ونجح في استمالة خلق كثير. ومن قلعة سنام قرب كش في ما وراء النهر، استطاع المقنع أن يخضع الإقليم كله. وقد نظم المقنع جهاداً حقيقياً ضد المسلمين الذين أحل دمهم، إلى أن وفق جند الخليفة إلى حصاره في قلعته فما كان منه إلا أن اضرم فيها النار فالتهمته وزوجاته ومن بقي من أتباعه [1].

إن السمة المشتركة لهذه الحركات، هي أنها تحاول التوفيق بين عقائد قديمة تتصل بتسلسل الأنبياء والمهدي وتناسخ الأرواح وترمي الى صهر هذه العقائد في بوتقة واحدة، ولعل ذلك عائد إلى بعض الرواسب الاجتماعية والعرقية التي كانت في حال التطور.

والواضح أن انصار هذه الحركات كانوا على العموم من الفلاحين الفقراء والمعدمين، الذين ربما احسوا أن مصرع أبي مسلم هو نهاية لآمالهم في المساواة مع العرب ونهاية لمركز قوتهم في الدولة الجديدة. كما لا شك أن تداخل معتقداتهم القديمة مع المعتقدات الإسلامية الجديدة التي لم تترسخ بعد في نفوسهم قد ساهم في دفعهم إلى تلك الحركات التي تحاول التوفيق ولو بشكل خارجي ومبسط بين تلك العقائد المتعددة. ولم تفشل هذه الحركات فقط بسبب قوة الدولة العباسية الفتية، بل أيضاً بسبب أن المذهب الزرادشتي الرسمي لم يشجع مطلقاً على قيام هذه الفتن لأنه استنكر جميع المحاولات التي ترمي الى التوفيق بين عقائد متباينة. ولأن الزرادشتية التي كانت دين الطبقات العليا في المجتمع الإيراني والتي بات الدهاقون ملاك الأراضي وضمانها ممثليها الأساسيين، كانت قد توقفت عن مقاومة السيطرة الإسلامية منذ أن تم فتح ايران بصورة نهائية، ولهذه الأسباب ربما كانت الزرادشتية هي التي دفعت أبا مسلم إلى البطش بإحدى هذه الحركات التي قادها في مدينة هرات ذلك الشخص المسمى «بهافريد» وكان سلفاً لاستاذسيس [2].

وبعكس الزرادشتية، كانت المزدكية خلال العهد الساساني، ديانة جماهير الفلاحين والفقراء، لما حملته من دعوات لتوزيع الثروات وخاصة الأرض. وبعد الفتح الإسلامي ظل اتباع مزدك منتشرين في اذربيجان والمقاطعات إلى الجنوب من بحر قزوين، بأعداد كبيرة. وفي هذه الأقطار حدثت اضطرابات خطيرة في عهد المنصور اقتضته أن يرسل إليها ابنه المهدي بالذات عام ١٤٢ - ١٤٣/ ٧٥٩ - ٧٦٠، وفي عام ١٦٢/ ٧٧٨. وفيما كانت انتفاضة المقنع مستعرة في ما وراء النهر، قامت إحدى الفرق الخرمية المعروفة بالمحمرة وهي ذات أصول مزدكية، بانتفاضة في جرجان بقيادة رجل يدعى عبد القهار [3]. وفي أيام الرشيد عام ١٩٢/ ٨٠٧، انتفض خرميو

---

(١) الطبري، جـ ٩ ص ٣٣٨، ٣٤٢. ابن الأثير، جـ ٥ ص ٥٢ - ٥٣، ٥٨.
Cahen, Islam, p.56. Frye, the golden, p.130.

(٢) Cahen, Islam, p.56. Frye, the heritage, p.237.

(٣) الطبري، جـ ٩ ص ٣٤٢.

اذربيجان، فأرسل الرشيد جيشاً قوامه عشرة آلاف فارس للقضاء عليهم.

إلا أن أهم هذه الحركات هي التي قام بها بابك المسمى بالخرمي [1]، وكان في حقيقة أمره من اتباع مزدك. وقد نجح بابك في الوصول إلى زعامة أخوانه في العقيدة في مقاطعة «البذ» الجبلية بالقرب من زنجان. كما نجح في استغلال الظروف الاجتماعية وخاصة سخط الفلاحين على حفنة من كبار الملاك العرب المسلمين، فجمع حوله أعداداً غفيرة من الفلاحين والمعدمين، وبدأ تحركه سنة ٢٠٢ / ٨١٧، فدفع جموعه للإغارة على الملاكين وعلى جميع القرى والضياع. وبسرعة سيطر على ذربيجان وانتشرت الفتن حتى مقاطعة كردستان، وفشلت الحملات التي أرسلها الخليفة المأمون على انهاء الحركة، بل امتدت إلى جهات مختلفة من ايران: في قم سنة ٢١٠ / ٨٢٥، واصفهان ٢١٢ / ٨٢٧، وفي قم مرة أخرى ٢١٦ / ٨٣١، وفي همذان ٢١٨ / ٨٣٣ [2].

استمرت ثورة بابك عشرين عاماً من ٢٠٢ - ٢٢٢ / ٨١٧ - ٨٣٦. ولقد فشلت كل جهود المأمون للقضاء عليها، وعندما تولى المعتصم خلافته، بات همه الأساسي القضاء على بابك فنظم حملة ضخمة عهد بقيادتها إلى قائد جيشه «الافشين» وهو أمير تركي من التابعية الإيرانية، الذي وضع خطة محكمة للاطباق على بابك، فأخذ يحتل اذربيجان احتلالاً منظماً، ويعيد بناء القلاع الواحدة تلو الأخرى لأنها كانت تعينه على التغلغل في البلاد، ولتثبيت سيطرته على المناطق التي يحتلها، حتى استطاع أخيراً أن يحاصر مدينة البذ، واجبر بابك على الفرار، لكن سرعان ما قبض عليه بمعونة أحد الأمراء الأرمن الذي خان بابك وسلمه للأفشين، وبعد أن مثل بين يدي المعتصم نفذ فيه حكم الإعدام.

ولا شك إن الدولة العباسية بقضائها على بابك قد تخلصت من عدو كبير وخطير، وبغض النظر عن التهم التي أوردها المؤرخون المسلمون على اختلافهم بحق بابك وجماعته ومذهبهم الاجتماعي، وهذا ليس مجال بحثنا، فقد كان بابك يطمح بالقضاء على الخلافة العباسية وعلى الإسلام.

لكن ما كادت هذه الفتنة تخمد، بعد أن كلفت الدولة الكثير من الأموال والأرواح والجهود، حتى اندلعت فتنة أخرى في طبرستان، بقيادة حاكمها مزيار، الذي أعلن العصيان على الخلافة سنة ٢٢٤ / ٨٣٨. وكان مزيار ينتمي إلى إحدى الأسر التي كانت تحكم هذا الإقليم قديماً، وهم على المذهب المزدكي. لكن الصراعات العائلية اضطرته للّجوء إلى المأمون، فاعتنق الإسلام في الظاهر وولي إدارة بلاده بمشاركة إدارة عباسية. لكن بعد عودته إلى طبرستان، سلك مزيار سياسة لا

---

(١) البابكية، ص ١٣٠ - ١٤٠. Cahen, Islam, p.72-73.
Frye, the golden, p.130.

(٢) البابكيـة، ص ١٨٤.

تعادي الاسلام مباشرة، بل تناوىء - على الأقل - العرب والإيرانيين المسلمين الذين وفدوا إلى تلك البلاد، والسكان المحليين الذين اعتنقوا الدين الإسلامي بالإضافة إلى الحاكم العباسي نفسه. ولا شك أن مزيار، قد قدم بعض المساعدات لبابك، لكن أمر مزيار لم يطل، فسرعان ما نجحت قوات المعتصم في هزيمته فقتل وصلب إلى جانب بابك سنة ٢٢٥ / ٨٣٩.

هذا الاستعراض السريع للثورات والفتن التي عمت إيران منذ الفتح وحتى القرن الثالث الهجري، لا يهدف إلى دراسة هذه الحركات وطبيعتها ومبادئها، وهي التي حملت أبعاداً إجتماعية واضحة خاصة حركة بابك، بل اثبات الملاحظة التالية: في حين عمت الثورات، والفتن معظم المقاطعات الإيرانية، لماذا ظلت فارس بمنأى عن ذلك، رغم أنها ظلت المعقل الأساسي للديانة والتراث الساساني، كما رأينا سابقاً؟

لا شك أن موقع فارس وقربها من عاصمة العباسيين كان أحد الأسباب. ذلك أن الحركات العلوية كانت متمركزة أساساً في العراق، وحين اضطر قادة هذه الحركات إلى الهرب، وأحياناً مع انصارهم، من القمع العباسي، فقد اختاروا أماكن بعيدة عن مركز الخلافة. أما الحركات التي قادها زرادشتيون أو مزادكة، والتي عمت إيران في ذلك الوقت، فلم تكن فارس لتشكل أرضاً صالحة لها، نتيجة موقف رجال الدين الزرادشتيين المعارض بشدة لكل محاولات التوفيق بين الديانات والتي حمل لواءها بعض قادة تلك الحركات ذوي الأصول الزرادشتية كأستاذسيس والمقنع، ولعداوة رجال الدين الزرادشتيين للحركات المزدكية رغم أن فارس تاريخياً لم تكن موقع قدم للديانة المزدكية. ويبدو أيضاً، أن موقف الزرادشتية كان أبعد من ذلك، إذ كان بالأساس ينطلق من موقف مهادن ومتصالح مع الإسلام ودولته القائمة.

كذلك، فقد ساهم الوضع الاقتصادي والاجتماعي لفارس في إبعاد حركات التمرد والثورة عنها. إذ تمتعت فارس بوضع اقتصادي جيد (انظر لاحقاً). فحتى في أيام الأزمات الحادة التي عمت أهم مناطق الخلافة في فترات متفاوتة (انظر سابقاً) والتي رافقتها مجاعات حادة، لم يشر المؤرخون إلى تعرض فارس لمثل ذلك، وكان من الطبيعي أن تكون بؤر تلك الانتفاضات والثورات، بين الفلاحين الأكثر فقراً والمعدمين من سكان الجبال والمناطق الإيرانية الشرقية.

إذاً، لم تعرف فارس حركات التمرد والثورات التي عمت إيران في ذلك الوقت. كما أنها لم تكن قاعدة مشروع «استقلالي» كما كانت خراسان للطاهريين، وسجستان للصفاريين، وما وراء النهر للسامانيين. رغم أنها خضعت في فترات متفاوتة للهيمنة الطاهرية [1]، إذ أخذ الطاهريون يتولون تعيين ولاتها من ٢٣٢ - ٢٥٥ / ٨٤٦ - ٨٦٨، كما خضعت للسيطرة الصفارية، عندما تمكن يعقوب بن الليث سنة ٢٦٩ / ٨٧٤ من الاستيلاء عليها. وبقيت فارس تحت السيطرة

(١) Frye, the golden, p.190-191.

الصفارية حتى عام ٢٩٧ / ٩٠٩، تخللها بعض الفترات، تمكنت خلالها الخلافة من استعادتها لبعض الوقت [١].

منذ سنة ٢٩٧ / ٩٠٩ وحتى السيطرة البويهية عليها سنة ٣٢٢ / ٩٣٣، ظلت فارس خاضعة لسيطرة الخليفة العباسي، إلا أنه كان عليه أن يقوم بجهود كبيرة ليحول دون سيطرة الولاة وقادة الجند عليها.

لقد ساعدت حالة الاستقرار التي عرفتها فارس نتيجة عدم تعرضها للفتن والثورات الى نمو احوالها الاقتصادية والاجتماعية. وساهم كل ذلك، بالإضافة، إلى أهمية موقعها، إلى جعلها هدفاً للكثير من القوى والأمراء المتصارعين كل يسعى لامتلاكها، ليقوى بخيراتها، ولينعم بحالة الاستقرار التي تعيش في ظلها المقاطعة.

(١) Ibid, p.196-199.

القسم الثاني

الفصل الخامس

بويهيو فارس

الفصل السادس

سياسات البويهيين في فارس

الفصل السابع

التنظيمات والأجهزة الادارية والسياسية في فارس

الفصل الثامن

الحياة الاجتماعية، أحوال المدن والنشاط العمراني

الفصل التاسع

الحياة الثقافية

الفصل العاشر

الأوضاع الاقتصادية

الفصل الخامس:

بويهيو فارس

بويه وفارس

كان تكليف مرداويج بن زيار، لعلي بن بويه، أمر الكرج، جنوب شرق همذان، مكافأة له على انضمامه إليه وتخليه عن سيده السابق ماكان بن كاكي (انظر سابقاً) ولتلافي أمر عاملها الذي طمع بأموالها، بمثابة الفرصة الذهبية لهذا القائد المرتزق الطموح، والبداية الأولى للانطلاق في إقامة دولته البويهية.

ولقد ساعدت الصفات الشخصية لرأس الأسرة البويهية وذكاؤه وفطنته وحسن إدراكه للأمور ومعرفته كيفية كسب الرجال وتجميع الجند والأنصار، في تحقيق ما وصل إليه. ويلخص مسكويه ذلك بقوله «كان السبب في ارتفاع علي بن بويه وبلوغه ما بلغ سماحة كثيرة كانت في طبعه وسعة صدره، واقترن بهذا الخلق الشريف خلق آخر أشرف منه وهي شجاعة تامة كانت له واتصل بجميع ذلك اتفاقات محمودة ومولد سعيد»(١). وكان أول ما فعله عند التحاقه بمرداويج أن وطد علاقته بكاتبه الحسين بن محمد الملقب بالعميد(٢)، الذي قدم له مساعدة هامة، حيث قام بابلاغه سراً بقرار مرداويج بالغاء تكليفه بولاية الكرج، وطلب منه التوجه فوراً إلى المقاطعة قبل وصول القرار إلى وشمكيراخ مرداويج المكلف بتنفيذه. وهكذا فاز علي بن بويه بولاية الكرج(٣) وكان ذلك سنة ٣٢١/٩٣٣.

وفور وصوله، وكان معه أقل من مائة رجل من أصحابه(٤)، ابتدأ بالإحسان إلى الرجال وملاطفة عمال البلد الذين كتبوا إلى مرداويج يشكرونه على تعيين بن بويه ويصفون ضبطه للبلد وسياسته(٥). واتفق أن افتتح قلاعاً كانت في أيدي الخرمية بتلك الأطراف، ووقع بين أربابها

---

(١) مسكويه، جـ ١ ص ٢٧٧.

(٢) مسكويه، جـ ١ ص ٢٧٨. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٣١ - ٢٣٢. الهمذاني، ص ٨٨.

(٣) المصدر نفسه، بروكلمان، ص ٢٤٤ - ٢٤٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٩٥. the Cambridge, Vol 4, p.254-255.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٧٨. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٣١ - ٢٣٢.

خلاف فانحاز بعضهم إليه وكشفوا له عن ثروات جليلة صرفها كلها في استمالة الرجال وتجميع الأنصار. كما نجح في استمالة عدد من قواد مرداويج، وانضم إليه من الأطراف ديلم بينهم أحد القادة مع أربعين رجلاً فقوي بهم، وبلغ مجموع قواته نحو ٣٠٠ رجل (١)، الأمر الذي أخاف مرداويج فطالبه بالانصراف عن الكرج فتأخر وتقاعس، فأخذ مرداويج ووشمكير في العمل للقضاء عليه.

وكانت الأخبار تصل إلى علي بن بويه - عن طريق أحد رجاله الذي أبقاه في حضرة وشمكير عندما كان بالري - عن نقمة مرداويج وأخيه، وبأن مرداويج قد حضر إلى الري للتدبير عليه (٢). فخاف علي بن بويه وتوجه إلى اصفهان ليستأمن للمظفر بن ياقوت، وكان مع هذا الأخير ٧٠٠ رجل من الديلم والجيل (٣). لكن المظفر قرر منع علي من دخول اصفهان لكن ما إن اقترب هذا الأخير منها، حتى استأمن إليه قسم من الديلم الذين مع المظفر، بعد أن سمعوا بفضله وعطائه وسعة صدره، وأيضاً نتيجة خلاف وقع بينهم. وبلغ عدد من انضم إليه ٤٠٠ رجل فبلغت قواته ٧٠٠ رجل. ورغم أن جيش ابن ياقوت كان يضم ٤٠٠٠ (٤) رجل فإنه لم يثبت طويلاً لعلي بن بويه فانهزم وتراجع إلى فارس وفيها أبوه ياقوت عامل الخليفة.

١ - فارس، مركز انطلاق السيطرة البويهية: عماد الدولة، علي بن بويه: ٣٢٢ - ٣٣٨ / ٩٣٤ - ٩٤٩

أدى هذا الانتصار إلى تقوية شأن علي بن بويه، لأنه هزم بسبعمائة رجل ما يقارب ٤ آلاف. وبلغ ذلك الخليفة فاستعظمه، كما بلغ خبر الوقعة مرداويج فزاد ذلك من قلقه، خاصة وأنه تخوف من انضمام رجاله إلى البويهي لما انتشر من صيته وفيض عطائه بعكس سلوك مرداويج وسيرته. وحاول مرداويج أن يوقع بعلي حيلة. فأرسل إليه يعاتبه ويستميله ويطمئنه، وفي الوقت نفسه أرسل أخاه وشمكير في جيش كبير ليكبسه وينقض عليه، لكن ابن بويه فطن للخدعة، فأسرع مغادراً اصبهان بعد أن جباها شهرين، وتوجه إلى ارجان فاستولى عليها بعد أن انهزم عنها أبو بكر محمد بن ياقوت إلى رامهرمز من غير حرب واستخرج منها أموالاً كثيرة بلغت مائتي ألف دينار بالإضافة إلى كنوز كثيرة (٥).

كانت ارجان أول منطقة حدودية من اقليم فارس تقع في أيدي البويهيين. وفي بادىء الأمر،

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٧٩، ٢٩٦. the Assumption, p.90.

(٢) مسكويه، جـ ١ ص ٢٩٦.

(٣) المصدر نفسه، وفي مكان آخر يذكر أنهم ٦٠٠، ص ٢٧٩، كذلك يقول ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٣٢.

(٤) المصدر نفسه، وفي مكان آخر يذكر أنهم ١٠٠٠٠، ص ٢٧٩. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٣٢.

(٥) مسكويه، جـ ١ ص ٢٨٠، ٢٩٧. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٣٢. الهمذاني، ص ٨٨. منتظم، جـ ٦ ص ٢٧٠.

تردد علي من متابعة تقدمه نحو قلب الإقليم حيث العاصمة شيراز ، خوفاً من ياقوت وقـوة جيشه ، فكتب إليه يسأله أن يقبله أو أن يسمح له في المصير إلى باب الخليفة فلم يقبله ياقوت ، بل سـار إليـه مع ابنه المظفر ليحاربه . كذلك تخوف علي من اتفاق ياقوت ومرداويج عليه ، فسار إلى النوبندجان في ربيع الآخر سنة ٣٢١ ، وكان قد سبقه إليها مقدمة جيش ياقوت في الفي فارس فهزمهم علي واجبرهم على التراجع حيث جاءهم ياقوت في جميع جيشه .

شجع هذا الانتصار الجديد ، علي بن بويه على الاندفاع داخل فارس ، فأرسل أخاه الحسن إلى كازرون وسابور وغيرها من أعمال فارس ، وهزم جيشاً لياقوت جاء لاخراجه ، ثم عاد إلى النوبندجان لملاقاة أخيه الحسن[١] ، لكن أخبار تبادل الرسائل بين مرداويج ووشمكير وياقوت للاتفاق عليه ، أخافته من جديد فقرر التوجه إلى كرمان وفيها ماكان بن كاكي سيده السابق للاستئمان إليه[٢] . فسار من النوبندجان وياقوت يتبعه بجميع جيشه الذي بلغ ١٧ ألف رجل من جميع الاجناس وليس مع البويهي سوى ٨٠٠ رجل ، إلى أن التقيا على قنطرة على طريق كرمان ، فكانت معركة كبيرة وحاسمة وذلك أواخر سنة ٣٢١ / ٩٣٣ وبداية ٣٢٢ / ٩٣٤ ، استمرت ثلاثة أيام ، كان اليومان الأولان لصالح ياقوت ، إلا أن حسن سياسة علي وشجاعته وسوء تصرف خصمه ، أدت إلى انتصار كبير للبويهي في اليوم الثالث رغم التفاوت العددي الكبير بينهما . حيث قام علي بن بويه ، عشية اليوم الثالث بابلاغ قواته أنه سيترجل معهم ويقاتل كأحدهم ووعدهم ومناهم واستوثق منهم الايمان في الثبات والجهاد[٣] . وبالمقابل أقدم ياقوت على عمل دفع بقوات علي لمقاتلته بشراسة . فعندما استأمن إليه اثنين من كبار رجال الديلم الذين يقاتلون إلى جانب علي ، أمر ياقوت بضرب أعناقهم فوراً ، فتيقن الديلم أنه لا أمان لهم عنده فقاتلوه قتال المستميت[٤] . كذلك ، فقد باكر ياقوت الحرب في اليوم الثالث وعلى مقدمة جيشه كثير من أصحابه يحاربون بمزاريق النفط والنيران فانقلبت الريح فاحترق قسم من مقدمة جيشه فأكب عليهم أصحاب علي بن بويه فقتلوهن وانهزم الفرسان[٥] . وبرز في هذه المعركة ، أحمد بن بويه الأخ الأصغر في الأسرة البويهية ، لما اتصف به من شجاعة وجرأة ، رغم أنه ما كان بعد قد تجاوز التاسعة عشرة من عمره[٦] .

---

(١) مسكويه ، جـ ١ ص ٢٨١ ، ٢٩٧ . ابن الأثير ، جـ ٦ ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ . همذاني ، ص ٨٨ . the Cambridge, vol 4, p.255.

(٢) مسكويه ، جـ ١ ص ٢٨١ ، ٢٩٧ . the Assumption, p.90-91.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٨٢ . ابن الأثير ، جـ ٦ ص ٢٣٤ .

(٤) مسكويه ، جـ ١ ص ٢٨٢ . ابن الأثير ، جـ ٦ ص ٢٣٤ .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٩٨ . المصدر نفسه ، ص ٢٣٥ . الهمذاني ، ص ٨٨ .

لم يصدق ياقوت للوهلة الأولى أنه هزم. وعندما تيقن من ذلك انسحب إلى شيراز تاركاً لعلي فرض سيطرته على المنطقة. ومرة أخرى يثبت علي حنكته السياسية، إذ رفض أثر المعركة أن يشهر بالأسرى بل عفا عنهم وأطلقهم. ثم وبسرعة تابع تقدمه داخل فارس، فاستولى على الزرقان وهي قربة على بعد ستة فراسخ من شيراز ثم انتقل في اليوم التالي إلى الدينكان وعسكر بظاهر شيراز على بعد فرسخ منها، حتى أتاه خبر انسحاب ياقوت من شيراز وان البلد خال، فنادى فيها ببث العدل وأمان للناس، وأرسل قوة من جيشه للمقام فيها وضبطها، لكن جماعات من العامة بالتعاون مع جماعة من الرجالة السودان ومماليك للتناء ثاروا وقتلوا ٧٠ رجلا من قوات ابن بويه. عندها وجه علي أخاه الأصغر أحمد مع ثمانين رجلاً من الديلم الذين نجحوا في قمع هذه الحركة بقسوة بالغة ونادوا في البلد الا يقيم فيه أحد من أصحاب ياقوت وان من وجد بعد ذلك فقد أبيح دمه، فلم يبق في البلد أحد منهم (١).

استقر الأمر لعلي بن بويه في فارس. ومنذ هذا التاريخ ٣٢٢ / ٩٣٤، باتت هذه المقاطعة خاضعة لسلطة البويهيين. وتخبرنا كتب التاريخ عن مصادفات عجيبة وقعت لعلي بن بويه أثر فتحه شيراز كانت «سبباً» في ترسيخ سلطته. وكلها تدور حول عثوره على أموال جمة وذخائر من مخلفات ابن ياقوت وبني الصفار، صرفها على جنده بعد أن طالبوه بالمال، ولم يكن معه ما يكفيهم، مما كان قد يؤدي إلى اضطراب أحواله (٢).

كان أول ما فعله علي بن بويه بعد سيطرته على فارس، تثبيت هذه السيطرة بصورة رسمية شرعية. فكتب إلى الراضي بالله وكانت قد أفضت إليه الخلافة وإلى وزيره أبي علي بن مقله يعرفهما أنه على الطاعة ويطلب أن يقاطع على ما بيده من البلاد ويبذل في كل سنة بعد جميع النفقات ٨ ملايين درهم. فاجيب إلى ذلك وانفذ إليه الوزير بالخلع واللواء في شوال سنة ٣٢٢ وشرط على الرسول ان لا يسلم علي بن بويه اللواء والخلع إلا بعد أن يسلمه المال، لكن علي أرغم الرسول على تسليمه الخلع واللواء وامتنع عن دفع المال (٣).

وفي الوقت نفسه كان على علي بن بويه أن يتخلص بالقوة حيناً والمهادنة حيناً آخر من عدويه الأساسيين: ياقوت الذي تراجع إلى واسط بعد هزيمته الأخيرة ثم عاد إلى الأهواز للإنقضاض على البويهي، ومرداويج بن زيار الذي قامت قيامته عندما بلغه استيلاء علي على فارس واستفحال امره وانضمام الكثير من الرجال اليه، فسار إلى الأهواز بهدف محاصرة ابن بويه وأيضاً مجبراً ياقوت على

(١) مسكويه، جـ ١ ص ٢٨٣، ٢٩٨. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٣٥. الهمذاني، ص ٨٨.

(٢) مسكويه، جـ ١ ص ٢٩٩. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٣٤، ٢٣٥. الهمذاني، ص ٨٨. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٨٢٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٠٠. المصدر نفسه، سيطوي، ص ٣٩١. منتظم، جـ ٦ ص ٢٧٠.

الانسحاب منها [1]. وعندما علم علي بذلك خاف وقرر مصالحة مرداويج، فاتفقا علي أن يخطب له ابن بويه في فارس، ويسلمه أخاه الحسن رهينة لديه لضمان الاتفاق [2] وكان ذلك أواخر ٣٢٢ / ٩٣٤.

ويبدو أن هذه الهدنة بين مرداويج وابن بويه كانت مؤقتة. فيخبرنا مسكويه ان مرداويج كان يعتزم بعد انتهاء فصل الشتاء سنة ٣٢٣ / ٩٣٥ الإطاحة بالبويهيين والسيطرة على فارس، وكان يأمل باحتلال بغداد أيضاً [3]. لكن مصرع مرداويج سنة ٣٢٣ على أيدي عبيده الاتراك [4]، انقذ علي بن بويه من خصم قوي وخطير، واعطى للدولة البويهية الناشئة فرصة أخرى للانطلاق والتوسع.

اثر مقتل مرداويج حاول ياقوت احتلال الأهواز، كذلك فعل علي بن بويه، فالتقى الاثنان في ارجان، حيث انزل البويهي هزيمة أخرى بياقوت لم تقم له بعدها قائمة، وتتبعه إلى رامهرمز ثم عاد علي إلى شيراز بعد أن انتزع إقرار الجميع له بسيطرته على فارس متخلياً عن فكرة احتلال الأهواز مؤقتاً والتي استقر فيها ياقوت [5]. كذلك أدى مصرع مرداويج إلى تقوية علي بن بويه عسكرياً، ففيها التحق الديلم والجيل الذي كانوا مع مرداويج بأخيه وشمكير في الري، انقسم الأتراك قسمين، قسم سار نحو فارس والتحق بعلي بن بويه، والآخر بقيادة بجكم التحق بابن رائق في بغداد [6].

وكان علي البويهي أن يستفيد من هذا الظرف لتوسيع رقعة سيطرته. فجهز أخاه الحسن ـ وكان قد هرب من رهنه عند مرداويج اثر مصرع هذا الأخير [7] ـ وسير معه العساكر إلى بلاد الجبل حيث استولى على اصفهان وازال عنها وعن عدة نواح من تلك البلاد عمال وشمكير. وفي العام التالي ٣٢٤ / ٩٣٥، وبعد أن تم للأخوين علي والحسن أمر فارس والجبل بقي أخوهما الأصغر أحمد من دون ولاية فرأيا أن يسير إلى كرمان للإستيلاء عليها [8].

استولى أحمد على جيرفت عاصمة كرمان بعد أن فر صاحبها محمد بن الياس ومبايعة علي بن كلويه زعيم قبائل القفص والبلوص له، فاقطعه أحمد جيرفت مكافأة له، لكن البويهي الصغير عاد لنقض الاتفاق وغدر بعلي بن كلويه، إلا أن الدائرة دارت على البويهي، حيث هزم في المعركة

---

(١) مسكويه، جـ ١ ص ٣٠١، ٣٠٢. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٣٩.
(٢) المصدر نفسه، the Assumption, p.91.
(٣) المصدر نفسه، ص ٣١٦.
(٤) مسكويه، جـ ١ ص ٣١٤ ـ ٣١٥. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥.
(٥) المصدر نفسه، ص ٣٠٣. المصدر نفسه، ص ٢٣٩.
(٦) المصدر نفسه، ص ٣١٥. المصدر نفسه، ص ٢٤٦. the Cambridge Vol 4, p.256-257.
(٧) مسكويه، جـ ١ ص ٣١٥.
(٨) المصدر نفسه، ص ٣٥٢. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٤٦. the Cambridge, vol 4, p.257.

وقطعت يده وكاد أن يقتل. ورغم أنه عاد وهزم ابن كلويه، كما قضى على محاولة ابن الياس للعودة إلى كرمان، إلا أن أخاه علي أمره بالعودة إلى فارس [١]، حيث بعث به بعد عامين سنة ٣٢٦ / ٩٣٧ على رأس جيش وبرفقة البريدي ـ الذي كان قد التجأ إلى علي بن بويه سنة ٣٢٥ نتيجة الصراعات الدائرة في بغداد (أنظر سابقاً) ـ لفتح الأهواز. نجح أحمد من هزيمة قوات أمير الأمراء بقيادة بجكم مرتين، الأولى قرب ارجان، والثانية قرب عسكر مكرم، التي استولى عليها. لكن البريدي عاد وتخلى عن البويهيين وهرب الى البصرة، ومن هناك كاتب أحمد وطالبه بالتخلي له عن الأهواز لأنه ضمنها من أخيه علي، فصدق أحمد الخدعة، ورحل عن الأهواز إلى عسكر مكرم، وكاد أن يستتب الأمر للبريدي في الأهواز، لولا النجدة السريعة التي تلقاها أحمد من أخيه علي مكنته من استعادة الأهواز واجبار البريدي من جديد للهرب إلى البصرة [٢].

على صعيد آخر، استمر الصراع بين الحسن بن بويه ووشمكير أخ مرداويج للسيطرة على اقليم الجبال، حيث تبادل الطرفان احتلال اصفهان خلال سنتي ٣٢٧، ٣٢٨ [٣]. وفي سنة ٣٣١ / ٩٤٢ نجح الحسن بانتزاع الري أيضاً من وشمكير [٤]، ومنذ ذلك الحين ثبت سيطرته على معظم إقليم الجبال، ولم تخرج هذه المنطقة عن سيطرته سوى في سنتي ٣٣٣ / ٩٤٤ و ٣٣٩ / ٩٥٠ وفي الحالتين على أيدي السامانيين، لكن سرعان ما كان البويهيون يستعيدونها [٥].

في هذا الوقت، كان أحمد البويهي يتابع محاولاته للسيطرة على واسط، وهدفه بغداد، والسيطرة على الحضرة. وقد سبق للبريدي عندما التجأ إلى فارس سنة ٣٢٥، أن اطمع البويهيين واغراهم ببغداد والسيطرة عليها. لكن محاولات أحمد سنة ٣٣١ / ٩٤٢ لاحتلال البصرة [٦] وسنة ٣٣٢ / ٩٤٣ لاحتلال واسط لم تؤد إلى نتيجة، بل هزم في المرة الثانية أمام توزون أمير الأمراء هزيمة شنعاء [٧]. لكن أحمد عاد مرة ثانية وفي السنة نفسها محاولاً احتلال واسط، فخرج له أمير الأمراء توزون والخليفة الجديد المستكفي، ورغم الإنتصارات الأولى التي حققها أحمد البويهي، إلا أنه اضطر إلى التراجع إلى الأهواز بعد أن نجح جيش توزون في اختراق قواته [٨] وكان ذلك سنة ٣٣٣ / ٩٤٤.

---

(١) مسكويه، جـ ١ ص ٣٥٥ ـ ٣٥٦. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٥٧، ٣٧٣، ٣٧٨ ـ ٣٨٧. المصدر نفسه، ص ٢٦٤.

(٣) مسكويه، جـ ١ ص ٤١١. جـ ٢ ص ٦. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٧٢، ٢٧٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢ ص ٦ ـ ٨. المصدر نفسه، ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨. الهمذاني، ص ١١٩ ـ ١٢٠.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢ ص ١٢. المصدر نفسه، ص ٣١٢، ٣٣٦. the Buwayhids of Djibal, p.30.

(٦) المصدر نفسه، ص ٣٧. المصدر نفسه، ص ٢٩٣.

(٧) مسكويه، جـ ٢ ص ٥٠ ـ ٥١. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٩٥. الهمذاني، ص ١٣٧ ـ ١٣٩.

(٨) المصدر نفسه، ص ٧٦ ـ ٧٧. المصدر نفسه، ص ٣١٢. الذهبي، جـ ١ ص ١٥١.

لكن أحداث عام ٣٣٤ هـ في بغداد، جاءت لتعطي البويهيين فرصتهم الذهبية ولتفتح أبواب عاصمة الخلافة أمام جيوش أحمد البويهي. ذلك أنه في هذا العام توفي أمير الأمراء توزون، فخلفه في هذا المنصب ابن شيرزاد الذي وصلت سوء أفعاله حداً لا يطاق مما زاد من اضطراب أحوال العامة نتيجة المصادرات وانتشار أعمال اللصوص وصراعات الأمراء (أنظر سابقاً). وترافق كل ذلك مع انحلال وتفكك سلطة الأسرة البريدية في واسط والبصرة. لذلك فعندما عين ابن شيرزاد ينال كوشه والياً على واسط، سارع هذا الأخير الى مكاتبة أحمد البويهي والدخول في طاعته واستدعاه [١]. وعلى الفور سار أحمد من الأهواز قاصداً بغداد، فاضطربت المدينة، واختفى المستكفي وابن شيرزاد، وعندما انسحب الجند الأتراك الى الموصل، ظهر المستكفي وعاد إلى الحضرة. وقام أبو محمد المهلبي صاحب أحمد البويهي بمفاوضة ابن شيرزاد في مخبئه، وكذلك الخليفة، ونتيجة لذلك دخل أحمد البويهي بغداد في جمادي الثاني ٣٢٤ حيث لقي الخليفة وتبايعا، ولقبه الخليفة بمعز الدولة، ولقب أخاه الأكبر علي بعماد الدولة، وأخاه الثاني الحسن بركن الدولة وهي الألقاب التي عرفوا واشتهروا بها [٢]. ومنذ هذا التاريخ ستقع الخلافة العباسية تحت سيطرة الأسرة البويهية حتى تاريخ دخول السلاجقة وسيطرتهم بدورهم على الخلافة سنة ٤٤٧.

توزع الأخوة الثلاثة المناطق التي خضعت لسيطرتهم. فبات علي عماد الدولة اميراً لفارس، والحسن ركن الدولة اميراً على اقليم الجبال، وأحمد معز الدولة اميراً على العراق. وبسرعة عملوا على ترسيخ سلطتهم وتوسيع رقعة نفوذهم. فلم تمضي سنة ٣٣٥ / ٩٤٦ حتى كان معز الدولة قد اخضع ناصر الدولة الحمداني الطامح بالاستيلاء على بغداد، واجبره على الرضوخ لسلطته [٣]. كذلك فعل بالأتراك عندما خرجوا عليه [٤]. وقضي على الأسرة البريدية في موقعها الأخير بالبصرة، فانتزعها من ايديهم سنة ٣٣٦ / ٩٤٧، وانضم إليه جيش البريدي بأسره فيما التجأ أبو القاسم البريدي إلى القرامطة في هجر [٥]. أما من شك معز الدولة بولائه أو من تمرد عليه من قواده فكان يعتقله ويرسله مسجوناً إلى قلعة رامهرمز في خوزستان هكذا فعل بينال كوشه وفتح اللشكري، وبقادة جيشه الكبار كوركير واصفهدوست [٦]. أما ركن الدولة، فقد تمكن

(١) مسكويه، جـ ٢ ص ٨٤. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٣١٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٥. المصدر نفسه، الهمذاني، ص ١٤٨. ابن خلدون، جـ ١ ص ١٧٤ - ١٧٧. منتظم، جـ ٦ ص ٣٤٠. حتي، جـ ٢ ص ٥٦٤.

Minorsky, domination, p.12-13. EI², art Buyide. T.I. p.1390.

(٣) مسكويه، جـ ٢ ص ٨٩ - ٩٤ و١٠٩. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٣١٦. همذاني، ص ١٥١.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٠٩.

(٥) المصدر نفسه، ص ١١١ - ١١٢. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٣٢٤ - ٣٢٥.

(٦) المصدر نفسه، ص ١١١ - ١١٤. المصدر نفسه، ص ٣٢٥ - ٣٣١.

بمساعدة أخيه علي من إحكام سيطرته على إقليم الجبل بأسره سنة ٣٣٥ ، وفي العام التالي قصد بلاد وشمكير وهزمه وسيطر على طبرستان وجرجان [١].

أما فارس، فالواقع أنه منذ وقوع هذا الأقليم بأيدي علي بن بويه سنة ٣٢٢ / ٩٣٣ ، وحتى وفاة هذا الأخير سنة ٣٣٨ / ٩٤٩ ، فإن المصادر التي بين أيدينا لا تحدثنا عن هذا الإقليم إلا باعتباره معقلاً ومركزاً للتوسع البويهي. ولا تشير إلى علي إلا بكونه المحرك الفعلي لفتوحات أخويه وصاحب الرأي والتدبير في كل ما يحصل. وما عدا ذلك فإننا لا نعرف شيئاً عن أحوال فارس في هذه الفترة ولا عن أعمال علي واسلوب حكمه. لكن مجموع الصفات التي اتصف بها رأس الأسرة البويهية والتي يمكن التقاطها من مجموع الأخبار التي نقلت عنه قبل وأثناء فتح فارس، تظهره بدون شك سياسياً بارعاً حسن التدبير لا يعوزه الدهاء والمكر والشجاعة، وإذا كانت مسايرته لاعدائه وسخاؤه على انصاره وملاطفة عماله وصرفه الكثير من الأموال لشراء الأنصار والمؤيدين، وحسن معاملته لاعدائه [٢]، قد مكنته من تحقيق ما يسعى اليه، فإنه ما إن تم له الأمر وعرف موقعه ومكانه، حتى سلك سلوكاً مختلفاً. فلم يتردد في نقض ما اتفق مع الخليفة عليه، وبالفتك بدون رحمة بالذين حاولوا التمرد عليه إثر دخوله شيراز، وبات أكثر تشدداً مع عماله [٣].

وكان علي مناوراً بارعاً وكثيراً ما أوقع بين اعدائه ليخرج هو سالماً منتصراً [٤]. وليست هناك أية إشارة لميوله الدينية رغم أنه كان شيعياً ويحكم مقاطعة فارس ذات الأغلبية السنية. وينقل ابن الجوزي في رواية عن أحد القرامطة قوله: «لو فطنا لما فطن له ابن بويه الديلمي لاستقامت أمورنا، وذلك أنه ترك المذاهب جانباً وطلب الغلبة والملك فأطاعه الناس» [٥].

كما وكان لعلي كاتباً نصرانياً هو أبو سعد اسرائيل بن موسى، وكان مقرباً جداً إليه لدرجة أن عماد الدولة علي كان يقول «لا أدري هل ما وصلت إليه بدولته أم بدولتي» [٦].

وبعكس أخيها الأكبر عماد الدولة، فلم يكن لركن الدولة ومعز الدولة تلك القدرات السياسية والإدارية. وكان عماد الدولة يعتبرهما بمنزلة ابنائه عليه أن يدربهم ويربيهم ويؤمن لهم الملك والغلبة وكان يقول «إنهما اخواي بالنسب وابناي بالتربية وصنيعتاي بالولايات» [٧]. وفي أواخر أيامه

---

(١) ابن الأثير، جـ ٦/٣٢٨. الهمذاني، ص ١٦٠.

(٢) مسكويه، جـ ١ ص ٢٧٧ – ٢٧٩، ٢٨٣. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٣١ – ٢٣٥.

(٣) مسكويه، جـ ١ ص ٢٩٨ – ٣٠٠. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٣٥. منتظم، جـ ٦ ص ٢٧٠. التنوخي، نشوار، جـ ٢ ص ١٤٨.

(٤) مسكويه، جـ ٢ ص ٦ – ٨ و١٠٠ – ١٠٣. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٧٨، ٣٢١.

(٥) منتظم، جـ ٦ ص ٢٢٤.

(٦) مسكويه، جـ ١ ص ٣٠٤.

(٧) مسكويه، جـ ٢ ص ١١٣.

عندما أحس بازدياد مرضه، لم يكن له من هم سوى تأمين خليفة له على فارس، وضمان وحدة أخويه ومنع وقوع خلاف بينهما بعد وفاته. لذلك سار سنة ٣٣٦ / ٩٤٧ إلى ارجان للقاء أخيه الأصغر أمير العراق معز الدولة ليطلب منه ويؤكد عليه أن يقدم الكبير على نفسه أي أخيه ركن الدولة كما جرت العادة [١]. لذلك فأثر وفاة عماد الدولة، سيتولى ركن الدولة رئاسة الأسرة، وسيقوم الخليفة بتعيينه مكان أخيه وجعله أمير الأمراء [٢]. وفي العام التالي ٣٣٧ / ٩٤٨، أرسل إلى أخيه ركن الدولة يطلب منه انفاذ ابنه فناخسرو ليجعله ولي عهده ووارث مملكته بفارس. وسار فناخسرو إلى شيراز وخرج عماد الدولة للقائه في جميع عسكره واجلسه في داره على السرير وأمر الناس بالسلام عليه ووقف بحضرته لئلا يمتنع أحد، وأمر الجميع بالإنقياد له. وكان من بين كبار قواد عماد الدولة عدد يطمع في الرئاسة، فخافهم عليه، فقبض عليهم وتخلص من خطرهم [٣]. وما إن اتم عماد الدولة تحضير ابن أخيه لخلافته حتى توفي بشيراز [٤] وذلك عام ٣٣٨ / ٩٤٩.

٢ ـ فارس نقطة انطلاق لتوحيد المملكة
عضد الدولة ٣٣٨ ـ ٣٧٢ / ٩٤٩ ـ ٩٨٢

عندما تولى أبو شجاع فناخسرو الذي لقبه الخليفة المطيع سنة ٣٥١ بعضد الدولة، حكم فارس خلفاً لعمه، كان البويهيون قد باتوا يملكون الري والجبل وفارس، والأهواز والعراق ويحمل إليهم ضمان الموصل وديار بكر وديار مضر من الجزيرة [٥]. ولم يكن عضد الدولة قد تجاوز الرابعة عشرة من عمره [٦]. مما شجع الطامعين بالسيطرة على فارس على التحرك من جديد بعد وفاة عماد الدولة، خاصة ان كبار قادة جيش فارس كانوا يعتقدون أنهم أحق بخلافة عماد الدولة، من ابن أخيه الصغير فناخسرو، الذي ما إن تولى الإمارة، حتى دفعوا الجيش إلى الشغب والتمرد، فطلب عضد الدولة نجدة أبيه وعمه؛ فوجه معز الدولة بوزيره الصيمري على رأس جيش إلى شيراز لضبط أمور فارس. كذلك فعل ركن الدولة الذي توجه بنفسه إلى شيراز. ولما تم لهما إصلاح أمر جيش

(١) المصدر نفسه.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٢٠. ابن الأثير، جـ٦ ص ٣٣٢.
(٣) مسكويه، جـ ٢ ص ١٢١ و١٢٢. ابن الأثير، جـ٦ ص ٣٣٢.
(٤) المصدر نفسه، منتظم، جـ ٦ ص ٢٧٠. ابن خلقان، وفيات، جـ ٣ ص ٣٣٩ ـ ٤٠٠. EI², art Imad al-dawla, t. III. p.1185.
(٥) ابن الأثير، جـ ٦ ص ٣٢١ ـ ٣٢٤.
(٦) المصدر نفسه، ص ٢٥٦.

فارس، وضبط البلد سلمه إلى عضد الدولة، بعد أن اقتطع ركن الدولة ارجان وضمها إلى أعماله [١].

وكانت المحنة الثانية التي واجهت عضد الدولة بفارس وهددت ملكه سنة ٣٤٥ / ٩٥٦، عندما تمرد روزبهان على معز الدولة، كذلك فعل أخوه بلكا بشيراز، وأيضاً أخوهما الثالث أسفار في الأهواز. وكان روزبهان من كبار قادة معز الدولة، وقد نجح في استمالة معظم الديلم الذين مع معز الدولة والتحق بأخيه في الأهواز. ولم يكن أمام معز الدولة، أمام اتساع حركة التمرد إلا التوجه بنفسه معتمداً على قواته من الأتراك لمقاتلة روزبهان. فخاض معركة قاسية، انتصر في نهايتها واسر روزبهان.

أما في فارس، فلا نملك معلومات عما دار فيها. لكن يبدو أن عضد الدولة اضطر إلى الخروج من شيراز بعد أن ملكها بلكا، ولم يستطع استرجاعها إلا بمساعدة أبيه ركن الدولة الذي أرسل له الجيوش بقيادة وزيره الكبير ابن العميد الذي هزم بلكا وأعاد عضد الدولة إلى ملكه [٢]. ولا شك أن الخلافات التي نشبت داخل جيش فارس عند تولية عضد الدولة، وانضمام الديلم إلى حركة روزبهان وأخويه قد اضعفت جيش عضد الدولة، وبالتالي اضطرته للخروج من شيراز وطلب المساعدة من ابيه مرة أخرى لاعادته إلى ملكه وتثبيت سلطاته.

لن يبدأ عضد الدولة بالبروز كقوة أساسية إلى جانب عمه معز الدولة وأبيه ركن الدولة إلا منذ عام ٣٥٥ / ٩٦٥، كذلك لن تأخذ فارس باستعادة دورها الذي لعبته أيام عماد الدولة كمركز وموقع أساسيين للبويهيين إلا منذ هذا التاريخ. وعلى الأرجح فإن عضد الدولة قد نجح خلال تلك الفترة الممتدة من ٣٤٥ ـ ٣٥٥ من إعادة تثبيت ملكه وتنظيم شؤون مملكته وفرض هيبته وسلطته.

ففي ذلك العام، ٣٥٥ / ٩٦٥، خرجت قوات عضد الدولة من سيراف لمساعدة عمه معز الدولة في محاولته الجديدة للاستيلاء على عُمان [٣]. وقد تم لمعز الدولة امتلاك عمان التي ستؤول في العام التالي ٣٥٦ / ٩٦٦ واثر وفاة الأخير إلى عضد الدولة [٤]. كذلك ارسل عضد الدولة سنة ٣٥٦ نجدة إلى أبيه ركن الدولة للوقوف بوجه وشمكير بن زيار [٥]. وفي العام التالي ٣٥٧ / ٩٦٧ سينجح عضد الدولة في امتلاك كرمان وانتزاعها من أيدي بني الياس. وعندما علم صاحب

---

(١) مسكويه، جـ ٢ ص ١٢٠، ١٣٧ ـ ١٣٨ ابن الأثير، جـ ٦ ص ٣٣٢. .the Assumption, p.99

(٢) مسكويه، جـ ٢ ص ١٦٢ ـ ١٦٦. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠.

Bürgel, Hofkorrespondenz, p.8, 87.

(٣) مسكويه، جـ ٢ ص ١٤٣، ١٤٤. ابن الجوزي، ابن الأثير، جـ ٦ ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠.

(٤) مسكويه، جـ ٢ ص ١٩٦ ـ ١٩٧. ابن الأثير، جـ ٧ ص ٦.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢١٣. المصدر نفسه، ص ١٥.

سجستان بذلك، تخوف من تقدم عضد الدولة، فكاتبه وصالحه وقدم له الطاعة [1].

لا شك بأن هذه الانتصارات التي حققها عضد الدولة، كانت وليدة حسن سياسته وإعادة تنظيم أمور فارس، وضبطه إياها وترتيب أوضاع جيشه، وتثبيت نفوذه بشكل حاسم ونهائي. ثم جاءت أحداث ٣٥٩ - ٣٦١ / ٩٦٩ - ٩٧١ وفتكه بقبائل القفص والبلوص [2] التي كانت تهدد باستمرار خطوط مواصلات فارس الخارجية، وتثير القلاقل وأعمال الشغب في كرمان وعلى حدود فارس، لتزيد من هيبته ونفوذه.

وفيما كان عضد الدولة يثبت دعائم سلطته ويوسع من حدود مملكته، كان الصراع مستمراً بين ركن الدولة والسامانيين والزياريين على الري وجرجان وطبرستان. وكذلك مع الأكراد بزعامة حسنويه الذين قوي أمرهم [3]. أما في العراق فقد أخذت الأحوال في التدهور نتيجة سوء سياسات معز الدولة الإدارية والاقتصادية وفشله في إخضاع عمران بن شاهين صاحب البطيحة، واستمرار صراعه مع الحمدانيين [4]. وسيزداد التدهور حدة، بعد وفاة معز الدولة سنة ٣٥٦ / ٩٦٦ وتولي ابنه عز الدولة بختيار إمارة العراق. إذ أدت أعمال بختيار [5] وكثرة مصادراته لعماله وكبار رجال دولته، وعدم اهتمامه بإدارة شؤون البلاد، إلى اضطراب الأحوال عليه، فتمرد أخوه حبشي وحاول الاستقلال بالبصرة سنة ٣٥٧ / ٩٦٧ لكنه سرعان ما هزم [6]. وكانت هذه أول حادثة انشقاق داخل الأسرة البويهية. كذلك اضطر بختيار إلى مصالحة عمران بن شاهين سنة ٣٦٠ / ٩٧٠ وأبي تغلب بن حمدان سنة ٣٦٣ / ٩٧٣ بعد أن فشل في اخضاعهما.

كذلك ازدادت هجمات البيزنطيين في هذه الفترة، وبلغت أوجها في سنوات [7] ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩ / ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩. وفي سنة ٣٦١ / ٩٧١ غزا الروم الرها وملكوا نصيبين واحرقوها وسبوا النساء وقتلوا الرجال، كذلك فعلوا بديار بكر، والتجأ قسم من سكان ديار بكر وربيعة إلى بغداد واستنفروا المسلمين فثار العامة واتهموا الخليفة بالتقصير وهاجموا داره، واتهموا بختيار بالاشتغال بالصيد واللهو عن الإهتمام بمصالح المسلمين ومقاتلة اعدائهم. ولم يجد بختيار مناصاً إلا الإدعاء بأنه سيتوجه إلى مقاتلة الروم وأجبر الخليفة على بذل مال للغزو، ولما حصل بختيار على

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٤٩ - ٢٥٣. المصدر نفسه، ص ٢٧ - ٢٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٩٨ - ٣٠٠. المصدر نفسه، ص ٣٩ - ٤٠.
Burgel, Hofkorrespondenz, p.84-86.

(٣) مسكويه، جـ ٢ ص ١٥٤، ١٥٧، ١٦١، ١٩٠، ٢٢٢، ٢٧٣. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٧، ١٨، ٢٣، ٣٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٢٩، ١٦٩، ١٧٠، ٢٠٣، ٢٠٩.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٣٤، ٢٣٥. ابن الأثير، جـ ٧ ص ٢٢. Burgel, Hofkorrespondenz, p.25-34.

(٦) المصدر نفسه، ص ٢٤٢ - ٢٤٦.

(٧) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٢٩، ٣٤، ٣٧.

الأموال انفقها في أغراضه وأهمل الغزو. وكان الناس قد أبدوا استعدادهم للتطوع لقتال الروم. فكثر حملة السلاح، لكن اهمال بختيار وعدم جديته أدى إلى انفلات الوضع في بغداد فكثرت الفتن، وخرج العيارون، وكادت بغداد أن تصير إلى خراب [1]. ولم تكن أحوال الدولة أحسن حالاً، فعادت الرشوة وشراء المناصب، وتخلى بختيار عن كل مهامه إلى وزرائه وكتابه [2].

لا شك أن تدهور الأحوال في العراق على تلك الصورة، قد ساهم في دفع عضد الدولة إلى التفكير جدياً بالسيطرة على عاصمة الخلافة والإطاحة بابن عمه بختيار. لكن ذلك لم يكن سوى الحجة التي سيتلطى بها عضد الدولة لتحقيق حلمه. فقد كان يطمح بالسيطرة على بغداد، منذ أن ثبت دعائم حكمه في فارس، مدفوعاً بطموح شخصي للزعامة والسيطرة. ونظراً لأهمية بغداد السياسية كونها عاصمة الخلافة ومركز الثقل الأساسي للمملكة الإسلامية، وأيضاً مركز المدنية والثقافة وملتقى العلماء والأدباء. ولا بد أن عضد الدولة كان يدرك، أنه مهما علا شأن فارس وقوي مركزها لا يمكن أن تبلغ شأو بغداد.

ولا شك أن عضد الدولة كان ينتظر الفرصة المناسبة للانقضاض على بختيار وانتزاع بغداد منه. ويخبرنا مسكويه أنه كان يتتبع أخبار العراق يوماً يوماً ويطمع أن يملكها [3]. وجاءته الفرصة سنة ٣٦٣ / ٩٧٣، عند وقوع الخلاف بين بختيار وصاحب جيشه سبكتكين التركي. وتطور الأمر إلى الحرب بينهما، وكانت الدائرة تدور على بختيار فأرسل يستنجد بعمه ركن الدولة وابن عمه عضد الدولة وإلى أبي تغلب بن حمدان، وعمران بن شاهين [4]. وفيما أجابه هذا الأخير رافضاً، ساخراً منه، وابن حمدان مناوراً، أدرك ركن الدولة الخطر المحدق بابن أخيه، وبأن الأمر يتطلب رجالاً ومالاً كثيراً. فعهد إلى ابنه عضد الدولة بالمهمة، وأرسل من قبله وزيره أبو الفتح ابن العميد. وكان عضد الدولة قد عمد إلى اقناع أبيه بعدم الخروج بنفسه لنجدة بختيار والاعتماد عليه في ذلك [5]، لينفرد بالأمر. كما تعمد عضد الدولة المماطلة والإبطاء في المسير لنجدة بختيار على أمل أن تستحكم الفتن ببغداد وتزداد حالة بختيار ضعفاً ويزول أمره، فيسير عندئذ ويدبر أمر تلك الممالك ويضمها إلى ممالكه [6].

وكانت كتب بختيار تتوالى على عمه وابن عمه طلباً للإسراع بالنجدة، ويضج ركن الدولة من تباطؤ ابنه عضد الدولة ويحثه على المسير، وكانت حالة بختيار قد وصلت إلى غاية السوء، خاصة

---

(١) مسكويه، جـ ٢ ص ٣٠٥ - ٣٠٨. ابن الأثير، جـ ٧ ص ٤٤ - ٤٥.
(٢) المصدر نفسه، ص ٢٦٤ - ٢٦٨، ٢٨٢، ٢٨٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٤.
(٣) مسكويه، جـ ٢ ص ٣٣١.
(٤) المصدر نفسه، ص ٣٢٩. ابن الأثير، جـ ٧ ص ٥٦.
(٥) المصدر نفسه، ص ٣٣١.
(٦) مسكويه، جـ ٢ ص ٣٣١.

بعد اشتداد الحصار عليه من قبل الأتراك بقيادة الفتكين الذي خلف سبكتكين اثر وفاته. عندها لم يجد عضد الدولة بدأً من المسير [١]. فسار من فارس بجيش عظيم، وسار أبو الفتح ابن العميد من الري بعدة يسيرة باتجاه بغداد، والتقيا بالأهواز. وكان واضحاً من ضخامة الجيش والآلات التي اصطحبها معه عضد الدولة أنها ليست معدات وجيش من يريد أن ينصر ابن عمه ثم يعود إلى فارس، بل من يريد أن يقيم في العراق ويستولي عليه.

وتم لعضد الدولة هزيمة الأتراك في جمادي الأول سنة ٣٦٤ / ٩٦٤ ودخل بغداد، وقام اثر ذلك، بتحريض جند بختيار، وحضهم على التخلي عنه، فكان له ما أراد، عندها أقدم على اعتقال بختيار وأخويه في جمادي الاخرة من هذا العام واستولى على بغداد [٢].

لكن الأمور لم تستتب لعضد الدولة. فسرعان ما أعلن المرزبان ابن بختيار تمرده في البصرة [٣]. كذلك الوزير ابن بقيه في واسط [٤]. كما اصطدم عضد الدولة، بمعارضة شديدة وحاسمة من قبل والده ركن الدولة الذي هدد بالمسير بنفسه للإفراج عن أولاد أخيه وإعادة العراق لبختيار، وترافق كل ذلك مع تكاثر الأعداء عليه حين علموا بخلافه مع أبيه [٥]، كذلك نفاذ الأموال بين يديه وانقطاع موارد مقاطعاته عنه. كل ذلك دفع بعضد الدولة إلى التراجع، فأفرج عن بختيار وأخويه، وعاد إلى فارس في شوال سنة ٣٦٤ / ٩٧٤، بانتظار فرصة أخرى [٦].

كان عضد الدولة عند توجهه إلى بغداد، قد بعث بوزيره أبي القاسم المطهر بن عبدالله على رأس جيش إلى عُمان فأعاد إخضاعها [٧]؛ وعندما اضطربت عليه أحوال كرمان، حيث عمد خصومه فيها، استغلال انشغاله بالعراق ليثوروا عليه، أسرع ووجه لهم وزيره المطهر بعد أن عاد من عُمان، وقضى على التمرد، وعادت كرمان لطاعة عضد الدولة [٨].

وبعد وصوله إلى فارس، عائداً من بغداد، كان هم عضد الدولة مصالحة أبيه ركن الدولة وإزالة الوحشة القائمة بينهما إثر قضية بختيار. وكان يسعى من وراء ذلك إلى إعادة تقوية نفوذه وهيبته التي تزعزعت قليلاً بسبب ذلك، وأيضاً ضمان خلافة أبيه في ملكه. وتم له ذلك، والتقى بأبيه في اصفهان وتصالحا. وبحضور ولديه الآخرين، فخر الدولة علي، ومؤيد الدولة بويه، ووجوه

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٣٣. ابن الأثير، جـ ٧ ص ٥٧. الهمذاني تكملة ص ٢١٤ - ٢١٨.

(٢) مسكويه، جـ ٢ ص ٣٣٧ - ٣٤٣. ابن الأثير، جـ ٧ ص ٥٩ - ٦٠.
Burgel, Hofkorrespondenz, p.48-47.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٤١ - ٣٤٣. المصدر نفسه، ص ٦٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٤٤ - ٣٤٧. المصدر نفسه، ص ٦٠ - ٦١.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٤٦ - ٣٥٠. المصدر نفسه، ص ٦٠ - ٦١. Ibid.

(٦) مسكويه، جـ ٢ ص ٣٥٢، ابن الأثير، جـ ٧ ص ٦٢.

(٧) المصدر نفسه، ص ٣٦٠. المصدر نفسه، ص ٥٧. Bürgel, Hofkorrespondenz, p.84-89.

(٨) المصدر نفسه، ص ٣٦٠ - ٣٦١. المصدر نفسه، ص ٦٢.

الأمراء والقواد، أعلن ركن الدولة، تولية عضد الدولة ولاية عهده وخلافته على ممالكه، وأن أخويه خلفاؤه في الأعمال التي قررها لهم، أي همذان وديناور لفخر الدولة، واصفهان وأعمالها لمؤيد الدولة. وأقر الأخوان لأخيهما عضد الدولة بالرئاسة، وكان ذلك سنة ٣٦٥ / ٩٧٥ (١).

بوفاة ركن الدولة في العام التالي (٢)، بات عضد الدولة رأس الأسرة البويهية، وامتدت سلطته لتشمل إلى جانب فارس وكرمان وعُمان، اصفهان وأعمالها وهمذان ودينـاور حيـث كـان أخـواه يتولون حكمها بمثابة نواب عنه.

ومن جديد، باتت الفرصة مؤاتية أمام عضد الدولة، لانتزاع بغداد، وملك العراق بعد أن زال المعارض الأساسي لذلك، أي ركن الدولة. ولم يكن بختيار قد استفاد من تجربته السابقة، فاستمر على سياساته السابقة، واهتمامه بأموره الخاصة، فيما أظهر مرة أخرى معاداته لعضد الدولة ومناهضته إياه. وكان عضد الدولة قد أخذ على نفسه عهداً أمام أبيه يوم ولاه خلافته، أن لا يتعرض لبختيار ما دام الأخير لا يتعرض له ويكف عن مناهضته (٣). لكن بختيار سرعان ما أقدم على قطع الخطبة ببغداد وجميع منابر العراق عن اسم عضد الدولة. وزعم أن الرياسة له بعد ركن الدولة. كما نجح بمساعدة وزيره ابن بقيه في استمالة أصحاب الأطراف كحسنويه الكردي، وأبي تغلب بن حمدان وعمران بن شاهين. كذلك تمكنا من تحريض فخر الدولة ضد أخيه عضد الدولة وضمه إلى جانبهما (٤).

لم يعد أمام عضد الدولة، أي سبب يحول دون تحركه لتحقيق حلمه الكبير. فسار في نفس هذا العام ٣٦٦ / ٩٦٦ من فارس قاصداً بغداد، فيما انحدر بختيار إلى الأهواز لملاقاته هناك. وجاءت نتيجة المعركة هزيمة كبيرة لبختيار تراجع على أثرها إلى واسط. وكان حسنويه الكردي، وأبو تغلب الحمداني قد وعداه بالمساعدة والنصرة فلم يف له واحد منهما. أما عضد الدولة فقد أرسل إلى البصرة جيشاً فملكها. عندها لم يجد بختيار بداً من الصلح فراسل عضد الدولة في ذلك، لكنه عاد ونقض ما اتفق عليه. فتقدم عضد الدولة اثر ذلك نحو بغداد، وكان ذلك في سنة ٣٦٧ / ٩٧٧ وخير بختيار بين الدخول في طاعته أو أن يسير عن العراق إلى أية جهة أراد. فدخل بختيار في الطاعة على أن يسير إلى الشام. ودخل عضد الدولة بغداد وخطب له بها ولم يكن قبل ذلك يخطب لأحد ببغداد وضرب على بابه ثلاث نوب، ولم تجر بذلك عادة من تقدمه. لكن بختيار عاد ونقض تعهداته فبدلاً من أن يتوجه إلى الشام كما هو مقرر، سـار نحو الموصـل وتحالـف مـع أبي تغلـب

---

(١) مسكويه، جـ ٢ ص ٣٦١ - ٣٦٤. ابن الأثير، جـ ٧ ص ٨٠. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٨٠. the Cambridge, vol 4, p.268.

(٢) ابن خلقان، جـ ٢ ص ١١٨ - ١١٩.

(٣) مسكويه، جـ ٢ ص ٣٦٤.

(٤) المصدر نفسه، ابن الأثير، جـ ٧ ص ٨١. EI^2, art Fakhr al-dawla t. II, p.762.

الحمداني واتفقا على محاربة عضد الدولة والعودة إلى بغداد. وعندما علم عضد الدولة بذلك، لم يترك لهم الفرصة، وأسرع نحوهما وهزمهما في ١٨ شوال ٣٦٧، وأسر بختيار وأمر بقتله. وبذلك استقر له الأمر في العراق (١).

بات عضد الدولة الحاكم الفعلي للخلافة العباسية دون منازع أو شريك. ونجح في توحيد القسم الأساسي من ممالك الخلافة تحت سلطة واحدة هي سلطته. وقد تطلب ذلك اخضاع كل الأطراف المحلية التي كبرت ونمت وقويت نتيجة التفكك وحالة الانهيار التي عاشتها الخلافة.

بدأ عضد الدولة تحركه فور التخلص من بختيار، فاستولى على مملكة الحمدانيين، الموصل وديار ربيعة وديار بكر مما اضطر أبا تغلب الحمداني للّجوء إلى الشام (٢) مستأمناً بالفاطميين وذلك في ٣٦٧ - ٣٦٨ / ٩٧٧ - ٩٧٨. كما حاول الاستفادة من وفاة عمران بن شاهين للاستيلاء على البطيحة. لكن وزيره المطهر الذي قاد هذه الحملة هزم في المعركة أمام الحسن بن عمران الذي خلف أباه. ودفعت هذه الهزيمة بالمطهر إلى الانتحار خوفاً من عضد الدولة الذي اضطر إلى مصالحة الحسن بن عمران مؤقتاً. لكنه عاد وهزمه (٣).

كما بعث عضد الدولة في هذا العام نفسه، بجيش لاخضاع بني شيبان وحلفائهم أكراد شهرزور، وكانوا يعيثون فساداً في البلاد ويقومون بأعمال السلب والنهب ويغيرون على قوافل التجار والحجيج وعلى المزارع والمدن، ولم يفلح باخضاعهم أحد من قبل، ونجحت قوات عضد الدولة بانزال هزيمة قاسية ببني شيبان قتل فيها الكثير ونهبت أموالهم وأسر منهم ٨٠٠ رجل. وبذلك زالت تعدياتهم عن أعمال بغداد والسواد، واستتب الأمن (٤). كذلك فعل ببقية الدعار ومنهم ضبة بن محمد الأسدي فاستولى على قصره في عين تمـر واسر معظم جماعته (٥).

وكان حسنويه الكردي، مع جماعات أخرى من الأكراد، قد سيطروا على أطراف نواحي الدينور وهمذان ونهاوند والصامغان وبعض أطراف اذربيجان نحو خمسين سنة (٦). وسبق لحسنويه أن لعب دوراً كبيراً في تحريض فخر الدولة وحثه على الخروج عن طاعة أخيه عضد الدولة. كما قام بتشجيع بختيار على مقاتلة ابن عمه. وكانت سياسته تقوم على تفريق وتشتيت كلمة البويهيين

(١) مسكويه، جـ ٢ ص ٣٦٥ - ٣٨١. ابن الأثير، ص ٨١، ٩٠ - ٩٢. the Cambridge, vol 4, p.269.
The Assumption, p.100-107. Bürgel, Hofkorrespondenz, p.90-112.

(٢) مسكويه، جـ ٢ ص ٣٨٢ - ٣٩٥. ابن الأثير، جـ ٧ ص ٩٢ - ٩٦. رسائل الصاحب، ص ١٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٠٩ - ٤١٤. ابن الأثير، جـ ٧ ص ٩٩.
Bürgel, Hofkorrespondenz, p.130-136.

(٤) مسكويه، جـ ٢ ص ٣٩٨ - ٣٩٩. ابن الأثير، جـ ٧ ص ٩٩.

(٥) المصدر نفسه، ص ٤١٤.

(٦) المصدر نفسه، ص ٤١٤ - ٤١٥. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٠١.

ليعجزوا عن اخضاعه ويتم امره في مناطقه.

لكن حسنويه توفي سنة ٣٦٩ / ٩٧٩، فاختلف أبناؤه من بعده. فانحاز بعضهم إلى فخر الدولة وقسم إلى عضد الدولة وكان من بين هؤلاء بختيار بن حسنويه الذي كان مستولياً على قلعة سرماج وهي قلعة أبيه وفيها أمواله وذخائره، فكاتب عضد الدولة ورغب في طاعته ثم بدل رأيه. ووجد عضد الدولة الفرصة مناسبة للتحرك نحو إقليم الجبال لضبط أعماله معتقداً أن وفاة حسنويه ستزيل الخلاف بينه وبين أخيه العاق فخر الدولة [١]. لكن هذا الأخير أصر على الاستمرار في الخلاف. فتابع عضد الدولة تقدمه، وما ان اقتربت جيوشه من همذان، حتى استأمن إليه قواد فخر الدولة ووزيره ورجال حسنويه فانحل أمر فخر الدولة وترك همذان التي دخلتها جيوش عضد الدولة، وهرب إلى بلد الديلم ثم إلى جرجان ملتجئاً عند قابوس بن وشمكير. وملك عضد الدولة ما كان بيد فخر الدولة، همذان والري وما بينهما من تلك النواحي وسلمها إلى أخيه مؤيد الدولة وجعله خليفته ونائبه في تلك البلاد. ثم قصدت جيوش عضد الدولة بلاد حسنويه الكردي، نهاوند والدينور ثم قلعة سرماج واعتقل بختيار بن حسنويه وأخذ أموال القلعة وما فيها من ذخائر، كما استولى على قلاع أخرى لأولاد حسنويه، وقبض عليهم، وأحسن إلى واحد منهم واصطنعه وهو بدر بن حسنويه وخلع عليه وولاه رعاية الأكراد وقواه بالرجال فضبط تلك النواحي واستقام أمرها [٢].

تم لعضد الدولة، ترسيخ ملكه، وثبت الأمن والاستقرار بعد أن افتقدتها البلاد فترة طويلة، واخضع كل المتمردين والدويلات الصغيرة التي كانت قد ظهرت في الجبال والعراق في ظل البويهيين ومن قبلهم، وأنشأ امبراطورية قاربت في اتساعها ما كان لهارون الرشيد كما يقول فيليب حتي [٣]، وتزوج ابنة الخليفة الطائع وزوج الخليفة من ابنته وهو يأمل أن تؤدي الخلافة إلى أحد ذريته [٤].

ويذكر مسكويه [٥]، أنه في عام ٣٦٩ / ٩٧٩، وبعد أن فرغ عضد الدولة من العدوين الكبيرين بختيار وأبي تغلب وملك ديارهما ورجالهما، كان يتطلع إلى مصر خاصة، وإلى بلاد الروم، إلا أنه قرر متابعة استئصال معارضيه الصغار فبدأ بالحسن بن عمران، كما ذكرنا. لكن ليس لدينا ـ ما عدا إشارة مسكويه ـ أية معلومات حول جدية طموح عضد الدولة بغزو مصر أو بلاد الروم.

---

(١) هو دائماً في رسائل الصاحب بن عباد، الأمير العاق: رسائل، ص ٣ و٤.
(٢) مسكويه، جـ ٢ ص ٤١٥، ٤١٦. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٠١ ـ ١٠٢.
(٣) وهو قول مبالغ فيه. انظر حتي، تاريخ العرب، جـ ٢ ص ٥٦٦.
(٤) مسكويه، جـ ٢ ص ٤١٤. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٠٢.
(٥) مسكويه، جـ ٢ ص ٤٠٩.

وإن بدا أن تعاظم قوته في تلك الفترة أخافت الجانبين، وأدخلته طرفاً غير مباشر في الصراعات الداخلية الدائرة في بيزنطة.

ففي سنة ٣٦٩ / ٩٧٩، التجأ أحد المتنازعين على عرش بيزنطة، وهو سقلاروس الرومي المعروف بورد «Bardas sclerus» إلى ديار بكر وارسل مبعوثاً إلى عضد الدولة طالباً المساعدة والنجدة باذلاً من نفسه الطاعة والمعاهدة. لكن القسطنطينية، ما إن علمت بذلك، حتى أسرعت وبعثت برسول إلى بلاط عضد الدولة لنقض ما شرع فيه خصمها ورد. واجتمع هذان الرسولان على بساط عضد الدولة، يتنافسان في التقرب إليه ويبذلان الكثير له. ويقول مسكويه إن ذلك «ما لم يكن مثله قط وهو من مآثر عضد الدولة» [1]. لكن الأمير البويهي مال إلى ترجيح كفة القسطنطينية وتخلى عن ورد واعتقله مع عائلته وأسرته.

كذلك، فقد حدث، أنه وفي هذا العام نفسه ٣٦٩ / ٩٧٩ وصل إلى بغداد رسول من قبل الخليفة الفاطمي العزيز، الذي كان قلقاً من الإشاعات التي تتحدث عن رغبة عضد الدولة في غزو مصر. وبالرغم من التطمينات التي قدمها عضد الدولة مؤكداً حسن نواياه، إلا أن عضد الدولة ظل وحتى وفاته يثير مخاوف القاهرة [2].

لم يتح لعضد الدولة استكمال مشروعاته. فتوفي في شوال سنة ٣٧٣ / ٩٨٢، بعد أن أعاد للخلافة العباسية التي كان يحكم باسمها الكثير من عزها وقوتها ونفوذها السابق في الداخل والخارج، وأعاد لبغداد مكانتها كعاصمة الخلافة، فأعاد تعميرها [3] بعد أن عمها الخراب والدمار نتيجة الفتن المتتالية التي سبقت مجيئه إليها. كما عرفت فارس خلال حكمه أزهى عصورها ان لجهة حالة الاستقرار والأمن الداخلي، أو لتطور أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية.

٣ ـ فارس محور صراعات البويهيين:

شرف الدولة ٣٧٢ ـ ٣٧٩ / ٩٨٢ ـ ٩٨٩

عند وفاة عضد الدولة، كان ابنه الأكبر شرف الدولة أبو الفوارس في كرمان، فاجمع القواد والأمراء على ولده الثاني ابي كاليجار المرزبان الذي لقبه الخليفة الطائع بصمصام الدولة [4].

كان أول ما فعله الأمير الجديد تأمين سيطرته على فارس، فأقطعها أخويه ابي الحسين أحمد وأبي طاهر فيروز شاه وأمرهما بالإسراع في المسير مخافة أن تقع المقاطعة في أيدي أخيهما الأكبر

(١) مسكويه، جـ ٢ ص ٣٩٦ ـ ٣٩٧. ابن الاثير، جـ ٧ ص ١٠٠.
(٢) مسكويه، جـ ٢ ص ٤١٢. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٠٢.
EI[2], art Adud al-dawla t. I., p. 218.
(٣) مسكويه، جـ ٢ ص ٤٠٥ ـ ٤٠٨. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٠٠.
(٤) ذيل، ص ٧٨. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١١٥.

شرف الدولة (١) . الذي سار بدوره من كرمان مسرعاً باتجاه فارس ليملكها ، خاصة وأنه كان يعتبر نفسه أحق بخلافة أبيه من أخيه.

إذن، ابتدأت مرحلة ما بعد عضد الدولة في فارس، بالصراع بين خلفائه على هذا الإقليم، والكل يدرك أهميته إن من جهة موقعه أو لجهة غناه الاقتصادي وكأنهم كانوا يدركون ان من يملكه ستكون له الغلبة على العراق ودار الخلافة. ونجح شرف الدولة في استباق أخويه إلى فارس وملكها، عندها لم يجدا، وكانا قد وصلا إلى ارجان، بدأ من الانسحاب، فعادا إلى الأهواز، وملكها أبو الحسين أحمد الذي تلقب بتاج الدولة، وأعلن العصيان على صمصام الدولة، ثم امتلك البصرة وولى عليها أخاه أبا طاهر فيروز شاه ولقبه ضياء الدولة (٢) .

باتت دولة عضد الدولة إثر وفاته، موزعة بين أبنائه ففيما احتفظ أخوه مؤيد الدولة بإقليم الجبال وجرجان، باتت فارس وكرمان وعُمان بأيدي شرف الدولة، والعراق وديار بكر مع صمصام الدولة، والبصرة والأهواز مع تاج الدولة. وكان لا بد أن تؤدي حالة التفكك والصراعات هذه إلى عودة الاضطراب في أحوال المملكة، فعادت بغداد لتشهد موجات الغلاء في الأسعار (٣)، بعد أن انقطعت عنها موارد باقي الأقاليم، وعادت جماعات الغزو والسلب والأمراء المحليين بالظهور من جديد مستفيدين من تفكك السلطة المركزية والصراعات الدائرة بين الأمراء البويهيين (٤) .

استتب الأمر لشرف الدولة في فارس، وأصلح أمر البلاد، وأطلق عدداً من القواد والأشراف كان عضد الدولة قد اعتقلهم (٥). وكان هدفه الاستيلاء على العراق وانتزاعه من يد أخيه صمصام الدولة. وفي بادىء الأمر وافق على التحالف مع عمه مؤيد الدولة الذي كان بدوره يطمح في خلافة أخيه عضد الدولة، لكن وفاة مؤيد الدولة في هذه الأثناء، شعبان ٣٧٣ / ٩٨٣، حالت دون اتمام المشروع (٦).

واثر وفاته، اختار كبار رجال دولته وعلى رأسهم وزيره الصاحب بن عباد، أخاه فخر الدولة خليفة له، واستعاد ملكه السابق وملك أخيه (٧). وفيما لم تشر المصادر إلى أية اضطرابات داخل

---

(١) ذيل، ص ٧٩. المصدر نفسه، ص ١١٥.

(٢) ذيل، ص ٧٩ - ٨٠. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٩٠٠. the Cambridge, vol 4, p.290-291. the Assumption, part II, p.168, 169.

(٣) المصدر نفسه، ص ٨٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ٨٤ و٨٦ - ٨٧. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٢١.

(٥) ذيل، ص ٨١. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١١٥.

(٦) ذيل، ص ٩٠ - ٩١. المصدر نفسه، ص ١١٧. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ١٢١.

(٧) المصدر نفسه، ص ٩٣ - ٩٥. المصدر نفسه، ص ١١٧ - ١١٨. المصدر نفسه، ص ١٢٢.

ملك شرف الدولة خاصة فارس، كانت بدايات عودة الاضطرابات قد أخذت بالظهور في مناطق سلطة صمصام الدولة وفخر الدولة أي العراق والجبال [1]. فاضطرب أمر البطيحة نتيجة خلافات أبناء عمران بن شاهين. وخرج باد الكردي، من الأكراد الحميدية في ديار بكر واستولى على أكثر تلك الديار سنة ٩٧٣ / ٩٨٣، واستولى على ميافارقين، وهزم جيش صمصام الدولة ثم استولى على الموصل وأخيراً صولح سنة ٣٧٤ / ٩٨٤ على أن يترك الموصل وتكون ديار بكر له [2]. كذلك خرج أحد زعماء الأكراد البرزيكانية على فخر الدولة بنواحي قم [3]، وهزم جيش الري مرتين إلى أن أمر فخر الدولة بدر بن حسنويه وكان متولياً شؤون الأكراد في تلك النواحي، بإصلاح الحال فتم ذلك. أما في داخل بغداد، فقد عادت حالة التفكك والخلافات إلى داخل الجيش كما كانت عليه الحال قبل عهد عضد الدولة. ففي سنة ٣٧٣/ ٩٨٣ شغب الأتراك ببغداد وخرجوا متوجهين إلى شيراز بعد أن كانت طائفة منهم قد سارت مثلهم ولحقت بفارس [4]. كما عاود القرامطة تحركهم مستغلين وفاة عضد الدولة واقتربوا من بغداد فصولحوا على مال أخذوه وعادوا [5].

وينقل لنا التوحيدي [6] عن لسان أبي سليمان المنطقي في مدحه لوزير صمصام الدولة، ابن سعدان صورة قاتمة عن الأحوال العامة في بغداد ودار الخلافة. فيصف اضطراب الأحوال، وكثرة الفتن وسوء اعمال الحاشية واختلال أمر الدول والمملكة.

بالإضافة إلى ذلك، فان تخوف صمصام الدولة من أخيه شرف الدولة ورغبته في الوقت نفسه بانتزاع فارس من يديه لأسباب سياسية واقتصادية، ما يفسر الهدف من ذلك التحالف الذي تم سنة ٣٧٤ / ٩٨٤ بين صمصام وعمه فخر الدولة بفضل وزيريهما ابن سعدان والصاحب بن عباد [7]. ولا نجد تفسيراً لهذا الانقلاب في موقف الصاحب بن عباد وتأييده للتحالف مع صمصام الدولة بدلاً من الاستمرار في التحالف مع شرف الدولة كما كان عليه الحال أيام مؤيد الدولة، سوى احتمال أن يكون ابن عباد وفخر الدولة قد فضلا التحالف مع الأضعف لضمان طاعته وخضوعه لكبير الأسرة البويهية أي فخر الدولة، وأيضاً للحصول على دعم الخليفة المعنوي عن طريق صمصام الدولة أمير العراق. وهناك احتمال آخر أن يكون ذلك نتيجة خلاف بين شرف

(١) المصدر نفسه، ص ٨٨ - ٨٩. المصدر نفسه، ص ١١٩.
(٢) ذيل، ص ٨٥ - ٨٧. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٢١ - ٢٢.
(٣) ابن الأثير، جـ ٧ ص ١١٩.
(٤) ذيل، ص ٩٦.
(٥) ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٢٢.
(٦) التوحيدي، امتاع، جـ ٢ ص ١١٥ - ١١٧.
(٧) ذيل، ص ٩٨

the Assumption, part II, p.169-170.

الدولة وفخر الدولة لا نعلم عنه شيئاً، سوى أن فخر الدولة كان قد أرسل إلى فارس ـ عقب توليه إمارة الجبال بعد وفاة مؤيد الدولة ـ رسولاً [1]، ربما ليطلب من شرف الدولة الخطبة له في مملكته، لكن يبدو أن هذا الطلب لم يجد قبولاً عند شرف الدولة. ومما يدفعنا إلى هذا الاستنتاج، أنه في العام نفسه، تمت إقامة الخطبة لفخر الدولة وأثبت على الدينار والدرهم اسمه، في الأهواز عند تاج الدولة وفي البصرة عند ضياء الدولة، أولاد عضد الدولة [2]. وقد كتب الصاحب بذلك إلى صمصام الدولة ليحثه على مصالحة أخويه وذلك لتوحيد الكلمة وتجميع الصف. ولا شك أن الصاحب بن عباد كان وراء كل المحاولات لإعادة توحيد الأسرة البويهية بزعامة اميره فخر الدولة، وبهدف امتلاك بغداد لطموح الصاحب بأن يكون وزيراً في عاصمة الخلافة والملك [3]. ولم يكن امامه من عائق فعلي لذلك سوى شرف الدولة.

لذا، بدا هذا التحالف بين صمصام الدولة وفخر الدولة موجهاً بالدرجة الأولى ضد شرف الدولة أمير فارس الذي أخذ بدوره يبحث عن حلفاء. والظاهر أنه تباحث بالموضوع مع القرامطة، فقد بعث في هذا العام ٣٧٤ / ٩٨٤ برسول إليهم [4] دون ذكر للمهمة التي ذهب بها، ولربما لم تؤد هذه المحاولة إلى نتيجة في بادىء الأمر، اذ نعلم أن صاحب القرامطة المقيم في بغداد أبا بكر بن شاهويه وكان يجري بالحضرة مجرى الوزراء [5] كان هو وراء إخراج عُمان في هذا العام من أيدي شرف الدولة والخطبة فيها لصمصام الدولة، لكن الأمر لم يطل إذ سرعان ما بعث شرف الدولة بجيش إلى عُمان واستعادها [6]. لكن الأمور تبدلت في العام التالي إذ قام القرامطة باحتلال الكوفة وخطبوا فيها لشرف الدولة محتجين باعتقال صمصام الدولة لصاحبهم ابن شاهويه، وعندما لم تنجح المفاوضات لإخراجهم منها، سير لهم صمصام الدولة جيشاً فهزمهم واستعاد الكوفة منهم [7].

وفيما لم تصل محاولات التحالف تلك إلى نتيجة. استمر تدهور الأوضاع في بغداد. ففي سنة ٣٧٥ / ٩٨٥، تمرد أحد قادة الديلم اسفار بن كردويه، وخرج عن طاعة صمصام الدولة، ونجح في استمالة الكثير من الجند إلى جانبه ودعا لطاعة شرف الدولة، وولى الأمير بهاء الدولة أبا النصر بن عضد الدولة وكان عمره ١٥ سنة على العراق، نيابة عن أخيه شرف الدولة. وكاد الأمر

(١) ذيل، ص ٩٦.
(٢) المصدر نفسه، ص ٩٩. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٢٣.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٦٣.
(٤) ذيل، ص ١٠١ ـ ١٠٢. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٢٤.
(٥) المصدر نفسه، ص ١٠٩.
(٦) المصدر نفسه، ص ١٠٠ ـ ١٠١. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٢٣ ـ ١٢٤.
(٧) المصدر نفسه، ص ١٠٩ ـ ١١٠. المصدر نفسه، ص ١٢٦.

يستتب على ذلك، لولا نجاح صمصام الدولة في استمالة أحد كبار قواد الديلم ممن كانوا مع أسفار، وبالاستعانة أيضاً بالجيل وهم أقاربه عن طريق أمه. وبذلك تمكن صمصام من هزيمة اسفار واعتقال أخيه بهاء الدولة دون أن يقسو عليه بعد أن علم أن لا ذنب له. فلما التحق أسفار بالأهواز بخدمة تاج الدولة، سار قسم من عسكره إلى شرف الدولة بفارس [1].

ولم تنتظم أمور صمصام الدولة في العراق، بل كانت تسير من سيء إلى أسوأ، فكلما أنهى تمرداً داخلياً، أو حركة عصيان عسكري، كان عليه أن يواجه آخر. هذا عدا الاضطرابات الاجتماعية والاقتصادية التي عادت للظهور. ومما زاد الأمر سوءاً صراعات رجال دولته خاصة على منصب الوزارة [2]، وتدخل والدته في أمور الدولة حتى باتت طرفاً في تلك الصراعات [3].

استغل شرف الدولة هذه الأحداث للتحرك نحو بغداد وانتزاعها من يد أخيه. فسار في نفس العام ٣٧٥ / ٩٨٥ باتجاه الأهواز وانتزعها من يد أخيه تاج الدولة [4]. ثم بعث بجيش إلى البصرة وأخذها من يد أخيه الآخر ضياء الدولة واعتقله [5]. وعندما بلغت هذه الأنباء صمصام الدولة اسقط من يده فأسرع وراسل شرف الدولة في الصلح، واستقر الأمر على أن يخطب لشرف الدولة في العراق قبل صمصام الدولة ويكون هذا الأخير نائباً عنه ويطلق سراح بهاء الدولة الذي كان معتقلاً عنده إثر تمرد اسفار.

كان من أسباب توقف شرف الدولة عن اتمام مشروعه، وموافقته على الصلح رغم قدرته الظاهرة على أخذ العراق، إن كبار رجال حاشيته كانوا ينهونه عن هذه الخطوة والإكتفاء بما حصل عليه لصعوبة حكم العراق وكثرة مشاكله، وقالوا له أن عضد الدولة نفسه منذ أن أعرض عن فارس وأقبل على العراق لم يكن له بال رخي ولا عيش هني [6]. وربما أيضاً، أن شرف الدولة بعد أن ملك الأهواز والبصرة، فضل التريث قبل إتمام خطوته الأخيرة نحو بغداد، ريثما يتم له كسب مزيد من العمال والرجال، لضمان نجاح العملية.

لقد أسفر تهافت صمصام الدولة على الصلح، وتبيان عجزه، ان أدرك الكثيرون أن الغلبة هي لشرف الدولة. وحيث أن الكفة تميل مع الغالب، فإن الكثير من الجند والعمال اسرعوا بنقل ولائهم من صمصام الدولة إلى شرف الدولة وساروا إليه من كل بلد من أعمال العراق، من واسط

---

(١) ذيل، ص ١٠٤ - ١٠٦. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٢٥. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٩٠٠ - ٩٠٢.

(٢) ذيل، ص ١٠٤ - ١٠٧ و١١٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠٣، ١٠٤، ١١٩.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٢٠ - ١٢٣. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٢٧. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٩٠٠ - ٩٠٢.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٢٣. المصدر نفسه، ص ١٢٨. the Assumption, part II, p.171.

(٦) ذيل، ص ١٢٠.

والنهروان والكوفة، ووافاه الديلم والأتراك فوجاً بعد فوج وفريقاً اثر فريق (١). عندها، عاد شرف الدولة عن الصلح وامتنع عن امضاء الاتفاق وقرر من جديد المسير نحو العراق على رأس جيش كبير وكان ذلك سنة ٣٧٦ / ٩٨٦.

كانت واسط أول ما ملكه في حملته الجديدة، فاستقر بها قليلاً قبل التقدم نحو بغداد. وكانت أمور صمصام الدولة تزداد سوءاً بعدما انتشر خبر تقدم شرف الدولة، فشغب عليه جنده من الديلم وأحاطوا بداره ونادى بعضهم بشعار شرف الدولة. وثار العامة وهاجموا حبس الشرطة وأطلقوا من فيه، وتتابع تدفق العمال والأولياء والحواشي إلى شرف الدولة معلنين انضمامهم إليه. ولم يجد صمصام الدولة أمام كل هذا، سوى أن يحاول من جديد مصالحة أخيه فأرسل إليه وسيطاً هو أخوه الأصغر بهاء الدولة الذي كان معتقلاً عنده، لكن شرف الدولة لم يستجب لدعوة المصالحة. عندها لم يبق أمام صمصام الدولة سوى القتال أو الاستسلام. وفي حين أشار عليه قواده ببعض الخطط التي قد تنقذ ملكه من الإنهيار، فضل هو الاستسلام، وسار مع بعض حاشيته إلى شرف الدولة الذي بات قريباً من بغداد، واستسلم إليه (٢). فاعتقله شرف الدولة بعد ذلك بقليل وأرسله إلى إحدى قلاع فارس (٣). وبذلك انتهت إمارة صمصام الدولة للعراق بعد ثلاث سنين وأحد عشر شهراً.

استهل شرف الدولة حكمه للعراق، بإصلاح الأحوال. فأعاد للمصادرين أموالهم وضياعهم، وأقر الناس على مراتبهم ورفع أمر المصادرات وقطع أسبابها ومنع الناس من السعايات، ولم يقبلها، واستدعى وزيره في فارس أبا منصور بن صالحان واستوزره، فتابع هذا الأخير اصلاح الأوضاع، فتشدد مع العمال وطالبهم باعمار البلاد. وأمر بنقل الغلات من بلاد فارس في البحر وجدّ في حملها من كل بلد، لحل أزمة ارتفاع اسعار المواد الغذائية لقلتها (٤).

وفي سنة ٣٧٧ / ٩٨٧ بعث شرف الدولة بجيش كبير مع قائده قراتكين الجهشياري لمقاتلة بدر بن حسنويه، وكان هدف شرف الدولة مزدوجاً: الإقتصاص من بدر لوقوفه ضده وتحالفه مع عمه فخر الدولة، وفي حال فشل الحملة، التخلص من قراتكين بعد أن ازداد قوة ودلالاً ونفوذاً. وهكذا كان، فعندما عاد قراتكين مهزوماً، اعتقله شرف الدولة ومن ثم قتله (٥).

لم يستمر الأمر طويلاً لشرف الدولة في بغداد، فتوفي في جمادي الآخرة سنة ٣٧٩ بعد أن

---

(١) ذيل، ص ١٢٧. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٢٨.

(٢) ذيل، ص ١٢٨ - ١٣٢. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٣٠. الذهبي، دول، جـ ١ ص ١٦٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٣٤. المصدر نفسه، ص ١٣١. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ١٣٢. the Assumption, part II, p.172.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٣٢، ١٣٣، ١٣٦، ١٣٧. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٣١. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ١٤٩.

(٥) ذيل، ص ١٣٩ - ١٤٠. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٣٢ - ١٣٣.

أمضى في حكم العراق سنتين وثمانية أشهر ٣٧٦ - ٣٧٩ / ٩٨٦ - ٩٨٩ . وفي حكم فارس سبع سنوات ٣٧٢ - ٣٧٩ / ٩٨٢ - ٩٨٩ .

كان شرف الدولة أثناء مرضه الذي أودى به، قد أمر بسمل صمصام الدولة، بناء على الحاح أحد رجاله [١]، تخوفاً مما يمكن أن يقدم عليه صمصام الدولة مستقبلاً. كذلك أمر شرف الدولة، ابنه أبا علي بالتوجه إلى فارس للنيابة عنه بها. وعندما اشتد عليه المرض، ألحّ عليه قواده باستخلاف أخيه أبي نصر بهاء الدولة فيهم لئلا تضطرب الأحوال. فوافق على ذلك، وتوفي [٢].

٤ - فارس تحت حكم صمصام الدولة
٣٧٩ - ٣٨٨ / ٩٨٩ - ٩٩٨

بوفاة شرف الدولة، تولى أبو نصر حكم العراق، وتبادل مع الخليفة الطائع المواثيق، وبعد خمسة أيام زار الحضرة، وخلع عليه الخليفة الخلع السلطانية، ولقبه بهاء الدولة وضياء الملة [٣].

في هذه الأثناء بلغت انباء وفاة شرف الدولة ابنه أبا علي وكان في البصرة في طريقه إلى فارس، فأسرع للوصول إليها واجتمع إليه من بها من الأتراك وساروا نحو شيراز فاستولوا عليها ثم استولوا على فسا.

لكن صمصام الدولة الذي تمكن مع أخيه ابي طاهر من الهرب من معتقلها، سرعان ما نجح في جمع أعداد من الديلم وتمكنوا من الاستيلاء على شيراز وتمركزوا فيها فما بقي أبو علي بن شرف الدولة في أرجان.

وكالعادة، بدأ كل أمير بالاستعداد للتخلص من منافسيه، وتمكن بهاء الدولة من التخلص بسهولة من أبي علي بن شرف الدولة، الذي كان يعتبر نفسه صاحب الحق الأول في خلافة أبيه على ملكه. فقام بهاء الدولة باستدعاء ابن أخيه أبي علي واعداً إياه بالمساعدة في وجه صمصام الدولة. وعندما التقيا في واسط قبض عليه وقتله [٤] سنة ٣٨٠ / ٩٩٠. ثم أخذ بالاستعداد لغزو فارس وإخراج صمصام الدولة عنها.

ومرة أخرى يعود الصراع على فارس، فبهاء الدولة يريد امتلاكها للاستحواذ على مداخيلها والتخلص من مناوىء خطره أنه يملك ذاك الإقليم. لذلك سارع وتوجه على رأس جيش في نفس

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٤٩. المصدر نفسه، ص ١٣٨. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٩٠٤ - ٩٠٦.

(٢) ذيل، ص ١٥١. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٣٨. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ١٤٨.

(٣) ذيل، ص ١٥٣.

(٤) ذيل، ص ١٦٣. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٣٨ - ١٣٩. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٩٠٤ - ٩٠٦. the Assumption, part II, p.173-174.

ذاك العام ٣٨٠ / ٩٩٠، واحتل ارجان والنوبندجان [١]. لكن صمصام الدولة عاد وهزمه هزيمة شنعاء في خواباذان وكان على رأس جيش صمصام قائده فولاذ بن ماناذر، فاضطر بهاء الدولة للتراجع إلى ارجان، حيث واجهته بعض المصاعب نتيجة قلة المؤنة وغلاء الأسعار، مما اضطره أيضاً إلى مصالحة صمصام الدولة، فتم الصلح على أن يكون لصمصام الدولة فارس وارجان ولبهاء الدولة خوزستان والعراق، وأن يكون لكل واحد منهما اقطاع في بلد الآخر، وان يعين كل منهما نائباً له في مملكة الآخر [٢].

لم يكن هذا الاتفاق سوى هدنة العاجزين عن حسم الأمر لمصلحة احدهما. وانصرف كل منهما إلى مملكته لتدبير شؤونها وضبط أحوالها بعد أن ازداد الخرق. فكان على صمصام الدولة أن يستعيد كرمان من يد خلف بن أحمد صاحب سجستان الذي استغل الصراعات الدائرة بين البويهيين، ليستولي عليها سنة ٣٨١ / ٩٩١، ولن يتم لصمصام استعادة كرمان بصورة نهائية إلا سنة ٣٨٤ [٣].

وفي هذه الأثناء، عمد صمصام الدولة إلى تثبيت سلطته بفارس بعد أن هيمن القواد والوزراء على أمور الدولة. فحاول سنة ٣٨١ / ٩٩١ التخلص من قائد جيشه فولاذ بن ماناذر وصاحب الفضل الأول فيما وصلت إليه أحوال صمصام وتملكه لفارس، لكن فولاذ تنبه لما يخطط له، وأسرع هارباً إلى الري عند فخر الدولة [٤].

وقام صمصام الدولة في العام التالي ٣٨٢ / ٩٩٢ باعتقال وزيره ومدبر دولته العلاء بن الحسن، إلا أنه عاد وأفرج عنه واستوزره من جديد سنة ٣٨٣ / ٩٩٣. وكان لوالدة [٥] صمصام والحاشية دور كبير في اعتقال الوزير ثم الإفراج عنه. وأيضاً كان على صمصام القضاء على تمرد أولاد عز الدولة بختيار، الذين نجحوا في الهرب من معتقلهم في إحدى قلاع فارس وأخذوا بتجميع الديلم والاستعداد لمحاربة صمصام، الذي قام بارسال جيش بقيادة أبي علي بن استاذ هرمز للقضاء على أولاد بختيار قبل أن يستفحل امرهم. ونجح أبو علي في محاصرتهم وأسرهم، فأمر صمصام بقتل اثنين منهم واعتقل الأربعة الباقين [٦].

وفي العراق كانت أحوال بهاء الدولة في غاية السوء، فبات الجيش يتدخل في كل شؤون

---

(١) ذيل، ص ١٨٢ - ١٨٣. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٣٩. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٩٠٦ - ٩٠٧.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٨٤. المصدر نفسه، ص ١٤٥. المصدر نفسه، ص ٩٠٦ - ٩٠٧.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٨٩ - ١٩٨. المصدر نفسه، ص ١٤٩ - ١٥٠.
(٤) ذيل، المصدر نفسه، ص ١٩٩ - ٢٠١. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٥٦.
(٥) المصدر نفسه، ص ٢٤٦ - ٢٤٧. المصدر نفسه، ص ١٥٨.
(٦) ذيل، ص ٢٤٨ - ٢٤٩. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٥٩.

المملكة ويفرض على بهاء الدولة عزل الوزراء أو تعيينهم [1]، ولم يعد في خزائنه من الأموال سوى القليل، فعمد إلى خلع الخليفة الطائع طمعاً بأمواله [2]. ثم قام بمصادرة عماله وولاته، والاقتراض من صاحب البطيحة، وبيع المناصب [3]. وقد زاد هذا الوضع المتردي، من رغبة بهاء الدولة في الاستيلاء على فارس، على أمل أن تمكنه امكاناتها الاقتصادية من سد العجز القائم في خزائنه.

لذلك استجاب بهاء الدولة فوراً سنة ٣٨٣ / ٩٩٣، ودون تدقيق لدعوة وزيره أبي نصر سابور والشريف محمد بن عمر، لغزو فارس، مسهلين له الأمر بحجة اضطراب أحوال المقاطعة بعد هرب قائد جيش صمصام، فولاذ بن ماناذر، واعتقال وزيره العلاء بن الحسن، على أن يكلف بقيادة الحملة عبيدالله بن الفضل، أحد النافذين عند بهاء الدولة. وكان هدفهم الحقيقي ابعاد عبيدالله بعد أن هدد وجوده بالقرب من الأمير البويهي، نفوذهما.

لم يمهل صمصام الدولة بعد أن علم بخطة بهاء الدولة ونقضه للإتفاق، قوات عبيدالله بن الفضل التي استقرت بالأهواز بانتظار الإمدادات من بغداد. بل وجه لها جيشاً هزمها، وانتزع خوزستان من أيدي بهاء الدولة [4]. وستشكل هذه المعركة فاتحة سلسلة حروب بين الجانبين للإستيلاء على خوزستان. ففي العام التالي ٣٨٤ / ٩٩٤ هزم أتراك بهاء الدولة، قوات صمصام الدولة، هزيمة شنعاء، فتقطع جيشه، واستأمن منه أكثر من ألفي رجل أعدموا بأجمعهم. واستعاد بهاء الدولة خوزستان بكاملها، فيما عاد صمصام الدولة إلى شيراز وهو مرتدي السواد حزناً على رجاله [5]. وكان من ضخامة الهزيمة وما فعلته في نفس صمصام الدولة، ان أمر سنة ٣٨٥ / ٩٩٥ بقتل جميع الأتراك الموجودين بفارس، انتقاماً [6]. ثم جهّز جيشاً وسيره إلى الأهواز بقيادة وزيره العلاء بن الحسن، فيما سار بهاء الدولة إلى الأهواز نجدة لقواته هناك. لكنه عندما علم بالهزائم التي لحقت بتلك القوات أمام جيش فارس، عاد إلى البصرة، فيما لاحقت قوات صمصام الدولة، جيش بهاء الدولة حتى أجلته عن خوزستان بكاملها [7]. واستولى لشكرستان أحد قواد صمصام على البصرة في العام التالي ٣٨٦ / ٩٩٦ وأخرج منها عمال بهاء الدولة الذي حرّض مهذب الدولة صاحب البطيحة على الاستيلاء على البصرة ودفعه لقتال لشكرستان. وانتهى الأمر إلى أن اصطلحوا وأظهر

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٨٧، ٢٤٤. المصدر نفسه، ص ١٥٥. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ١٤٩، ١٥٧، ١٧٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٠١. المصدر نفسه، ص ١٤٧. المصدر نفسه، ص ١٥٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٨٠، ٢٥٧، ٢٧٥، ٢٨٤. المصدر نفسه، ص ١٦٠.

(٤) ذيل، ص ٢٥٣. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٦٠. ابن خلدون، تاريخ، جـ ٣ ص ٩٠٨ - ٩٠٩.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٥٥ - ٢٥٧، ٢٦٠. المصدر نفسه، ص ١٦٤ - ١٦٥. نفس المصدر، جـ ٣ ص ٩٠٨ - ٩٠٩.

(٦) ذيل، ص ٢٦٤ - ٢٦٥. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٧٠.

(٧) المصدر نفسه، ص ٢٦٦ - ٢٦٨. المصدر نفسه، ص ١٧٢.

لشكرستان طاعة بهاء الدولة وصمصامها [1].

كان الفضل لما وصلت إليه أحوال صمصام الدولة لوزيره العلاء بن الحسن، وخاصة امتلاكه خوزستان وابعاد بهاء الدولة عنها. وقد عرف عن هذا الوزير حسن تدبيره وادارته، لكن يبدو أنه عمد الى اتباع سياسة أخرى عندما أعيد للوزارة للمرة الثانية اثر اعتقاله سنة ٣٨٢ / ٩٩٢، تقوم على أطماع الجند والإكثار من توزيع الاقطاعات وتبذير الأموال. ويذهب الروذرواري إلى القول بأن فعل العلاء كان للانتقام مما فعله به صمصام الدولة خلال اعتقاله ومقتل ابنته وبعض أصحابه تحت التعذيب، وكان يهدف إلى أن يؤدي ذلك إلى اضطراب أحوال صمصام الدولة وملكه [2]. وهذا ما حصل.

توفي العلاء سنة ٣٨٧ / ٩٩٧ في عسكر مكرم بعد أن ثبت أوضاع خوزستان لصمصام الدولة، فأرسل هذا الأخير أبا الطيب الفرخان بعد أن استوزره، لخلافة العلاء في خوزستان، لكنه فشل في ضبط الأمور ونجح أصحاب بهاء الدولة في امتلاك السوس وجنديسابور. فاستبدله بأبي علي بن استاذ هرمز الذي واقع أتراك بهاء الدولة عدة وقائع وأخرجهم نهائياً مرة أخرى من خوزستان [3]. فعادوا إلى واسط.

وفي داخل فارس، كانت أحوال المقاطعة قد أخذت بالإنسطراب بعد وفاة الوزير العلاء بن الحسن، وكأن خطة هذا الأخير لإهلاك دولة صمصام الدولة قد نجحت. فلم يعد صمصام بقادر على ضبط جنده من الديلم وتلبية طلباتهم المالية الكبيرة. وقلت موارده عن ذلك، فأخذوا بالشغب عليه واعتقلوا عامله بفسا وقتلوه. وخرج صمصام الدولة بنفسه اليهم فلقوه بالغلظة ولقيهم بالرفق واشتدوا عليه فأجابهم إلى طلباتهم واستولوا على اقطاعات حاشيته وتكرر الأمر وزاد شغب الديلم عليه. فعمد إلى اسقاط حوالي ألف من «الديلم» ممن لم يثبت نسبهم ومن الذين ألحقوا أنفسهم بالديلم للحصول على امتيازات الديالمة، وأخذ اقطاعاتهم، فنقموا عليه وساروا إلى ابني بختيار اللذين كانا في هذا العام ٣٨٨ / ٩٩٨ قد نجحا في الهرب من معتقلهما، وجمعا إليهما جماعات من الأكراد، وقوي أمرهما بانضمام هؤلاء المسقطين إليهما [4].

ويبدو، أن بهاء الدولة قرر الإستفادة من اضطراب أحوال صمصام الدولة في فارس، لاستعادة خوزستان. فسار من واسط على رأس جيش، ونزل الموضع المعروف بالقنطرة البيضاء، ولقاه أبو علي بن أستاذ هرمز، نائب صمصام الدولة بها، وثبت له وجرت بين الفريقين وقائع

(١) المصدر نفسه، ص ٢٧١ - ٢٧٣. المصدر نفسه، ص ١٨٠ - ١٨١.
(٢) ذيل، ص ٢٤٧.
(٣) ذيل، ص ٢٩٤. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٨٦.
(٤) ذيل، ص ٣١١ - ٣١٣. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٩٢.

كثيرة، اشتد الأمر على بهاء الدولة، وضاقت الميرة على عسكره فاستمد من بدر بن حسنويه (١) فأمده بالقليل وشارف أمره على الخطر، فجاءته النجاة من حيث لا يحتسب، إذ قتل صمصام الدولة في هذه الأثناء.

ذلك، أنه عندما قوي أمر ابني بختيار، قررا انتزاع فارس من صمصام الدولة فاستوليا على ارجان. ولم يكن مع صمصام من يقوم بتدبير الأمور، إذ كان وزيره وجيشه في خوزستان. فقرر المسير اليها، ولم يكن معه لحمايته سوى ٣٠٠ رجل من الديلم، فقرر الاستعانة بالأكراد لمرافقته، فخرج ومعه والدته وحاشيته وخزائنه وأمواله. لكن المكلفين بحمايته، طمعوا بأمواله، فنهبوه وكادوا يعتقلونه، فهرب والتجأ إلى قرية قرب شيراز. فعلم ابن بختيار بذلك فبعث بقوة إلى تلك القرية، فاعتقلوا صمصام وقتلوه في ذي الحجة سنة ٣٨٨ / ٩٩٨. وعندما أحضر رأسه إلى ابن بختيار قال مشيراً إليه «هذه سنة سنها أبوك» وكان يعني قتل عضد الدولة لبختيار (٢).

٥ ـ فارس عاصمة المملكة

بهاء الدولة ٣٨٨ ـ ٤٠٣ / ٩٩٨ ـ ١٠١٢

عند مقتل صمصام وامتلاك ابني بختيار فارس، كان بهاء الدولة ما زال يواجه أبا علي بن استاذ هرمز في خوزستان، وكانت أحواله في غاية السوء كما أشرنا، ويذكر أبو شجاع الروذرواري أنه لولا مقتل صمصام لانهزم بهاء الدولة. وسارع ابنا بختيار وكاتبا أبا علي بن استاذ هرمز ودعواه مع جنده لتقديم الطاعة والاستمرار في محاربة بهاء الدولة. لكن أبا علي تخوف من غدر أولاد بختيار خاصة وأنه هو الذي أخضع حركة تمردهم السابقة سنة ٣٨٣ / ٩٩٣ والتي أدت الى مقتل اثنين من اخوتها (٣). فقرر الدخول في طاعة بهاء الدولة، فراسله وحصل منه على العهود ولجنوده. عندها دخل بهاء الدولة الأهواز وملك خوزستان، وبعث بجيش إلى شيراز بقيادة وزيره أبي علي بن اسماعيل وهزم ابني بختيار، واستولى عليها، فما أركن ولدا بختيار إلى الفرار. ثم سير بهاء الدولة جيشاً آخر إلى كرمان بقيادة أبي جعفر أستاذ هرمز، فملكها وأقام فيها نائباً عن الأمير البويهي (٤)، وكان ذلك عام ٣٨٩ / ٩٩٨.

باتت فارس منذ هذا التاريخ، في يد بهاء الدولة، الذي أصبح يملك بالإضافة إليها كلاً من خوزستان وكرمان وعمان والعراق وضمان ديار بكر. وبذلك عادت فارس لترتبط من جديد بالعراق في ظل أمير واحد، كما جرى الأمر أيام عضد الدولة وشرف الدولة. لكن بعكس هذين

---

(١) ذيل، ص ٣١٠. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٩٢.

(٢) ذيل، ص ٣١٤ ـ ٣١٥. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٩٢ ـ ١٩٣. EI², art Samsam, p.143-144.

(٣) ذيل، ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٥٩. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٩١٢ ـ ٩١٤.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣١٥ ـ ٣٢٨. المصدر نفسه، ص ١٩٨. المصدر نفسه، ص ٩١٢.

الأخيرين، فلقد اختار بهاء الدولة فارس لتكون مقر إقامته بدلاً من العراق التي أرسل لها من ينوب فيها عنه، وباتت أمور الخلافة العباسية تدار من شيراز بدلاً من بغداد، وهذه عادة لم يجر مثلها من قبل.

لا شك أن وراء خطوة بهاء الدولة هذه كان تخوفه من البقاء في بغداد، نتيجة اضطراب الأوضاع فيها، وعدم تمكنه من الإمساك بأمورها. إذ باتت عاصمة الخلافة مركزاً للاضطرابات من كل نوع: الفتن بين الشيعة والسنة، والديلم والأتراك، حركات العيارين واللصوصية، تمردات الجند، موجات الغلاء وسوء الأحوال الإقتصادية، قلة مواردها، اختلال إدارات الدولة لازدياد الصراعات الداخلية وتفشي الفساد... الخ، وذلك بعكس فارس التي ظلت، رغم ما رافق أواخر فترة حكم صمصام الدولة من بعض الاضطرابات، بعيدة عن الفتن الدينية والاضطرابات الإجتماعية، ومحافظة على وضعها الإقتصادي المزدهر.

حاول ابن بختيار من جديد الاستيلاء على فارس سنة ٣٩٠ / ٩٩٩، لكنه مني بالفشل رغم ما حققه بادىء الأمر باستيلائه على كرمان، وتمكن أبو علي بن اسماعيل الملقب بالموفق وزير بهاء الدولة من هزيمته وقتله (١). وكان بهاء الدولة والموفق قد أعادا توزيع الإقطاعات بفارس على الديلم اثر استيلائهم عليها سنة ٣٨٩ / ٩٩٨، وتم الغاء كل ما تم بهذا الصدد أيام صمصام الدولة، واسترجع من الديلم كل ما أخذوه بالضغط ولم يكن من أصل اقطاعاتهم (٢). وفعل الشيء نفسه بكرمان عندما استعادها من ابن بختيار (٣) سنة ٣٩٠ / ٩٩٩.

وفي الوقت نفسه الذي عرف فيه الموفق كيف يخضع الديلم ويفرض هيبته على الجميع، عرف أيضاً كيف يكسبهم إلى جانبه (٤). وكان له الفضل الأكبر في انتصارات بهاء الدولة وامتلاك فارس والقضاء على ابن بختيار الذي شكل تهديداً حقيقياً لبهاء الدولة، خاصة بعدما تبين أن معظم قواد جيشه قد كاتبوا ابن بختيار ووافقوا على تقديم الطاعة له (٥). وقد أدت تلك الانتصارات إلى زيادة نفوذ وقوة الموفق وأخذ يتصرف متجاوزاً بهاء الدولة، حتى قال أحدهم للبهاء «زينك الله يا مولانا في عين الموفق» مما يعني أن بهاء الدولة بات هو في حمى الموفق وليس العكس كما هو مفروض (٦). وأدى الأمر، إلى قيام بهاء الدولة باعتقال الموفق (٧) بعد عودته منتصراً على ابن

---

(١) الصابي، تاريخ، ص ٣٤٥ - ٣٦٣. ابن الأثير، جـ ٧ ص ٢٠٦.
(٢) ذيل، ص ٣٢٧.
(٣) الصابي، تاريخ، ص ٣٦٢.
(٤) ذيل، ص ٣٢٨.
(٥) الصابي، تاريخ، ص ٣٦١.
(٦) ذيل، ص ٣٢٩، ٣٣٠.
(٧) الصابي، تاريخ، ص ٣٦٣، ٣٦٨، ٣٧٠. ابن الأثير، جـ ٧ ٢٠٦. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٢٢٨.

بختيار سنة ٣٩٠ / ٩٩٩ بشيراز، وقتله سنة ٣٩٤ / ١٠٠٣.

عمد بهاء الدولة بعد استقراره في شيراز، واعتقاله للموفق، إلى إعادة ترتيب أمور مملكته. فاستبدل عماله على المقاطعات، وولى أبا محمد بن مكرم، عُمان، وأبا جعفر أستاذ هرمز، كرمان ـ وكان الموفق قد أخرجه منها وعين عليها أحد رجاله ـ وأبا علي بن أستاذ هرمز، خوزستان. وكانت قد فسدت أحوالها بولاية أبي جعفر الحجاج لها، ومصادرته لأهلها، فعمرها أبو علي وأحسن السيرة والعدل في أهلها [1].

حاول طاهر بن خلف بن صاحب سجستان في هذا العام، انتزاع كرمان من بهاء الدولة [2]، فاستولى عليها لكنه عاد وهزم وخرج عنها. أما في بغداد فقد استمرت الفتن، ففي سنة ٣٩١ / ١٠٠٠ شغب الأتراك على نائب بهاء الدولة، الوزير أبي نصر سابور، فهرب منهم ووقعت الفتنة بين الشيعة والسنة بعد أن تحزب الشيعة لنائب السلطان والسنة للأتراك وكثر القتل [3]. وزادت أطماع الأمراء المحليين في الاستيلاء على بغداد [4]، بعد أن باتت فارس مقر الأمير البويهي. وفي سنة ٣٩٢ / ١٠٠١ وقعت فتنة بين العامة والنصارى، وخرج العيارون، ووقع الغلاء [5].

كان بهاء الدولة قد ولى أمر العراق لأبي جعفر الحجاج، لكن الأمور لم تستتب له، واضطر أن يخرج مراراً لمقاتلة قرداش بن المقلد، وازدادت الفتن في عاصمة الخلافة، وعاد العيارون للظهور وكثرت أعمال السلب والقتل [6]. فاستبدله بهاء الدولة بأبي علي بن أستاذ هرمز وبعث به نائباً له على العراق ولقبه عميد الجيوش، الذي قام فور وصوله، بالغاء المصادرات، وقتل عدد من العيارين، والموظّفين والكتاب الفاسدين. وولى على الأعمال كل من عرف بالاستقامة والأمانة، وأعاد تنظيم الاقطاعات، فهدأت الأحوال وسكنت الفتن في بغداد [7]. وقد مدحه الصابي وأشاد بحسن سياسته التي باتت مثلاً لجميع ولاة بهاء الدولة وكان مما فعله أيضاً عميد الجيوش أنه في العام التالي لوصوله إلى بغداد أي سنة ٣٩٣ / ١٠٠، منع الشيعة والسنة من إقامة الاحتفالات الدينية التي كانت دائماً سبباً للمنازعات بينهما [8]. لكن كل هذا الحزم وحسن السياسة لن يكون كافياً

---

(١) الصابي، تاريخ، ص ٣٧١ ـ ٣٧٢، ٤٠٠. ابن الأثير، جـ ٧ ص ٢٠٧.
(٢) المصدر نفسه، ص ٣٧٥ ـ ٣٨٤. المصدر نفسه، ص ٢١٠.
(٣) المصدر نفسه، ص ٣٨٧ ـ ٣٨٨. المصدر نفسه، ص ٢١١.
(٤) المصدر نفسه، ص ٣٩٠.
(٥) الصابي، تاريخ، ص ٤١٨، المنتظم، جـ ٧ ص ٢٢٠.
(٦) الصابي، تاريخ، ص ٤٢٠ ـ ٤٢٧ ـ ٤٣٧. ابن الأثير، جـ ٧ ص ٢١٤. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٢٤٨.
(٧) المصدر نفسه، ص ٤٣٧ ـ ٤٤٣.
(٨) المصدر نفسه، ص ٤٥٨. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٢٢٢.

لضبط الأوضاع في ظل حالة التدهور العامة والصراعات الداخلية والضعف الاقتصادي.

لكن الخطر الأهم الذي واجه بهاء الدولة وعميد الجيوش كان مصدره البطيحة بعد أن استولى عليها أبو العباس بن واصل [1] سنة ٣٩٤ / ١٠٠٣. والذي سبق له أن استولى على سيراف والبصرة. وقد نجح ابن واصل في هزيمة عميد الجيوش عندما جاء الى البطيحة ليعيدها إلى مهذب الدولة [2] أميرها السابق. واستمرت المعارك بين الطرفين [3] في السنوات التالية، وتبادلا امتلاك الأهواز أكثر من مرة، إلى أن نجح وزير بهاء الدولة أبو غالب سنة ٣٩٧ / ١٠٠٦ في احتلال البصرة مقر ابن واصل وقتله [4]. وقد أدى هذا الانتصار إلى تراجع أبي جعفر الحجاج، الذي خرج عن طاعة بهاء الدولة ومنافس عميد الجيوش على بغداد، عن محاولته لاحتلال عاصمة العباسيين، فعاد وتصالح مع بهاء الدولة [5].

أرسل بهاء الدولة عميد الجيوش لمقاتلة بدر بن حسنويه، والاقتصاص منه لوقوفه إلى جانب أعدائه، لكن تخوف كل طرف من قوة الآخر أدى إلى اتفاقهما على الصلح دون حرب [6]. وكان بدر قد بات إحدى القوى الفاعلة داخل المملكة الإسلامية، وقد أصبح بمقدوره أن يكون طرفاً مباشراً في الصراعات الدائرة بين الأمراء البويهيين، بهدف اضعافهم، كما كان ذلك هدف أبيه من قبل. لأن ذلك هو السبيل الوحيد لزيادة نفوذه واستقلاله عنهم. وكما تدخل سابقاً طرفاً بين بهاء الدولة وأسلافه من جهة وخصومهم من جهة أخرى، فقد تدخل في هذه السنة ٣٩٧ / ١٠٠٦ في الصراع الدائر داخل الإمارة البويهية في إقليم الجبال [7] والتي باتت شبه مستقلة عما يدور في فارس والعراق منذ وفاة فخر الدولة سنة ٣٨٧ / ٩٩٧. ذلك أنه بعد وفاة فخر الدولة، تولى ابنه مجد الدولة خلافته فيما ولى أخاه شمس الدولة أعمال همذان وكرمنشاه [8]، وكان الاثنان قاصرين فآلت أمور الملك إلى والدتهم سيده. وعندما بلغ مجد الدولة سن الرشد عمد إلى ابعاد والدته، وتحالف في سبيل تحقيق هذا الهدف سنة ٤٠٧ / ١٠١٦ مع الوزير الخطير أبي علي بن علي بن القاسم. فيما دعت والدته بدر بن حسنويه لمساعدتها، الذي سار برفقة شمس الدولة واستولى على

---

(١) انظر حول ابن واصل. ابن الاثير، جـ ٧ ص ٢٢٣. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٢٣٦ - ٢٣٧.

(٢) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٢٢٣ - ٢٢٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٢٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٣٣.

(٥) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٢٣٢.

(٦) المصدر نفسه، ص ٢٣٤.

(٧) ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٨٨.

(٨) EI², art Fakhr al-dawla t. II, p.767. EI², art Madjd al-dawla t. III, p.98-99. EI², art Shams al-dawla, p.319-320.

الري من مجد الدولة، واعتقله، وقامت والدته وأجلست أخاه شمس الدولة مكانه وعاد الأمر اليها. لكنها عندما رأت من شمس الدولة تنكراً وتغيراً وأن أخاه مجد الدولة ألين عريكة، اعادته إلى الملك وعاد شمس الدولة إلى همذان بعد أن ملك الري وسائر الإقليم نحو سنة. ثم عاد شمس الدولة من جديد طالباً مساعدة بدر للإستيلاء على الري فأمده هذا الأخير بجيش لكنه سريعاً ما تراجع عن فكرته بعد أن فشل في الاستيلاء على قم (١).

ولم يكن بدر وحده المستفيد من حالة التفكك والصراعات التي آلت اليها أحوال الأسرة البويهية، بل كل الأمراء المحليين خاصة في الجزيرة. ففي سنة ٣٨٠ / ٩٩٠ بدأت دولة بني مروان بديار بكر (٢). وفي سنة ٣٨١ / ٩٩١ انقرضت دولة بني حمدان بالموصل وابتدأت دولة بني المسيَّب بن عقيل (٣). وستزداد هذه الإمارات عدداً ونفوذاً في السنوات القادمة كأحد مؤشرات انحلال البويهيين. كذلك سيزداد النفوذ الفاطمي قوة في الشام وسيبدأ توسعه نحو الجزيرة مستفيداً من صراعات الأمراء المحليين مع البويهيين (٤). ففي سنة ٤٠١ / ١٠١٠ خطب قرداش بن المقلد أمير بني عقيل للحاكم بأمر الله بأعماله كلها وهي الموصل والأنبار والمدائن والكوفة. لكنه عاد وتراجع وأعاد الخطبة للخليفة العباسي القادر بالله بعد أن علم بمسير عميد الجيوش لقتاله. لكن مثل هذا الأمر سيتكرر كثيراً فيما بعد وستنتج عنه محاولة البساسيري سنة ٤٥٠ / ١٠٥٨ القضاء على الخلافة العباسية لمصلحة الفاطميين (٥)، وسنعود لهذا الموضوع لاحقاً.

أما في شرق المملكة، فقد كان الحدث الأهم، هو زوال الدولة السامانية سنة ٣٨٩ / ٩٩٨ وتوزعها ما بين الغزنويين الذين استولوا على خراسان وايلك التركي الذي استولى على ما وراء النهر (٦).

استمر بهاء الدولة مقيماً في فارس، تاركاً لنائبه عميد الجيوش ولاية العراق، وبوفاة هذا الأخير سنة ٤٠١ / ١٠١٠، بعد حوالي ثماني سنوات ونصف من ولايته لها (٧)، اختار بهاء الدولة فخر الملك أبا غالب مكانه (٨). لكن بهاء الدولة لم يعمر طويلاً بعد ذلك، إذ توفي في جمادي الآخرة سنة ٤٠٣ / ١٠١٢ بارجان بعد أن حكم ٢٤ سنة (٩) أمضى منها ١٤ سنة في فارس.

---

(١) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٢٣٧. EI, art Shams al-dawla, p.319-320.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٣. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٩١٦. EI, art Marwanides, p.356-357. t. III.

(٣) ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٤٥. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٩١٦. EI, art Okaïlides, t. III, p.1039.

(٤) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٢٥٣ - ٢٥٤.

(٥) المصدر نفسه، جـ ٨ ص ٨٢ - ٨٣.

(٦) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٢١٣. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٩١٦.

(٧) المصدر نفسه، ص ٢٥٤. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٢٥٢، ٢٥٣.

(٨) المصدر نفسه، ص ٢٥٤. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٩١٩ - ٩٢٠.

(٩) المصدر نفسه، ص ٢٦٨. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٢٦٤.

٦ ـ سلطان الدولة ٤٠٣ ـ ٤١٥ / ١٠١٢ ـ ١٠٢٤

تولى خلافة بهاء الدولة ابنه سلطان الدولة وبات أمير فارس والعراق فيما عين أخاه جلال الدولة أبا طاهر حاكماً على البصرة، وأخاه الآخر قوام الدولة أبا الفوارس على كرمان (١).

أقر سلطان الدولة، وزير أبيه فخر الملك على نيابة العراق، وكان حسن السياسة. استقامت الأمور على يديه، ويعتبر من أعظم وزراء بني بويه (٢). لكن سلطان الدولة سرعان ما قبض عليه سنة ٤٠٦ / ١٠١٥ وقتله لهفوة بسيطة ارتكبها (٣)، بعد أن أمضى في العراق خمس سنوات ونصف السنة تقريباً. فاستوزر مكانه الحسن بن سهلان ولقبه عميد أصحاب الجيوش.

وتبعاً لما بات «قاعدة» اثر وفاة كل امير بويهي، فقد أخذ ورثة بهاء الدولة في الصراع وكل منهم يرغب في الاستحواذ على حصة الآخر، خاصة فارس. وبدأ الخطوة الأولى، أبو الفوارس قوام الدولة صاحب كرمان، اذ سرعان ما استجاب لدعوة جنده من الديلم لغزو فارس بعد أن حسنوا لها خيراتها وفوائدها، وضرورة انتزاعها من أخيه. وبالفعل سار أبو الفوارس بجيشه إلى فارس سنة ٤٠٧ / ١٠١٦ وقصد شيراز ودخلها، لكن سلطان الدولة سرعان ما أوقع به وهزمه وتبعه إلى كرمان وأخرجه منها. فالتجأ أبو الفوارس إلى يمين الدولة محمود بن سبكتكين في خراسان، الذي سير معه جيشاً استعاد به كرمان وتابع تقدمه نحو فارس التي كان قد غادرها سلطان الدولة إلى بغداد، فدخل أبو الفوارس شيراز، عندها عاد سلطان الدولة إلى فارس وهزم أخاه مرة أخرى، الذي فر عائداً إلى كرمان سنة ٤٠٨ / ١٠١٧ فلحقته جيوش أمير فارس وأخذت كرمان منه. فالتجأ أبو الفوارس هذه المرة إلى شمس الدولة بن فخر الدولة صاحب همذان، ثم إلى مهذب الدولة صاحب البطيحة، وبعد مفاوضات طويلة مع سلطان الدولة وافق هذا الأخير سنة ٤٠٩ / ١٠١٨ على إعادة كرمان لأخيه مقابل طاعته (٤).

وكان سلطان الدولة قد عاد وجعل مقر امارته في بغداد سنة ٤٠٨ / ١٠١٧، رغم ما كانت تعيشه عاصمة الخلافة من فتن واضطرابات بين الأتراك والديلم والسنة والشيعة، وعجز وزرائه عن ضبط الأمور (٥). وبالإجمال فقد ظل سلطان الدولة ثابت القدم في ملكه إلى سنة ٤١١ / ١٠٢٠، عندما شغب عليه الجند ومنعوه من الحركة فقرر التوجه إلى واسط، فأجبروه على استخلاف أخيه

---

(١) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٢٦٨. EI, art Sultan al-dawla, p.571.

(٢) ابن خلدون، جـ ٣ ص ٩١٩ ـ ٩٢٠.

(٣) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٢٧٩. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٩٢٠.

(٤) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٢٩٤. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٢٨٤. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٩٢٠ ـ ٩٢١. EI, art Sultan al-dawla, p.571.

(٥) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٣٠١ ـ ٣٠٣.

أبي علي مشرف الدولة على العراق، وتوجه سلطان الدولة إلى الأهواز، لكنه عاد وحاول استعادة العراق، فهزم هزيمة قاسية أمام مشرف الدولة الذي استولى على واسط، أواخر سنة ٤١١، وفي بداية ٤١٢ / ١٠٢١ أقيمت الخطبة له في بغداد، وقطعت خطبة أخيه سلطان الدولة، الذي توجّه إلى الأهواز، لكن الجند الأتراك أجبروه على تركها وأقاموا خطبة أخيه مشرف الدولة، فسار إلى أرجان (١).

كان ديلم مشرف الدولة قد طلبوا منه السماح لهم بالعودة إلى أهلهم في خوزستان، فأذن لهم وأرسل معهم وزيره أبا غالب. فلما وصلوا إلى الأهواز قتلوا الوزير وأعادوا الخطبة لسلطان الدولة، الذي أرسل ابنه أبي كاليجار إلى الأهواز لتملكها (٢). وبعد هذا المسلسل الدامي من الأحداث، اتفق الأخوان على المصالحة، فاصطلحوا سنة ٤١٣ / ١٠٢٢ على أن يكون لمشرف الدولة العراق، ولسلطان الدولة فارس وخوزستان (٣). وقدم مشرف الدولة سنة ٤١٤ / ١٠٢٣ إلى بغداد ولقيه القادر بالله ولم يلق أحداً قبله (٤).

٧ ـ فارس خلال حكم أبي كاليجار
٤١٥ ـ ٤٤٠ / ١٠٢٤ ـ ١٠٤٨

توفي سلطان الدولة سنة ٤١٥ / ١٠٢٤ في شيراز، بعد أن حكم فارس ١٢ عاماً، وكان ابنه أبو كاليجار المرزبان في الأهواز فاستدعاه وزير أبيه ليملك من بعده، لكن أتراك سلطان الدولة كانوا يميلون إلى عمه أبي الفوارس صاحب كرمان فاستدعوه أيضاً ليخلف أخاه. وقد أسرع بالاستجابة، فدخل فارس وملكها وقتل وزير أخيه، ابن مكرم، فانضم ابن الوزير إلى أبي كاليجار الذي استعاد فارس مجبراً عمه للعودة إلى كرمان. لكن أبا الفوارس عاد في نفس العام وأخذ فارس، ثم اتفق الإثنان على أن تكون فارس وكرمان لأبي الفوارس، وخوزستان لأبي كاليجار.

هذا الإتفاق لم يستمر طويلاً، فاستغل أبو كاليجار نقمة أهل فارس على وزير أبي الفوارس وسوء أعماله حتى عاد إلى فارس وهزم عمه وملكها، فحاول أبو الفوارس العودة إليها لكنه هزم مرة أخرى فعاد إلى كرمان، فيما استقر حكم فارس لأبي كاليجار (٥). وذلك سنة ٤١٧ / ١٠٢٦. إذاً، استغرق النزاع على فارس بين أبي الفوارس وابن أخيه أبي كاليجار، عامين ٤١٥ ـ

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٠٦. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٩٢١ ـ ٩٢٢. El, art Sultan al-dawla, p.571.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٠٩. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٩٢٢. Ibid.

(٣) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٣١١ ـ ٣١٢. ابن خلدون، تاريخ، جـ ٣ ص ٩٢٢. El, art Sultan al-dawla, p.571.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ١٢.

(٥) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٣١٧ ـ ٣١٨. El², art Abu Kalidjar, t. I. p.135.

٤١٧ / ١٠٢٤ - ١٠٢٦ انتقلت خلالها المقاطعة من يد الأول إلى الثاني أكثر من مرة إلى أن استقرت بشكل نهائي بيد الأخير.

لكن هذه الحروب أدت إلى خسارة أبي كاليجار لملك العراق. ذلك أنه في أثناء ذلك، توفي مشرف الدولة أمير العراق سنة ٤١٦ / ١٠٢٥، فاستدعي أبو كاليجار لخلافته، لكن انشغاله في حرب عمه أبي الفوارس، وعدم حضوره إلى بغداد [١]، أدى إلى فراغ في السلطة في عاصمة الخلافة، مما زاد من تدهور أوضاعها [٢]، عندها استدعى الجند عمه الآخر، جلال الدولة أمير البصرة، فحضر واستلم حكم العراق [٣] سنة ٤١٨ / ١٠٢٧. ومن الجهة الأخرى، انتهت في هذا العام نفسه، الحروب بين أبي كاليجار وعمه أبي الفوارس للسيطرة على كرمان، باتفاقهماعلى أن تكون كرمان لأبي الفوارس وفارس وخوزستان لأبي كاليجار [٤].

عرفت فارس طوال حكم أبي كاليجار لها والذي امتد لسنة ٤٤٠ / ١٠٤٨، الكثير من الاستقرار، فلم تكن موقع تقاتل بين المتنافسين ولم تجر داخلها حروب كتلك التي عرفتها بقية المناطق. إلا أنها ظلت مركز الإمداد الرئيسي لحروب صاحبها أبي كاليجار مع أمراء عائلته. فخلال هذه المرحلة، بلغ الصراع بين الأمراء البويهيين أوجه، كذلك بينهم وبين القوى المحيطة بهم: الغزنويون، الغز الأتراك، وأيضاً الأمراء المحليون كآل كاكويه.. الخ. ولم تمر سنة دون وقوع حرب أو أكثر بين هذه القوى بالإضافة إلى الفتن الدينية والاجتماعية وتمردات الجند. وبات الأمير البويهي خاصة في العراق ألعوبة بيد جنده، وبلغت الخلافة أسوأ مراحلها رغم حالة الضعف التي وصل اليها الأمير البويهي، إلا أنه ظل في الوقت نفسه يتصرف بالخليفة كما يشاء.

ففي سنة ٤١٩ / ١٠٢٨، وهو العام الذي دخل فيه جلال الدولة بغداد وامتلك العراق كانت أحوال الخلافة العباسية قد آلت إلى مزيد من التفتت والانقسام. فكانت فارس وخوزستان بيد أبي كاليجار، وكرمان مع أبي الفوارس بن بهاء الدولة، أما إقليم الجبال فلم يبق للبويهيين منه سوى الري بيد مجد الدولة بن فخر الدولة فيما همذان واصفهان منذ ٤١٢ - ٤١٣ / ١٠٢١ - ١٠٢٢ في أيدي آل كاكويه [٥]، أخوال البويهيين. واستتب الأمر للغزنويين في خراسان منذ ٣٨٩ / ٩٩٨، وفي سجستان منذ ٣٩٣ / ١٠٠٢، واستولى الترك على ما وراء النهر. أما في الجزيرة والشام فقد ثبت الأمراء المحليون سلطاتهم واستقلالهم عن الدولة المركزية، وقامت الدولة المزيارية في الحيلة،

---

(١) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٣٢٢. ابن خلدون، تاريخ، جـ ٣ ص ٩٢٤. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ٢١، ٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٢٣ - ٣٢٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٢٥ - ٣٢٩. ابن خلدون، تاريخ، جـ ٣ ص ٩٢٥ - ٩٢٦. EI², art djalal al-dawla T.II, p.401.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٢٨. المصدر نفسه.

(٥) Voir EI², art kakuyides, p.485-487.

والمروانية في ميافارقين وآمد، والعقيلية في الموصل، والمرداسية في حلب.

أما في بغداد فكانت الأمور تسير من سيّىء إلى أسوأ. فإثر دخول جلال الدولة لها، قام جنده الأتراك بالشغب مطالبين بالمال، ونهبوا دار وزيره ابن ماكولا ودور الكتاب والحاشية وحاصروه ومنعوا عنه الطعام والماء حتى شرب أهله ماء البئر، واضطر إلى بيع فرشه وثيابه ليفرق ثمنها فيهم حتى سكتوا [1]. وتكرر الأمر عدة مرات، ووصل إلى أن قطعوا الخطبة له، واعتقاله وعزله واخراجه عن بغداد ثم اعادته، والاعتداء عليه برميه بالأجر وكان ذلك في سنوات [2] ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٣١، ٤٣٤. ورافق هذه الأحداث، ازدياد موجات الغلاء، وخروج العيارين، وانتشار الأعراب والأكراد في البلاد فنهبوا النواحي، وقطعوا الطرق وبلغوا إلى أطراف بغداد حتى وصلوا إلى جامع المنصور [3].

لم يعد السلطان البويهي بقادر على وقف حالة التدهور هذه، خاصة وأن الحروب الداخلية بين الأمراء البويهيين لم تتوقف طوال تلك الفترة. وانحصرت هذه الحروب بشكل خاص بين جلال الدولة وأبي كاليجار، خاصة وأن هذا الأخير قد استولى على كرمان وضمها إلى ملكه [4] اثر وفاة عمه أبي الفوارس سنة ٤١٩ / ١٠٢٨، وبات صاحب فارس وكرمان وخوزستان، وأخذ يتطلع لملك العراق. وفي سنة ٤١٩ / ١٠٢٨ استولى أبو كاليجار على البصرة وانتزعها من أيدي ابن جلال الدولة [5]، وفي سنة ٤٢٠ / ١٠٢٩ استولى على واسط لكنه عاد وانهزم أمام جلال الدولة [6]، وفي العام التالي حاول جلال الدولة استعادة البصرة لكنه فشل [7]، وتكرر الأمر سنة ٤٢٤ / ١٠٣٢. وفي سنة ٤٢٨ / ١٠٣٦ كاد أبو كاليجار أن يملك بغداد، وذلك أن حاجب حجاب جلال الدولة، باسطغان تحالف مع أبي كاليجار ضد صاحبه، فأرسل أمير فارس جيشاً وانتزع واسط من العزيز بن جلال الدولة، ونادى بارسطغان بشعار أبي كاليجار وأخرج جلال الدولة من بغداد، لكن أبا كاليجار عاد إلى فارس فضعف أمر بارسطغان، وعاد جلال الدولة إلى بغداد وقتله [8].

---

(١) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٣٣٢. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ٣٥ - ٣٦، ٥٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٥٦. و جـ ٨ ص ٢، ٣، ٥، ١٠. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ٦٢، ٦٥، ٧٢ - ٧٥، ٨٩، ٩١، ١٠٥، ١٠٨. ابن خلدون، تاريخ، جـ ٣ ص ٩٣٠ - ٩٣٤. EI², art djalal al-dawla T.II, p.401-402.

(٣) ابن الأثير، جـ ٨ ص ٣، ٥، ٧، ٨، ١٢. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ٥٥، ٦٠. ابن خلدون، تاريخ، جـ ٣ ص ٩٣٠ - ٩٣١.

(٤) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٣٣٣. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ٣٧.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٣٣.

(٦) المصدر نفسه، ص ٣٣٦. ابن خلدون، تاريخ، جـ ٣ ص ٩٢٦ - ٩٢٩.

(٧) المصدر نفسه، ص ٣٥١.

(٨) ابن الأثير، جـ ٨ ص ١٤. EI², art, djalal al-dawal, T.II, p.401-402.

كان أبو كاليجار أقوى أمراء بني بويه في تلك الفترة، فلم يعد جلال الدولة يشكل أي خطر عليه، بل لم يقم بأية محاولة لانتزاع فارس أو كرمان أو خوزستان منه، وكان دائماً في موقف لدفاع. أما إمارة البويهيين في الري فقد سقطت في أيدي محمود بن سبكتكين الغزنوي سنة ٤٢٠ / ١٠٢٩، الذي استولى عليها واعتقل مجد الدولة بن فخر الدولة واضطر منوجهر بن قابوس صاحب جرجان وطبرستان إلى مصالحته، كذلك فعل علاء الدولة بن كاكاويه صاحب أصفهان. لكن الغزنويين عادوا واستولوا على أصفهان [١] وأخرجوا منها علاء الدولة، كذلك استولوا على معظم اقليم الجبال.

لم يكن الغزنويون وحدهم الذين أخذوا يتطلعون الى امتلاك الممالك البويهية والقضاء على هذه الدولة. بل كانت هناك قوة أخرى صاعدة تتطلع بدورها للقضاء على الاثنين معاً: الغزنويون والبويهيون. وهذه القوة الجديدة هي السلاجقة [٢].

حاول مسعود الغزنوي والذي خلف اباه، احتلال كرمان سنة ٤٢٢ / ١٠٣٠ وانتزاعها من أبي كاليجار، وبعد أن نجح جيشه في ذلك وملك البلد، عاد وانهزم أمام بهرام بن مافنه وزير الملك أبي كاليجار الذي أقام وجيزة في كرمان إلى أن استتبت أمورها عاد بعدها إلى فارس [٣]. وكانت هذه أول محاولة من الغزنويين بالتعرض لملك أبي كاليجار.

أما السلاجقة، فقد عادوا ابتداء من سنة ٤٢٩ / ١٠٣٧ في تسديد ضرباتهم بوجه الأطراف والقوى الأخرى. ففي هذا العام، نجح طغرل بك وأخواه بامتلاك نيسابور وسرخس ومعظم بلاد خراسان، وجلس طغرل بك على عرش مسعود في نيسابور. لكن السلطان مسعود الغزنوي عاد في العام التالي محاولاً استعادة خراسان ولم يتم له الأمر إلا عام ٤٣١ / ١٠٣٩ وبعد جهد كبير [٤]. وكانت أحوال مسعود قد أخذت بالتدهور، وقد أنهكته وكلفته كثيراً حربه هذه مع السلاجقة الذين عادوا في أواخر ٤٣١ / ١٠٣٩ وانتصروا عليه. واستعاد طغرل بك وأخواه نيسابور وهرات وبلخ [٥] في بداية ٤٣٢ / ١٠٤٠. ومنذ هذا التاريخ بدأ السلاجقة يضعون حجر الأساس لدولتهم القادمة. فيما أخذت الدولة الغزنوية تسير نحو نهايتها خاصة بسبب الصراعات التي نشبت داخلها، وعزل مسعود وقتله.

تابع السلاجقة تقدمهم، فاستولى طغرل بك سنة ٤٣٣ / ١٠٤١ على جرجان وطبرستان، وفي

---

(١) المصدر نفسه، جـ ٧ ص ٣٣٥ ـ ٣٣٦.

(٢) انظر حول نشوء هذه الأسرة: ابن الأثير، جـ ٧ ص ٢٩٦ ـ ٢٩٨، ٣٣٧ ـ ٣٣٩، جـ ٨ ص ٢١ ـ ٢٦. حسين أمين. تاريخ، ص ٤٥ ـ ٤٦. Cahen, Islam, p.209-217. EI, art Saldjukides, t. III, p.216-222.

(٣) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٣٥٤.

(٤) ابن الأثير، جـ ٨ ص ١٧، ٣٥. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ٩٩.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٦ ـ ٢٧. المصدر نفسه، ص ١٠٧.

العام التالي، على خوارزم والري وأخذ قلعة طبرك من مجد الدولة بن بويه، وملك همذان واطاعه ملك الديلم والطرم، وقزوين وأصفهان، فيما بعث بجيش إلى سجستان وآخر إلى كرمان [(١)]. لكن محاولة انتزاع كرمان من أيدي البويهيين لم تنجح آنذاك، إذ تمكن مهذب الدولة وزير أبي كاليجار، من هزيمة الجيش السلجوقي [(٢)].

بوفاة جلال الدولة البويهي أمير العراق سنة ٤٣٥ / ١٠٤٣، بعد أن حكم ما يقرب من ١٧ سنة، عاد العراق ليتوحد مع فارس تحت سلطة الملك أبي كاليجار الذي بات يملك بالإضافة إليهما، خوزستان وكرمان ويخطب له بعُمان وقسم من الجزيرة وأحياناً بأصفهان وحلوان وهمذان وديار بكر [(٣)]. وكان الأمراء العرب والأكراد الذين أقاموا دويلات لهم في الجزيرة والشام ما انفكوا يتصارعون فيما بينهم طوال تلك الفترة [(٤)]. فيما استمر الفاطميون في تقوية مواقعهم في الشام. ففي سنة ٤١٩ - ٤٢٠ / ١٠٢٨ - ١٠٢٩ نجح الدزبري الذي أرسل من مصر على رأس جيش في استعادة حلب وقتل أميرها صالح بن مرداس [(٥)]. وتكرر الأمر نفسه مع خليفته نصر بن صالح [(٦)] سنة ٤٢٩ / ١٠٣٧. وكان البيزنطيون بدورهم يحاولون التقدم في الجزيرة، ودخلوا طرفاً في الصراعات الدائرة بين الأمراء المحليين وتحالفوا مع بعضهم ضد الآخرين [(٧)]. وباتت طاعة أولئك الأمراء موزعة بين جلال الدولة، وأبي كاليجار البويهيين، والفاطميين والروم. لكنها طاعة غير ثابتة تتبدل بين فترة وأخرى حسب المصالح والتحالفات التي تفرضها الصراعات القائمة.

لكن الهم الأول للملك البويهي أبي كاليجار، بات الوقوف بوجه تقدم السلاجقة ومواجهتهم [(٨)]. لذلك، ففي العام نفسه الذي دخل فيه بغداد، ٤٣٦ / ١٠٤٤، خلفاً لجلال الدولة، أمر ببناء سور حول مدينة شيراز وأحكم بناءه، وبلغ محيط هذا السور ألف ذراع وعرضه ٨ أذرع [(٩)]، ولم ينته من بنائه إلاّ عام ٤٤٠ / ١٠٤٨ وهي السنة التي توفي فيها. ولا شك أن قرار

---

(١) ابن الأثير، جـ ٨ ص ٣٣ - ٣٥. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ١١٤.

(٢) ابن الأثير، جـ ٨ ص ٣٥ - ٣٦.

(٣) المصدر نفسه، جـ ٨ ص ٣٧ - ٣٨، ٤٠. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ١١٧ - ١١٨. ابن خلدون، تاريخ، جـ ٣ ص ٩٤٠ - ٩٤١.

(٤) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٣٠٨ - ٣٣٣. El², art Okaïlides t.III, p.1039
El, art Mazyadites T.III, p.496-497, et art, Marwanides, p.356-357.

(٥) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٣٣٣ - ٣٣٤.

(٦) المصدر نفسه، ٨ ص ١٦.

(٧) المصدر نفسه، جـ ٨ ص ٧، ٩، ١١، ١٦، ١٨، ٢٨، ٢٩.

(٨) المصدر نفسه، جـ ٧ ص ٣٤١ - ٣٤٣.

(٩) ابن الأثير، جـ ٨ ص ٤٠. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ١٣٧. سبط، جـ ١٢، و ١.

أبي كاليجار هذا، كان تحسباً من مخاطر الزحف السلجوقي. وخوفه على المعقل الأساسي للبويهيين؛ شيراز عاصمة فارس.

بدأ التقدم السلجوقي سنة ٤٣٧ / ١٠٤٥ والذي لن يتوقف إلا بدخولهم بغداد وفارس والإطاحة نهائياً بالدولة البويهية والسيطرة على الخلافة العباسية. ففي تلك السنة أمر السلطان طغرل بك أخاه ابراهيم ينال بالتوجه إلى إقليم الجبال، فاستولى على همذان وفيها كرشاسف بن علاء الدولة بن كاكويه، الذي فرّ مُلتجئاً إلى الأكراد. كما استولى ابراهيم ينال على إمارة بني عناز الكردية في حلوان وقرميسين والدينور، وهرب زعيمها أبو الشوك إلى قلعة السيروان حيث توفي في نفس العام. أما أبو كاليجار فقد أقلقه هذا التقدم السلجوقي وكان في خوزستان، لكنه لم يستطع أن يفعل شيئاً تجاهه (١). ولم يبق أمامه، بعد أن عجز عسكرياً عن صد تقدمهم، سوى إبرام صلح معهم، يوقف تقدمهم مؤقتاً، على أمل أن تعطيه هذه الهدنة فرصة لإعادة تنظيم أوضاعه. لذلك أرسل إلى طغرل بك طالباً الصلح، فأجابه إليه واصطلحا سنة ٤٣٩ / ١٠٤٧، وبعث إلى أخيه ابراهيم ينال بوقف تقدمه، وتزوج طغرل بك من ابنة أبي كاليجار، فيما تزوج ابن أبي كاليجار من بنت أخ طغرل بك (٢).

لكن كل ذلك لم يوقف أعمال السلاجقة. ففي نفس ذاك العام استولى ابراهيم ينال على عدد من القلاع التي كانت بأيدي آل كاكويه، وبني عناز (قلعة كنكور، السيروان، سرماج، الخ) ووصلت الإشاعات إلى بغداد، عن عزم ابراهيم ينال بالتوجه إليها، فاضطربت المدينة (٣). أما أبو كاليجار فانهمك في اخضاع المتمردين على سلطته، فاستولى سنة ٤٣٩ على البطيحة وهزم صاحبها، وسار إلى كرمان في العام التالي لإخضاع واليها بهرام بن لشكرستان الديلمي الذي أظهر العصيان. لكن الملك أبا كاليجار توفي وهو في طريقه إلى كرمان (٤)، بعد أن حكم فارس وخوزستان حوالي ٢٥ سنة وكرمان ٢١ سنة والعراق ٤ سنوات وأشهر. وقد أمضى القسم الأكبر من حكمه في صراع مع عمه جلال الدولة ومع الأمراء المحليين، والقسم الآخر في الاستعداد للمواجهة المقبلة مع السلاجقة، حيث عجز عن وقف تقدمهم. ولربما كان تخوفه من السلاجقة، وراء اعتناقه للمذهب الفاطمي على يد داعي فارس المؤيد الشيرازي (٥)، على أمل أن يساعده الفاطميون لوقف الهجمة السلجوقية، لكنه سرعان ما تراجع عن ذلك (أنظر لاحقاً).

---

(١) ابن الأثير، جـ ٨ ص ٤١ - ٤٢. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ١٢٨.

(٢) ابن الأثير، جـ ٨ ص ٤٤. ابن خلدون، تاريخ، جـ ٣ ص ٩٤١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٥ - ٤٦.

(٤) ابن الأثير، جـ ٨ ص ٤٦، ٤٨. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ١٣٩. سبط، جـ ١٢، و٢. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٩٤١. EI², art Abu Kalidjar, T.1, p.135-136.

(٥) سيرة، ص ٤٣ - ٦٤.

٨ ـ نهاية الدولة البويهية

الملك الرحيم ٤٤٠ ـ ٤٤٧ / ١٠٤٨ ـ ١٠٥٥

عند وفاة أبي كاليجار سنة ٤٤٠ / ١٠٤٨، كان برفقته ابنه أبو منصور فلاستون الذي أسرع بالعودة إلى شيراز وملكها، فيما امتلك ابنه الآخر المقيم في بغداد أبو نصر خسرو فيروز العراق وخوزستان والبصرة، وتلقب بالرحيم رغم رفض الخليفة منحه هذا اللقب لأنه من أسماء الله [١].

كانت فارس هذه المرة، هي أرض الصراع بين المتنافسين. ففي نفس العام الذي ملك بها الملك الرحيم بغداد، أرسل جيشاً إلى شيراز وانتزعها من أخيه فلاستون وقبض عليه وعلى والدته [٢].

وفي العام التالي ٤٤١ / ١٠٤٩، توجه الرحيم إلى فارس، وعندما اقترب من شيراز، وقع خلاف بين الأتراك الشيرازيين والبغداديين قرر على أثره هؤلاء العودة إلى بغداد، مما أجبر الرحيم للعودة معهم لأنه لم يكن يثق بالأتراك الشيرازيين ولا بالديلم، فعاد إلى الأهواز بعد أن استخلف على فارس أخويه أبا سعد وأبا طالب، الأمر الذي لم يرض ديلم فارس؛ فأعلنوا ولاءهم للأمير فلاستون، الذي كان قد تمكن من الهرب من معتقله والتجأ إلى قلعة اصطخر، فقوي أمره واستولى على بلاد فارس ثم سار إلى ارجان عازماً على قصد الأهواز [٣] وامتلاكها أيضاً. والتقى العسكران قرب الأهواز وانهزم الملك الرحيم منسحباً إلى واسط.

وبدوره اضطر فلاستون، بعد ذلك، للتخلي عن الأهواز والعودة إلى فارس بعد أن اضطرب عليه الجند والتحق قسم منهم بأخيه الرحيم، وحرضوه على المسير إلى فارس وامتلاكها، فاستولى الرحيم على الاهواز [٤]، وبعث بأخيه أبي سعد إلى فارس فاستولى على اصطخر وشيراز سنة ٤٤٣ / ١٠٥١. لكن فلاستون عاد، بمساعدة السلاجقة، وتمكن من استعادة الأهواز من جديد [٥]. وكان السلاجقة، قد حاولوا منذ سنة ٤٤٢ / ١٠٥٠ انتزاع فارس من أيدي البويهيين، فغزوا في هذا العام فسا والبيضاء ثم عادوا عنها. وفي سنة ٤٤٤ / ١٠٥٢ وصل رجال طغرل بك إلى شيراز ونزلوا البيضاء واستولوا على بعض القلاع لكن الأمير أبا سعد نائب الملك الرحيم آنذاك، نجح في التغلب عليهم واستعادة ما أخذوه [٦]. ويبدو أن السلاجقة في تلك الفترة، لم يوجهوا اهتماماً كبيراً للسيطرة على فارس، إذ بات همهم الأول احتلال العراق.

---

(١) ابن الأثير، جـ ٨ ص ٤٨. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٩٤١ ـ ٩٤٢. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ١٣٦.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ابن الأثير، جـ ٨ ص ٥١. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٩٤٢ ـ ٩٤٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥٣ ـ ٥٤.

(٥) المصدر نفسه، ص ٥٨ ـ ٥٩. سبط، جـ ١٢ و٦١. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ١٥١.

(٦) ابن الأثير، جـ ٨ ص ٥٤، ٥٥، ٦٢. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٩٤٥.

ورغم الهجمة السلجوقية، فإن الصراعات الداخلية بين البويهيين لم تتوقف، بل بالعكس، فقد استعان بعضهم بالسلاجقة ضد البعض الآخر، كما فعل فلاستون للوقوف بوجه أخيه الملك الرحيم. وكل هذا ساعد في اضعاف الموقف البويهي وأتاح للسلاجقة التقدم بسرعة والقضاء عليهم.

وفي سنة ٤٤٤ / ١٠٥٢ قام الملك الرحيم بانتزاع البصرة من أخيه أبي علي الذي فرَّ ملتجئاً إلى طغرل بك [١]. وفي العام التالي استولى الرحيم على أرجان [٢] فيما سيطر فلاستون على شيراز وأقام الخطبة بها لطغرل بك وللملك الرحيم ولنفسه من بعدهما [٣]. ولربما كان هذا الأمر ـ الخطبة لطغرل بك في فارس ـ وراء تمرد أحد قادة الديلم الذي نجح سنة ٤٤٧ في إخراج فلاستون من شيراز وقطع خطبة طغرل بك، ولكن سرعان ما عاد الأخوان المتخاصمان واصطلحا على طاعة أخيهما الملك الرحيم، واستعادا شيراز من جديد، فيما هرب القائد الديلمي فولاذ إلى قلعة اصطخر [٤].

أما السلاجقة فقد تابعوا تقدمهم طوال هذه الفترة (٤٤٠ ـ ٤٤٧ / ١٠٤٨ ـ ١٠٥٥)، ففي سنة ٤٤٣ استولى طغرل بك على اصفهان وجعلها مقره [٥]. وفي السنة التالية بعثوا بجيش مع سعدى بن أبي الشوك أمير بني عناز إلى نواحي العراق وأرهبوا بغداد [٦]. وفي سنة ٤٤٦ / ١٠٥٤ استولوا على أذربيجان [٧]، كما بعث طغرل بك بجيش وعلى رأسه أحد أبناء الملك البويهي السابق أبي كاليجار الذي التحق بخدمة السلاجقة، إلى خوزستان وملك الأهواز [٨].

وانعكست هذه الأحوال على بغداد فزادت من اضطراب أوضاعها، فباتت الفتن الطائفية أكثر عنفاً من قبل، كما جرى الأمر في سنوات [٩] ٤٣٧، ٤٤١، ٤٤٣، ٤٤٤، ونشط العيارون وتعديات البدو، وتمردات الجند [١٠]. وكان لا بد أن يرافق كل ذلك أزمات اقتصادية حادة تمثلت بموجات غلاء عظيم حتى أكل الناس الميتة [١١] سنة ٤٣٩ و ٤٤٦.

كانت أنظار الخلافة تتطلع منذ فترة إلى السلاجقة على أمل أن يجدوا على أيديهم الخلاص من

---

(١) المصدر نفسه، ص ٦٣.
(٢) ابن الأثير، جـ ٨ ص ٦٥. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٩٤٥ ـ ٩٤٦.
(٣) المصدر نفسه، ص ٦٦.
(٤) المصدر نفسه، ص ٦٩. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ١٦٦. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٩٥٠.
(٥) المصدر نفسه، ص ٥٤. سبط، جـ ١٢ و٦.
(٦) المصدر نفسه، ص ٦٤. سبط، جـ ١٢ و٦.
(٧) ابن الأثير، جـ ٨ ص ٦٧.
(٨) المصدر نفسه، ص ٦٧. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٩٤٨ ـ ٩٤٩.
(٩) المصدر نفسه، ص ٤٢، ٥٣، ٥٩، ٦٤، ٦٥. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ١٢٩، ١٤٥، ١٥٠ ـ ١٥١.
(١٠) المصدر نفسه، ص ٦٤، ٦٦، ٦٧. المصدر نفسه، ص ١٦٠. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٩٤٦ ـ ٩٤٧.
(١١) المصدر نفسه، ص ٤٦، ٦٧.

البويهيين، تماماً كما فعل المستكفي عندما رحّب بدخول أحمد البويهي بغداد على أمل التخلص من حكم أمير الأمراء.

إن كل الظروف باتت مهيأة لدخول السلاجقة بغداد والسيطرة على الخلافة، خاصة بعد أن باتوا قريبين منها منذ أن استولوا على حلوان سنة ٤٤٤ / ١٠٥٢ وعلى الأهواز سنة ٤٤٦ / ١٠٥٤. وجاءتهم الفرصة المناسبة في العام التالي، إثر انفجار الصراع بين الخليفة القائم بأمر الله ووزيره رئيس الرؤساء ابن مسلمة من جهة وكبير قادة جيش الملك الرحيم، أبي الحارث ارسلان البساسيري من جهة أخرى. وكان البساسيري وهو أحد الموالي الأتراك الذين خدموا بهاء الدولة وقد أخذ نجمه في الصعود أيام جلال الدولة، وبات كبير قادة الجيش البويهي خلال حكم الملك الرحيم، كما بات هو الحاكم الفعلي للبلاد ولم يكن القائم بأمر الله يقطع أمراً دونه (١).

ويبدو أن الخليفة ووزيره قد حاولا الإستفادة من ضعف الأمير البويهي، لتقوية سلطة الخليفة واستعادة بعض ما أخذه البويهيون منه من صلاحيات. وقد حاول ابن مسلمة بدعم من الخليفة أن يعيد لمنصبه كوزير للخليفة أهميته (٢)، فأخذ بإضعاف نفوذ البساسيري واتهمه بمكاتبة الفاطميين والتآمر معهم للإطاحة بالخلافة، فيما رد هذا الأخير باتهام ابن مسلمة بالسعي لاستدعاء السلاجقة وتمليكهم بغداد (٣).

انفجر الصراع بين الفريقين (٤) سنة ٤٤٦ / ١٠٥٤، ويذكر سبط ابن الجوزي فيما يعتبره السبب الأساسي للخلاف، بأن الخليفة قد صح عنده وتأكد من مراسلة البساسيري للمستنصر الفاطمي ونواياه بالإطاحة بالخلافة العباسية. واستغل ابن مسلمة الأمر وزاد في تأجيج الخلاف، وكاتب الخليفة طغرل بك وهو في نواحي خراسان يستنهضه للمسير إلى العراق (٥).

لم يتوانَ طغرل بك عن الإستجابة لطلب الخليفة، وهو الذي ينتظر الفرصة المناسبة للإنقضاض على العراق، فبدأ مسيره بعد أن أعلن ظاهراً أنه يريد التوجه إلى الحج وإصلاح طريق مكة والتوجه إلى الشام ومصر وإزالة الدولة العلوية (٦). وكان قد أبلغ قواته المتواجدة في الدينور وقرميسين وحلوان بالإستعداد لدخول بغداد، وتوجهت تلك الجيوش بقيادة طغرل بك إلى بغداد

---

(١) سبط، جـ ١٢ و٨. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ١٦٣ ـ ١٦٥.
EI², art Basasiri t. I, p.1105-1107.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ١٢٧، ١٦٠. EI¹, art, Basasiri. T.I., p.1105-1106

(٣) المصدر نفسه، ص ١٦٣ ـ ١٦٥. ابن الأثير، جـ ٨ ص ٤٨، ٧١. Ibid.

(٤) انظر حول ذلك، ابن الأثير، جـ ٨ ص ٦٨. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ١٦٠ ـ ١٦١. سبط، جـ ١٢ و٨.
EI², art Basasiri. T.I. p.1105-1106.

(٥) سبط، جـ ١٢ و٨، ١٤. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ١٦٣ ـ ١٦٥. ابن الأثير، جـ ٨ ص ٧٠، ٧٢.

(٦) ابن الأثير، جـ ٨ ص ٧١. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ١٦٤.

عن طريق حلوان، وهو الطريق الذي يطرقه التجار من العراق إلى إيران وبالعكس منذ أقدم العصور، ويبدو أنه أسهل طريق بين قلب العراق وقلب إيران [1]. وعندما وصلوا إلى حلوان اضطربت بغداد، وتوجه الملك الرحيم إليها من واسط حيث كان وبرفقته قائد جيشه البساسيري، لكن الخليفة استطاع أن يجبر الملك الرحيم على التخلي عن قائده البساسيري باعتبار أنه خلع الطاعة ويكاتب الأعداء أي المصريين [2] فالتحق هذا الأخير بدبيس بن مزيد. ووصل في هذه الأثناء، إلى الخليفة رسول من طغرلبك يبالغ في إظهار الطاعة، ويعد الجند الأتراك البغداديين بالجميل والإحسان. لكن هؤلاء تخوفوا من فقدان نفوذهم، إذا سيطر السلاجقة على بغداد، فامتنعوا عن الاستجابة لعرض طغرل بك، بل أخذوا بحث الخليفة على مواجهته ومنعه من دخولها [3]. لكن الخليفة الذي بات مؤيداً لدخول السلاجقة، لم يعط جنده جواباً واضحاً.

لقد أسقط من يد الملك الرحيم، والواقع أنه لم يعد أمامه، خاصة بعد أن تخلى عن البساسيري، سوى التسليم للفاتح الجديد. لذلك قام بإبلاغ الخليفة بتسليم أمره إليه ليفعل ما يراه صالحاً في تقرير القواعد مع السلطان طغرل بك. ويبدو أن اتفاقاً قد تم بين الملك الرحيم والخليفة بوجوب التعاون مع طغرل بك وعدم مواجهته. وعلى أساس ذلك أمر الخليفة بالخطبة لطغرل بك في جوامع بغداد، على أن يذكر اسم الملك الرحيم بعد ذلك. فخطب له يوم الجمعة لثمانٍ بقيت من رمضان ٤٤٧ / ١٥ كانون الأول ١٠٥٥.

معنى ذلك، أن الدولة البويهية في العراق، رضيت أن تكون تحت سلطة السلاجقة، آملة في ذلك أن يتاح لها نوع من البقاء [4]، ولربما بانتظار فرصة أكثر ملاءمة للانقضاض على القوة الجديدة.

دخل طغرل بك بغداد بعد ثلاثة أيام من الخطبة له فيها، بعد أن استأذن الخليفة في ذلك، وبعد أن أعطى مواثيقه للخليفة وللملك الرحيم ولأمراء الجند [5]. وفي اليوم التالي، وقعت فتنة بين العامة وعسكر السلاجقة، فاتهم طغرل، الملك الرحيم بتدبير ذلك، فقبض عليه، رغم العهود التي أعطيت له ورغم دفاع الخليفة عنه، ومن ثم أرسل إلى قلعة السيروان جنوب الجبال، ثم نقل في العام التالي ٤٤٨ / ١٠٥٦ إلى قلعة طبرق القريبة من الري [6]، وبقي فيها إلى أن توفي سنة

---

(١) حسين امين، تاريخ، ص ٥٨.

(٢) ابن الأثير، جـ ٨ ص ٧١. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٩٥٠ - ٩٥١.

(٣) ابن الأثير، جـ ٨ ص ٧١.

(٤) حسين أمين، تاريخ، ص ٥٩.

(٥) سبط، جـ ١٢ و ١٠. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ١٦٤ - ١٦٥. ابن الأثير، جـ ٨ ص ٧١.

(٦) ابن الأثير، جـ ٨ ص ٧٢. الذهبي، دول، جـ ١ ص ١٩٣. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٩٥٢ - ٩٥٤.

Minorsky, domination, p.16. the last buwayhids, p.13.

٤٥٠ / ١٠٥٨. وكان لا بد أن يحدث ما حدث، فطغرل بك لم يدخل بغداد، ليبقي للبويهيين أي شكل من أشكال النفوذ والإستمرار، بل ليقضي على دولتهم ويقيم دولته. فمن الطبيعي إذاً، أن يلجأ إلى أي عذر للتخلص من الملك الرحيم، وكي لا يدع أي مجال لأية محاولة مستقبلية محتملة من قبل البويهيين لاستعادة ما فقدوه.

هكذا، زالت الدولة البويهية من العراق، وانقرضت دولتهم كما يعتقد معظم المؤرخين، وكانت الإمارة البويهية في إقليم الجبال قد زالت منذ سنة ٤٢٠ على يد الغزنويين. ولم يبق لهم سوى فارس، حيث استمرت الإمارة البويهية فيها بضع سنوات أخرى حتى سنة ٤٥٤ / ١٠٦٢.

٩ ـ نهاية الأسرة البويهية في فارس

فولاستون: ٤٤٧ ـ ٤٥٤ / ١٠٥٥ ـ ١٠٦٢

اسفنديار: ٤٥٤ / ١٠٦٢

كانت فارس في هذه الأثناء بأيدي أخوي الملك الرحيم، فلاستون وأبي سعد، بعد أن نجحا في القضاء على تمرد القائد الديلمي فولاذ صاحب قلعة اصطخر الذي سبق له واستولى على شيراز في بداية عام ٤٤٧ / ١٠٥٥ كما أشرنا سابقاً.

لكن فولاستون سرعان ما انقلب على أخيه أبي سعد وقتله كما قتل أخاه الأصغر بويه [١]، وربما حصل هذا الأمر في نهاية ٤٤٧ أو بداية ٤٤٨. وبمقتل أبي سعد بات فولاستون سيد فارس دون منافس من داخل أسرته، وهو ما سعى إليه طويلاً ولم يتمكن من تحقيقه سوى لفترات قليلة متقطعة بسبب وجود أخويه الملك الرحيم وأبي سعد.

وكان للوزير العادل هبة الله بن أحمد الفسوي، الدور الأساسي فيما وصل إليه فلاستون، وفي تملكه شيراز ورده إليها بعد خروجه منها دفعات، وبات لهذا الوزير اليد الطولى في الإمارة وإليه تعود كل أمور وشؤون فارس.

في سنة ٤٤٩ / ١٠٥٧ قام فلاستون بقتل وزيره العادل بداره في شيراز، ولم يعرف سبب فعلته هذه كما يقول سبط ابن الجوزي [٢]. ويبدو أن فلاستون أراد القضاء على نفوذ وسلطة وزيره والإنفراد بالحكم، وفي الوقت نفسه طمعاً بمصادرة ثروته وأمواله. وقد ترتب على هذه الحادثة إن كانت سبباً في القضاء على فلاستون نفسه وبالتالي انهيار آخر معقل للبويهيين.

ذلك أن زعيم إحدى القبائل الكردية المعروفة بالشبنكاره وهو أبو العباس فضلويه بن علويه بن

---

(١) سبط، جـ ١٢ و ٨١. the last Buwayhids, p.230. Cahen, Fadlawayh, p.112.

(٢) سبط، جـ ١٢ و٢٧. the last Buwayhids, p230.

الحسن بن أيوب قام يطالب بالانتقام لمقتل الوزير العادل[1]. وكان فضلويه قد عمل بخدمة البويهيين، وقد ساعده الوزير العادل في أن يترقى ليتولى منصباً مهماً في قيادة الجيش البويهي. ولا شك أن هذه العلاقة، كانت أحد أسباب تحرك فضلويه للإنتقام لمقتل الوزير العادل، لكن السبب الأساسي هو على الأرجح رغبة فضلويه في الإطاحة بفلاستون والإستيلاء على فارس وإقامة ملك له فيها.

وتمكن فضلويه من تجميع الكثير من الأنصار حوله، مستغلاً ميل فلاستون لسفك الدماء وقتل من حواليه، لتحريض الجند عليه، وأيضاً مستغلاً حالة الاضطراب والفوضى التي عمت إثر مقتل الوزير العادل، كما ادعى فضلويه ان فلاستون يريد قتله أيضاً، مما أتاح له أن يحشد إلى جانبه جيشاً قوياً.

وبعد أن أتم فضلويه استعداداته، هاجم فلاستون وهزمه على باب شيراز سنة ٤٥٤ / ١٠٦٢. واعتقله كما اعتقل والدته وقتلها في قلعة « بهن ديز ». ويبدو أن فضلويه كان شديد النقمة على والدة فلاستون لأنها هي التي حرضت ابنها على قتل الوزير العادل. فوضعها في مغطس من دون ماء وأحرقها[2].

وبعد أن تخلص فضلويه، من فولاستون وأمه، قام بتنصيب اسفنديار أخ فلاستون الأصغر مكانه، وذلك ارضاء للديلم. في حين لم يكن لاسفنديار الصغير، من الحكم شيئاً، وكان فضلويه هو الحاكم الفعلي، وسيد فارس الجديد[3].

عمد فضلويه إلى تثبيت سيطرته. فوزع بعض الحصون والقلاع على القبائل التي وقفت إلى جانبه، مكافأة وإرضاء لها[4]. لكن الجند الديلم والأتراك لم ينسوا له ما فعله بأميرهم السابق فلاستون ووالدته، بالإضافة إلى خوفهم من تقلص نفوذهم، فقاموا بدعوة الأمير السلجوقي قاروت ابن أخ السلطان طغرل بك، للاستيلاء على فارس.

وعلى الأرجح فإن الإمارة البويهية في فارس ما كان لها أن تستمر إلى سنة ٤٥٤ / ١٠٦٢، لولا انشغال السلاجقة بمقاتلة البساسيري، الذي تمكن سنة ٤٥٠ من دخول بغداد، ومغادرة طغرل بك والخليفة القائم بأمر الله لها. وكذلك انشغال طغرل بك بمقاتلة أخيه ابراهيم ينال الذي خلع الطاعة[5]. لذلك كان من المتوقع أن يتطلع السلاجقة بعد أن قضوا على البساسيري وابراهيم ينال،

---

(١) سبط، جـ ٢ و٢٧. Ibid, p.239-240. EI², art Fadlawayh, T.II, p.755.

(٢) سبط، جـ ١٢ و ٨١. the last Buwayhids, p.240. Cahen, Fadluwayh, p.112.

(٣) سبط، جـ ١٢ و ٨١. ابن البلخي، ص ١٦٦. the last Buwayhids, p.240.

(٤) المصدر نفسه، المصدر نفسه. Ibid.

(٥) سبط، جـ ١٢ و١٣، ٢٤، ٤٤. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ١٦٤ – ٢١٢. EI², art Basasiri, T.I, p.1105-1107.

وثبتوا سيطرتهم، إلى القضاء على إمارة البويهيين في فارس وامتلاك هذا الإقليم الهام. من هنا سارع قاروت في الاستجابة لنداء الديلم والأتراك، وتوجه إلى شيراز وحاصرها حيث لم يواجه سوى بعض المقاومة. وبعد ثلاثة أيام من الحصار استسلمت حاميتها وهرب فضلويه وتحصن ببعض القلاع القريبة منها. وفيما استولى قاروت على شيراز ونواحيها، عاد ولحق بفضلويه وهزمه هزيمة قاسية، وهرب فضلويه من جديد إلى قلعة جهرم الحصينة الواقعة على بعد ٤٠ فرسخاً من شيراز. فيما عاد قاروت إلى شيراز وأقام الخطبة لطغرل بك، واعتقل اسفنديار ووالدته وبعث بهما مسجونين إلى كرمان (١).

هكذا، بمقتل فلاستون على أيدي فضلويه، واعتقال اسفنديار على أيدي السلاجقة، زالت الإمارة البويهية في فارس نهائياً وانقرض ملك البويهيين، تماماً من نفس المكان الذي انطلقوا منه قبل ١٣٣ سنة لتأسيس دولتهم، أي فارس.

(١) سبط، جـ ١٢ و٨٢. ابن البلخي، ص ١٦٦. the last Buwayhid's, p.241.

الفصل السادس:

سياسات البويهيين في فارس

سياسات البويهيين في فارس

١ ـ أسباب التغلب البويهي

عندما بدأ البويهيون في الظهور على مسرح الاحداث في العشرينات من القرن الرابع الهجري، ما كان لاحد ان يتوقع نجاحهم في اقامة دولة لهم تسيطر على الخلافة العباسية واراضيها زهاء قرن وربع. حتى هم أنفسهم، اثر امتلاك فارس ما كانوا يفكرون في ذلك. ففيما يخبرنا المؤرخون عن نوايا بابك، أو مزيار أو بني الصفار في امتلاك بغداد والسيطرة على الخلافة العباسية، لا يذكرون أشيئاً مثل ذلك عن البويهيين، الذين كان جل طموحهم اقامة ملك لهم في احدى مناطق الخلافة، والحصول على اعتراف الخليفة بهم واقطاعهم تلك المنطقة. ويشير المؤرخون في هذا الصدد إلى دور البريدي عندما لجأ اليهم في فارس سنة ٣٢٥ / ٩٣٦ (انظر سابقاً) وتحريضه لهم على دخول بغداد وامتلاك الحضرة، حتى ليظهر أنهم حتى ذاك الوقت ما كانوا قد طمحوا إلى ذلك.

وكان من الطبيعي، حتى ذاك التاريخ، أن لا يذهب طموحهم بعيداً. فأمارتهم التي اقاموها بفارس ما زالت فتية. كما أنهم لا يملكون أية ركيزة مادية او اجتماعية تدفع بتطلعاتهم بعيداً. فقد كانوا مجرد ثلاثة أخوة ديالمة، من أسرة فقيرة، تحولوا إلى جنود مرتزقة في خدمة الامراء المحليين، شأنهم شأن معظم الديلم. ورغم كل « جهود » بعض المؤرخين في عصرهم، لايجاد نسب لهم يتصل بالملوك الساسانيين، إلا أن هذه المحاولات كانت لأهداف سياسية تسعى لتوطيد مكانة الأسرة الحاكمة الجديدة بايجاد نسب لها ذي مكانة، وهي عادة معروفة في ذلك الوقت. الا أن الواقع، انهم حتى بين الديلم لم يكن لهم أي شأن، فلم ينحدروا من احدى الاسر الديلمية الحاكمة أو العريقة، وفي احسن الاحوال كانوا ينتمون إلى احدى القبائل الديلمية « شيرزيل » وليس في هذا اية ميزة خاصة.

لذلك، سنجد أن علاقة البويهيين بالديلم، ومنذ بدايات حركتهم، لم تكن قائمة على أساس العصبية الجنسية أو القبلية، اذ كان الديلم مشتتي الولاء بين أمرائهم وأمراء وقواد اخرين، يلتحقون بخدمة من يدفع لهم اكثر (انظر سابقاً). لذلك فعندما خرج علي بن بويه لامتلاك الكرج في أول

أمره، لم يكن معه سوى اقل من مائة رجل فيها الديلم ملتحقون بخدمة مرداويج الجيلي وياقوت التركي، وما كان الديلمي. وكما ذكرنا، فلم يكن علي بن بويه من اسرة ديلمية حاكمة، أو ذات موقع كبير بين الديلم. وعندما قتل مرداويج، فالذين التحقوا من جنده بعلي بن بويه كانوا في معظمهم من الاتراك، وليسوا من الديالمة الذين فضلوا الالتحاق بوشمكير اخ مرداويج. حتى عندما كان يلتحق به بعض الديلم من جند ياقوت او غيره، انما يتم ذلك، لانه يحسن معاملتهم ويكثر من اعطاءاتهم (١)، وليس لانه ديلمي مثلهم. ويذكر مسكويه ما يؤكد ذلك فيقول عن ركن الدولة أنه كان يتساهل مع جنده لأنه لم يكن من أهل بيت الملك ولا كانت له بين الديلم حشمة من يمتثل جميع أمره، وانما يرأس عليهم بسماحة كثيرة (٢).

كذلك، لم يكن البويهيون حملة عقيدة يدافعون عنها ويقاتلون من أجلها ويعملون لاقامة ملك باسمها، كما كانت حالة الكثير من الحركات التي عرفها عصرهم، الزيدية، الفاطمية، القرمطية... الخ. ورغم اننا نجهل تماماً عملية انتقالهم المحتملة من المذهب الزيدي إلى الاثني عشر، الا أن الكثير من اعمالهم بعد سيطرتهم على الخلافة، كاقامة الاضرحة الدينية كضريح علي بن أبي طالب، وبعث المناسبات الدينية الشيعية كعاشوراء، وتشجيع الفقهاء الاثني عشريين، وحتى ما ذكر عن بعضهم كمعز الدولة بأنه أمر بان يكتب على المساجد بلعن الصحابة، وتشجيعه للفتن الطائفية، قد يظهرهم بمظهر المغالين في التشيع، الا ان الحقيقة لم تكن كذلك تماماً، ونعتقد بأن مواقفهم تلك كانت لاسباب سياسية بالدرجة الأولى، وعلى العموم فلم يعرف انهم كانوا متدينين. وينقل ابن الجوزي ما يدل على جهل معز الدولة لأمور الدين، وحتى لسيرة حياة الإمام علي (٣). وأيضاً، فلم يكن الاندفاع البويهي بسبب نزعة وطنية، الامر الذي لم يظهر طوال فترة حكمهم. كما لم يكن وراء تحركهم أية بواعث او دعوات اجتماعية.

فعلام اذاً استندوا لاقامة دولتهم، وما هي الاسباب والظروف التي اتاحت لهم السيطرة على الخلافة العباسية؟ خاصة وأن آخرين كالزياريين، أو الصفاريين أو السامانيين وكذلك حركة بابك أو مزيار أو الحركات العلوية، كان يستند كل منهم، وحسب حالته، إلى عصبية جنسية او قبلية أو قومية أو أصحاب دعوات دينية أو اجتماعية، ومع ذلك لم يتمكنوا من بلوغ ما بلغه البويهيون. وحتى الذين تمكنوا من بينهم من اقامة اسر حاكمة، إلا أنهم لم يصلوا إلى السيطرة على الخلافة العباسية كما فعل البويهيون.

---

(١) مسكويه، جـ ١ ص ٢٧٩.

(٢) مسكويه، جـ ٢ ص ٢٧٩.

Bosworth, Military, p.140-152.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٣٨ - ٣٩.

Voir Kabir, the religion, p.35-37.

الواقع ان كتب التاريخ لا تجد ما تبرر به بروز علي بن بويه وبخاصة في الوصول إلى ما وصل اليه، سوى صفاته الشخصية: العسكرية و «الخلقية». فمسكويه يفسر نجاحات علي، بسماحته وسعة صدره وشجاعته [١]. كذلك يفعل ابن الاثير وابن خلقان [٢]، واذا كان ذلك لا يكفي يضيفون عليها، حسن «حظ» علي و «قدره» السعيد، فينقلون عدداً من القصص عن تلك المصادفات العجيبة بعثوره «بالصدفة» على أموال جمة التي لولاها لآل امر علي بن بويه إلى الانحطاط ولما تمكن من ترسيخ سلطته [٣].

لا شك أن تلك الصفات العسكرية و «الخلقية»، والاحرى ان نقول السياسية والتي تمتع بها علي، قد لعبت دوراً مهماً في احرازه لتلك الانتصارات التي أوصلته إلى اقامة دولته. فقد بدأ ظهوره كقائد عسكري مبرز، ذي شجاعة تامة، ومعرفة جيدة في إدارة المعارك والاستفادة من نقاط ضعف اعدائه، واقتناص الفرص المناسبة للتقدم أو التراجع. والاهم من ذلك، ذكاء سياسي حاد، ومعرفة جيدة بكيفية كسب الاعوان والانصار: مسايرة الاعوان، وسخاؤه على أنصاره، وملاطفة عماله، صرفه الكثير من الاموال على الجند وتلبية رغباتهم، عفوه عن أعدائه ورفضه تعذيب اسراه، وعفوه عن المسيئين، وحسن ادارته لاعماله. كل ذلك جعل الناس يطمئنون اليه والجند والانصار يلتحقون به [٤]. حتى كأنه استعاض بهذه الصفات عن ما ينقصه من عصبية قبلية أو دينية يشد بها أزره.

لكن تلك الصفات مهما بلغت اهميتها لا يمكن أن تفسر اسباب نجاحات علي بن بويه، والا فكيف نفسر فشل المشروع القرمطي رغم كل شجاعة وحنكة أبي طاهر الجنابي، ولماذا لم يتمكن بنو الصفار من استكمال مشروعهم لاحتلال بغداد؟ طبعاً لكل حالة من تلك ظروفها واوضاعها التي تفسر ذلك، انما قصدنا الاشارة إلى أن ليس البطولة وحدها ولا الصفات الشخصية التي قد تتوافر لشخص «القائد التاريخي» لمشروع ما، كافية لا نجاح هذا المشروع، وان كانت عناصر مساعدة لذلك.

الواقع انه اتيحت لعلي بن بويه ظروف واسباب لعبت دوراً أساسياً في تمكينه من تثبيت حكمه بفارس ولاحقاً فتحت أمامه أبواب بغداد على مصراعيها.

---

(١) مسكويه، جـ ١ ص ٢٧٧.

(٢) ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٣١. ابن خلقان وفيات، جـ ٣ ص ٣٩٩ ـ ٤٠٠. .the Cambridge, vol 4, p.261.

(٣) مسكويه، جـ ١ ص ٢٩٩. ابن الأثير، جـ ٢٣٥. الهمذاني، ص ٨٨.

(٤) مسكويه، جـ ١ ص ٢٧٧ ـ ٢٨٣. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٣١ ـ ٢٣٥.

أ ـ تدهور احوال الخلافة العباسية

لقد بدأ المشروع البويهي وتطور، في مرحلة من أسوأ المراحل التي مرت بها الخلافة العباسية (أنظر سابقاً). فالخليفة ووزيره باتا تحت امرة الجيش، الموزع الولاءات بين قادة كل منهم يسعى للاطاحة بالآخر، وتولي زمام البلاد، ومواجهة قوى أخرى تسعى بدورها للسيطرة على الخلافة وحتى للاطاحة بها، كالقرامطة والزياريين، والبلاد تغرق في حالة من الفوضى الاجتماعية والاقتصادية لحد الاختناق.

ففي ظل هذه الأحوال، وخاصة بعد فشل ولاة الخليفة كياقوت وابنيه في القضاء على البويهيين، الذين لا يشكلون خطراً على الخلافة كالذي يهددها من جانب القرامطة أو مرداويج بن زيار، كان من المتوقع من الخليفة بعد أن عجز عن القضاء عليهم، ان يرضخ ويقر ابن بويه على فارس، منصرفاً لمشاكله ومتاعبه الكثيرة الداخلية والخارجية ولمواجهة من هو أشد خطر على الخلافة من علي بن بويه.

ان هذا السبب سيكون أيضاً عنصراً أساسياً في توفير الفرصة للبويهيين لدخول بغداد، بالسهولة التي جرت. فالخلافة التي أنهكتها فترة حكم أمير الامراء، وجدت في البويهيين، الذين بات دخولهم بغداد أمراً واقعاً، الامل الذي سيخلصها من حالة التدهور التي وصلت اليها البلاد آنذاك.

ب ـ تضعضع الدولة الزيارية

كان مرداويج بن زيار، صاحب جرجان وطبرستان، قد بات القوة الاساسية في ايران، والآخذة في التوسع تدريجياً على حساب أراضي الخلافة. بل وصلت قوة وعظمة مرداويج إلى ما جعله يفكر باحتلال بغداد نفسها والاطاحة بالخلافة العباسية (أنظر سابقاً). ومن هذه الدولة الزيارية خرج البويهيون ليأسسوا امارتهم المستقلة منذ سنة ٣٢٢ / ٩٣٣ (أنظر سابقاً). فكان لا بد أن يشكل الطرفان كل منهما خطراً على الاخر. ذلك أنهما ينتميان إلى نفس المنطقة، بلاد الديلم. وكان الجيل الذين ينتمي إليهم مرداويج متجاورين للديلم متداخلين فيما بينهم لدرجة كبيرة. كما كان قسم كبير من جيش مرداويج من الديالمة. لذلك كان على الطرفين ان يتنافسا لكسب الديلم إلى صفوفهما. وكان المجال الذي يطمح علي في اقامة دولته عليه، يدخل في مجال نفوذ وسيطرة مرداويج. والاهم ان مرداويج، والذي عرف علي بن بويه قائداً في جيشه، كان مدركاً لقدرات البويهي الكبير، وبالتالي الخطر الذي سيشكله عليه في حال فسح له المجال، وأتيح له الوقت لذلك. من هنا رأينا مرداويج يتحرك فوراً للقضاء على علي بن بويه، قبل أن ينمو ويشتد ساعده. لكن علي بحكمته وحنكته قرر تجنب مواجهة مرداويج ما أمكنه ذلك، فأخذ بالهرب من

أمامه في بادىء الامر (أنظر سابقاً)، وعندما تم له السيطرة على فارس عام ٣٢٢ / ٩٣٣ عمد إلى ارضاء مرداويج بأي ثمن لكي يمنع المواجهة او يؤجلها، وكأنه كان يدرك أن أية مواجهة حاسمة مع مرداويج، كفيلة بالقضاء عليه، لذلك ارتضى ان يخطب له في فارس، وان يضع أخاه الحسن رهينة لديه. أما مرداويج فقد ارتضى هذه المصالحة وفي نيته مهاجمة علي بن بويه في العام التالي (أنظر سابقاً).

اذن، لقد شكلت الدولة الزيارية بقيادة مرداويج، خطراً حقيقياً على مشروع علي بن بويه. ولا يمكن لاحد أن يتوقع كيف كان يمكن ان يكون مستقبل الامارة البويهية، لولا مقتل مرادويج المفاجىء وتضعضع قوة خلفائه، الأمر الذي أعطى للبويهيين فرصة كبيرة للانطلاق في ترسيخ وتوسيع رقعة سيطرتهم.

ج - موقف البويهيين من الخلافة

لم يقع علي بن بويه في ذلك المطب الصعب الذي وقع فيه الكثير من الحركات الكبرى والذي كان أحد اسباب فشلها والقضاء عليها: أي اعلان العداء للخلافة والرغبة في القضاء عليها. ذلك أن الخلافة العباسية، باتت بعد أن تفشل في القضاء على تمرد احد الولاة او محاولات البعض الاخر اقامة أسر حاكمة في بعض المقاطعات، تعقد ما يشبه «الصفقة»، فتقر بسلطة العائلة الحاكمة في مناطقها، مقابل ان تقر هذه الاخيرة بخضوعها لسلطة الخلافة اسمياً.

لكن الخلافة العباسية ما كانت لتتساهل حتى في أقصى مراحل ضعفها مع الذين يظهرون نواياهم في القضاء عليها. فكانت تفعل المستحيل وتسخر كل امكاناتها للوقوف بوجههم. ورغم زوال سلطة الخلافة، إلا أنها احتفظت بسلطة روحية لدى العامة مما ساعدها على حشد الكثير من الطاقات، وتحريض السكان بوجه كل من يسعى للقضاء عليها. لذلك، وعلى الارجح، فان الموقف من الخلافة كان أحد أسباب فشل مشاريع بابك أو مزيار، القرامطة والصفاريين، واستقرار امر الطاهريين والسامانيين ومن ثم البويهيين.

كان أول ما فعله علي بن بويه اثر استيلائه على فارس الحصول على اعتراف الخليفة به. أي تأمين الغطاء الشرعي لسلطته، واقرار بسلطة الخلافة الاسمية على امارته. وعندما راودت معز الدولة البويهي اثر دخوله بغداد، فكرة الاطاحة بالخلافة العباسية، سرعان ما نهاه عنها بشدة وزيره ورجال دولته، مخافة أن يؤدي ذلك إلى زوال الدولة البويهية نفسها. وقد حرص البويهيون، على اظهار كل تعظيم وتقدير وطاعة للخليفة العباسي، في المناسبات العامة، وأمام مواطنيهم. فيما هم بالحقيقة قد انتزعوا منه كل صلاحياته، وعاملوه أسوأ معاملة (انظر لاحقاً).

د ـ أهمية فارس ودورها في ترسيخ الدولة البويهية

شكلت فارس تلك القاعدة الصلبة التي ارتكز عليها البويهيون لتثبيت ملكهم وتوسيعه. فبالإضافة إلى موقعها القريب من عاصمة الخلافة، فقد كانت احدى اغنى مقاطعات الخلافة اقتصادياً، واكثرها استقراراً (انظر سابقاً).

والواقع ان هذه الاسباب مجتمعة بالاضافة إلى شخصية علي بن بويه وما تمتع به من قدرات عسكرية وسياسية وادارية، هي التي مكنت البويهيين من الاستيلاء على فارس وترسيخ سلطتهم عليها، وبالتالي اخضاع الخلافة العباسية لسيطرتهم.

٢ ـ مفاهيم السلطة والملك

اذا كان قد أتيح للدولة البويهية في بداياتها مؤسس عظيم، فان خلفاءه كانوا أقل منه بكثير على الاصعدة السياسية والعسكرية والادارية اذا استثنينا عضد الدولة، وبدرجة أقل شرف الدولة. فركن الدولة[1] خليفة علي على رأس الاسرة، وأمير الجبال، كان كما يصفه مسكويه: « مع فضله على اقرانه من الديلم، كان على طريقة الجند المتغلبين بتغنم ما يتعجل له، ولا يرى النظر في عواقب امره وعواقب امور رعيته وكان يفسح لجنده وعسكره على طريق مداراتهم ما لا يمكن أحداً تلافيه وردهم عنه وكان مضطراً إلى فعل ذلك لانه لم يكن من اهل بيت الملك ولا كانت له بين الديلم حشمة من يمتثل جميع أوامره وانما يرأس عليهم بسماحة كثيرة كانت فيه ومسامحة في اشياء لا يحتملها امير عن مأمور »[2].

أما معز الدولة احمد امير العراق، الاخ الثاني لعلي بن بويه، فقد اعتمد لتثبيت حكمه سياسة استرضاء الجند بأي ثمن حتى ولو كان ذلك على حساب مصالح الشعب والدولة[3]. وقد ادت سياسته هذه في توزيع الاقطاعات على قادة الجيش واطلاق يدهم في أمور البلاد والدولة إلى تخريب فظيع للاقتصاد وشل الحياة الادارية[4]. كذلك عمد معز الدولة إلى تأجيج الصراع المذهبي بين السنة والشيعة بوتيرة لا مثيل لها، فشهدت البلاد أعنف الفتن المذهبية التي كان لها بدورها تأثير كبير في تخريب الحياة الاقتصادية وتعميم الفوضى. على أن هذا يجب أن لا يعني عدم قيامها ببعض الانشاءات، وتمتعها بصفات الشهامة والشجاعة[5]. كما كان لوزرائهما أثر كبير في التخفيف من

---

(١) ابن خلقان، وفيات، جـ ٢ ص ١١٨ ـ ١١٩. the Buwayhids of djibâl, p.30-33.

(٢) مسكويه، جـ ٢ ص ٢٧٩. Minorsky, domination, p.18.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٤٦. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٣٣٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ٩٧ ـ ٩٩. المصدر نفسه، ص ٢١٧.

(٥) مسكويه، جـ ٢ ص ١٧٣، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٣٠. الهمذاني، ص ١٩١. ابن الجوزي، جـ ٦ ص ٣٤١، و ـ ٧ ص ٣٨ ـ ٣٩.

تدهور الأوضاع الناتجة عن سوء أعمالهم. وإذا كانت هذه هي سياسات أخوي علي بن بويه رغم حالة الوفاق التي كانت قائمة بينهما، فعلينا أن نتصور سياسات وأعمال معظم خلفائهما وفي ظل حالة الصراع التي حكمت علاقاتهما. وإذا كان الفساد قد بدأ منذ أيام معز الدولة، الا أنه تضاعف وتفاقم أيام ورثته كما يقول مسكويه (١). فعز الدولة بختيار، لم يكن في افعاله وسوء سياساته (٢) سوى صورة مضخمة عن أبيه.

أما فارس، فقد كانت محظوظة، أن يتولى امارتها، بعد وفاة علي بن بويه، اعظم امراء بني بويه على الاطلاق، عضد الدولة فناخسرو.

وقد شهد معظم المؤرخين بحسن ادارة عضد الدولة وسياساته السليمة. فكان رجل دولة من الطراز الأول. وبعكس سياسة اسلافه، فقد قامت سياسته على تفضيل مصالح المملكة على المصالح الخاصة. فألغى سياسة ارضاء الجند التي كانت متبعة، وأعاد تنظيم الجيش لجهة اعطيات الجند والادارة العسكرية، والقضاء على ظواهر الفساد والتجاوزات، وبات كبار رجال الجيش يخافونه (٣)، ولم نسمع خلال تلك المرحلة عن أية حادثة تمرد للجند. كما لم يتوان عضد الدولة عن البطش لفرض الامن وهيبة السلطة (٤). واهتم بتنظيم البريد بحيث تصل اليه الاخبار بانتظام (٥)، كذلك بتنظيم الجاسوسية وفرض هيبته خارج حدوده (٦). ولم يترك امور المملكة بيد وزرائه وقواده، بل كان يتابعها بدقة متناهية (٧).

ولا شك، بأن التربية الاسلامية - العربية، التي تلقاها عضد الدولة كان لها اثر كبير في توجهاته الثقافية والفكرية وحتى السياسية. فقد بات هدفه اعادة توحيد المملكة، وارساء دعائم دولته على أسس متينة ومنظمة. فرفض دور الوساطات، وشدد على اختيار معاونيه من ذوي الكفاءات (٨). وتشدد في محاسبة عماله وفي التصرف بالاموال، فكان لا يطلق درهما في غير وجهه ولا يمنع أحداً مما يستحقه (٩). ولم يقتصر اهتمام عضد الدولة على ذلك، بل أولى عناية كبيرة بأحوال السكان الاقتصادية والاجتماعية. ففي أيامه تم اعادة بناء القناطر فوق الانهار وترميم الجسور، واخر

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٧٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٥٩، ٢٦٤، ٢٦٨، ٣٠٧ - ٣٠٨، ٣٧١. ابن الأثير، جـ ٧ ص ٢٢، ٤٥. الهمذاني، ص ١٩٦. ابن خلقان، جـ ١ ص ٢٦٧ - ٢٦٩.

(٣) ذيل، ص ٤٣ - ٤٦، ٥٣، ٦٥، ٧٣.

(٤) ذيل، ص ٥١.

(٥) المصدر نفسه، ص ٤٠.

(٦) المصدر نفسه، ص ٦٠. سياسة نامة، ص ١٠٤ - ١١٥. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١١٤.

(٧) المصدر نفسه، ص ٤٠. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ١١٣ - ١١٨. EI², art, Adud al-dawla T.I. p.217-218.

(٨) ذيل، ص ٦٥.

(٩) المصدر نفسه، ص ٤٣.

افتتاح الخراج إلى النيروز المعتضدي وكان يؤخذ سابقاً قبل ادارك الغلات مما يلحق ضرراً كبيراً بالمزارعين. ورفعت الجباية عن قوافل الحجيج، وتصدى بشدة للفتن الدينية [1]، وكان لقضائه على قطاع الطرق دور في انتعاش الحركة التجارية وسنعود بالتفصيل لكل هذه المواضيع في الفصول اللاحقة.

لقد وصلت الدولة على أيدي عضد الدولة إلى عظمتها كما يقول الصاحب بن عباد حتى لا يستثنى عند ذكر ممالكه بلد ولا يشذ عند اقتداء مراسمه احد [2]، واستصفى له ما لم تحلم به ملوك العرب واكاسرة العجم [3]. ويضيف نظام الملك الوزير السلجوقي الكبير، مادحا عضد الدولة بعد أن يستشهد بعدد من اعماله مدللا على حسن سياساته: «ان أياً من أمراء الاسر الديلمية التي حكمت او من أية اسرة اخرى، لم يتمتع، بثقب النظر والحكمة وادراك الامور، مثل عضد الدولة. الذي عرف أيضاً بحبه للعمارة، ويتميز بمواصفات جليلة، وفكر مثقف وفي نفس الوقت كان ادارياً ممتازاً» [4].

عرفت فارس خلال فترة حكم عضد الدولة لها والتي امتدت ٣٤ عاما، ٣٣٨ - ٣٧٢ / ٩٤٩ - ٩٨٢، ازهى عصورها، ويبدو أن الفترة الاولى لحكمه لها ٣٣٨ - ٣٤٥ / ٩٤٩ - ٩٥٦، قد شهدت بعض الاضطراب بسبب صغر سن عضد الدولة، وتمرد قادة الجند عليه (أنظر سابقاً).

أما الفترة الثانية فهي الممتدة من ٣٤٥ - ٣٦٧ / ٩٥٦ - ٩٧٧ وخلالها اتم عضد الدولة ترسيخ سلطته بشكل كامل ومطلق واعاد لفارس دورها ومكانتها السابقين وانطلق منها لتوسيع ملكه نحو كرمان وعُمان والعراق والجزيرة، وعرفت فارس نهضة عمرانية واقتصادية كبيرة، فباتت مركزاً تجارياً وصناعياً هاماً. وازدهرت الحياة الزراعية بفضل عناية عضد الدولة بوسائل الري وتشجيع الفلاحة. وأفضل وصف للحياة الاقتصادية والاجتماعية لفارس خلال هذه الفترة نجدها عند المقدسي وابن حوقل اللذين زارا فارس في هذا الوقت وقدما وصفاً لاحوالها. ويبدي المقدسي اعجابه الشديد بعضد الدولة ويعدد انجازاته في كافة المجالات [5] (أنظر لاحقاً).

أما الفترة الثالثة، والتي ابتعد خلالها عضد الدولة عن فارس وأقام ببغداد حتى وفاته، فقد

---

(١) مسكويه، جـ ٢ ص ٤٠٥ - ٤٠٨. ذيل، ص ٣٩ - ٧٥. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١١٣ - ١١٥.

(٢) الصاحب، رسائل، ص ١٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٢٥.

(٤) سياسة نامة، ص ١٠٤.

(٥) المقدسي، ص ٤٠٣، ٤١١، ٤١٣، ٤٤٤، ٤٤٧، ٤٥٠.

Minorsky, domination, p.15.

AZIZI, domination, p.428-433.

استمرت حوالي خمس سنوات ونصف ٣٦٧ ـ ٣٧٢ / ٩٧٧ ـ ٩٨٢، إلا أن اهتمامه بفارس وعنايته بشؤون الاقليم استمر وبدقة. وكان ينوب بها عنه، وزيره المقيم بشيراز، فيما ينوب عن هذا الأخير أحد كتابه في حضرة عضد الدولة ببغداد [١]. ثم عمد عضد الدولة إلى تعيين وزيرين وأحد بفارس والآخر ببغداد (أنظر لاحقاً).

وينقل المقدسي عن عضد الدولة، تدليلا على أهمية فارس، قوله: «غرضي من العراق الاسم ومن ارجان الدخل» [٢]. وارجان ليست سوى احدى مدن فارس.

كان عضد الدولة ثاني أمراء البويهيين على فارس، وقد توالى على الحكم من بعده وحتى سقوط المقاطعة بأيدي السلاجقة سنة ٤٥٤، ثمانية أمراء، كان آخرهم اسفنديار، الذي نصبه فضلويه الشبنكاره خلفاً لاخيه فلاستون، ولم يكن له من الحكم شيئاً في حين كان فضلويه هو الحاكم الفعلي.

تميزت مرحلة ما بعد عضد الدولة في فارس، بالصراعات الي نشبت بين أفراد الاسرة البويهية على المقاطعات التي بين أيديهم. وبذلك انتهت وحدة المملكة التي أقامها عضد الدولة، وتوقفت الاصلاحات التي كان قد بدأها في مختلف الميادين، وعادت الاضطرابات والفتن وكل ذلك بسبب تلك الصراعات وانشغال الامراء البويهيين بها.

كان السبب الرئيسي لتلك الصراعات، وبالتالي لتدهور احوال الدولة البويهية، نظام الحكم الوراثي المتعدد، والذي يقوم على توزيع المملكة على جميع الابناء. والحق أنه كان نقطة ضعفهم القاتلة.

ويعود هذا المفهوم الوراثي المتعدد، إلى تلك الأصول التي خرج منها البويهيون. فقد كانوا في وضع حضاري متخلف، ألفوا في بلادهم حياة اقطاعية تقوم على رؤساء العوائل (كتخدا)، فكانوا دائماً سلالة عائلية يتقاسم فيها الميراث أولاد الامير المتوفي [٣]. وقد كان هذا النظام اشد النظم السائدة في ذلك العصر تخلفاً. فالعرب كانوا يعترفون بحقوق مشتركة للاسرة الحاكمة عامة، على أن يتولى أفرادها اختيار احدهم خليفة. لكن في معظم الاحيان كان الخليفة يوصي لاحد أبنائه وغالباً للاكبر بخلافته بعد أن يحوز على مبايعة العائلة له. ورغم ما كان لهذا النظام من عيوب وكان سبباً في اضطراب الاحوال، الا أنه كان اخف وطأة واكثر تقدماً من ذاك الذي اعتمده البويهيون.

لذلك، توزع الاخوة المؤسسون المملكة فيما بينهم. وقسم ركن الدولة مملكته بين أبنائه. كذلك فعند وفاة عضد الدولة توزعت المملكة بين أبنائه. وعند وفاة شرف الدولة، حاول ابنه

(١) مسكويه، جـ ٢ ص ٤١٢.

(٢) المقدسي، ص ٤٢١.

the Cambridge vol 4, p.282.

(٣) انظر: الدوري، مقدمة ص ٨٦.

الوحيد وراثته، لكن اعمامه قضوا عليه وتوزعوا مملكة اخيهم، وهكذا حتى نهاية الدولة البويهية (انظر سابقاً).

أما « البند » الثاني في هذا النظام، فيقول بطاعة أفراد الاسرة للأكبر بينهم الذي تكون اليه رئاسة العائلة، وبالتالي المملكة اسمياً. لكن هذه القاعدة لم يعمل بها الا ايام المؤسسين الثلاثة. والارجح أنه حتى في ذلك الوقت، كانت طاعة ركن الدولة ومعز الدولة لاخيهما الاكبر عماد الدولة، أقرب إلى اعتراف بالجميل لدوره وفضله في تملكهما، من كونها تطبيقاً لتلك القاعدة. خاصة وأن علاقة عماد الدولة باخويه كانت علاقة الاب بأولاده كما يقول[1]. لذلك نراه، وهو في اواخر أيامه، يسعى إلى ضمان طاعة معز الدولة وهو الاصغر، لاخيه ركن الدولة، خوفاً من أي خلاف ينشب بين الاخوة اثر وفاته. مما يعني ان قاعدة الطاعة للاكبر كانت مجرد عرف نظري. وما ان توفي هؤلاء الثلاثة، حتى ضرب ورثتهم بهذه القاعدة عرض الحائط. فقد رفض عز الدولة بختيار الاخذ بوصية ابيه بطاعة ابن عمه عضد الدولة لأنه أكبر منه سناً وأقوم بالسياسة. وقد أدى الخلاف بينهما إلى مقتل بختيار على يد عضد الدولة كما رأينا سابقاً. وتمرد حبشي بن معز الدولة على أخيه بختيار بعد سنة من تولي هذا الأخير خلافة ابيهما. كذلك خرج فخر الدولة عن طاعة أخيه عضد الدولة، رغم ما تعهد به أمام والديهما ركن الدولة. هكذا انقلبت هذه القاعدة على رأسها، وعرفت الأسرة البويهية اعنف الصراعات الدموية داخلها، فالعم يقتل أولاد أخيه، والاخ يقتل أخاه، كل ذلك من أجل السلطة والملك. (انظر الفصل الخامس).

وكان مفهوم البويهيين للملك ينطلق من نفس تلك المنطلقات المتخلفة التي حملوها معهم من بيئتهم القديمة. من النشأة التي نشؤوها. نظرة الجندي المرتزق لما يستولي عليه. انها اشد سوءاً من النظرة الاقطاعية او العشائرية للملك. فعلي بن بويه عند بداية تحركه واثر خروجه عن طاعة مرداويج، كان همه أن يملك اية بقعة في أي مكان، فهو لم يبحث عن الملك داخل منطقته الديلم، ولا جوارها، وعندما اجبر على الفرار من الكرج خوفاً من مرداويج، اختار انتزاع احد مناطق الخلافة، باعتبار ان ضعف الخلافة، قد تتيح له ما عجز عن تحقيقه في مناطق مرداويج. ودفعته الاحداث إلى الاستيلاء على فارس. وعندما بدأ توسعه مستفيداً من الظروف السائدة، كان هدفه ليس توسيع دولته واقامة دولة موحدة له ولعائلته، بل ايجاد مقاطعات لاخويه كي يمتلكاها وتكون لهما ولورثتهما (انظر الفصل الخامس).

وكان لكل أمير منهم سلطة كاملة على مقاطعته لا يتدخل في شؤونها الامراء الاخرون، فهي ملكيته يتصرف بها كما يشاء، ولكل منهم جيشه الخاص ووزيره ومدبري دولته. ولم يكن احدهم يرسل اية عائدات مالية إلى رئيس الاسرة او كبيرها دليل طاعة او بدل اقطاع، فهم لم يكونوا

---

(١) مسكويه، جـ ٢ ص ١١٣.

عمالاً أو ولاة ولا حتى مقاطعين على تلك الممالك، بل كان كل منهم هو الحاكم الوحيد لمنطقته. لكنه الحاكم الاجنبي «لمستعمراته»، همه الوحيد الاستئثار بخيرات تلك المنطقة دون نظر جدي إلى متطلبات النشاط الاقتصادي، وحاجات السكان والنهوض بمملكته.

لذلك، وبدلاً من ان يؤدي استيلاء البويهيين على الخلافة العباسية إلى تحسين الاحوال العامة التي شارفت على الانهيار العام خلال فترة حكم امير الامراء، ازدادت الاحوال سوءاً خلال فترة حكمهم. وباستثناء مرحلة عضد الدولة، فالحديث عن «اصلاحات» البويهيين للأوضاع الاقتصادية، والحياتية للسكان وتعميرهم للبلاد، سيكون من باب سوء تفسير لبعض اعمال البويهيين في هذا المجال. فما قام به معز الدولة مثلا من سد بعض البثوق واصلاح القنوات اثر دخوله بغداد [١]، وما قام به آخرون من أمراء البويهيين كالغاء بعض الضرائب مؤقتاً [٢]، كان بهدف كسب الرعية وارضائها أو بضغط منها، بدليل، ان مثل تلك الاصلاحات لم تتكرر طوال فترة الحكم البويهي الا بصورة عارضة ونادرة جداً، في حين عم الخراب انحاء المملكة، نتيجة سياساتهم الاقتصادية ونظام الاقطاع العسكري، زيادة الضرائب، المصادرات... الخ. والاجتماعية كتأجيج الفتن المذهبية... الخ. وسنعود لكل ذلك بالتفصيل لاحقاً.

واقترن كل ذلك، بحبهم الشديد لتجميع المال [٣]، بأي طريقة ووسيلة ،فكانوا يصادرون الناس والعمال [٤] ويبيعون المناصب. وينقل المؤرخون أن ثروة فخر الدولة بلغت نحو مليونين وثمانمائة ألف دينار ونحو مائة مليون من الدراهم كما خلف من الجواهر ما قيمته ثلاثة ملايين من الدنانير وغير ذلك [٥]. كما أن بهاء الدولة جمع من الاموال ما لم يجمعه احد من بني بويه وكان يبخل بالدرهم الواحد ويؤثر المصادرات [٦]. ولم يكن للمال من دور سوى ارضاء الجند لضمان استمرارهم في الحكم. أما عمارة البلاد والاهتمام بتحسين احوال الناس فلم تكن على الاطلاق في وارد البويهيين، وكما يذكر مسكويه بأنهم أي البويهيين ما كانوا يرغبون في عمارة النواحي خوفاً من اخراج درهم من الخزانة [٧].

اذاً، كانت الامارات البويهية، أشبه بمستعمرات تخضع بشكل كامل لسيطرة الامير البويهي الذي يتصرف بها كيفما شاء ودون أية ضوابط. وترتب عن ذلك نتيجة خطيرة، فقد باتت الخلافة

---

(١) مسكويه، جـ ٢ ص ١٦٥.
(٢) ذيل، ص ٧١، ٧٨، ١١٧.
(٣) مسكويه، جـ ١ ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠. ابن الأثير، جـ ٧ ص ٥٢.
(٤) ذيل، ص ١٨٠، ٢٨٤. مسكويه، جـ ٢ ص ٢٦٤ ـ ٢٦٨.
(٥) ابن الجوزي، عجائب و٤٤.
(٦) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٢٦٤. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٤٥.
(٧) مسكويه، جـ ٢ ص ٢٨٠ ـ ٢٨١.

العباسية مقسمة إلى ثلاث «دول» ولها ثلاث عواصم هي بغداد وفارس والري، تشكل فيما بينها نوعاً من الاتحاد الشكلي على رأسه خليفة صوري. والحق انه خلال العهد البويهي لم تكن هناك دولة موحدة سوى في السنوات الخمس الاخيرة من حكم عضد الدولة. وأصلاً فهم لم يسعوا إلى اقامة مثل تلك الدولة، وكان اقسى ما يطمح اليه مؤسس الاسرة، اقامة نوع من «الدولة الاتحادية» يحتفظ كل طرف فيها باستقلاله التام مع الاقرار بوجود رئيس للاسرة له سلطة اخلاقية ومعنوية. لكن هذا الامر لم يستمر بعد وفاة علي بن بويه كما أشرنا سابقاً.

باتت الدولة البويهية بعد وفاة عضد الدولة واخيه مؤيد الدولة صاحب الجبال، موزعة بين فرعين: الاول، ورثة عضد الدولة الذين تنازعوا على مملكة ابيهم، فارس والعراق والاهواز وكرمان وعُمان. والثاني فخر الدولة الذي استعاد ملكه وورث ملك اخيه مؤيد الدولة، واستقر الامر له ولورثته في اقليم الجبال. وخلال الفترة الطويلة التي عاشتها الدولة البويهية بعد وفاة عضد الدولة، لم يحاول احد الفرعين ضم الفرع الاخر وتوحيد المملكة، اللهم تلك المحاولة المترددة التي قام بها فخر الدولة بتحريض من وزيره الطموح ابن عباد سنة ٣٧٩ / ٩٨٩، للاستيلاء على الاهواز ومن ثم بغداد، لكنه عاد وتراجع عنها [(١)].

لذلك لا يمكننا اعتبار تلك المحاولات التي قام بها امراء فارس للاستيلاء على العراق أو بالعكس، هدفها التوحيد، بقدر ما كان من ضمن ضراعات افراد الفرع الواحد لتثبيت ملكهم والتخلص من منافسيهم وطمعاً بواردات تلك المناطق. ورغم أن شرف الدولة امير فارس وكرمان وعُمان ٣٧٢ - ٣٧٩ / ٩٨٢ - ٩٨٩، قد نجح في السنوات الاخيرة لحكمه من ضم الاهواز والعراق ٣٧٦ - ٣٧٩ / ٩٨٦ - ٩٨٩، وكذلك الامر بالنسبة لبهاء الدولة امير العراق وعمان والاهواز ٣٧٩ - ٤٠٣ / ٩٨٩ - ١٠١٢، فتم له ضم فارس وكرمان ٣٨٨ - ٤٠٣ / ٩٩٨ - ١٠١٢ إلى ملكه. وبات كل منهما لفترة من الزمن، يملك كافة مقاطعات الدولة البويهية ما عدا اقليم الجبال الذي كان بحوزة الفرع الثاني للاسرة. الا أن أحداً منهم لم يفكر في ضم الجبال وتوحيد المملكة. بل سرعان ما تعود تلك المناطق التي توحدت لفترات قليلة إلى التفتت من جديد.

إن فارس ورغم أنها خضعت مثلها مثل باقي المقاطعات، لنفس السياسات العامة التي اتبعها البويهيون، الا أنها لم تعان من نتائج تلك السياسات مثلما كانت المناطق الاخرى وخاصة العراق. وذلك أنها كانت اقدر على التقليل من نتائج تلك السياسات، بسبب امكاناتها الاقتصادية وتركيبتها الاجتماعية. بل أنها باتت مصدر قوة لكل من يملكها من البويهيين، ولذلك ازداد الصراع عليها.

لقد عرفت هذه المقاطعة وضعاً مستقراً خلال حكم امرائها الثلاثة الاوائل، عماد الدولة، عضد

---

(١) ذيل، ص ١٦٣ - ١٧١. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٣٩ - ١٤٠.

الدولة، شرف الدولة. وكان هذا الاخير من أعظم امراء البويهيين في مرحلة ما بعد عضد الدولة؛ ورغم انه لم يكن في مثل قدرات أبيه الادارية والسياسية الا أنه كان يحمل الكثير منها. وقد قام ببعض المحاولات لتحسين احوال مملكته[1]. كذلك فان السبب الذي أتاح لفارس خلال هذه الفترة المزيد من الانتعاش والنهوض، هو انها لم تكن أرضاً للمعارك التي خاضها البويهيون ضد اعدائهم أو فيما بينهم، رغم أنها كانت طرفاً اساسياً فيها، فمنها كانت تخرج الجيوش لخوض تلك المعارك.

لكن مع تولي صمصام الدولة امارة فارس، بدأت المقاطعة تشهد بعض حالات الاضطراب. فانتقلت معارك التنافس بين الامراء إلى داخلها، مع ما يرافق ذلك من نكبات. وأدى ضعف الامراء إلى ازدياد نفوذ الجيش وقادته، مما كان يدفع بالامير البويهي إلى مصادرة الناس والتجار، لتأمين الاموال لارضاء قادة الجند. ونستطيع أن نحدد سنة ٣٨٧ / ٩٩٧ وهو العام الذي توفي فيه العلاء بن الحسن وزير صمصام الدولة، كبداية مرحلة التدهور لفارس[2].

وخلال حكم بهاء الدولة للمقاطعة، اثر مقتل صمصام الدولة سنة ٣٨٨ / ٩٩٨ فان أهم ما أقدم عليه هذا الامير والذي بات يحكم العراق وخوزستان وكرمان وعُمان وفارس، انه نقل مقر اقامته من بغداد إلى فارس[3]، وباتت شؤون الخلافة العباسية تدار من شيراز. كل ذلك هرباً من عاصمة العباسيين التي اضحت مركزاً دائماً للاضطرابات والفتن، وتهدد ملك كل من يملكها.

صحيح أن هذه العملية، قد أعطت لفارس وزناً كبيراً اذ جعلتها «عاصمة» الدولة البويهية، فيما ارسل الامير البويهي نائباً عنه لحكم العراق. إلا أنها في الوقت نفسه زادت من حدة التنافس عليها. فبعد وفاة بهاء الدولة، خلفه ابنه سلطان الدولة الذي ابقى مقر اقامته بشيراز إلى سنة ٤٠٧ / ١٠١٦ عندما عاد إلى بغداد، وفي العام نفسه بدأ صراعه مع عمه ابي الفوارس الذي حاول الاستيلاء على فارس ومن ثم مع اخيه مشرف الدولة على العراق واضطر في اخر الامر إلى التخلي عن العراق لاخيه سنة ٤١٢ / ١٠٢١ وعاد إلى فارس وتوفي فيها سنة ٤١٥ / ١٠٢٤. وهكذا ستشهد فارس في السنتين التاليتين (٤١٥ - ٤١٧ / ١٠٢٤ - ١٠٢٦) صراعاً حاداً بين أبي كاليجار بن سلطان الدولة وعمه أبي الفوارس وسيتبادل الطرفان احتلال الاقليم اكثر من مرة. وسيتكرر الامر بين سنوات ٤٤٠ - ٤٤٧ / ١٠٤٨ - ١٠٥٥ ما بين الملك الرحيم وأخيه فلاستون ولن يتم الامر لهذا الاخير الا بعد سقوط الامارة البويهية في العراق على يد السلاجقة سنة ٤٤٧ / ١٠٥٥. لكن فضلويه الكردي سيطيح بفلاستون سنة ٤٥٤ / ١٠٦٢ وسيحكم الاقليم باسم

---

(١) ذيل، ص ١٣٦ - ١٣٧. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٣١. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ١٤٩.

(٢) انظر الفصل الخامس.

(٣) انظر الفصل الخامس.

الأمير البويهي اسفنديار اخ فلاستون الذي نصبه مكانه (أنظر سابقاً). لكن السلاجقة سيستولون على شيراز في العام نفسه وبذلك يقضون على الإمارة البويهية في فارس أيضاً. وخلال طوال تلك الفترة، ورغم ان فارس والعراق توحدتا تحت امرة امير واحد خلال حكم أبي كاليجار والملك الرحيم، إلا أن فارس لم تعد مقر الدولة البويهية كم جرى أيام بهاء الدولة، نتيجة اضطراب الاحوال فيها أيضاً.

٣ ـ علاقة أمراء فارس بالخليفة والخلافة

إذا كانت البلاد قد دفعت غالياً ثمناً لسياسات البويهيين، فقد خسرت الخلافة العباسية، كل ما تبقى لمركز الخليفة من سلطات وبات الخلفاء ألعوبة في أيدي الامراء البويهيين.

ولا يمكننا دراسة علاقة امراء فارس بالخلافة بمعزل عن سياستهم العامة تجاه الخلفاء. وذلك لسبب رئيسي، هو أن معظم أمراء فارس حكموا العراق أيضاً لفترات متفاوتة وبالتالي تحكموا بالخليفة. فمن اصل ١٠ أمراء توالوا على حكم فارس طوال العهد البويهي، فان ٦ منهم جمعوا بين امارتهم في فارس وملكهم للعراق. وهم: عضد الدولة وذلك لمدة خمس سنوات ٣٦٧ ـ ٣٧٢ / ٩٧٧ ـ ٩٨٢. مشرف الدولة، ثلاث سنوات ٣٧٦ ـ ٣٧٩ / ٩٨٦ ـ ٩٨٩، بهاء الدولة، ١٤ سنة ٣٨٩ ـ ٤٠٣ / ٩٩٨ ـ ١٠٢١. سلطان الدولة ٩ سنوات ٤٠٣ ـ ٤١٢ / ١٠١٢ ـ ١٠٣١. أبو كاليجار ٤ سنوات ٤٣٦ ـ ٤٤٠ / ١٠٤٤ ـ ١٠٤٨ والملك الرحيم ٧ سنوات ٤٤٠ ـ ٤٤٧ / ١٠٤٨ ـ ١٠٥٥. بالاضافة إلى صمصام الدولة الذي حكم كلا المنطقتين بشكل مستقل دون أن يجمع بينهما في نفس الوقت: العراق ٤ سنوات ٣٧٢ ـ ٣٧٦ / ٩٨٢ ـ ٩٨٦ وفارس ٩ سنوات ٣٧٩ ـ ٣٨٨ / ٩٨٩ ـ ٩٩٨.

كانت القاعدة العامة التي حكمت علاقات الامراء البويهيين بالخليفة، هي أن يكون امير العراق، صاحب العلاقة المباشرة مع الخليفة بطبيعة الحال، هو الصلة ما بين باقي الامراء البويهيين والخلافة. وقد توالى على الخلافة خلال العهد البويهي في فارس ٣٢٢ ـ ٤٥٤ / ٩٣٣ ـ ١٠٦٢، سبعة خلفاء هم: الراضي بالله ٣٢٢ ـ ٣٢٩ / ٩٣٣ ـ ٩٤٠. المتقي لله ٣٢٩ ـ ٣٣٣ / ٩٤٠ ـ ٩٤٤. المستكفي بالله ٣٣٣ ـ ٣٣٤ / ٩٤٤ ـ ٩٤٥. المطيع لله ٣٣٤ ـ ٣٦٣ / ٩٤٥ ـ ٩٧٣. الطائع لله ٣٦٣ ـ ٣٨١ / ٩٧٣ ـ ٩٩١. القادر بالله ٣٨١ ـ ٤٢٢ / ٩٩١ ـ ١٠٣٠ والقائم بأمر الله ٤٢٢ ـ ٤٦٧ / ١٠٣٠ ـ ١٠٧٤.

كان الخليفة عشية ظهور البويهيين قد تخلى عن معظم سلطاته، لأمير الامراء منذ سنة ٣٢٤ / ٩٣٥. وجاء البويهيون لينتزعوا ما تبقى له من صلاحيات وسلطات [1] وليقضوا على دور

---

(١) Kabir, the function, p.174-176.

الخليفة بصورة شبه تامة.

بدأت علاقة البويهيين بالخلافة منذ أن تم لعلي بن بويه الاستيلاء على فارس. فبعث يطلب من الخليفة الراضي أن يقاطعه على البلاد التي استولى عليها لكي يضفي على ملكه صفة شرعية. وعندما تم له ما أراد امتنع عن دفع ما يتوجب عليه وما وعد الخليفة به. حتى ان رسول الخليفة اضطر ان يبقى في شيراز يطالبه بالاموال المستحقة عليه حوالي العام، وعلي بن بويه يرفض حيناً ويماطله حيناً آخر (١)، حتى مرض الرسول وتوفي بشيراز سنة ٣٢٣ / ٩٣٤.

لا شك أن لهذه الحادثة، دلالة عما ستؤول اليه علاقة البويهيين بالخلافة. فحيث كان منتظراً ان يفي علي بن بويه بتعهداته للخلافة وهو في مستهل امره، ويوطد علاقاته بالخليفة، كما كان يفعل معظم القادة الطامعين بتقوية نفوذهم والاستيلاء على بغداد، نراه يتصرف العكس، وهو الذي لا ينقصه الدهاء والحنكة السياسية. والأرجح أنه فعل ذلك لأنه، كما أشرنا سابقاً، لم يكن في ذاك الوقت يفكر باحتلال العراق وامتلاك الحضرة، وبالتالي فلا ضرورة لمراضاة الخليفة واظهار حسن نواياه تجاهه ما دام قد حصل على ما يريده منه، أي شرعية سيطرته على ولاية فارس. وستكون طريقة معاملة علي بن بويه هذه للخليفة، اشبه بالقاعدة التي سيتصرف بموجبها البويهيون في علاقاتهم بالخلافة: اظهار الاحترام والطاعة للخليفة عند حاجتهم لذلك في المناسبات العامة لارضاء العامة، فيما هم بالواقع ينظرون اليه ويتعاملون معه كموظف صغير في دولتهم، ينصبونه ويعزلونه متى شاءوا، لا دور ولا سلطة له.

منذ تلك الحادثة، حتى دخول البويهيين الى بغداد، لا يورد المؤرخون اية اشارة لاية صلات بين البويهيين والخلافة. الا أن الامر سيختلف منذ أن بات الخليفة تحت رحمتهم مباشرة. ذلك أنه لم تمض سوى أيام على دخول احمد البويهي بغداد ومبايعته للخليفة المستكفي وتبادل العهود بينهما، حتى انقلب عليه، فدخل دار الخلافة وقام اثنان من رجاله وعلى مرأى من أعيان الدولة ورجالها، وشذبا المستكفي عن سرير ملكه ورمياه أرضاً (٢)، ثم اعتقل وجماعته ونهبت دار الخلافة.

ويعدد المؤرخون ثلاثة أسباب لما أقدم عليه معز الدولة أحمد البويهي وهي، أن علماً قهرمانة الخليفة اخذت بالتآمر على الامير البويهي، وان المستكفي قد اعتقل رئيس الشيعة ورفض اطلاقه (٣)، بالاضافة إلى ما ذكره ابن الاثير عن تحريض الفضل بن المقتدر لمعز الدولة ضد المستكفي لخلعه من منصبه (٤).

---

(١) مسكويه، جـ ١ ص ٣٠٠. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٣٥. السيوطي، ص ٣٩١.

(٢) مسكويه، جـ ٢ ص ٨٦ - ٨٧. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٣١٥. الهمذاني، ص ١٤٩. السيوطي، ص ٣٩٧ - ٣٩٨. ابن الطقطقي، ص ٣٨٨. Minorsky, domination, p.12-13.

(٣) مسكويه، جـ ٢ ص ٨٦ - ٨٧.

(٤) ابن الأثير، جـ ٦ ص ٣١٥.

لكن هذه الاسباب على وجاهتها، لا تعدو أن تكون سوى السبب المباشر أو الحجة لما اقدم عليه معز الدولة. في حين أن السبب الحقيقي كان رغبة الامير البويهي في اثبات وتأكيد سلطته على الجميع بما فيهم الخليفة بالذات. وبالتالي كان يفضل أن يكون الخليفة صنيعة يديه، لا فضل له عليه، هو الذي يختاره ويمنحه منصبه، ليبدو الخليفة مجرد موظف لدى الامير البويهي، وليس ذا مركز مستقل أو متوازٍ معه. الأمر الذي يقضي على احتمال اشتراك الخليفة بأية محاولة تمرد أو تآمر على الامير البويهي.

لكن، بعض الاحداث المذهبية التي وقعت أيام الحكم البويهي وتصرفات بعض امراء هذه الاسرة، أوحت بأن موقف البويهيين من الخلفاء العباسيين سببه منطلقاتهم المذهبية. باعتبار أنهم من الشيعة الذين يعتقدون أن العباسيين قد غضبوا الخلافة وأخذوها من مستحقيها، فلم يكن عندهم باعث ديني يحثهم على الطاعة[1]. كما أنهم لا يعترفون ـ من ناحية المبدأ ـ بحق الخليفة العباسي السني في السيادة على جميع العالم الاسلامي[2].

ومما يستند اليه أصحاب هذا الرأي هو أن معز الدولة بعد دخوله بغداد قد فكر بالقضاء على الخلافة العباسية واستبدال الخليفة بآخر علوي. لكن بعض اصحابه وخواصه نهوه عن ذلك بشدة قائلين له «ليس هذا برأي فانك اليوم مع خليفة تعتقد أنت واصحابك أنه ليس من أهل الخلافة ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه، ومتى اجلست بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته فلو أمرهم بقتلك لفعلوه»[3]. وقيل أيضاً أن معز الدولة اشخص في نواحي فارس احد كبار العلويين مشتهراً بالديانة وحسن السيرة واقترح عليه أن يسلمه الملك والخلافة. ولكن هذا العلوي شكر الامير واعتذر عن قبول ذلك العرض ونصحه بالعدول عن هذه الفكرة لان عامة الناس في الاقطار والامصار قد اعتادوا الدعوة العباسية ودانوا بدولتهم واطاعوهم كطاعة الله ورسوله ورأوهم اولي الامر. وذكر ان الصيمري ـ وزير معز الدولة ـ هو الذي منع أميره من تنفيذ تلك الفكرة وقال له: اذا بايعته (أي للعلوي) استنفر عليك اهل خراسان وعوام البلدان، واطاعه الديلم ورفضوك وقبلوا امره فيك وبنو العباس قوم منصورون تقل دولتهم مرة وتصح مراراً، وتمرض مرة وتستقل أطواراً لان اصلها ثابت وبنيانها راسخ[4].

ومهما يكن من أمر هذه الأخبار عن نوايا معز الدولة تجاه الخلافة العباسية، فهي لا تعدو عن كونها فكرة طرأت على رأس الامير البويهي الموصوف بالتسرع والتهور. خاصة وأنها مترافقة مع

---

(١) ابن الأثير، جـ ٦ ص ٣١٥.
(٢) حسن، نظم، ص ٦٣.
(٣) ابن الأثير، جـ ٦ ص ٣١٥.
(٤) مسكويه، جـ ٢ ص ٨٧.

حادثة خلافه مع الخليفة المستكفي. والمهم هنا معرفة رأي رئيس الاسرة علي بن بويه الذي كانت كلمته مسموعة في تلك الفترة. والأرجح أنه كان سيمنع من ارتكاب هذه الهفوة، اذ ليست هناك أي إشارة إلى نيته في القضاء على الخلافة العباسية، ولا شك وهو السياسي المحنك كما أظهرت الاحداث، كان يدرك مدى خطورة مثل هذا الامر على دولته الفتية.

لماذا اذاً لم يقم البويهيون بالقضاء على الخلافة العباسية، وهم المتعارضون معها مذهبياً وقومياً، ولا يكنون لها أي احترام وتقدير، وليست لها أي فضل في ما وصلوا اليه؟

لانهم أصلاً، وكما أشرنا سابقاً، لم ينطلقوا في اقامة مشروعهم من أهداف دينية أو قومية، لذلك فمسألة الاطاحة بالخلافة أو الإبقاء عليها، لم تكن خاضعة لمقاييس مبدئية يعتنقونها، بل، كانت خاضعة لمقياس واحد، مصلحتهم في ذلك الامر، اي مدى تأثير تلك الخطوة على استمرار او زعزعة ملكهم. وهم الذين لا هدف لهم سوى الملك والحفاظ عليه باي ثمن وبأية طريقة. وقد نجحوا في تحقيق ذلك كما نجحوا في انتزاع كل سلطات الخليفة، فلماذا بعد أن حصلوا على كل ما يبغونه من الخلافة، وباتوا هم «الخلفاء الحقيقيون» يعمدون للاطاحة بذلك الظل الذي يفيدهم وجوده، وتسبب الاطاحة به مشاكل ومخاطر حقيقية لهم...!

فقد ظلت الخلافة العباسية، رغم كل ما اعتراها، رمزاً لوحدة الامة، هذه الوحدة التي لم يعد لها وجود إلا من الناحية الشكلية والظرفية، وظل الخليفة رمزاً لشرعية الدولة، ومنها يستمد الآخرون شرعيتهم. من هنا كان ذلك الحرص من الأمراء البويهيين في الحصول على ذاك العهد الرسمي والشكلي بتوليتهم الامارة. اذ من دون تلك الشرعية المستمدة من شرعية الخليفة، كانوا سيفتقدون احد عناصر قوتهم تجاه الاطراف الداخلية والخارجية الطامعة بدورها في الاستيلاء على المملكة. كما أن هذه الشرعية كانت ضرورية للبويهيين أمام السكان ذوي الأغلبية السنية الذين ما زالوا يحتفظون للخليفة وللخلافة بشيء من الهيبة والاحترام.

لذلك كانت تبدو من المفارقات الفجة، مظاهر التكريم والاجلال التي يبديها الامير البويهي للخليفة في المناسبات العامة وفي حفلات العهود، وبين نظرتهم الحقيقية ومعاملتهم الفعلية له. ففي سنة ٣٦٩ / ٩٧٩ أثناء الاحتفال بتولية عضد الدولة العهد، وبعد أن أذن الخليفة لعضد الدولة بالدخول، دخل هذا الأخير وهو يقبل الأرض بين يديه، فارتاع زيار القائد لذلك، وقال: ما هذا أيها الملك؟ أهذا هو الله عز وجل؟ فالتفت عضد الدولة إلى عبد العزيز بن يوسف وقال له: فهمه فقل له: هذا خليفة الله في الأرض. ثم استمر يمشي ويقبل الأرض سبع مرات، فالتفت الطائع إلى خالص الخادم فقال له، استدنه، فصعد عضد الدولة فقبل الأرض دفعتين، فقال له، أدنُ إلي، فدنا وقبل رجله وثنى الطائع يمينه عليه. وأمره بالجلوس مرتين، فلم يفعل، فقال له

اقسمت لتجلسن، فقبل الكرسي وجلس [١].

ولا يحتاج هذا الوصف لمظاهر الطاعة والخضوع التي يبديها الامير البويهي للخليفة في المناسبات العامة، اي تعليق. بالمقابل فاننا نجد عضد الدولة هذا، ورغم ما اتصف به من معرف اداب ولوازم الخلافة، إذ كان يعدل عما لا يجوز التعرض له من شؤون الخلافة الخاصة [٢]، إلا أنه لم يتوان في المرة الاولى التي دخل فيها بغداد سنة ٣٦٤ / ٩٧٤، عن حذف اسم الخليفة من الخطبة لمدة شهرين لخلاف وقع بينهما. كما قام بتزوير كتاب بتوليته السلطنة مع الطائع [٣].

إذاً لقد اقتضت مصالح البويهيين السياسية الابقاء على الخلافة العباسية ولكن بعد ان انتزعوا من الخليفة كل سلطاته ولم يبقوا له سوى تعيين القضاة وأصحاب الصلاة والخطباء، بل أنهم حاولوا انتزاع حق تعيين القضاة منه كما سنرى لاحقاً.

بدأت الأمور اثر دخول معز الدولة بغداد «فزاد أمر الخلافة ادباراً، ولم يبق لهم من الامر شيء البتة، وقد كانوا يراجعون ويؤخذ امرهم فيما يفعل والحرمة قائمة بعض الشيء، فلما كان أيام معز الدولة زال ذلك جميعه» [٤]. وقام معز الدولة بمصادرة اقطاعات الخليفة وخصص له راتباً يومياً قيمته خمسة آلاف درهم وكانت ربما تأخرت عنه فأقرت له مع ذلك ضياع سلمت اليه [٥].

ثم قام معز الدولة بخلع الخليفة المستكفي بتلك الطريقة الفجة. ومن يومها بات الامير البويهي هو الذي يختار الخليفة كيفما شاء بل ويختار له لقبه. فجاءت ألقاب الخلفاء في المرحلة الاولى للسيطرة البويهية وهي مرحلة قوتهم، تدليلاً على ما آلت اليه أحوال الخلافة، فلقب الاول بالمطيع والثاني بالطائع وكانت حقاً هي الالقاب التي يستحقونها.

وسرعان ما استكثر معز الدولة ما كان يعطيه للمستكفي كمصروف يومي، فعمد إلى تخفيضها عند تولية الطائع وأقر له الفي درهم فقط لنفقته كل يوم [٦]. ثم عاد وقطعها عنه وعوضه عنها ضياعاً بنحو مائتي ألف ديناراً في السنة وهي التي سميت بضياع الخدمة، ثم اخذ ارتفاعها في النقصان على مر السنين إلى أن صار خمسين ألف دينار في السنة [٧].

ان أكثر ما يعبر عن حال الخلافة والخليفة في تلك المرحلة، نراه في وثيقتين، الاولى، نص العهد الذي درج الخلفاء على إعطائه للامير البويهي عند توليته الامارة. والثانية، جواب الخليفة

---

(١) مسكويه، جـ ٢ ص ٤١٧. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٩٨. الصابي، رسوم، ص ٨٠ ـ ٨٤.
(٢) الصابي، رسوم، ص ٨٧.
(٣) الذهبي، دول، جـ ١ ص ١٦٤. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٧٥.
(٤) ابن الأثير، جـ ٦ ص ٣١٤ ـ ٣١٥. حتي، العرب، جـ ٢ ص ٥٦٥ ـ ٥٦٦.
(٥) المصدر نفسه، ص ٣١٤.
(٦) الهمذاني، ص ١٤٨. مسكويه، جـ ٢ ص ٨٧.
(٧) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٦ ص ٣٥٧. التنوخي، الفرج، جـ ٢ هامش ص ٢٤٢.

المطيع لعز الدولة بختيار عند مطالبته اياه بالاموال بحجة صرفها في غزو الروم.

ففي العهد الذي أعطاه المطيع لعضد الدولة قوله « قد رأيت أن أفوض اليك أمر ما وكل الله تعالى الي من أمور الرعية في شرق الارض وغربها وتدبيرها في جميع جهاتها سوى خاصتي وأسبابي وما تحويه داري... »[1]. ويبدو أن مضمون هذا العهد، هو نفسه الذي أعطاه الخلفاء لباقي امراء بني بويه[2]. وبذلك يكون الخليفة قد اقر بموجب ذلك، بتخليه عن كل سلطاته إلى الامير البويهي الذي بات بمثابة خليفة خليفة الله على الأرض، تعود اليه وحده كل السلطات والصلاحيات في طول البلاد وعرضها.

أما النص الثاني فهو أوضح وأقسى لأنه جاء في لحظة غضب الخليفة بعد أن كثرت ضغوطات الامير البويهي بختيار، مطالباً اياه بالاموال بحجة غزو الروم، باعتباره اي « الخليفة » هو امام المسلمين وعليه يقع واجب غزو الكفار، فأجابه المطيع: « الغزو يلزمني اذا كانت الدنيا في يدي والي تدبير الاموال والرجال وأما الآن وليس لي منها الا القوت القاصر عن كفائي وهي في أيديكم وايدي أصحاب الاطراف فما يلزمني غزو ولا حج ولا شيء مما تنظر الائمة فيه وانما لكم مني هذا الاسم الذي يخطب به على منابركم تسكنون به رعاياكم فان احببتم ان اعتزل اعتزلت عن هذا المقدار أيضاً وتركتكم والامر كله »[3].

لم يترك البويهيون للخليفة شيئاً من سلطانه كما يقر المطيع. الذي كان مدركاً أيضاً، ان بقاء الخلافة ذاتها وعلى رأسها الخليفة لم يكن الا لحاجتهم اليه في سبيل ارضاء عامة السكان.

حتى الخطبة التي كانت احدى رموز سيادة الخليفة، شاركوه فيها، ففي سنة ٣٦٩ / ٩٧٩ امر عضد الدولة ان يذكر اسمه مع اسم الخليفة الطائع في خطبة الجمعة[4] في بغداد. أما في سائر مقاطعات المملكة التي كانت خاضعة للنفوذ البويهي، فكان يذكر في الخطبة بعد اسم الخليفة، واسم امير الامراء البويهي حاكم بغداد، اسماء سائر الامراء البويهيين حكام المقاطعات[5].

وشارك البويهيون الخليفة، في نقش أسمائهم على النقود، بل تجرؤا على حذف لقب امير المؤمنين من الخليفة العباسي وذكروا اسمه فقط بينما نقشوا هم ألقابهم وكناهم[6]. كذلك قضى البويهيون على واحدة اخرى من رسوم الخلافة، أي ضرب الطبل في أوقات الصلاة أمام باب الخليفة. وكان هذا الامر محصوراً به، وفي بعض الاحيان كان يسمح لولاة العهود وأمراء الجيوش ان يضرب لهم

---

(١) الصابي، رسوم، ص ٨٠ ـ ٨٤. مسكويه، جـ ٢ ص ٤١٨. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٩٩.

(٢) ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٥٦.

(٣) مسكويه، جـ ٢ ص ٣٠٧. ابن الأثير، جـ ٧ ص ٤٥. Kabir, the function, p.176-177.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٩٦. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٧٥.

(٥) المصدر نفسه، ص ١١٥. Kabīr, the function, p.179. azizi, domination, p.270.

(٦) مسكويه، جـ ٢ ص ٨٥. azizi, domination, p.270.

ثلاث مرات اذا كانوا في سفر أو بعد عن الحضرة. فلما دخل معز الدولة بغداد أراد أن يضرب على بابه بمدينة السلام لكن الخليفة في بادىء الامر رفض باصرار، ثم «اذن» له بعد أن انتقل معز الدولة إلى باب الشماسية في طرف البلد. وعندما دخل عضد الدولة بغداد ضرب الطبل على باب داره وهي دار المملكة، ثلاث مرات في اليوم[1]. ثم صار هذا الرسم جارياً عند خلفاء عضد الدولة، بل أن سلطان الدولة وجلال الدولة ومشرف الدولة وأبا كاليجار، ورغم معارضة الخليفة، أمروا أن يضرب الطبل على أبوابهم خمس مرات في اليوم[2]، شأنهم في ذلك شأن الخليفة ذاته.

ولقد احتفظ الخليفة بحقه في منح الالقاب للامراء وحكام الولايات، لكنه بات حقاً شكلياً، اذ كان يلبي كل ما يطلبه منه الامير البويهي في هذا الصدد. وأصلاً كيف يمكنه أن يملك هذا الحق وهو نفسه لا يملك اختيار لقبه؟ وكان الأمراء البويهيون مغرمين بالألقاب خاصة تلك المنسوبة إلى الدولة، «عماد الدولة، عضد الدولة، بهاء الدولة»، وكان امير العراق المهيمن على الخليفة، هو الطريق لباقي الامراء والقادة للحصول على الالقاب. وباتت الالقاب بعد أن كانت تعطي لمستحقيها فقط، توزع كيفما شاء، مكافأة للانصار، وارضاء للخصوم، حتى صار لقب الاصغر اعظم من لقب الاكبر كما يقول الصابي[3]. فاحتيج إلى التفريق بين أصحاب الالقاب فثنى لبعضهم التلقيب وكان عضد الدولة أول من حمل لقبين: عضد الدولة وتاج الملة[4]، ثم ثلث في الالقاب وكان هو أول من لقب بالملك: ملك الملوك شاهنشاه وهو اللقب الوثني القديم، لقب ملوك الفرس الساسانيين، ويذكره الصاحب بن عباد بين ألقاب عضد الدولة: مولانا الملك شاهنشاه عضد الدولة وتاج الملة[5]. ويؤكد ذلك أبو اسحاق الصابي[6]، وبهذا قول المتنبي:

أبا شجاع بفارس عضد الدولة فناخسرو شهنشاه

وبالرغم أن البعض[7]، يعتقد أن أول من حمل هذا اللقب هو الامير جلال الدولة، الا أن

---

(١) الصابي، رسوم، ص ١٣٣ - ١٣٧. مسكويه، جـ ٢ ص ٣٩٦.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ٢١، ١١٩. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٩٢٥ - ٩٢٦. ابن الأثير، جـ ٧ ص ٢٩٩، ٣٢٩.

(٣) الصابي، وزراء، ص ١٦٨.

(٤) الصابي، رسوم، ص ٩٥. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٧٨، ٩٩.

Bernburg, Shahanshah, p.86-87. The Cambridge, vol 4, p.275, 276.

(٥) الصاحب، رسائل، ص ٢٫٣.

(٦) الصابي، رسائل، ص ١١٦.

(٧) ابن الأثير، جـ ٨ ص ١٦. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ٩٧ - ٩٨.

العثور على قطعة نقدية [1]، ضربت في بغداد سنة ٣٧٠ / ٩٨٠ تحمل إلى جانب اسم عضد الدولة لقب شاهنشاه، يثبت هذا الامر بشكل قاطع.

ثم زادت الالقاب بالتدريج، فبلغت أربعة القاب لبهاء الدولة [2]. وخمسة لأبي كاليجار « شاهنشاه المعظم ملك الملوك، محي دين الله وغياث عباد الله وقسيم خليفة الله ابي كاليجار سلطان الدولة معز امير المؤمنين » [3].

وكان الأمراء هم الذين يختارون القابهم، وأحياناً رغم معارضة العامة كما جرى عند تلقيب جلال الدولة بشاهنشاه [4]، ومعارضة الخليفة عند تلقيب أبي نصر ابن ابي كاليجار بالرحيم لانه من أسماء الله [5].

وبات منح الالقاب، احد مصادر دخل الخليفة. اذ كان يدفع له من أجلها الكثير. وجرت العادة ان يخدم الملقب أو المولى الخزائن من مال وثياب وآلات، وهذا ما فعله معظم أمراء البويهيين [6].

ولم تبق رتبة لمستحق [7]، كما قال الخليفة القائم بأمر الله تدليلاً على تدهور الالقاب وتوزيعها بصورة عشوائية. ويؤكد البيروني ذلك قائلاً « وبنو العباس لما لقبوا اعوانهم بالالقاب الكاذبة وسووا فيها بين الموالي والمعادي، ونسبوهم إلى الدولة باسرهم، ضاعت دولتهم » [8]. وكان لفقدان الالقاب لقيمتها، ان باتت مدار سخرية الناس، حتى ان احد الظرفاء لقب نفسه « بجراب الدولة » [9] سخرية من كثرة الالقاب المنسوبة للدولة في ذلك الوقت.

كما بات الخليفة يخرج بنفسه لاستقبال الامراء البويهيين. ولم يجر مثل ذلك قبل، فلم تكن من العادات الجارية تلقي الخلفاء للأمراء. لكن عضد الدولة عند دخوله بغداد سنة ٣٦٧ / ٩٧٧ طلب من الخليفة أن يخرج لاستقباله، وهذا ما حصل، وسيتكرر الامر بعد ذلك مع باقي الامراء البويهيين [10].

وادخل البويهيون معهم منذ استيلائهم على بغداد، عادة نهب دار الخلافة بعد موت الخليفة او

---

(١) Catalogue du British Museum. Bernburg, Shahanshah, p.93.

(٢) الصابي، رسوم، ص ١٣٠. ذيل، ص ٤١٨.

(٣) سيرة المؤيد، ص ٧١.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ٩٧ - ٩٨. ابن الأثير، جـ ٨ ص ١٦.

(٥) ابن خلدون، جـ ٣ ص ٩٤١ - ٩٤٢.

(٦) الصابي، رسوم، ص ١٠٠ - ١٠٣. ابن الأثير، جـ ٨ ص ٤٠ - ٤٢.

(٧) الصابي، وزراء، ص ١٦٨.

(٨) البيروني، الآثار، ص ١٣٢.

(٩) ياقوت، أدباء، جـ ٢ ص ٦٢ - ٦٣.

(١٠) مسكويه، جـ ٢ ص ٣٩٦. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ١١٣ - ١١٨ وجـ ٨ ص ١٢، ٣٠. ذيل، ص ١٣٣.

خلعه حتى لا يبقى فيها شيء. فعند خلع الطائع سنة ٣٨١ / ٩٩١، نهبت دار الخلافة من المال والثياب والاواني والمصاغ والفروش والالات والرخام والخشب والساج والتماثيل والابواب والشبابيك والرصاص حتى خلت دار الخلافة [1].

ورغم كل ما حصل عليه البويهيون من الخليفة، ورضوخه لكل مطالبهم ورغباتهم، الا أن ذلك لم يحل دون التعرض المباشر له. ففي سنة ٣٦١ / ٩٧١ اجبر الخليفة المطيع على بيع ثيابه وانقاض داره لتأمين مبلغ ٤٠٠ ألف درهم لاعطائها لعز الدولة بختيار [2]. وفي سنة ٣٨١ / ٩٩١ قام بهاء الدولة باعتقال الخليفة الطائع طمعاً في ماله [3]. وفي سنة ٤٣٤ / ١٠٤٢ قام جلال الدولة بالاستيلاء على أموال الجوالي [4] وكانت خاصة بالخليفة ولم ينفع تهديد الخليفة بمغادرة بغداد في الحيلولة دون ذلك. وقبل ذلك وفي سنة ٤٢٦ / ١٠٣٤ قام جند جلال الدولة بنهب بستان الخليفة ولم يحرك الامير البويهي ساكناً [5]، رغم كل احتجاجات الخليفة.

حتى حق تعيين القضاة، الذي كان أمراً متروكاً للخليفة، كون هذا المنصب ذا وجه ديني، فقد عمد البويهيون إلى التدخل في الامر وبات للامير البويهي دور كبير في اختيار القضاة في حين ترك للخليفة اعلان موافقته واصدار عهد التعيين (انظر لاحقاً).

ماذا بقي للخليفة! لا شيء، سوى نفوذ ديني لدى العامة غير واضح المعالم، وتقدير الناس لمنصب الخليفة. لكن مع ازدياد تسلط الامراء البويهيين على الخلفاء، وتجاوزهم لكل حدود، اخذت نظرة احترام الناس للخليفة في التقلص. ولم تعد تدخلاته لوقف الصراعات المذهبية بين السنة والشيعة تجد اذناً صاغية عند احد؛ الامر الذي كان قائماً في بعض الاحيان سابقاً. إلا أنه يجب الاشارة إلى محاولات الخليفة القائم الاستفادة من ضعف الامراء البويهيين لتقوية نفوذه واستعادة بعض صلاحياته، لكنه سرعان ما سيقع من جديد تحت وطأة قوة اخرى هي السلاجقة.

والسؤال الاخير في هذا الصدد هو، لماذا عامل البويهيون الخلفاء بمثل تلك المعاملة؟ هل لأنهم شيعة والخليفة سني؟

لا نعتقد ذلك، كما دللنا على ذلك من قبل، وان كان الخلاف المذهبي قد لعب دوراً ثانوياً جداً، انما لم يكن سبباً اساسياً، رغم ان بعض الروايات تلمح إلى ذلك. ففي سنة ٣٥٠ / ٩٦١ واثناء الفتنة التي وقعت بين السنة والشيعة، يذكر التنوخي أن أبا محمد المهلبي وزير معز الدولة قال

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ١٥٦. ذيل، ص ٢٠١.
(٢) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٤٥.
(٣) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ١٥٦. ذيل، ص ٢٠١.
(٤) المصدر نفسه، ص ٨ ص ١١٤. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٩٤٠.
(٥) ابن الأثير، جـ ٨ ص ٨. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٩٣٠، ٩٣١.

لاحد العباسيين بعد أن كلمه هذا الاخير بخشونة « ما تظن ان المقتدر على السرير وأنا احد وزرائه اولا تعلم ان صاحب السرير اليوم هو الامير معز الدولة الديلمي يرى أن سفك دمك قربة إلى الله تعالى وان وزنك عنده كوزن الكلب »[١].

لكن المهلبي ما كان دقيقاً في قوله، ولم يقل كل الحقيقة، بأنه هو أيضاً، الوزير الكبير عامله أميره البويهي أسوأ معاملة، شبيهة بمعاملة الاقطاعي لعبده. وكاد ان يسفك دمه عندما امر بضربه بالمقارع حتى كاد ان يتلف[٢].

وبالمقابل، فهاهم السلاجقة الذين قدموا أنفسهم حماة للخليفة وللمذهب السني بوجه البويهيين الشيعة، ما ان دخلوا بغداد وتمكنوا من المملكة والخلافة، حتى عاملوا الخليفة[٣] بمثل ما عامله البويهيون.

اذن، السبب الاساسي لمعاملة البويهيين وكذلك السلاجقة رغم اختلافهما المذهبي، للخليفة على تلك الصورة، يعود إلى أنهما انطلقا في بناء دولتهما من منطلقات سلطوية وغير دينية، ومن أصول متخلفة، حكمت نظرتها إلى السلطة والدولة كما رأينا سابقاً بالنسبة للبويهيين. وكان لعاداتهم ومصالحهم اثر كبير في تصرفاتهم. وبالاجمال فقد ظلوا رغم طول الفترة التي حكموا خلالها، قوى اجنبية عن الخلافة والشعب.

٤ ـ العلاقات الخارجية لفارس خلال العهد البويهي

بالرغم من اهمية فارس خلال العهد البويهي، ورغم ان شيراز كانت احدى عواصم البويهيين الثلاث، واحياناً مركز المملكة، الا أنها ظلت في علاقاتها الخارجية محكومة بموقعها الجغرافي والاقليمي وبمصالحها المباشرة كمقاطعة. لذلك تحددت علاقاتها الخارجية بتلك الحدود، ولم تستطع ان تنتزع من بغداد موقعها تجاه القوى الخارجية ودورها في تحديد سياسات المملكة على هذا الصعيد، اذ ظلت رغم كل حالة التدهور التي وصلت اليها، مقر الخليفة، ورمز الخلافة العباسية، واليها تتجه أنظار كل الاطراف الداخلية والقوى الخارجية طمعاً بالاستيلاء عليها أو المصالحة معها.

كان على البويهيين في ذلك العصر التعاطي مع العديد من الاطراف الداخلية والقوى الخارجية سلماً أو حرباً. وكان من الطبيعي في ذلك العصر أن تتحدد أولويات التعامل مع هذه القوى حسب موقعها الجغرافي بالنسبة للممالك البويهية. لذلك كانت القوى المحيطة تشكل الخطر الاول الذي كان على البويهيين مواجهته بصورة مستمرة. ففي ايران كان حكام خراسان، السامانيون ومن ثم

(١) التنوخي، نشوار، جـ ١ ص ٤٩.
(٢) مسكويه، جـ ٢ ص ١٤٥ ـ ١٤٦.
(٣) حسين أمين، تاريخ ص ١٣٢ ـ ١٣٣.

الغزنويون، هم الخطر الاول، ومن ثم الصفاريون في سجستان، والزياريون في جرجان وطبرستان. وكان على البويهيين مواجهة الاكراد خارجياً في جهات اذربيجان، وداخلياً في منطقة الجبال حيث كان اكراد حسنويه يثيرون القلاقل باستمرار (١).

أما ما بين النهرين، وبعد أن نجح البويهيون في القضاء على البريديين (٢) سنة ٣٣٦ / ٩٤٧، فقد تركزت جهودهم على تحييد ومن ثم تصفية الحمدانيين، رغم أنهم كانوا شيعة مثلهم، لكنهم عرب ومنافسوهم السابقون على بغداد (٣). كذلك كان على البويهيين ان يقوموا بشن حروب صغيرة وبصورة شبه متواصلة على أطراف الجزيرة العربية لفرض النظام والأمن كذلك داخل العراق نفسه في البطيحة (أنظر سابقاً).

وبعيداً عن الاطراف الداخلية والقوى الخارجية المحيطة مباشرة بالبويهيين، كان هناك الفاطميون من جهة والبيزنطيون من جهة أخرى.

وكان لانقسام المملكة البويهية إلى ثلاث مناطق رئيسية: العراق، فارس والجبال، أن تولت كل منها مهمة التعاطي مع القوى المحيطة بها. فكان على امارة البويهيين في اقليم الجبال مواجهة السامانيين ومن ثم الغزنويين في خراسان، وأيضاً الزياريين في طبرستان وجرجان، بالاضافة إلى الاكراد. أما العراق فكان عليه مواجهة الحمدانيين وأمراء البطيحة عمران بن شاهين وخلفائه، وأيضا القرامطة، وحركات الاعراب والاكراد. أما فارس فكان عليها مواجهة الصفاريين في سجستان وبني الياس في كرمان كذلك قبائل القفص والبلوص في كرمان ومكران، والقرامطة في البحرين وعمان.

وفي حين عرفت المرحلة الاولى من أيام الدولة البويهية، خاصة فترة حكم الاخوة الثلاثة المؤسسين، تضامنهم في وجه الاعداء، فكانت كل امارة تقدم للاخرى العون الممكن عسكرياً ومادياً للوقوف بوجه القوى الخارجية وقمع الحركات الداخلية، إلا أنه في غمرة الصراعات الداخلية التي عرفتها الاسرة البويهية، باتت كل امارة تتولى بنفسها حل مشاكلها الخارجية. وفيما تشابك وضع العراق وفارس نتيجة خضوعها لسلالة عضد الدولة، تركت امارة الجبال تهوى تحت ضربات الغزنويين وبني كاكويه والاكراد دون أن يلتفت اليها امراء فارس والعراق (أنظر سابقاً).

---

(١) مسكويه، جـ ٢ ص ٤١٤ - ٤١٥. ابن خلدون، جـ ٧ ص ١٠١. EI², art Buyides, T.I. p.1393-1394.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٢. المصدر نفسه، جـ ٦ ص ٣٢٥ - ٣٢٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٨٩ - ٩٤، ١٠٩، ٣٨٢ - ٣٩٥.

EI², art Buyides, T.I. p.1393-1394. Shaban, islam, Vol 2, p.169.

أ ـ علاقة فارس مع كرمان:
البويهيون وبنو الياس

تعود أهمية كرمان إلى أنها تشكل الحدود الشرقية لاقليم فارس والحد الفاصل بالاضافة إلى الصحراء بينها وبين الصفاريين في سجستان. وكانت السيطرة عليها تعني ابعاد خطر الصفاريين وأيضاً اخضاع قبائل القفص والبلوص المتمركزة فيها وفي مكران ووقف هجماتها البربرية على قوافل التجار والمدن والمزارع.

ومنذ عام ٣١٧ / ٩٢٩، خضعت هذه المقاطعة لسلطة بني الياس وأولهم أبو علي محمد بن الياس بن اليسع، وفي أيام حكمه الذي استمر حتى سنة ٣٥٥ / ٩٦٥، جرت اول محاولة من البويهيين للاستيلاء عليها وذلك سنة ٣٢٤ / ٩٣٥ اثر استيلاء علي بن بويه وأخيه الحسن على معظم اقليم الجبال، فقررا ارسال اخيهما الثالث احمد إلى كرمان، فهرب ابن الياس وكاد أن يتم الامر للبويهيين لولا غدر أحمد بزعيم قبائل القفص مما اضطره فيما بعد للعودة إلى فارس بناء على استدعاء أخيه [(١)]. وكان بنو الياس على علاقة حسنة بالسامانيين الخصوم الرئيسيين للبويهيين في تلك الفترة، فقاموا بتحريضهم اكثر من مرة على محاربة البويهيين.

وبتولي اليسع، بعد مرض ابيه، حكم كرمان سنة ٣٥٥، أخذ بمناهضة عضد الدولة الذي بات سيد فارس، وفي التعدي على حدوده، مما دفع عضد الدولة للمسير إلى كرمان والاستيلاء عليها سنة ٣٥٧ / ٩٦٧، مجبراً اليسع للهرب إلى بخارى عند السامانيين [(٢)]. وعندما علم صاحب سجستان بذلك، تخوف من توسع عضد الدولة فكاتبه وصالحه وخطب له [(٣)]. ومنذ هذا التاريخ خضعت كرمان لسلطة البويهيين وارتبطت بشكل مباشر بفارس وخضعت في معظم الاحيان [(٤)] لسلطة امير فارس (أنظر سابقاً).

ولم يكن هدف عضد الدولة من احتلال كرمان توسيع حدود مملكته، وتأمين أمن فارس من اخطار تحالف بني الياس مع السامانيين او الصفاريين، بل أيضاً كان يسعى إلى القضاء على قبائل القفص والبلوص التي كان مركزها كرمان وتعبث فساداً على حدود فارس مهددة القوافل والمدن باعمال النهب والسرقة.

وكان احد أبناء محمد بن الياس، ويدعى سليمان قد نجح في تحريض امير خراسان الساماني واطمعه بالاستيلاء على كرمان وانتزاعها من أيدي عضد الدولة بعد أن ضمن له طاعة قبائل

---

(١) مسكويه، جـ ١ ص ٣٥٢، ٣٥٥، ٣٥٦. ابن خلدون، جـ ٦ ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦.

(٢) Voir, Busse, Hofkorrespondenz, p.84-85.

(٣) مسكويه، جـ ٢ ص ٢٤٩ ـ ٢٥٣. ابن خلدون، جـ ٧ ص ٢٧ ـ ٢٨.

(٤) Voir, EI², art, Buyides. T.I. p.1399.

القفص والبلوص. عندها وجه عضد الدولة بجيش على رأسه كوركير بن جستان لمحاربتهم وانزل بهم هزيمة شنيعة سنة ٣٥٩ / ٩٦٩ بين جيرفت وبم وقتل في المعركة سليمان بن محمد بن الياس وعدد كبير من قواد جيش خراسان[١]. إلا أن قبائل القفص والبلوص عادت وتجمعت في العام التالي سنة ٣٦٠ / ٩٧٠ لمحاربة عضد الدولة، الذي بعث لها بجيش على رأسه عابد بن علي لمساعدة كوركير. وهزم القفص والبلوص هزيمة اشد من الاولى ووصلت بهم الحال إلى ان عرضوا تسليم قلاعهم وجبالهم وتعهدوا بوقف اعمالهم مقابل الصلح[٢]، فتم ذلك. لكنهم لم يفوا بعهودهم، وعادوا إلى سيرتهم الاولى، عندها يئس عضد الدولة من اصلاحهم وقرر أن يسير بنفسه اليهم، وكان مسيره في ذي الحجة سنة ٣٦٠ / ٩٧٠، وبوصولة إلى السيرجان ارسل لهم عابد بن علي في جيش كبير فلحق بهم إلى معاقلهم وانزل فيهم هزيمة كبيرة في ربيع الاول سنة ٣٦١ / ٩٧١ وقتل منهم الكثير وقام عضد الدولة باجلاء من تبقى عن جبالهم وأسكن مكانهم المزارعين الذين عمروا تلك المواضع[٣].

أما بنو الياس فكانوا ما زالوا يتحينون الفرصة للعودة إلى كرمان بدعم من الخراسانيين. كذلك كان الصفاريون في سجستان الذين وان صالحوا عضد الدولة خوفاً، إلا أنهم كانوا بانتظار الفرصة المناسبة لانتزاع كرمان منه.

وجاء انشغال عضد الدولة بأمر بختيار وتوجهه إلى العراق بمعظم جيشه، مناسبة لاضطراب الاحوال عليه في كرمان. اذ اعلن قوم يعرفون بالجرومية (أي سكان المناطق الحارة)، العصيان وتحالفوا مع أحد القواد الاتراك لكنهم عادوا واختلفوا. مما دفع الحسين بن علي بن الياس وكان بخراسان، للتوجه على رأس جيش إلى كرمان. لكن عضد الدولة وكان ما زال في العراق، بعث بوزيره المطهر بن عبدالله الذي تمكن من هزيمة المتمردين سنة ٣٦٤ / ٩٧٤، ثم هزم ابن الياس وأسره والارجح انه قتله[٤]. وبذلك استتب الامر من جديد لعضد الدولة على حدوده الشرقية.

بتلك المحاولة، انتهت محاولات بني الياس لاستعادة كرمان، لتبدأ محاولات بني الصفار اصحاب سجستان. وكان صاحبها خلف بن احمد وهو ابن بنت عمرو بن الليث الصفار قد عقد هدنة مع عضد الدولة، كما أشرنا سابقاً، ولم يتجرأ خلف رغم تعاظم قوته على نقض هذه المدنة طوال فترة حكم عضد الدولة ومن ثم شرف الدولة وتفاقم الصراع بين خليفتيه، صمصام الدولة وبهاء الدولة، حتى تحرك خلف بن احمد وارسل ابنه الذي نجح في الاستيلاء على كرمان سنة

---

(١) مسكويه، جـ ٢ ص ٢٩٨. ابن خلدون، جـ ٧ ص ٣٩. Bürgel, Hofkorrespendenz, p.86

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٩٩. المصدر نفسه، ص ٤١. Ibid.

(٣) مسكويه، جـ ٢ ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠. ابن خلدون، جـ ٧ ص ٣٩ ـ ٤٠.

(٤) مسكويه، جـ ٢ ص ٣٦٠ ـ ٣٦١. ابن الأثير، جـ ٧ ص ٦٢. Bürgel, Hofkorrespondenz, p.86-87.

٣٨١ / ٩٩١ . وفشل صمصام الدولة وهو صاحب فارس اول الامر من استعادتها وانهزمت جيوشه لكنه عاد وانتصر على قوات ابن خلف واستعادها سنة ٣٨٢ / ٩٩٢ . لكن خلف بن أحمد عاد من جديد ونقض الصلح واستولى على كرمان التي لن يستعيدها صمصام نهائياً إلا سنة[١] ٣٨٤ / ٩٩٤ .

استتب الامر للبويهيين من جديد في كرمان، إلا أنها باتت شأنها شأن باقي المقاطعات البويهية خاضعة لتنافس الامراء البويهيين وصراعاتهم. وكان أمير فارس باستمرار مهتماً بعدم وقوعها في أيدي منافسيه من الامراء البويهيين الاخرين، خوفاً على فارس. اذ كان امير كرمان يشكل خطراً على فارس. فبعد وفاة بهاء الدولة وقعت كرمان في أيدي ابنه أبي الفوارس الذي طمع بالاستيلاء على فارس وانتزاعها من أيدي اخيه سلطان الدولة. ودخل ابو الفوارس شيراز سنة ٤٠٧ / ١٠١٦، الا أنه اضطر الى التراجع بعد هزيمته أمام اخيه سلطان الدولة الذي تتبعه واستولى على كرمان. فهرب أبو الفوارس ملتجئاً عند الغزنويين في خراسان، وارسل معه يمين الدولة محمود بن سبكتكين جيشاً لاستعادة كرمان، فتم له ذلك ثم تقدم إلى فارس وامتلك شيراز، فأسرع جلال الدولة وكان في بغداد، وعاد إلى فارس وهزم اخاه وجيش الغزنويين واخرجهم من فارس وكرمان سنة ٤٠٨، ثم اصطلح مع أخيه واعاد اليه كرمان[٢]. وسيتكرر الصراع على كرمان بين أبي الفوارس وأبي كاليجار[٣] (أنظر سابقاً).

في هذه الاثناء حاول الغزنويون الذين خلفوا السامانيين في خراسان، احتلال كرمان، ودخلت قوات مسعود بن محمود كرمان سنة ٤٢٢ / ١٠٣٠ لكن العادل بن مافنه وزير ابي كاليجار سرعان ما أخرجهم منها، وأقام فيها فترة، أصلح امورها ثم عاد إلى فارس[٤]. ولم يعاود الغزنويون محاولاتهم، لانشغالهم بفتوحاتهم في الهند من جهة، ومن جهة اخرى وهي الاهم، في مواجهة القوة الجديدة الصّاعدة اي السلاجقة، الذين قاموا بأول محاولة لامتلاك كرمان سنة ٤٣٤ / ١٠٤٢ وحاصروا جيرفت لكنهم عادوا واجبروا على التراجع بعد معركة شديدة بينهم وبين جيش ابي كاليجار[٥]، ولن يطول الامر فسرعان ما سيقضي السلاجقة على الدولتين الغزنوية والبويهية.

ب ـ فارس وعُمان

اذا كانت سيطرة البويهيين على كرمان بالدرجة الأولى، ضرورة امنية لحماية فارس من اعداء

---

(١) ذيل، ص ١٨٩ ـ ١٩٨. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٤٩ ـ ١٥٠.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٢٨٤. ابن الأثير، جـ ٧ ص ٢٩٤. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٩٢٠ ـ ٩٢١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٨ ص ١٢. المصدر نفسه، ص ٣١٣ ـ ٣٢٨.

(٤) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٣٥٤.

(٥) ابن الأثير، جـ ٨ ص ٣٥.

خطرين، فإن سيطرتهم على عُمان كانت بالدرجة الأولى ضرورة اقتصادية، لحماية خط مواصلاتهم البحري الذي يمر عبر الخليج الفارسي إلى المحيط الهندي، والذي يشكل عصب الحياة الاقتصادية لفارس في تجارتها مع الهند والصين. وفي الوقت نفسه تتمة لسيطرتهم على كرمان اذ تسيطر المقاطعتان على طرفي مضيق هرمز الذي منه تمر كل السفن المنطلقة والآتية إلى موانىء فارس وميناء البصرة منفذ العراق على البحر.

وإلى جانب عُمان، كان القرامطة يسيطرون على طول الساحل المواجه لساحل فارس الذي كان يعرف باسم البحرين. وكانوا ما زالوا، عند سيطرة البويهيين على فارس، يشكلون قوة فعالة رغم حالة الضعف التي بدأت تدب فيهم بعد عام ٣٢٠ / ٩٣٢ وخاصة بعد وفاة أبي طاهر الجنابي سنة ٣٣٢ / ٩٤٣ (انظر سابقاً).

لم يحاول البويهيون التقدم نحو البحرين وعُمان، حتى بعد دخولهم بغداد وسيطرتهم على الخلافة العباسية. ورغم تهديد معز الدولة لهم بذلك سنة ٣٣٦ / ٩٤٧ عندما كان في طريقه إلى البصرة[١] لانتزاعها من البريديين إلا أنه لم يفعل أي شيء في هذا الصدد، وربما كان السبب انشغال البويهيين في تثبيت سلطاتهم على المناطق التي سيطروا عليها؛ وأيضاً تهيبهم من ذلك، لما كان للقرامطة من هيبة في نفوس الناس بعد سلسلة الانتصارات والمجازر التي ارتكبوها فيما سبق. والارجح انهم فضلوا مهادنتهم في تلك المرحلة.

لم يتنبه البويهيون إلى مخاطر سيطرة قوى معادية على الطرف الثاني للخليج الفارسي الا عام ٣٤٠ / ٩٥١، عندما أقدم صاحب عُمان يوسف بن وجيه بالتحالف مع القرامطة على انتزاع البصرة من ايديهم. لكن قوات البويهيين بقيادة الوزير المهلبي عادت وهزمته واستعادت البصرة منه[٢]. ان هذه المحاولة لو تم لها النجاح، كانت ستؤدي إلى عزل العراق عن منفذه البحري وتهديد الحركة الملاحية لفارس. لذلك كان لا بد للبويهيين من اخضاع تلك المنطقة لسيطرتهم. واذا كانوا يفضلون مهادنة القرامطة، فقد عزموا على الاستيلاء على عُمان.

جرت المحاولة الاولى سنة ٣٥٢ / ٩٦٣، عندما بعث معز الدولة امير العراق بوزيره المهلبي على رأس جيش إلى عُمان لكن وفاة المهلبي وهو في طريقه إلى هدفه، حالت دون اتمام المشروع[٣]. فعاد معز الدولة وارسل جيشاً ثانياً سنة ٣٥٤ / ٩٦٥ مما دفع بأميرها نافع خليفة يوسف بن وجيه للدخول في طاعة البويهيين، وخطب لمعز الدولة وضرب له اسمه على الدينار والدرهم. لكن عندما

---

(١) مسكويه، جـ ٢ ص ١١٢.

(٢) مسكويه، جـ ٢ ص ١٤٣ - ١٤٤. ابن الأثير، جـ ٦، ص ٣٤٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٩٦ - ١٩٧. المصدر نفسه، جـ ٧ ص ٦.

عاد عسكر معز الدولة، ثار أهل عمان على نافع واخرجوه عنهم وأدخلوا القرامطة الهجريين [١]. وكانت عُمان تضم أعداداً من القرامطة، سبق لهم واستولوا عليها سنة ٣١٨ / ٩٣٠ على يد أبي طاهر الجنابي.

ومرة أخرى، قام معز الدولة وارسل جيشه إلى عُمان، بقيادة محمد بن العباس بن فسانجس عام ٣٥٥ / ٣٦٥، وقد انضم إلى هذه القوات عند وصولها إلى سيراف في طريقها إلى عمان، قوة من جيش فارس، كان قد جهزها عضد الدولة مساعدة لعمه. ودخل البويهيون عُمان وقتلوا من أهلها مقتلة عظيمة واحرقوا مراكبهم وثبتوا حكمهم عليها [٢]. وفي العام التالي ٣٥٦ / ٩٦٦ عند وفاة معز الدولة، عاد ابن فسانجس إلى بغداد طمعاً بتولي الوزارة بعد ان سلم عُمان لنواب عضد الدولة امير فارس [٣].

ابتداء من هذا التاريخ ٣٥٦ / ٩٦٦، اي بعد حوالي عام واحد فقط من خضوعها لسلطة امير العراق، ستخضع فارس لسلطة أمير فارس، وسترتبط بفارس بصورة مستمرة ما عدا فترة وجيزة تكاد لا تذكر، خلال عام ٣٧٤ / ٩٤٨ عندما خضعت لسلطة امير العراق صمصام الدولة [٤]. وستكون مهمة امير فارس تأمين سيطرة البويهيين على هذه المقاطعة ذات الموقع الهام. ففي سنة ٣٦٢ / ٩٧٢ ارسل عضد الدولة جيشاً في البحر من كرمان بعد ان قام الزنج بقتل عامله والاستيلاء عليها. وعندما خرج عضد الدولة من فارس قاصداً بغداد في محاولته الاولى للاستيلاء عليها، قام سكان جبال عُمان بثورة جديدة، فارسل عضد الدولة وزيره المطهر بن عبدالله سنة ٣٦٣ / ٩٧٣ اليها. فقضى على المتمردين واعاد اخضاعها من جديد [٥].

استمرت عُمان في الخضوع لسيطرة امير فارس البويهي إلى اواخر أيامهم. ولا نملك الكثير من المعلومات عن هذه الفترة سوى أنه في عام ٤٤٢ / ١٠٥٠ استولى الخوارج المقيمون بجبال عُمان على عاصمتها وقبضوا على صاحبها ابي المظفر ابن الملك ابي كاليجار، الذي يعتقد أنه كان اخر امراء البويهيين عليها [٦].

جـ - فارس والقرامطة

تعود علاقة فارس بالقرامطة، إلى البدايات الاولى لنشاطات هذه الفرقة. عندما عين عبدان

(١) مسكويه، جـ ٢ ص ٢١٣. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٥.
(٢) المصدر نفسه، ص ٢١٧ - ٢١٩. المصدر نفسه، ص ١٧.
(٣) المصدر نفسه، ص ٢٣٧. المصدر نفسه، ص ٢٢ - ٢٣. Bürgel, Hofkorrespondenz, p.87-88.
(٤) ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٢٣ - ١٢٤. ذيل، ص ١٠٠ - ١٠١.
(٥) مسكويه، جـ ٢ ص ٣٦٠. ابن الأثير، جـ ٧ ص ٥٦ - ٥٧. Bürgel, Hofkorrespondenz, p.87-88.
(٦) ابن الأثير، جـ ٨ ص ٥٥.

المساعد الرئيسي وصهر داعي الدعاة حمدان قرمط، ابي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي داعياً على فارس الجنوبية [1]. فكانت الدعوة اليه بجنابةوسينيز وتوج ومهروبان وجروم فارس. وليس هناك أي تحديد لتاريخ ذلك التكليف وان كان يبدو أنه قد حصل حوالي الربع الثالث من القرن الثالث وربما قبل بعثة اليمن عام ٢٦٦ / ٨٧٩ بقليل [2].

كانت مهمة أبي سعيد، جمع الانصار والتبشير بالدعوة. وقد لاقت عظاته الاولى نصيباً وافراً من النجاح بين سكان فارس الاصليين حيث ما زالت معتقداتهم القديمة ذات اثر فعال في نفوسهم، يحاولون التوفيق بينها وبين معتقداتهم الاسلامية الجديدة، وأيضاً لدى الذين يكنون للتسلط العربي كراهية المغلوبين المثقلين بالضرائب [3]. وتوصل ابو سعيد إلى ضم اعداد من الفرس إلى مذهبه، وطبق عليهم تعاليمه وقام شخصياً باعباء ادارة اموال الجماعة. لكن الشرطة داهمت مقره واستولت على ما فيه من أموال، في حين نجح أبو سعيد في الهرب واختبأ فترة من الزمن إلى أن اكتشف حمدان قرمط مقره فاستدعاه إلى كلواذى حيث يقيم، وكلفه من جديد بمهمة الدعوة في البحرين حيث لاقى أرضاً خصبة لدعوته وحقق نجاحاً باهراً [4].

ورغم اننا أيضاً لا نعلم تاريخ انتقال أبي سعيد الجنابي من فارس إلى البحرين، بيد أننا نعلم أنه في العام ٢٨٦ / ٨٩٩ كان قد تمكن من السيطرة على معظم البحرين. وهذا التاريخ هو الذي يعتمده معظم المؤرخين كبداية لظهور هذه الفرقة [5] المعروفة باسم قرامطة البحرين.

ورغم ان المعلومات عن علاقة القرامطة بفارس نادرة جداً خلال الفترة الممتدة منذ هرب أبي سعيد الجنابي من فارس إلى حين وقوع هذه المقاطعة بأيدي البويهيين سنة ٣٢٢ / ٩٣٣. إلا أننا نعتقد بأن قرامطة فارس قد التجأوا إلى البحرين لاحقين بداعيهم أبي سعيد، وهرباً من ملاحقة السلطة لهم التي اخذت تتشدد في تتبعهم بعد تعاظم قوتهم في الجزيرة العربية، خاصة في مرحلة تولي أبي طاهر الجنابي زعامة الحركة اثر وفاة والده أبي سعيد سنة ٣٠١ / ٩١٣ (أنظر سابقاً). ويخبرنا ابن حوقل ان عم ابي طاهر وأقرباءه اعتقلوا بشيراز للاشتباه بأنهم قرامطة ثم افرج عنهم بعدما تبيّن العكس [6].

ولا شك ان جماعات قرمطية ظلت موجودة بفارس، وإن بشكل ضئيل وبصورة سرية، كما أن

---

(١) ابن حوقل، ص ٢٥٨.
(٢) De Coeje, mémoires. p.31.
(٣) De Coeje, mémoires, p.33.
(٤) ابن حوقل، ص ٢٥٨. De Coeje, Mémoires, p.33.
(٥) الطبري، جـ ١١ ص ٣٦٢ – ٣٦٦. المسعودي، مروج، جـ ٤ ص ٢٦٤. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٩٢.
(٦) ابن حوقل، ص ٢٥٩.

التبشير بالمذهب القرمطي ظل مستمراً بحدود ضيقة جداً، وذلك تبعاً للاحتكاك الدائم بين البحرين وجنوب فارس لتقارب المنطقتين. ففي سنة ٣١٢ و ٣١٥ / ٩٢٤ ، ٩٢٧ أُلقي القبض في بغداد على رجلين: الاول ذكر أنه عجمي يتكلم الفارسية، والثاني ذكر بوضوح أنه من شيراز وكانا يتجسسان لصالح القرامطة[1]، الامر الذي يشير إلى أن الدعوة كانت مستمرة بفارس وما زالت تجتذب مؤمنين جُدداً. وذلك ليس بغريب على فارس التي كانت مرتعاً لكل أصحاب المذاهب والدعوات.

كذلك كانت فارس مهمة بالنسبة للقرامطة من وجهة اقتصادية. والارجح أنها كانت منفذهم التجاري الاساسي بعد أن ضربت البصرة وشلت حركتها الاقتصادية نتيجة هجماتهم المتكررة عليها. وكانت اسواقها مصدراً لتأمين حاجاتهم وتجارتهم. ويروي عريب انه في سنة ٣٠٣ / ٩١٥ سمح الوزير علي بن عيسى، للقرامطة بالتسوق بسيراف[2] في محاولة منه لارضائهم قليلاً على أمل وقف تعدياتهم. ويعتقد دي خويه ان الغزوة التي قام بها القرامطة لفارس عام ٣٢٢ / ٩٣٣ كانت لصالح تجارتهم[3].

والسؤال الذي يطرح في هذا السياق، أنه ما دامت فارس بمثل هذه الاهمية للقرامطة فلماذا لم يستولوا عليها ويخضعونها لسيطرتهم!

كان هدف القرامطة الاول منذ أن غادر ابو سعيد فارس، الاستيلاء على البحرين وتوسيع سيطرتهم داخل الجزيرة العربية، وقد انصبت جهود أبي سعيد وخليفته أبي طاهر على انجاز هذه المهمة، التي تمت سنة ٣١٨ / ٩٣٠ عندما تم لها فتح عُمان وبذلك بات أبو طاهر سيد الجزيرة العربية غير منازع[4]. وقد تطلبت هذه المهمة كل جهودهم وعملاً دائماً لا يعرف الكلل. وكان من المستحيل عليهم فتح جبهة اخرى وهم الذين لا يملكون الاعداد الكافية من المقاتلين خاصة وان هدفهم الثاني كان امتلاك بغداد وكان مقدراً لهذا الامر ان ينفذ حوالي سنة ٣٢٠ / ٩٣٢ لولا ظهور المهدي «الدجال» بينهم وحالة الارباك والضعف التي سببها لهم[5].

كذلك، فقد كانوا يدركون أهمية أسواق فارس لتجارتهم، وكانوا يعرفون جيداً حالة الخراب والدمار التي تنتج عن حروبهم مع الخلافة، فهل فضلوا ابقاء فارس بعيدة عن ذلك في تلك المرحلة نظراً لمصالحهم الاقتصادية! ربما. وربما كانت فارس أيضاً، هدفهم الثالث لو قيّض لهم

---

(١) مسكويه، جـ ١ ص ١١٨، ١٢٢، ١٨١. عريب، ص ٥٧. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٦ ص ٢٠٩ - ٢١٠. ابن الأثير، جـ ٦ ص ١٨١.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٦ ص ١٣٠.

(٣) De Coeje, Mémoires, p.137.

(٤) Ibid, p.112-113.

(٥) عريب، ص ٨٤. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٦٨. De Coeje, Mémoires, p.113-136.

امتلاك العراق. لذلك نراهم بعد عام ٣٢٠ / ٩٣٢ وتأجيل محاولاتهم لمهاجمة بغداد، يجددون نشاطهم العسكري بمهاجمة فارس. ففي سنة ٣٢٢ / ٩٣٤ هاجموا مدينتي سينيز وتوج، لكن عامل البلد نجح بمعاونة الاهالي بعد أن أحرق مراكبهم التي قدموا فيها، في هزيمتهم واسر ثمانين منهم، من بينهم احد دعاتهم الاساسيين ابن الغمر [١].

وتأتي هذه المحاولة أيضاً، في نفس الوقت الذي كان علي بن بويه يحاول بدوره الاستيلاء على فارس (أنظر سابقاً). وليس هناك أي داع للاعتقاد بأن غزوة القرامطة كانت لمساعدة علي بن بويه. بل على العكس، نعتقد بأن القرامطة حاولوا الاستفادة من انشغال عامل الخليفة على فارس بمحاربة علي بن بويه، للتقدم بدورهم داخل الاقليم.

ان أول اشارة لعلاقة البويهيين بالقرامطة، بعد تلك المرحلة، تأتينا سنة ٣٣٦ / ٩٤٧ أي بعد أن امتلك البويهيون بغداد وثبتوا سيطرتهم على معظم اراضي الخلافة، وباتوا القوة الاساسية المهيبة الجانب. اما القرامطة فرغم ان حالتهم لم تعد كما كانت عليه قبل سنة ٣٢٠ / ٩٣٢ الا أنهم ظلوا، حتى هذه الفترة، مرهوبي الجانب وفرضوا على الخلافة جزية سنوية مقابل السماح للحجاج بالمرور سالمين إلى مكة (أنظر سابقاً). إلا أن بلاد عُمان كانت قد تخلصت من سيطرتهم بدليل الحملة التي قام بها صاحبها يوسف بن وجيه سنة ٣٣١ / ٩٤٢ لاحتلال البصرة [٢] وانتزاعها من البريديين. ثم جاءت وفاة أبي طاهر الجنابي سنة ٣٣٢ / ٩٤٣ والصراعات على خلافته لتزيد من تدهور احوالهم.

في عام ٣٣٦ / ٩٤٧، لما سار معز الدولة إلى البصرة لانتزاعها من أيدي البريديين، اختار طريق الصحراء ليقترب من المدينة، فاستاء القرامطة من ذلك وبعثوا له برسالة يحتجون فيها على سيره في الصحراء من غير اذنهم ومتنكراً لحقوقهم، فرد عليهم معز الدولة بلهجة شديدة قائلاً «ومن أنتم حتى تستأذنوا في سلوك البرية، وكأني أنا أقصد البصرة، انما قصدي بلدكم واليكم بعد فتحي اياها وستعرفون خبركم» [٣]. لكن لا معز الدولة نفذ تهديده لهم وغزاهم، وهو الذي لم يستطع أصلاً القضاء على عمران بن شاهين صاحب البطيحة الذي أقام امارة مستقلة في منطقة مستنقعات دجلة، ولا هم دعموا احتجاجهم بغزوة كما في أيام مجدهم السابقة خلال حكم أبي طاهر.

لكن في هذه السنة كما يذكر الهمذاني والارجح أنه في العام التالي ٣٣٧ / ٩٤٨ كما يذكر مسكويه [٤]، نجد أنه كان من ضمن الجيش الذي بعثه معز الدولة إلى الري لمساعدة اخيه ركن

---

(١) مسكويه، جـ ١ ص ٢٨٤.

(٢) مسكويه، جـ ٢ ص ٤٦. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٩٢.

(٣) مسكويه، جـ ٢ ص ١١٢. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٣٢٥.

(٤) الهمذاني، ص ١٦١. مسكويه، جـ ٢ ص ١١٧.

الدولة، قوة قرمطية، وكما يـذكـر المؤرخـون « فخـرج سبكتكين الحاجـب ومعـه أكثر الجيش والقرامطة »[1]، دون أن يذكروا من هم هؤلاء القرامطة ولماذا هم في جيش معز الدولة البويهي. لكننا نعرف أيضاً أنه في سنة ٣٣٩ / ٩٥٠ عادت هذه الفرقة القرمطية وانسحبت من جيش البويهيين بعد الخلاف الذي نشب داخل قوات سبكتكين حاجب معز الدولة[2]. الامر الذي يشير إلى انهم لم يكونوا نجدة من قرامطة البحرين إلى البويهيين او موضوعين بتصرفهم، فلو كان الامر كذلك لما تخلوا عن البويهيين على تلك الصورة، والارجح انهم مجموعات قرمطية ضعف ايمانها بالدعوة وخرجت من البحرين نتيجة حادثة ظهور المهدي الدجال وما ترتب عليها من خصومات داخلية، او لاسباب اخرى، فأخذت بالعمل في خدمة الامراء المحليين كقوات مرتزقة. ونحن نعرف انه في سنة ٣٢٠ / ٩٣٢ كانت هناك فـرقـة قـرمطيـة تحت امـرة مـؤنس[3]. وفي سنـة ٣٢٧ / ٩٣٨ كانت هناك فرقة قرمطية مع الخليفة الراضي ثم التحقت بابن رائق بسبب قلة ارزاقهم[4]. ونجد أيضاً قوة قرمطية مع توزون[5] احد قواد بجكم سنة٣٢٩ / ٩٤٠. ان حادثة انتقالهم من خدمة الراضي الى ابن رائق تدلل على أنهم كانوا بخدمة من يدفع لهم أرزاقهم ومرتباتهم، ولا نعرف ما اذا ظلوا قرامطة حقيقيين ام ان الاسم لحقهم لانتمائهم السابق.

ومنذ سنة ٣٤٠ أو ٣٤١ / ٩٥١، ٩٥٢ عندما ساعد القرامطة صاحب عُمان لاحتلال البصرة وانتزاعها من أيدي البويهيين، كما أشرنا سابقاً، وحتى سنة ٣٥٣ / ٩٦٤، يسكت المؤرخون عن اخبار القرامطة، الذين انهمكوا على ما يبدو في ترتيب اوضاعهم الداخلية وأيضاً في الاستعداد لمساعدة امامهم الفاطمي[6]. الذي كان يعد العدة للاستيلاء على مصر. ومنذ سنة ٣٥٣ / ٩٦٤ وحتى ٣٥٨ / ٩٦٨ قام القرامطة بعدة حملات على الشام تنفيذاً لاوامر الخليفة الفاطمي ومساعدة له، الذي نجح هذا العام في الاستيلاء على مصر. لكن الخلاف بين الفاطميين والقرامطة سينشب اثر ذلك مباشرة وسيتحول إلى صراع دموي حاد[7]. وبالتالي ستشهد علاقات القرامطة بالخلافة وبالبويهيين انقلاباً كبيراً.

ففي سنة ٣٥٩ / ٩٦٩ شرع القرامطة بالمفاوضات مع بغداد، واقيمت الخطبة للخليفة العباسي الطائع في المناطق الخاضعة لسيطرة القرامطة كمكة[8] بعد أن كان يخطب بها للخليفة الفاطمي. كما

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) مسكويه، جـ ٢ ص ١٢٩.

(٣) عريب، ص ٨٧.

(٤) مسكويه، جـ ١ ص ٤٠٥. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢٦٩.

(٥) المسعودي، مروج، جـ ٤ ص ٣٤٠.

(٦) Voir De Coeje, Mémoires, p.150, 181-186.

(٧) De Coeje, Mémoires, p.182-198.

(٨) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٤٠.

اجرى القرامطة مفاوضات مباشرة مع الامير البويهي عز الدولة بختيار طلبوا فيها أن يمدهم بالجند والمال، ويوليهم مصر والشام مقابل أن يتولوا مهمة طرد الفاطميين من مصر. لكن الطلب الاخير لم يستجب له نتيجة رفض الخليفة، فيما اعطوا ما طلبوه من مساعدات مالية وعسكرية [١]. ويبدو أن هذا التحالف ابرم سنة ٣٦٠ / ١٠٦٧ كما يذكر ابن حوقل [٢].

ورغم الانتصارات الاولى التي حققها القرامطة في الشام وانتزاعها من أيدي ولاة الفاطميين، الا أنهم سرعان ما هزموا هزيمة نكراء على أبواب مصر سنة ٣٦٣ وعادت قواتهم ممزقة إلى الاحساء، الامر الذي دفع عضد الدولة لاستغلال هذه الفرصة والقضاء عليهم وانتزاع البحرين منهم. فبعث بجيش إلى الاحساء قبل وصول باقي قواتهم المهزومة من مصر، واستولى عليها، لكن جيشه عاد وانهزم امام القوات القرمطية العائد من مصر [٣].

لقد كان الطرفان بحاجة لبعضها البعض، فالقرامطة كانوا بحاجة للتحالف مع الخلافة العباسية والبويهيين والحصول على مساعدتها للوقوف بوجه الفاطميين، وبالمقابل كان البويهيون بحاجة إلى القرامطة للوقوف بوجه المد الفاطمي. لكن عندما كانت الفرصة مؤاتية لاحدهما للقضاء على الاخر، فلا يتردد كما فعل عضد الدولة.

لذلك سنرى الطرفين يعودان لحالة المهادنة والمصالحة، رغم محاولة عضد الدولة الفاشلة. ففي سنة ٣٦٧ / ٩٧٧ استعان عضد الدولة بهم في حربه ضد عز الدولة بختيار للاستيلاء على العراق [٤]. وفي هذه الاثناء قام قائد قرمطي هو أبو بكر بن شاهويه بفتح الكوفة وسوادها [٥] باسم عضد الدولة. وباتت علاقات الجانبين حسنة، حتى أنه كان للقرامطة ممثل رسمي في بغداد هو ابو بكر بن شاهويه نفسه، وكان يتمتع بنفوذ واسع داخل البلاط البويهي. وقام عضد الدولة باقطاعهم اقطاعاً في واسط [٦]. وسبق لعز الدولة بختيار أن فعل الشيء نفسه [٧].

لكن العلاقات بين الجانبين عادت لتشهد انتكاسة حقيقية منذ سنة ٣٧٣ / ٩٨٣. ولم يكن الامر بسبب عدم ميل صمصام الدولة لهم، او رغبتهم في الاستفادة من وفاة عضد الدولة وتنازع ابنائه من بعده، بل كان بالدرجة الأولى بسبب التغيير الذي طرأ على موقف القرامطة من الفاطميين. وكانت هذه النقطة موضع صراع داخل القرامطة. فعندما تولى جعفر واسحق قيادة

---

(١) ابن الأثير، جـ ٦ ص ٤٢.
(٢) ابن حوقل، ص ٣٤.
(٣) زكار، قرامطة، ص ١٠٧.
(٤) الذهبي، دول، جـ ١ ص ١٦٦.
(٥) الهمذاني، ص ٢٣٣.
(٦) ابن الجوزي، عجائب، و٤٢.
(٧) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ١٢١.

القرامطة، وهما من القرامطة الستة الذين يلقبون بالسادة، مال القرامطة إلى المصالحة مع الفاطميين، مما يعني زوال تحالفهم مع العباسيين والبويهيين. لذلك ففي سنة ٣٧٣ / ٩٨٣ سار القرامطة إلى البصرة لاحتلالها لكنهم عادوا وتراجعوا بعدما صولحوا على مال اخذوه[١]. كذلك اقتربوا في نفس ذاك العام من بغداد، فصولحوا على مال اخذوه وعادوا[٢]. ربما كانت المحاولتان محاولة واحدة. وقد حاول شرف الدولة امير فارس والطامع بانتزاع بغداد من اخيه صمصام الدولة، استمالتهم إلى جانبه، فبعث سنة ٣٧٤ / ٣٨٤ برسول اليهم[٣]، لكن محاولته لم تسفر عن أي نتيجة، بل ان أبا بكر بن شاهويه صاحب القرامطة المقيم في بغداد كان هو وراء اخراج عُمان من أيدي شرف الدولة والخطبة بها لصمصام الدولة (أنظر سابقاً). لكن في العام التالي، انقلبت الآية، وقام اسحق وجعفر، بمهاجمة الكوفة[٤] والاستيلاء عليها وإقامة الخطبة فيها لشرف الدولة بدلا من صمصام الدولة، وادعيا بأن سبب حملتها، اعتقال صمصام الدولة لنائبهما في بغداد أبي بكر بن شاهويه.

كيف نفسر هذه التناقضات في موقف القرامطة تجاه البويهيين في هذه الفترة اي خلافهم مع صمصام الدولة أمير العراق، ثم الخطبة له في عُمان، ثم مهاجمتهم للكوفة وانتزاعها منه والخطبة فيها لمنافسه شرف الدولة؟

نعتقد أن بعد محاولتهم التقدم نحو البصرة وبغداد سنة ٣٧٣ / ٩٨٣ أدرك صمصام الدولة التحول الذي طرأ على موقف القرامطة. لكن لا هم كانوا قادرين على التغلب عليه، ولا هو كان يجرأ على مهاجمتهم. لذلك فإن الخطبة لصمصام الدولة بدلا من شرف الدولة في عُمان، والعكس في الكوفة لم تكن سوى من باب كسب احد الاطراف البويهية إلى جانبهم وأيضاً على سبيل التعمية والتضليل. وجاء إعتقال صمصام الدولة لابن شاهويه بمثابة اعلان القطيعة التامة بين الجانبين. عندها شن القرامطة هجومهم على الكوفة، ورغم الانتصارات التي حققوها في بداية الامر ودخولهم الكوفة ظافرين، عاد صمصام الدولة، بمساعدة الاعراب، وهزمهم هزيمة شنعاء لم تقم لهم من بعدها قائمة «وزال من حينئذ ناموسهم» على حد تعبير ابن الجوزي وابن الاثير[٥]. اذ لم يمض على هذه المعركة ثلاث سنوات حتى قام احد زعماء الاعراب في الجزيرة العربية والذين ما عادوا ينقادون لهم، ويعرف باسم الأصفر من بني المنتفق وجمع جموعاً وحاصرهم في الاحساء سنة ٣٧٨ / ٩٨٨

(١) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ١٢١.
(٢) ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٢٢.
(٣) ذيل، ص ١٠١ ـ ١٠٢.
(٤) ذيل، ص ١٠٩ ـ ١١٠. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ١٢٦، عجائب و٤٢. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٢٨.
(٥) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ١٢٦. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٢٦.

واخذ القطيف منهم [1]. ومنذ ذاك الوقت قام هو وغيره من زعماء البدو بقبض الجزية والمكوس التي كانت تدفع سابقاً للقرامطة.

لقد مرت علاقة البويهيين بالقرامطة في ثلاث مراحل: المهادنة، التحالف ثم الصراع. ولم يكن موقف البويهيين من القرامطة في مرحلتي المهادنة والتحالف بسبب اصولها « الشيعية » كما قد يظن البعض، اذ لم يكن البويهيون يبنون حساباتهم وعلاقاتهم مع القوى الخارجية على أساس هذه النقطة ـ عدا ان القرامطة انفسهم كانوا ينظرون إلى كل من ليس على مذهبهم بأنه كافر ـ انما فرضتها ظروف الطرفين الداخلية والخارجية.

د ـ فارس والفاطميون

لم يكن القرامطة هم الخطر الذي يهدد البويهيين. فقد قامت الدولة البويهية، في الوقت الذي توقف فيه تصاعد قوة القرامطة، وبدأوا مرحلة الانحدار. انما كان مصدر الخطر الحقيقي الذي هدد البويهيين هو الفاطميون أئمة الدعوة الاسماعيلية ومؤسسو دولتها. فقد قامت دولتهم وتعاظمت وشهدت عز قوتها وتوسعها فيما كان الجيل الثاني من البويهيين يشهد خلافات داخلية حادة. واخذ الاضطراب يعم ممالكهم مبشراً ببداية تدهور دولتهم.

وبسرعة كبيرة، تمكن الفاطميون بعد استيلائهم على مصر سنة ٣٥٨ / ٩٦٨ من انشاء امبراطورية واسعة الارجاء. فلم تكد تحل سنة ٣٦٠ / ٩٧٠ حتى امتد سلطانهم على افريقيا الشمالية والشام وبلغ نهر الفرات، وخطب لهم في اليمن، ومنذ سنة ٣٦٣ / ٩٧٣ في مكة والمدينة، وباتوا يملكون من الامكانات ما يتيح لهم توسيع رقعة نفوذهم وكسب الانصار والمؤيدين بالمساعدات والاغراءات، وفوق كل ذلك عن طريق بث الدعوة وتوسيع حدودها، فكان لهم « دعاة منبثون في كل صقع وناحية » وكما قال الخليفة المعز لدين الله في رسالة لاحد قواد القرامطة سنة ٣٦٢ / ٩٧٢ « وما من جزيرة في الارض ولا اقليم الا ولنا فيه حجج ودعاة يدعون الينا... بتصاريف اللغات واختلاف الالسن » [2]. فكان لهم دعاة في خراسان عند الساسانيين والغزنويين، وكادوا ان يحققوا بعض النجاح عندما بدأ السلطان نصر بن أحمد الساماني بالميل اليهم لكن قواده منعوه واطاحوا به [3]. كما لم يتردد الحاكم بأمر الله بدعوة محمود بن سبكتكين الغزنوي المعروف بتعصبه الشديد للسنة للدخول في طاعته [4]. وكانت بلوخستان تعترف لهم بالسيادة كما كانوا قوة في جرجان [5]

---

(١) ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٣٦.
(٢) متز، جـ ٢ ص ٧٣ ـ ٧٤.
(٣) سياسة نامه، ص ١٩٢ ـ ١٩٣.
(٤) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٤٧.
(٥) متز، جـ ٢ ص ٧٣ ـ ٧٤.

وخطب لهم عدد من أمراء الجزيرة، مثل بني عقيل في الموصل والانبار والمدائن والكوفة [١] سنة ٤٠١ / ١٠١٠.

وكان النزاع بين الفاطميين والعباسيين على أشد ما يكون في ما يتعلق بمكة والمدينة، وقد بدأ هذا الصراع منذ سنة ٣٤١، أي حتى قبل امتلاك الفاطميين لمصر، لأن امتلاكها اصبح له شأن أكبر من ذي قبل فلم تكن توجد من قبل مناسبة للبحث في علامة الخليفة الحقيقي، أما الان فقد ظهرت في ثنايا النزاع حول هذا المنصب نظرية جديدة وهي أن أمير المؤمنين الحقيقي هو من كان ملكاً للحرمين [٢].

من هو الشيعي الحقيقي، الفاطميون أم البويهيون، ومن الذي عليه أن يقدم الطاعة للاخر. هذه هي احدى المسائل التي كان على البويهيين مواجهتها بوجه الفاطميين، الذين نجحوا في أن يكون لهم بعض الاحترام والتقدير لدى الشيعة عامة، بفضل الانتصارات التي حققوها، وتبرئهم من أعمال القرامطة ثم صراعهم معهم، ومساعداتهم لآل البيت.

كذلك كان على البويهيين مواجهة الغزو التجاري الفاطمي، فمن الاكيد، انه في حوالي سنة ٣٩١ / ١٠٠٠، توقفت تجارة المحيط الهندي نحو الغرب من استعمال طريق الخليج الفارسي، لتأخذ طريق البحر الاحمر [٣]. كما زادت البضائع المصرية من منافستها للمنتوجات العباسية كالنسيج خاصة.

ان تعاظم قوة الفاطميين بتلك السرعة واقترابهم من الممالك البويهية بعد استيلائهم على الشام والخطبة لهم عند الحمدانيين [٤] سنة ٣٥٩ / ٩٦٩ وفي مكة والمدينة منذ ٣٥٨ / ٩٦٨ وانتشار انصارهم في المقاطعات البويهية خاصة بغداد، فارس، الاهواز، قد أخافت البويهيين الذين سارعوا للتحالف مع القرامطة كما رأينا سابقاً للوقوف بوجه المد الفاطمي.

ولا شك أن هذا التحالف، قد أخاف بدوره الفاطميين. فشجاعة القرامطة وتضحياتهم وعزيمتهم القديمة يضاف اليها امكانات البويهيين هي بدون شك مصدر خطر على الدولة الفاطمية. وعندما تم للحسن الاعصم احتلال دمشق وهزم القائد الفاطمي جعفر بن فلاح وهدد بالمسير إلى القاهرة، ارتعب الفاطميون وكان الخوف الذي انتاب جوهر القائد الفاطمي، حافزاً على بناء القاهرة بشكل يجعلها قادرة على صد هجوم قرمطي محتمل [٥]، واخذ يحث سيده المعز ليأتي الى مصر ليمارس تأثيره الشخصي فيها.

---

(١) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٢٥٤.

(٢) متز، جـ ١ ص ٢٤.

(٣) EI², art, Buyides, T.I. p.1394. Voir Ashtor, the Near East, p.195.

(٤) الهمذاني، ص ٢٠٤.

(٥) De Coeje, Mémoires, p.188-189.

ورغم هزيمة الحسن الاعصم امام الخليفة الفاطمي المعز سنة ٣٦٣ / ٩٧٣ وهزيمة اخيه جعفر الذي تابع مناهضته للفاطميين، أمام الخليفة العزيز سنة ٣٦٨ / ٩٧٨، الا أن الفاطميين لم ينجحوا في اخضاع القرامطة. في هذا الوضع نستطيع أن ندرك الاسباب التي دفعت بالخليفة الفاطمي العزيز لإرسال رسول إلى عضد الدولة حاملا معه كتاباً اليه.

ويبدو ان الطرفين تبادلا الرسائل اكثر من مرة. ويذكر ابن الجوزي ان العزيز ما زال يبعث إلى عضد الدولة برسالة بعد رسالة حتى اجابه هذا الاخير بما مضمونه صدق الطويه وحسن النية [1].

ومن أسباب هذه المراسلات، ما يعود إلى وصول اشاعات إلى مصر عن عزم عضد الدولة على غزوها. ويذكر مسكويه تحت اخبار سنة ٣٦٩ / ٩٧٩ ان عضد الدولة كان يتطلع إلى مصر خاصة وإلى بلاد الروم لكن انشغاله بمحاربة عمران بن شاهين واخضاع أخيه فخر الدولة حالت دون ذلك [2].

علينا أن نلاحظ، أن هذه المراسلات جرت في الوقت الذي بلغ فيه عضد الدولة اوج قوته وعظمته، فوحد مملكته وقضى على الامراء المحليين واخضع كل المتمردين واستولى على مملكة الحمدانيين وبات يهدد مناطق الفاطميين في الشام، فيما كان صراع القرامطة مع اسيادهم السابقين، أي الفاطميين مستمراً.

لا شك أن العزيز قد تهيب احتمال تنشيط التحالف القرمطي - البويهي، وبالتالي حاول بمراسلة عضد الدولة فك هذا التحالف، وثني البويهيين عن فكرة مهاجمة الخلافة الفاطمية. وهذا ما حصل، فأجاب عضد الدولة العزيز بما يؤكد حسن نواياه تجاه الفاطميين.

لقد تصرف عضد الدولة مع الفاطميين، كما تصرف عمه معز الدولة من قبل مع القرامطة. تهديد بالغزو دون الاقدام عليه. فهل كان عضد الدولة يخاف عواقب هذه المغامرة؟ خاصة وهو ما زال خارجاً من مجموعة حروب داخلية لتوحيد مملكته، والتي، رغم الانتصارات التي حققها، قد كلفته كثيراً. أم أن الطرفين كانا بحاجة إلى كسب الوقت لتأخير الصدام، ريثما تنجلي بصورة أوضح موازين القوى بينهما، وخاصة لمعرفة حقيقة الموقف القرمطي؟ فالطرفان كانا على علم بالصراع الدائر داخل القرامطة بين من يدعو للعودة إلى التحالف مع الفاطميين، وبين من يدعو إلى الاستمرار في مناهضتهم وبالتالي استمرار التحالف مع البويهيين. وربما لهذا قبل عضد الدولة بوجود ممثل للقرامطة في بغداد وأعطاه دوراً مهماً في الحياة السياسية، وأيضاً منحهم بعض

---

(١) مسكويه، جـ ٢ ص ٤١٢. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٩٨. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٠٢. الذهبي، دول، جـ ١ ص ١٦٦. Bürgel, Hofkorrespondenz, p.148-149.

(٢) مسكويه، جـ ٢ ص ٤١٢.

الاقطاعات تقرباً منهم وشدهم إلى جانبه. كما وأن الطرفين كانا يعلمان مدى قوة الطرف الآخر مما أدى إلى هدنة الاقوياء، بانتظار فرصة أخرى.

ومع استبعاد الصراع العسكري، شهدت العلاقات الفاطمية - البويهية صراعاً سياسياً عبّر عن نفسه بصورتين: الاولى محاولة كل طرف فرض هيبته وسطوته على الطرف الآخر، والثانية الطعن بشرعية حكمه.

وفي الحالة الاولى، نشطت الجاسوسية بين الجانبين، وقد اهتم عضد الدولة بتنظيم وتوسيع نظام الجاسوسية، وكان له في مصر عدد من الجواسيس. وينقل لنا الروذراوري عن كتاب تاريخ هلال الصابي، قصة مفادها، أن أحد جواسيس عضد الدولة العائدين من مصر اخبره انه دفع لبائع حلوى في مصر درهما تاجياً (نسبة إلى لقب عضد الدولة تاج الملة)، فرفض البائع قبض الدرهم وشتمه وشتم الآمر بضرب الدرهم أي عضد الدولة. فما كان من هذا الاخير الا أن بعث باحد جواسيسه إلى مصر وكلفه باحضار ذلك البائع إلى بغداد حيلة. فتم الامر، واعتقل البائع لدى عضد الدولة، ثم افرج عنه ليعود إلى مصر متحدثاً بما جرى معه. فعمت هيبة عضد الدولة في مصر وانتشر صيته[1].

وبالمقابل يخبرنا ابن الجوزي سنة ٣٧١ / ٩٨١ «أنه كان على صدر عضد الدولة زبزب على صورة السبع من فضة. فسرق، وعجب الناس كيف يسرق رغم هيبة عضد الدولة المفرطة وكونه شديد المعاقبة على أقل جناية، ثم قلبت الارض في البحث عن سارقه فلم يعرف، ويقال ان صاحب مصر دس من فعل هذا»[2]. ان هذه القصة، وبغض النظر عن مدى دقتها، تظهر ما كان للخليفة الفاطمي من هيبة في مملكة البويهيين، حتى كان ينسب له فعل أي شيء.

أما الشكل الاخر للصراع، أي الطعن في شرعية حكم الفاطميين فان ما حدث سنة ٣٧٠ / ٩٨٠ بين عضد الدولة والخليفة الفاطمي العزيز يعبر عن ذلك.

ذلك أن العزيز في احدى رسائله لعضد الدولة سنة ٣٦٩ / ٩٧٩ وصف نفسه فيها بسليل النبي ﷺ فرد عليه عضد الدولة بأدب، ثم استدعى كبار العلويين وسألهم عن صحة ذاك الادعاء. فأجمعوا على أن الفاطميين ليسوا من آل علي، وبالاضافة إلى ذلك فحصت انساب العائلة العلوية، ووثائقها محفوظة في خزائن بغداد فلم يعثر لانتساب الفاطميين إلى محمد بن اسماعيل على اثر. فما كان من عضد الدولة إلا أن أنفذ إلى العزيز سفيراً يأمره باثبات كيفية اتصال نسبه بالنبي ويهدده بغزو مصر اذا عجز عن الاستجابة لطلبه. عندئذٍ اصطنع العزيز نسباً نشر في كل مكان ولكنه لم يصل إلى البلاط البويهي لان السفير قتل في طريق عودته إلى بغداد، فلما علم عضد الدولة بذلك أمر

---

(١) ذيل، ص ٦٠ - ٦٤.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ١٠٧. Bŕgel, Hofkorrespondenz, p.151.

باحراق كتب الفاطميين واستعد للقيام بحملة على مصر ولكنه لم ينفذ عزمه [1].

والملاحظ أن تهديد عضد الدولة بغزو مصر يأتي في نفس العام الذي اشار اليه مسكويه اي سنة ٣٦٩ / ٩٧٩، مما يساعد في تفسير رواية مسكويه.

والواقع أنه لم يبق للبويهيين خاصة في مرحلة حكمهم الاخير، من سلاح لمحاربة الفاطميين سوى هذا السلاح، فمع تقدم الفاطميين في الشام والخطبة لهم عند بعض الامراء العرب والاكراد في الجزيرة وازدياد انصارهم داخل المملكة البويهية، وتعاطف الشيعة عامة معهم، عن طريق المساعدات المباشرة التي قدموها لاصلاح احوال المناطق التي تضم اكثرية شيعية داخل الخلافة العباسية كالكوفة [2] مثلا، وفوق كل ذلك مع ازدياد الفتن الطائفية بين السنة والشيعة داخل بغداد، واحساس الشيعة بوجود حام لهم في مصر يستنجدون به كما حصل عام ٣٩٨ / ١٠٠٧، حيث ارتفع صياح العامة من الشيعة، اثناء الفتنة التي وقعت ذاك العام، بنداء «حاكم يا منصور» [3]، وهو نداء استغاثة بالخليفة الفاطمي، أمام كل هذا، وحالة الضعف التي آلت اليها احوال البويهيين لم يبق امامهم سوى استعمال سلاح الطعن بمذهب الفاطميين لمواجهة المد الفاطمي خاصة في الداخل.

ففي سنة ٤٠٢ / ١٠١١ عقد الخليفة القادر بالله اجتماعاً لكبار رجال الدين والقضاة والفقهاء وعلى رأسهم زعماء العلويين، انتهوا فيه إلى بيان علني أذيع على الناس بتكفير الفاطميين واتهامهم بالفسق والزندقة [4]. وتكرر الامر في السنوات التالية واذيعت بيانات اخرى بحق المعتزلة وبقية «الروافض» [5].

لقد صدرت هذه البيانات عن الخليفة العباسي وكبار رجال الدين والقضاة، ولم تحمل توقيع أي من البويهيين. إلا أنه رغم ذلك، فان أمراً كهذا ما كان ليتم الا برضاهم.

ورغم كل ذلك، فقد كاد الفاطميون أن يحققوا نصراً كبيراً في فارس قلب الدولة البويهية وعلى يد أميرها الملك أبي كاليجار نفسه، لولا لم يتراجع في اللحظة الاخيرة ويسحب تبنيه للدعوة الفاطمية.

ذلك، ان فارس كانت دائماً مركزاً للتشيع، رغم أن الشيعة فيها بمختلف طوائفهم ما كانوا يشكلون سوى أقلية ضئيلة من مجموع سكانها. وكان أكثر شيعة فارس متمركزين على السواحل [6]

---

(١) De Coeje, mémoires, p.8. Bürgel, Hofkorrespondenz, p. 151.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ٩١.

(٣) المصدر نفسه، جـ ٧ ص ٢٣٧ - ٢٣٨.

(٤) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٢٦٣.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ٤١، ٤٥، ١٠٩، ١١١.

(٦) المقدسي، ص ٤٣٩.

التي تتصل اتصالاً وثيقاً بالبحرين وعُمان والعراق. وكانت فارس أصلاً مركزاً لجميع أصحاب الدعوات الدينية والفكرية. فمنها خرج الحلاج من أهل مدينة البيضاء، وأبو سعيد الجنابي القرمطي من جنابة وأبو جعفر الشلمغاني وغيرهم[1]. كما كانت مليئة بالصوفية والزهاد.

وكان القرامطة قد بدأوا دعوتهم فيها على أيدي داعيهم أبي سعيد الجنابي حوالي سنة ٢٦٥ تقريباً، والأرجح أنهم كانوا هم دعاة الفاطميين في تلك الفترة، ولا نعلم متى استقل دعاة الفاطميين في عملهم بفارس عن القرامطة، والأرجح أن ذلك حدث اثر الخلاف الفاطمي ـ القرمطي، أو ما اذا كان لهم أصلاً دعاة مستقلين في تلك الفترة.

لكن، وكما يخبرنا هبة الله المؤيد الشيرازي في كتابه، فقد كان للفاطميين داع بفارس في نهاية القرن الرابع الهجري هو موسى بن عمران والد المؤيد، الذي كان حجة فارس أيام الوزير أبي غالب الواسطي وزير بهاء الدولة وسلطان الدولة، والذي تولى الوزارة ثلاث مرات في سنوات ٣٩٧ / ١٠٠٦ و ٤٠٩ / ١٠١٨ و ٤١٢ / ١٠٢١، وقد تمتع هذا الداعي الفاطمي موسى بن عمران بمكانة عالية حتى أن الوزير فخر الملك زاره أكثر من مرة في منزله[2].

خلف هبة الله أباه في منصبه، حجة فارس، واتخذ لنفسه لقب المؤيد لدين الله. ويبدو من كلام المؤيد أن أنصاره كانوا قوة في فارس ويشير اليهم بكلمة ديلم[3]. مما يعني أن أكثرهم كانوا ديالمة، وكانوا متواجدين بشيراز وفسا بشكل أساسي[4]، كما كانت لهم مناطق مختصة بهم كسوق الدواب بشيراز[5]. وكانت السلطة تحسب حسابهم وأحياناً كانوا ينجحون بالضغط عليها، كما حصل عند صدور الامر بترحيل المؤيد من شيراز، فشغبوا حتى ألغي الأمر[6].

أما علاقة الداعي بجماعته فكانت منظمة ومحكمة جداً كما هي دائماً. فكانوا يعقدون مجالسهم بصورة منتظمة، وكان المؤيد مرجعهم في كل شيء «حتى اذا اختصم أحدهم مع أهله ليلا فانه يباكرني شاكياً اليّ»[7]. كذلك كانت الصلات منظمة ودائمة بين داعي فارس وامامه في مصر أي الخليفة الفاطمي[8].

ومع تزايد اتباع المؤيد، سيبدأ الصدام مع الأكثرية السنية في الأقليم. ففي سنة ٤٢٩ / ١٠٣٧

(١) ابن حوقل، ص ٢٥٧ ـ ٢٥٩.
(٢) سيرة المؤيد، ص ١٥.
(٣) المصدر نفسه، ص ٥٧.
(٤) المصدر نفسه، ص ٩ و١٢.
(٥) المصدر نفسه، ص ٩.
(٦) سيرة المؤيد، ص ٩.
(٧) المصدر نفسه، ص ٩.
(٨) المصدر نفسه، ص ٨.

قام المؤيد واتباعه بالاستعداد للافطار والاحتفال بعيد الفطر قبل أهل السنة بيوم. فثار السنة وقام قاضي البلد والعامة بتهديد الملك أبي كاليجار بالشغب والفتنة اذا لم يضع حداً لاعمال المؤيد. كما هددوا بأنه اذا ما استنجد المؤيد بجماعته من الديلم فانهم سيستنجدون بخصوم الديلم [1] أي الاتراك. وينقل المؤيد عن لسان ابن مافنه وزير ابي كاليجار، أن الملك كان ناقماً عليهم وأنه هدد بقتل المؤيد اذا لم يغادر شيراز [2]. لكن قرار ترحيل المؤيد ووجه من قبل أنصاره بالرفض وهددوا بدورهم بالشغب، عندها كلف أبو كاليجار وزيره ابن مافنه بتلافي القضية وتهدئة الوضع. فاستدعى الوزير قاضي البلد والقصاص والصوفية فزجرهم وهددهم وأوقف قرار ترحيل المؤيد والاكتفاء بالطلب اليه البقاء في داره [3].

وعلى ما يظهر من كلام المؤيد، فان الوزير بهرام بن مافنه الملقب بالعادل، الذي تولى وزارة الملك أبي كاليجار من ٤١٨ - ٤٣٣ / ١٠٢٧ - ١٠٤١، كان متعاطفاً معهم [4]، لدرجة أنه كان يوجه نصائح للمؤيد [5] في ما يتعلق بعلاقاته بأبي كاليجار. وعندما قرر المؤيد الخروج إلى الأهواز مرافقاً لأبي كاليجار على أمل محادثته والتقرب منه، جاءته رسالة من الوزير ينهاه عن ذلك لأن الظرف غير مناسب [6].

وكان الملك أبو كاليجار مناهضاً للمؤيد وللدعوة الفاطمية لكن فجأة تنقلب الآية، ويبدأ ابو كاليجار باظهار اعجابه بالمؤيد ودعوته. ويذكر المؤيد تفسيراً لذلك الانقلاب، انه بعد أن نجح بمساعدة الوزير ابن مافنه من لقاء كاليجار والاجتماع به، اعجب الامير البويهي بالداعي، وامر باجراء مناظرات بينه وبين باقي العلماء المخالفين له من سنة ومعتزلة لاظهار الصحيح من الخطأ. وقد تابع أبو كاليجار هذه المناقشات التي انتهت بانتصار المؤيد على خصومه [7].

اثر ذلك، أعلن أبو كاليجار للداعي، ايمانه بالدعوة الفاطمية قائلاً للمؤيد «اني اسلمت نفسي وديني اليك واني راض بجملة ما أنت عليه» [8]، واتفقا على الاجتماع كل ليلة جمعة لدراسة مبادىء المذهب الفاطمي. والأرجح أن الأمر بقي سراً بين أبي كاليجار والمؤيد، بدليل أن الوزير ابن مافنه المقرب من الاثنين استغرب الانقلاب في موقف ابي كاليجار [9] من بغضه الشديد للداعي إلى

(١) سيرة المؤيد، ص ٥ - ٦.
(٢) المصدر نفسه، ص ٥.
(٣) المصدر نفسه، ص ٩.
(٤) المصدر نفسه، ص ٦.
(٥) سيرة المؤيد، ص ١٢.
(٦) سيرة المؤيد، ص ١٢.
(٧) المصدر نفسه، ص ١٠ - ١٥.
(٨) المصدر نفسه، ص ٤٣.
(٩) سيرة المؤيد، ص ٤٣.

محبته واعجابه الشديد به. ولو كان على علم بما جرى لما وقع الاستغراب.

وليس هناك تاريخ واضح لدخول أبي كاليجار في المذهب الفاطمي. وعلى الأرجح فان الامر قد تم بعد سنة ٤٣١ / ١٠٣٩ وهي السنة التي سار فيها أبو كاليجار إلى الأهواز[١] وحاول المؤيد مرافقته لكنه تراجع بعد نصيحة الوزير له بذلك. وقبل سنة ٤٣٣ / ١٠٤١ وهي السنة التي توفي الوزير ابن مافنه. اذ ان دخول أبي كاليجار في المذهب الفاطمي تم وابن مافنه ما زال حياً[٢].

أخذ المؤيد يعمل أثر ذلك، بشكل علني هو وجماعته، بعد أن بات في حمى الملك أبي كاليجار، فذهب إلى الاهواز وجمع أنصاره وكانوا كثراً فيها[٣]، واتخذ من مسجد مهدم مكاناً لاجتماعهم وأصلحه وعمَّر منبره ووضع عليه لوحة من الذهب عليها أسماء الائمة من أبناء علي إلى المستنصر الفاطمي. ثم أخذ يدعو لهذا الامام علانية في خطبة الجمعة، الأمر الذي أثار أهل السنة خاصة قاضي الاهواز الذي بلغ من غضبه ان كتب إلى الخليفة العباسي ينعي فيه خلافة بني العباس ويشير عليه أن يرسل إلى أبي كاليجار رسولاً ويعتقل المؤيد[٤].

لقد فتحت هذه الحادثة عيون الخليفة على ما يجري في فارس، وأثيرت ضجة كبرى حول الموضوع حتى قال ابو كاليجار بأن الضجة التي سببها المؤيد كادت تخرق الأرض وتشق الجبال وبأن الخليفة بعث بكتاب مع رسوله ابن مسلمة يهدد بالعظائم والتوعد بطغرل بك السلجوقي[٥].

هذه المرة لم يكن في بلاط أبي كاليجار من يدافع عن المؤيد. اذ جرت هذه الحادثة بعد وفاة الوزير ابن مافنه، وتولى الوزارة من بعده وزير سني شديد التعصب لاهل السنة، هو مهذب الدولة أبو منصور بن أحمد الفسوي الذي يطلق عليه المؤيد في كتابه اسم المارق، والذي عمد منذ توليه الوزارة سنة ٤٣٣ / ١٠٤١ إلى التحامل على المؤيد وتحريض أبي كاليجار عليه. كما استغل حادثة مسجد الاهواز ليزيد من حملته على الداعي الفاطمي.

وامام تصاعد الحملة، أمر الملك أبو كاليجار، المؤيد بالبقاء في منزله بشيراز وعدم مغادرته[٦]. وأخذت مكانته منه بالهبوط. ثم أمره بمناظرة احد كبار العلويين، وأعلن في نهاية المناظرة، بأن مناظرة العلوي خير منه ومن جميع أبناء القداح. عندها ايقن المؤيد أن أبا كاليجار قد تخلى عنه، وأن حياته نفسها باتت في خطر. خاصة وأن رسول الخليفة، وزيره ابن مسلمة وصل

---

(١) ابن الأثير، جـ ٨ ص ٢٠.
(٢) سيرة المؤيد، ص ٤٣.
(٣) سيرة المؤيد، ص ١١.
(٤) المصدر نفسه، ص ٥٥ ـ ٦٤.
(٥) المصدر نفسه، ص ٦٤.
(٦) سيرة المؤيد، ص ٦٤.

إلى فارس مطالباً باعتقال المؤيد [1].

لقد تم خروج أبي كاليجار من المذهب الفاطمي أواخر سنة ٤٣٤ / ١٠٤٢ بداية ٤٣٥ / ١٠٤٣ على الأرجح. اذ نعلم أن المؤيد قد فر اثر ذلك من شيراز إلى جنابة حيث وجد الجميع يبحثون عنه لاعتقاله، فانتقل إلى الاهواز وأقام في منزله هناك بشكل علني واستقبل أنصاره ثم اضطر للفرار إلى الجزيرة الدبيسية بجوار خوزستان حيث وعده صاحبها بالتوسط بينه وبين أبي كاليجار [2]. لكن وفاة جلال الدولة أمير العراق ورغبة أبي كاليجار بخلافته قضت على أية آمال بالمصالحة. اذ لا يعقل أن يملك أبو كاليجار بغداد دون رضاء الخليفة المناهض للفاطميين وكانت وفاة جلال الدولة في شعبان سنة ٤٣٥ هـ.

اذاً، ما بين ٤٣٢ - ٤٣٥ / ١٠٤٠ - ١٠٤٣، دخل امير فارس البويهي أبو كاليجار في الدعوة الفاطمية عن طريق داعيها بفارس المؤيد الشيرازي، ولكن بصورة سرية. فهل حقاً كان ذلك نتيجة ايمانه بالمعتقدات الاسماعيلية، أم ان الامر لا يعدو مناورة سياسية تخلى عنها عندما بدا أنها ستكلفه غالياً؟

نعتقد ان الاحتمال الثاني هو الارجح، وما يدفعنا إلى هذا الاستنتاج، ذاك الانقلاب المفاجىء بين سنوات ٤٢٩ و ٤٣٢ في مواقف أبي كاليجار من الدعوة الفاطمية. ولكن عندما نعلم أن تلك الفترة شهدت بداية التقدم السلجوقي وترسيخ دعائم دولتهم باحتلالهم لنيسابور وسرخس سنة ٤٢٩ / ١٠٣٧ ثم تثبيت سيطرتهم الكاملة على خراسان [3] سنة ٤٣٢ / ١٠٤٠ لأدركنا سر ذاك التبدل الفاجىء في مواقف ابي كاليجار. ذاك ان الامير البويهي كان بحاجة إلى حليف قوي لمساعدته بالوقوف في وجه المد السلجوقي الجارف، ومن غير الفاطميين في تلك الفترة قادر على مساعدة الامير البويهي؟ وما يؤكد ذلك تلك الرسائل المتبادلة بين الطرفين عن طريق الداعي المؤيد الشيرازي الذي ينقل لنا نص احد رسائل أبي كاليجار له بعد اختلافهما وانسحاب الامير البويهي من الدعوة الفاطمية. وفي هذه الرسالة يطلب أبو كاليجار من الداعي ابلاغ الخلافة الفاطمية بأن خطر السلاجقة يهددهم أيضاً كما يهدده. وأن وقوف جيوشه بوجه السلاجقة، هو الذي حال دون تقدمهم باتجاه مصر [4]. ولذلك يطلب التعاون لصد هذه الهجمة السلجوقية، وبأن هذا التعاون هو لمصلحة الفاطميين أيضاً [5].

ان اصرار أبي كاليجار على ابقاء صلاته بالفاطميين وطلب التعاون لصد السلاجقة، رغم

---

(١) المصدر نفسه، ص ٦٤ - ٦٨.

(٢) سيرة المؤيد، ص ٦٨ - ٧٤.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ٩٩ و١٠٧. ابن الأثير، جـ ٨ ص ١٧، ٢٥، ٢٧.

(٤) سيرة المؤيد، ص ٧٧.

(٥) المصدر نفسه، ص ٧٧.

انسحابه من المذهب واضطرار المؤيد إلى الهرب من فارس يؤكد أن دخوله في الدعوة الفاطمية كان للتقرب من الفاطميين والحصول على مساعداتهم. لكن عندما تبين له أن الأمر غير مضمون النتائج، وأن ذلك سيكلفه نقمة الخليفة واضطراب الاحوال عليه في فارس وخسارة حكم العراق، تخلى عن المؤيد وان بقي يسعى للحفاظ على علاقاته بالفاطميين.

ان انتهاء العلاقة بين أبي كاليجار والفاطميين على تلك الصورة، لم ينه محاولاتهم الدؤوبة للقضاء على الخلافة العباسية. بل ان تلك العلاقة اثمرت المزيد من الانصار، وبروز شخصية الداعي المؤيد الذي سيكمل من مصر مقره الجديد والتي وصلها سنة ٤٣٧ / ١٠٤٥، مهمته وبدعم كامل من الخليفة الفاطمي مباشرة. وسيتمكن المؤيد من كسب العديد من امراء الجزيرة إلى جانبه، واستغل بمهارة الخلاف الذي وقع بين الخليفة وقائد جيش البويهيين البساسيري الداعي للوقوف بوجه السلاجقة والمعارض لاتصالات الخليفة ووزيره بطغرلبك. واتصل المؤيد بالبساسيري وقدم له المساعدات المالية والعسكرية، وأمن له التحاق عدد من امراء العرب والاكراد به، الامر الذي مكنه بعد ذلك من احتلال بغداد[1] والخطبة فيها للخليفة الفاطمي المستنصر بالله سنة ٤٥٠ / ١٠٥٨. لكن الامر لم يطل به فسرعان ما عاد طغرلبك وقضى على البساسيري وحركته، وثبت سيطرته على الخلافة العباسية.

كانت فارس اذن، في هذه المرحلة احدى المناطق التي نجحت الدعوة الفاطمية في نشر مذهبها داخلها، وضمت صفوفها أنصاراً ومؤيدين متحمسين من بين سكانها، حتى باتوا قوة علنية يحسب لها بعض الحساب. وسيزداد نمو هذه الفرقة فيما بعد، وستزداد قوة وخطراً أيام السلاجقة، حيث خرجت من صفوف المذهب الفاطمي واثر الخلاف الذي وقع بين أئمته، اطراف متطرفة عرفت بأسماء متعددة الاسماعيليين والحشاشين، وغير ذلك. اتخذوا من قلاع فارس وكرمان واصفهان وخوزستان وخراسان وما وراء النهر مراكز لهم[2].

يبقى أن نشير في هذا السياق إلى تلك الاتهامات التي وردت عند بعض المؤرخين والتي تلمح إلى ارتباط بعض امراء بني بويه بالدعوات الباطنية والاسماعيلية.. وأهمها ما ورد في السيرة المؤيدية حيث يذكر الداعي الفاطمي في رده على اتهامات أبي كاليجار له بأنه يسعى بالفساد وايقاع الفتنة في المملكة، بأنه لو كان ما يدعو اليه يؤدي إلى الفساد، لما سكت عنه، أي عن المذهب الاسماعيلي، ملوك بني بويه السابقين « ولما كان أكثرهم يؤثره لنفسه ديناً لقي الله تعالى به »[3].

---

(١) سبط، جـ ١٢ و١٣ - ١٤، ٢٤. سيرة المؤيد، ص ٩٦ - ١٢١. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ١٦٤ - ٢١٢. EI², art Basasiri T.I. p.1105-1107.

(٢) ابن الأثير، جـ ٨ ص ٢٠٠ - ٢٠٣.

(٣) سيرة المؤيد، ص ١٣ - ١٤.

ان كلام المؤيد عن أن بعض امراء البويهيين قد ماتوا وهم على المذهب الاسماعيلي، لا يستند إلى أية اثباتات، ولا يعدو ان يكون مجرد كلام يبغي منه المؤيد جذب أبي كاليجار إلى الدعوة، وتسهيل الامر عليه. والا، لماذا لم يذكر المؤيد أسماء هؤلاء الامراء، خاصة وقد ذكر فيما بعد قصة دخول أبي كاليجار بالدعوة، كما أنه لم يتردد في كتابه من ذكر بعض الامور التي يحمل تفسيرها اساءة لامامه الفاطمي بالذات. وأخيراً فان الكتاب كتب وقد زالت الدولة البويهية، ولم يعد هناك من موجب لحجب اسماء أولئك الامراء المتوفين.

كذلك الامر بالنسبة لما أورده صاحب كتاب النجوم الزاهرة، من مضمون احدى رسائل الخليفة الفاطمي العزيز إلى عضد الدولة، ويذكر ابن تغرى بردى أن عضد الدولة كتب إلى العزيز يقر له أنه من أهل البيت وأنه في طاعته[١]. لكن هذا يتنافى مع ما أشرنا اليه حول علاقة عضد الدولة بالفاطميين (أنظر سابقاً).

وهناك أخيراً، ما ذكر عن أمير الري مجد الدولة، بأنه كان على مذهب الباطنية، وقد وجد أنه متزوج خمسون امرأة[٢]. وفي رواية اخرى تسع[٣]. واستندت هذه الاتهامات على الرسالة التي بعث بها السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي إلى الخليفة القادر، بعد استيلائه على الري واعتقاله لمجد الدولة. وكان السلطان محمود معروفاً بتعصبه الشديد لأهل السنة، ومحاربته لأهل الفرق الأخرى دون تمييز بينها. والواقع أننا لا نملك ما يؤيد او ينفي ما ذكره السلطان محمود في رسالته. إلا أنه، وحتى لو افترضنا صحة ما قاله الغزنوي فهذا لا يمكن أن ينعكس على موقف الاسرة البويهية.

وخلاصة الامر، أن فارس كانت احدى مناطق نشاط الدعوة الفاطمية، كما شكل الديلم نواة الحركات الاسماعيلية في ايران خاصة مع زوال دولتهم وقيام الدولة السلجوقية السنية. وكما كانت الحال مع القرامطة، فقد اعتمد البويهيون في علاقاتهم مع الفاطميين سياسة المهادنة اذا لم يكن بمقدورهم مهاجمة ذاك المنافس الخطير، الذي نجح في التقدم إلى المواقع المحيطة بالممالك الويهية: سوريا، الجزيرة، مكة والمدينة، وان يكون لهم أنصار وأتباع داخل الدولة البويهية، في فارس وكرمان والري واصفهان. ومع التقدم السلجوقي حاول أمير فارس البويهي أبو كاليجار التعاون مع الفاطميين لوقف السلاجقة، لكنه لم ينجح في خطته.

---

(١) النجوم الزاهرة، جـ ٤ ص ١٢٤ - ١٢٥. Bürgel, Hofkorrespondenz, p.148-150.

(٢) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٣٣٥. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ٣٩ - ٤٠.

(٣) سياسة نامه، ص ٩٠ - ٩٢.

ان كثرة الاعداء والمنافسين للدولة البويهية بالاضافة الى صراعاتهم الداخلية وسوء سياسات معظمهم، كانت بدورها أحد الأسباب التي أدت الى ذاك الموقف المشين من الغزو البيزنطي، حيث لم يحرك البويهيون ساكناً أمام التقدم البيزنطي في الجزيرة وسوريا تاركين للأمراء المحليين من حمدانيين ومرداسيين وغيرهم مواجهة ذاك الغزو بحكم وقوع مناطق اماراتهم تحت تهديد الغزو البيزنطي المباشر(١).

لقد قامت السياسة الخارجية للبويهيين على مبدأين: الحرص على بقاء دولهم واهتمام كل امارة باعدائها المباشرين، والثاني تأمين خطوط مواصلاتهم التجارية. من هنا كانت مهادنتهم للقرامطة والفاطميين وترك البيزنطيين يسرحون ويمرحون، ما دام الأمر لم يمسهم مباشرة والاعتداءات لم تطل أراضيهم. هذا الموقف الدفاعي وتلك السياسة القصيرة النظر، أدت الى أن زحف الفاطميون رويداً رويداً حول وداخل المملكة البويهية، وإلى نجاحهم في تحويل التجارة نحو المحيط الهندي، من خليج فارس الى البحر الأحمر، كما أدى استقلال كل امارة في شؤونها الخارجية الى تفتيت قوتهم بوجه الاعداء الخارجيين الأمر الذي مهد لاحقاً لسقوط الدولة البويهية امام ضربات السلاجقة.

(١) Voir, Shaban, Islamic, hist vol 2, p.170-174.

الفصل السابع:

التنظيمات والأجهزة الادارية والسياسية في فارس

التنظيمات والأجهزة الادارية والسياسية في فارس

لم تعد فارس، شأنها قبل السيطرة البويهية، مجرد ولاية مثل سائر الولايات، حيث يقوم الخليفة بتعيين ولاتها وأمراء الجيش وكبار رجال الدولة، وتخضع اعمالها لوزارة بغداد، وتعتبر دواوينها فروعاً لدواوين العاصمة، وتخضع للقرارات والأنظمة المتخذة هناك، وتجبى ضرائبها لصالح الخزينة العامة. بل باتت امارة شبه مستقلة، واحدة من ثلاث امارات تشكل مجتمعة ما عرف « بالدولة » البويهية. لكن في الوقت نفسه تمتعت كل منها باستقلالية ادارية واقتصادية وعسكرية تامة.

كان كل أمير بويهي هو الحاكم الفعلي والوحيد لامارته وللمقاطعات التابعة لها، له وزيره وجيشه وبيت ماله، وسائر الدواوين الاخرى، وهو الذي يتولى تعيين وعزل الوزراء وقادة الجيش والعمال على المقاطعات، ويفرض الضرائب والمكوس ويعلن الحرب... الخ. وكما انتزع أمير العراق البويهي كل صلاحيات الخليفة حتى شاركه بما ابقي له، كالخطبة والسكة، وتعيين القضاة كذلك بات امير فارس يملك كل الصلاحيات التي كانت للخليفة على المقاطعة، واقتصرت علاقته به على الخطبة له في امارته مقابل العهد والخلع والألقاب (أنظر سابقاً).

١ ـ الامارة

كان يتولى امارة فارس، طبقاً لنظام الوراثة المتعدد الذي اتبعه البويهيون، احد أبناء الامير المتوفي، حيث كانت تقسم مملكته فيما بينهم. وأحياناً كان أخوة الامير المتوفي ينافسون ابناءه في وراثته كما جرى بين صمصام الدولة وبهاء الدولة، وابن أخيهما أبي علي بن شرف الدولة (أنظر سابقاً). ولم يكن هناك قاعدة أو تقليد في كيفية توزيع المملكة على الورثة. بل ترك الامر للتنافس فيما بينهم. وباتت القاعدة التي على أساسها يتحدد أمر هذه المقاطعة أو تلك، لمن يستولي عليها أولاً من أولاد الامير المتوفي، ويضمن طاعة الجند فيها له. وكان لاهمية فارس واستقرار احوالها الاجتماعية والاقتصادية، ان باتت هدف يتنازع للسيطرة عليها كل ابناء الامير المتوفي. حتى اننا

نشهد سباقاً حقيقياً بين الابناء للوصول اليها وامتلاكها. فعندما توفي عضد الدولة، كان أول ما فعله خليفته على العراق صمصام الدولة ان ارسل أخويه نائبين عنه إلى فارس وامتلاكها، لمنع أخيهم الاكبر شرف الدولة امير كرمان من امتلاكها قبلهم. لكن وصول شرف الدولة اليها أولاً حسم الامر لصالحه (١).

وغالباً ما تتطلب امتلاك فارس، بعض الحروب الداخلية بين المتنافسين لحسم الامر. وعندما يتم ذلك وعادة ينتهي بمصالحة بين امير فارس والعراق (أنظر سابقاً) يتولى الاخير الاستحصال للاول على الالقاب والخلع والعهد من الخليفة. وينقل لنا الصابي نص العهد (٢) الذي اعطاه الطائع لفخر الدولة صاحب همذان والدينور، وهو باختصار اقرار باطلاق يد الامير على مقاطعته بصورة كاملة.

ولم يكن لوزراء الامير وقادة جيشه دور مباشر في تعيينه أو عزله. وان لعبوا أحيانا دوراً غير مباشر في هذا المجال أدى إلى النتيجة نفسها. وأحياناً أخرى قام بعض قادة الجيش بحركات تمرد ضد الامير لاجباره على تلبية طلباتهم أو تغيير سياسته معهم، إلا أن معظم حركات التمرد تلك لم تجر لمصلحة أمير آخر. وقد رأينا أن أهم حالات التمرد التي قادها قادة الجند خلال العهد البويهي، تمرد روزبهان ضد معز الدولة، وتمرد سبكتكين ضد عز الدولة، كانت إما حركات مناهضة لكل البويهيين كما هي حال روزبهان، أو مناهضة لسياسة اميره كما هي حالة سبكتكين. ولا نعرف سوى حالة واحدة، اتفق فيها قائد جيش أحد الامراء مع أمير آخر للاطاحة بالاول. وهي حالة اتفاق بارسطغان قائد جيش جلال الدولة أمير العراق، مع أبي كاليجار أمير فارس، وانتهب المحاولة بالفشل (أنظر سابقاً). أما تمرد اسفار أحد قادة الديلم على صمصام الدولة في العراق، حيث دعا لطاعة شرف الدولة امير فارس، واقام أخاهما الاصغر بهاء الدولة نائباً عن شرف الدولة في العراق، ورغم أن المحاولة انتهت بالفشل(٣)، إلا أن الارجح ان شرف الدولة لم يكن على صلة مباشرة بحركة تمرد أسفار. وعلى العموم، فكثيراً ما قام الامير البويهي باعتقال قادة جيشه أو وزيره عندما يشعر بتعاظم نفوذهم وقوتهم داخل الامارة.

وكان لكل أمير، «جماعته» من الكتاب والقادة والعمال، يرون مستقبلهم بمستقبله، ومصيرهم بمصيره، دون أن يتعارض ذلك مع محاولات بعضهم لتقوية نفوذهم داخل الامارة وعلى حساب سلطته. إلا أنه، نتيجة الصراعات العنيفة التي وقعت بين الأمراء، بات انتقال كبار رجال الأمير إلى طاعة أمير آخر مسألة صعبة لا تتم إلا بعد عهود ومواثيق كثيرة. فعندما هرب أبو نصر

---

(١) ذيل، ص ٧٩. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١١٥. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٩٠٠.

(٢) الصابي، رسائل ص ١٤١ - ١٤٧.

(٣) ذيل، ص ١٠٤ - ١٠٦. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٢٥.

خواشاذه من بغداد، وكان من كبار رجال دولة عضد الدولة ومن ثم بهاء الدولة الذي اعتقله، كتب اليه فخر الدولة امير الجبال، وصمصام الدولة أمير فارس، وبدر بن حسنويه وأيضاً بهاء الدولة، وكل منهم يستدعيه لخدمته. ورغم أن فخر الدولة ارسل له عهد وميثاق امان، إلا أن أبا نصر ظل متردداً في الالتحاق باحدهم (١). وأيضاً بعد مقتل صمصام الدولة امير فارس، لم يدخل عميد الجيوش ابو علي بن استاذ هرمز في طاعة بهاء الدولة إلا بعد أن حصل على العهود والمواثيق له ولجيشه (٢).

وكان للامير مجموعة من الرجال « المقربين »، اشبه بمستشارين يتمتعون بنفوذ كبير، حتى بات بعضهم الحكام الفعليين للامارة فلا يتصرف الامير الا بعد اخذ رأيهم ويقوم بعزل الوزراء والقادة والعمال بناء على اقتراحاتهم. واهم من عرف من هؤلاء أبو الحسن الكوكبي المعلم، وكان بهاء الدولة عند بداية حكمه قد أوكل إليه ديوان الانشاء، لكنه بسرعة بات المدبر لدولة بهاء الدولة وإليه الحكم، وسيطر سيطرة شبه كاملة على الأمير البويهي (٣). وكان هو المحرض لاعتقال الخليفة الطائع والوزير أبي نصر خواشاذه (٤) وغيرهم، وكاد بهاء الدولة أن يفقد ملكه دفاعاً عنه عندما طالبه الجند بتسليمه لهم بعد أن ازداد نفوذه وقلل من دور قادة الجند (٥). ويحدثنا المؤرخون عن آخرين كان لهم نفوذ كبير في بلاط الأمراء البويهيين كالفاضل أبي نصر الحسين بن الحسن (٦)، وعنبر أبي المسك (٧) خلال عهد بهاء الدولة. وكان لبختيار كاتب يدعى شيرذاد بن سرخاب، اطلق يده بختيار في جميع الامور حتى أنه اقسم على أن لا ينفذ عزماً ولا يقر أمراً إلا بعد مشاورته ورضاه (٨). كما كان لعضد الدولة غلام اسود يدعى شكر الخادم وكان مستولياً على جميع أموره (٩)، أي أموره الخاصة، ورغم ذلك فقد كان له دور في ابعاد شرف الدولة عن بغداد إلى كرمان خلال حياة ابيه عضد الدولة، وقام بمساعدة صمصام الدولة في تثبيت حكمه على العراق خلفاً لابيه (١٠). وكان لشرف الدولة خام يدعى نحرير بلغ من القوة ان كبار رجال الدولة

---

(١) ذيل، ص ٢٦٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣١٥ - ٣٢٨. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٩٨. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٩١٢.

(٣) ذيل، ص ١٥٣، ١٨٠ - ١٨٢. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٤٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٩٨، ٢٠١. المصدر نفسه، ص ١٤٧.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٤٤. المصدر نفسه، ص ١٥٨.

(٦) المصدر نفسه، ص ٢٥٨، ٢٥٩.

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ٥٢. ابن الأثير، جـ ٧ ص ٣٤٤.

(٨) مسكويه، جـ ٢ ص ٢٥٧.

(٩) ذيل، ص ٧٧.

(١٠) ذيل، ص ١٤٥.

كانوا يخافون سطوته ونفوذه عند شرف الدولة [1].

إلا أن نفوذ هؤلاء ما كان يصل إلى أقصاه، ويسيطرون على الامير إلا في حالة ضعف شخصية الأمير البويهي ذاته. كما هي حالة شيرذاد مع بختيار، وحال أبي الحسن المعلم مع بهاء الدولة. وكثيراً ما كان نفوذ هؤلاء «المقرّبين» يقوم على حساب نفوذ قادة الجيش، وسرعان ما يقع الصدام بينهم والذي تكون نهايته لمصلحة قادة الجند، فيضطر الامير البويهي إلى ابعاد أو اعتقال صاحبه [2]. إلا أنه لم يكن للنساء دور كبير في الحياة السياسية للامراء البويهيين عامة، وأيضاً في فارس. واذا استثنينا حالة قيام امهات الامراء بالدفاع عن أبنائهنّ في حالات الاعتقال أو الابعاد، كما جرى عند اعتقال صمصام الدولة لاخيه ـ من أم أخرى ـ أبي الحسين أحمد، فانهم لم يتدخلن في شؤون الحكم إلا نادراً. وطوال حكم البويهيين لم نعرف دوراً فعلياً للنساء وهم تحديداً أمهات الامراء، إلا في أيام حكم صمصام الدولة على العراق وفارس، ومجد الدولة، وأخيه شمس الدولة على اقليم الجبال [3]، وفلاستون على فارس. وقد اتهمت والدة هذا الاخير بأنها كانت وراء تحريض ابنها على قتل وزيره العادل هبة الله بن أحمد الفسوي [4]. اما والدة صمصام الدولة فكانت تتدخل في شؤون المملكة في بغداد وفارس بشكل مباشر، فعن طريقها يتم تعيين الوزراء وعزلهم، وبات الساعون لهذا المنصب يسعون لديها لتحقيق هدفهم، وأصبح لكتاب السيدة نفوذ قوي مستمد من نفوذها [5]. ولقد دفعت والدتا صمصام وفلاستون ثمن دورهما السياسي. اذ اعتبرهما الخصوم طرفاً في الصراع. فقتلت والدة صمصام مع ابنها على أيدي ابناء بختيار [6]، كما قتلت والدة فلاستون مع ابنها على أيدي فضلويه [7] (أنظر سابقاً).

أما عن اعمال الامير اليومية، فلدينا ثبت بيوم عمل للامير عضد الدولة، فكان يبدأ يومه باكراً، وبعد أن يدخل عليه كاتبه ليدون ما يطلب منه، يؤذن للوزير بالدخول، فيقدم عرضاً بما أنجزه من أفعال وأمور اتفق عليها سابقاً ويستعرض المهام والامور المستجدة، ويأخذ موافقة الامير عليها. ويتكرر الأمر نفسه مع عارضي الجيش، ثم يتلقى البريد الوارد من جميع المقاطعات والعمال، وتفتح جميع الكتب بحضرته، ويأخذ منها ما يتعلق بصلاحيات الامير، ويرسل الباقي الى ديوان

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٥٤ ـ ١٥٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٤٤. مسكويه، جـ ٢ ص ٢٥٧ ـ ٢٦٠.

(٣) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٢٣٧. EI^2, art Madjd al-dawla, t.III, p.98-99.

(٤) سبط، جـ ١٢ و ٨١. the last Buwayhids, p.240.

(٥) ذيل، ص ١٠٣، ١٠٤، ١١٨، ١٤٦. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٥٨.

(٦) المصدر نفسه، ص ٣١٥. المصدر نفسه، ص ١٩٣.

(٧) سبط، جـ ١٢، و٨١.

البريد ليوزع على الدواوين المختصة. وبعد أن يقرأ الكتب واحداً واحداً يدفعها إلى كاتبه الذي بعد أن يطلع عليها، يقوم بقراءة كل كتاب على الامير ويتلقى أجوبتها ويأمر بارسال ما يراه الى الوزير للاطلاع عليها وعلى رد الامير (١).

٢ ـ الوزارة والوزراء

اذا كانت صلاحيات الخليفة قد انتقلت بالتدريج إلى امير الامراء بعد سنة ٣٢٤، ومن ثم بصورة كاملة إلى الامير البويهي بعد سنة ٣٣٤ / ٩٤٥، وبات هذا الامير هو رأس السلطة والحاكم المطلق لامارته. كذلك كان حال الوزارة، فلم يعد للخلافة وزارة ولا وزير وباتت الوزارة الفعلية في أيدي كاتب امير الامراء، ثم انتقلت إلى الامير البويهي. ولم يعد للخليفة سوى كاتب يهتم بأموره الخاصة. وفي أيام البويهيين استعادت الوزارة عظمتها ورسومها، وعرفت في معظم أيام البويهيين أوج قوتها وعاشت عصراً ذهبياً آخر.

والحق أن البويهيين عموماً، اهتموا باختيار وزرائهم، ويذكر مسكويه أنه لما توفي أبو جعفر الصيمري وزير معز الدولة، طمع أبو علي الطبري بأن يخلفه ولم يكن على معرفة بأمور الوزارة ولا معرفة له بالدواوين وادارة شؤون الدولة، وبذل مالاً كثيراً لمعز الدولة على أمل أن يوليه مكان أبي جعفر، فأخذ معز الدولة الاموال، لكنه قلد أبا محمد المهلبي مكان الصيمري. ويضيف مسكويه، ان اختيار معز الدولة للمهلبي كان لانه وجده جامعاً لادوات الرياسة يعرف غوامض الامور واسرار المملكة (٢) وكيفية ادارة الامور والاعمال.

لكن هذه القاعدة، حسن اختيارهم لوزرائهم، كانت تخرق أحياناً وذلك تبعاً لشخصية الامير وحسن ادراكه لمصالح دولته. ولا عجب ان نجد أمور الوزارة في عهد عز الدولة بختيار تعود للاضطراب وتصبح الرشوة (٣) وبذل الاموال هي المعيار لتولي الوزارة. حتى أن عز الدولة عين صاحب مطبخه ابن بقيه وزيراً، وهو الذي لا علم ولا معرفة له بتدبير أمور الدولة، كل ميزاته أنه يملك مالا كثيراً يسد به حاجة اميره، ويعرف كيف يضطهد الناس ويصادر اموالهم وممتلكاتهم (٤). وكان وزراء عز الدولة كما يقول مسكويه «لا خبرة لهم بعواقب الامور ولا نظر لهم في مصالح الملك وانما همة احدهم في تناول شهواته والوصول إلى لذاته واثارة غيظ حسادهم باظهار الزينة التي

---

(١) ذيل، ص ٤٠ ـ ٤١.
(٢) مسكويه، جـ ٢ ص ١٢٤.
(٣) المصدر نفسه، ص ٢٣٧، ٢٤٠، ٢٥٧، ٢٨٥، ٢٨٨.
(٤) مسكويه، جـ ٢ ص ٢٨٥، ٣١٠، ٣١٣، ٣٢٢. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٦١. الهمذاني، ص ٢١٢.

فوق طاقته... ومزاحمة بعضهم وتبذير الاموال» (١).

لكن هذه الاستثناءات لم تغلب القاعدة العامة، التي عرف بها البويهيين في هذا المجال، ومن هنا عرفت الدولة البويهية وزراء عظاماً لعبوا دوراً مهماً في تثبيت حكم البويهيين، وفي اصلاح الأحوال العامة وتمتعوا بنفوذ كبير داخل الامارة ولدى الأمراء، وكانت كلمتهم نافذة. ينصت لهم الأمراء باهتمام ويعملون بارشاداتهم ونصائحهم. وفوق كل ذلك، فقد كان هؤلاء الوزراء البويهيون من مشاهير وزراء الدولة العباسية، ومن هؤلاء، برز في العراق، ابو جعفر الصيمري وأبو محمد المهلبي.

فأما الاول فقد عرف بحسن ادارته وحكمته ووضعه مصلحة الدولة البويهية فوق أي اعتبار (٢). وكان يرفض التهاون مع قادة الجند والخضوع لطلباتهم غير المشروعة. ووصل به الامر أنه كان يجادل معز الدولة في قراراته ويضطر هذا الاخير إلى التراجع عنها والاخذ بنصيحة وزيره (٣). وينقل لنا التنوخي ما يؤكد قوة شخصية الصيمري ونفوذه على معز الدولة وحتى عدم تلبيته لمطالب أميره المالية اذا كانت مالية الدولة لا تسمح بذلك (٤).

أما المهلبي (٥)، فكان وزيراً ذا كفاية عظيمة، على معرفة واسعة بأمور الدولة. وكان من جملة كتاب الصيمري، وينوب عنه عند خروج هذا الاخير خارج بغداد، وعندما تولى خلافته اتخذ الكثير من الاجراءات لرفع الضيم عن الاهالي، وانعاش الوضع الاقتصادي، وكان يحسن اختيار مساعديه وكتابه. واهتم بأهل العلم والادب، اذا كان أديباً فصيحاً شاعراً، وله على معز الدولة نفوذ في الامور الهامة.

اما وزراء البويهيين في اقليم الجبال فكان ابرزهم، أبو الفضل بن العميد، والصاحب بن عباد.

وكان أبو الفضل وزيراً لركن الدولة، وقد أفاض مسكويه في مدحه ووصف قدراته الادارية والتنظيمية وضبطه للامور وحسن سياسته واهتمامه بعمارة البلاد. وأنه لولا ابن العميد لخربت أحوال دولة ركن الدولة، لسوء سياسات هذا الامير، وشدة مراعاته لجنده وعلى حساب المصلحة

---

(١) مسكويه، جـ ٢ ص ٣٠٢. انظر حول وزراء عز الدولة بختيار: مسكويه، جـ ٢ ص ٢٣٥ ـ ٢٤٦، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦٩، ٢٨٣، ٢٨٦، ٢٨٩، ٣١٠، ٣١٣، ٣٢١، ٣٢٢. الهمذاني، ص ١٨٨، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢١٢.

(٢) مسكويه، جـ ٢ ص ١٠٥ ـ ١٠٦.

(٣) مسكويه، جـ ٢ ص ١٠٧. الهمذاني، ص ١٥٤.

(٤) التنوخي، نشوار، جـ ١ ص ٥٤.

(٥) مسكويه، جـ ٢ ص ١٢٤، ١٢٨، ١٢٩، ١٤٦، ١٤٧، ١٩٧. الهمذاني، ص ١٦٣، ١٨٦. التوحيدي، امتاع، جـ ٣ ص ٢١٣. ياقوت، أدباء، جـ ٣ ص ١٨٣ ـ ٢٠٠. الثعالبي، يتيمة، جـ ٢ ص ٢٢٣ ـ ٢٤٠. ابن خلقان، وفيات، جـ ٧ ص ١٢٤ ـ ١٢٨. متز، جـ ١ ص ١٩٣ ـ ١٩٦.

العامة. وفوق كل ذلك كان ابن العميد واحداً من كبار رجال العلم والادب في عصره[1].

وقد فاق ابن عباد شهرة استاذه، وكان الصاحب احد كتاب ابن العميد. ثم وزر لمؤيد الدولة ومن بعده لفخر الدولة. حتى أن شهرة هذين الاميرين قامت على شهرة وزيرهما. وبلغت مكانة الصاحب إلى أن القواد والأمراء كانوا يقبلون الأرض بين يديه. وخرج عضد الدولة بنفسه لاستقباله عندما جاء إلى العراق مبعوثاً من مؤيد الدولة. وبالغ عضد الدولة في اكرام الصاحب وأمر أكابر كتابه وأصحابه بتعظيمه، بل أنه سجن أحد قواده لانه اساء للصاحب. وسرعان ما وصلت كتب مؤيد الدولة يستطيل مقام الصاحب ببغداد ويذكر اضطراب الامور ببعده. وفي أيام فخر الدولة باتت الامور تتم حسب رأيه، وكان اذا قال فخر الدولة قولاً وقال الصاحب قولاً، نفذ قول الصاحب وترك رأي فخر الدولة. وبلغت شهرة الصاحب، أن استدعاه صاحب خراسان نوح الساماني ليعمل معه، ويبرر ابن عباد عدم التحاقه بنوح بكثرة احماله، خاصة كتبه «وعندي من كتب العلم خاصة ما يحمل على ٤٠٠ جمل أو أكثر»[2].

ان كل ما وصلنا عن اعمال هؤلاء الوزراء دليل على قدراتهم الادارية والسياسية ورغبتهم في الضبط والنظام، وذلك ما اكسبهم قوة ونفوذاً لدى الامير البويهي، وساعد هذا الاخير على تثبيت حكمه، حتى بات ارتباط امارة ذاك مرهونة بوزارة هذا، كما أشار فخر الدولة في حديثه للصاحب لاقناعه بتولي وزارته[3]. لذلك فان أياً من هؤلاء الوزراء الكبار، لم يعتقل او يعزل من منصبه. وظل وزيراً منذ تعيينه وحتى وفاته.

وزارة فارس

ولا شك في أن نفوذ الوزير مرتبط بقدراته، ولكن أيضاً بشخصية الامير وسياساته في ادارة البلاد فكلما كانت خبرة الامير الادارية والسياسية والفكرية ضعيفة كلما ازداد نفوذ الوزير وهيمنته على شؤون الامارة.

لهذا السبب، ربما لا نعرف الكثير عن وزراء فارس خلال حكم الاميرين عماد الدولة وعضد

---

(١) مسكويه، جـ ٢ ص ١٣٣، ١٤١، ١٦٠، ٢٢٥، ٢٣٠، ٢٧٤ - ٢٨٢. ابن خلقان، وفيات، جـ ٥ ص ١٠٣ - ١١٣. الثعالبي، يتمة، جـ ٣ ص ١٥٤ - ١٦٠. EI², art Ibn Al-Amid t.III, p.725. Kabīr, ibn Al-Amid, p.8-11.

(٢) ياقوت، أدباء، جـ ٢ ص ٢٧٣ - ٣٤٣. ابن خلقان، وفيات، جـ ١ ص ٢٢٨ - ٢٣٣. ابن الحوزي. المنتظم، جـ ٧ ص ١٠٣، ١٧٩ - ١٨١. ذيل، ص ١١، ١٨، ٩٤، ٩٥، ٢٦١ - ٢٦٣. التوحيدي، امتاع، جـ ١ ص ٥٤ - ٦١. Minorsky, domination, p.15. EI², art ibn'Abbad t.III, p.692-694.

(٣) ياقوت، أدباء، جـ ٢ ص ٢٧٣ - ٣٤٣.

الدولة، لطغيان شخصيتها على ما عداها، ولقدراتها في ادارة شؤون الامارة بحكمة وحزم. وبالتالي طغت أخبارها على اخبار وزرائها رغم ما تمتع به هؤلاء من كفاءات، حتى أن « وزراء » عماد الدولة لم يحملوا هذا اللقب واكتفى بالاشارة اليهم ككتاب.

كان أبو سعد اسرائيل بن موسى، أول من كتب لعماد الدولة علي بن بويه وكان بمثابة وزيره، فقد تمتع بمعظم رسوم الوزارة، دون أن يتلقب بها، فكان يقود الجيش، ولبس القباء وتقلد السيف والمنطقة.

رافق ابو سعد، علي بن بويه منذ البدء، واحتل لديه مكانة مرموقة، حتى ان ابن بويه كان يتبرك به ويكرمه جداً. وعندما كثرت محاولات احد الكتاب وهو أبو العباس احمد بن محمد الحناط القمي، لافساد علاقة علي بن بويه بأبي سعد، طمعاً في خلافته، نهره علي بن بويه يوماً قائلاً « يا هذا ان هذا الرجل (أبو سعد) صحبني وحالي صغيرة وقد بلغت ما ترى ولست أدري هل ما وصلت اليه بدولته أم بدولتي. وليس إلى تغيير امره طريق فاياك ان تعاودني فيه »[1].

لكن أبا العباس القمي استغل قتل أبي سعد لاحد حجاب عماد الدولة، وكان يتولى قيادة جيشه، ليثير مخاوف البويهي من تصاعد نفوذ كاتبه، حتى تمكن من دفعه لاعتقاله ومصادرته. ثم تمكن من دفعه وهو على شراب على اصدار أمر بقتل أبي سعد، وعندما صحا عماد الدولة ندم على ما فعله لكن بعد فوات الأوان[2].

وتم لأبي العباس القمي ما أراد، وخلف أبا سعد، وبات كاتب عماد الدولة منذ ذلك العام ٣٢٢ / ٩٣٣ وحتى وفاة هذا الأخير سنة ٣٣٨ / ٩٤٩، ولا يذكر المؤرخون اشياء كثيرة عن أبي العباس خلال هذه الفترة، سوى مشاركته في قيادة جيوش أميره[3] في بعض الاحيان.

وخلف عضد الدولة عمه على فارس ما بين ٣٣٨ - ٣٧٢ / ٩٤٩ - ٩٨٢ الا أن المصادر لا تشير إلى أي من وزرائه خلال الفترة الاولى لحكمه والتي عرفت بعض الاضطراب بسبب تمرد روزبهان وأخيه بلكا (أنظر سابقاً). إلا أننا نعلم أنه لم يستعد ملكه إلا بفضل وزير أبيه ابن العميد الذي قضى على بلكا ثم بقي في فارس فترة علم خلالها عضد الدولة وجوه التدابير السديدة وما تقوم به الممالك وصناعة الملك ولقنه ذلك تلقيناً. حتى أن عضد الدولة كان يردد مراراً بأن أبا الفضل بن العميد كان استاذه، وكثيراً ما سماه بالاستاذ الرئيس[4]. وبالرغم من الاحترام والتقدير الذي كنه عضد الدولة للوزير الكبير ابن العميد، فهناك احتمال بوقوع خلاف بينهما، اذا يذكر

---

(١) مسكويه، جـ ١ ص ٣٠٣ - ٣٠٤.

(٢) مسكويه، جـ ١ ص ٣٠٤ - ٣٠٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٤٠ - ٣٥٥.

(٤) مسكويه، جـ ٢ ص ٢٨١ - ٢٨٢

الهمذاني ان «ركن الدولة رتب أبا الفضل بن العميد مع عضد الدولة، فهذبه وادبه، ثم تغير عليه فحلف ان لا يقيم بفارس وعاد إلى ركن الدولة»[1]، وربما كان مرد هذا الجفاء، إلى أن عضد الدولة كان لا يحتمل وجود شخصية كبيرة ونافذة إلى جانبه في الحكم كابن العميد. فعمد إلى دفعه للعودة الى الري بأسرع ما يمكن.

إن أول إشارة إلى وزراء عضد الدولة تبدأ في سنة ٣٦٣ - ٣٦٤ / ٩٧٣ - ٩٧٤، عندما تذكر المصادر أن الوزير هو أبو القاسم المطهر بن عبدالله الذي أرسله عضد الدولة سنة ٣٦٣ إلى كومان لقمع المتمردين فيها[2]. وحينا تذكر أنه نصر بن هرون الذي كان برفقته سنة ٣٦٤ في العراق[3]. ثم يخبرنا مسكويه أن أصل الوزارة كانت لنصر بن هرون. ثم شورك بينه وبين المطهر[4]. وعلى ذلك نستطيع الافتراض انه قبل سنة ٣٦٣ / ٩٧٣ كانت وزارة عضد الدولة بفارس لنصر بن هرون، لكننا لا نعلم متى استوزره، وربما لم يكن له وزير قبل نصر مكتفياً بكتابه. ثم عندما قرر الخروج إلى بغداد سنة ٣٦٣ / ٩٧٣ استوزر المطهر بن عبدالله وجمع بينه وبين هرون في الوزارة، بهدف ابقاء احدهما في فارس لادارة شؤونها خلال غيابه، على أن يرافقه الثاني في حملته إلى بغداد. وكان من المقرر ان يبقى المطهر في فارس لكن عضد الدولة اضطر ان يرسله إلى عمان ثم إلى كرمان لقمع حركات التمرد فيهما.

استمرت وزارة عضد الدولة في يد وزيرين حتى سنة ٣٦٩ / ٩٧٩ لكن مع اختلاف الادوار، إذ بات نصر بن هرون مقيماً في فارس فيما استقر المطهر في بغداد. لكن فشل المطهر سنة ٣٦٩ في هزيمة الحسن بن عمران صاحب البطيحة، وانتحاره خوفاً من عضد الدولة، أدى إلى انفراد نصر بن هرون بالوزارة وهو في مقره بفارس، فاختار عضد الدولة، أبا الريان حمد بن محمد لينوب عن نصر في بغداد[5]. واستمر نصر بن هرون وزيراً لعضد الدولة حتى وفاة هذا الأخير سنة ٣٧٢ / ٩٨٢.

ورغم ان شخصية وأعمال عضد الدولة قد طغت على شخصية وأعمال وزرائه، خاصة وأنه كان ذا قدرات ادارية ممتازة، ومن ذاك النوع من الامراء العظام الذين يتابعون شؤون مملكتهم بأنفسهم، ولا يترك لوزرائه وقادته حرية التصرف ويتدخل في أدق التفاصيل. إلا أن ذلك لم يخف كفاءات وزيريه. ويصف مسكويه نصر بن هرون بأنه شيخ الكتاب وقد سلم له صناعة الحساب

---

(١) الهمذاني، ص ١١٧.

(٢) مسكويه، جـ ٢ ص ٣٥٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٤٦. ابن الأثير، جـ ٧ ص ٥٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤١٢.

(٥) مسكويه، جـ ٢ ص ٤١١ - ٤١٢. ابن الأثير، جـ ٧ ص ٩٩.

خاصة [1]. أما المطهر بن عبدالله فالى جانب ميزاته العسكرية كقائد نجح في معظم المهمات التي كلف بها، فقد أولى شؤون وزارته أهمية كبيرة. واذا رجعنا إلى الرواية التي نقلها لنا الروذرواري، والتي يصف فيها احد أيام عمل عضد الدولة، يتبين لنا ان عضد الدولة كان يلتقي يومياً بالمطهر الذي يقدم له تقريراً عما تم انجازه من أعمال ثم يستعرضان الامور المستجدة ويتفقان على ما يجب عمله. كما كان عضد الدولة حريصاً على اطلاع وزيره على معظم القرارات التي يتخذها. وكانت ادارة الدواوين والاشراف على اعمالها تعود إلى الوزير كما كان الحال دائماً.

بتولي شرف الدولة خلافة أبيه في فارس سنة ٣٧٢ / ٩٨٢، كان أول ما فعله ان اعتقل الوزير نصر بن هرون وقتله لأنه كان يسيء معاملته أيام ابيه [2]. واستوزر شرف الدولة، أبا القاسم العلاء بن الحسن [3]، لكن سرعان ما عزله واعتقله بتحريض من الحاشية، واستوزر مكانه سنة ٣٧٣ / ٩٨٣ أبا محمد علي بن العباس بن فسانجس [4]. لكن الأمر لم يطل بهذا الوزير الجديد فاعتقل، وخلفه أبو منصور محمد بن الحسن ابن صالحان [5] سنة ٣٧٤ / ٩٨٤.

استمر ابن صالحان وزيراً لشرف الدولة حتى وفاة هذا الاخير سنة ٣٧٩ / ٩٨٩، ويذكر أن أحد أسباب استمراره طوال عهد شرف الدولة، ان هذا الاخير كان قد بعث برسول الى القرامطة سنة ٣٧٤ وعند عودته اخبر أميره بأن القرامطة قد سخروا من سياسته لانه «استوزر في سنة واحدة ثلاثة لغير ما سبب» [6]. وقد اثر هذا القول في شرف الدولة فقرر عدم تغيير وزيره وهذا ما كان. وكان شرف الدولة عند استيلائه على العراق سنة ٣٧٦ / ٩٨٦، قد قام باستدعاء وزيره ابن صالحان من فارس، ولم يعين وزيراً ثانياً، بل عين نائباً للوزير بفارس وهو العلاء بن الحسن [7].

وبعد وفاة شرف الدولة، وتنازع ابنه أبو علي مع عمه صمصام على فارس، ادرك العلاء بن الحسن ان الكفة تميل مع صمصام، فمال اليه، وساعده في تملك البلاد، وتولى وزارته وبسرعة باتت امور فارس بين يديه بعد أن تخلص من منافسه الاساسي فولاذ بن ماناذر صاحب جيش صمصام [8]. وكذلك تمكن من ارضاء والدة صمصام الدولة وكانت كلمتها مسموعة وطلبها

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٤٦.
(٢) ذيل، ص ٨١ - ٨٢. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١١٥.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٠١.
(٤) المصدر نفسه. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٢٢.
(٥) المصدر نفسه. ابن الأثير، جـ ١٢٤.
(٦) ذيل، ص ١٠٢. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٢٤.
(٧) المصدر نفسه، ص ١٢٣.
(٨) ذيل، ص ١٩٩ - ٢٠١. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٥٦.

منفذ عند صمصام، وارضى حاشيتها دون أن يكون ذلك على حساب امكانات الإمارة. لكن طلبات الوالدة وكتابها وحاشيتها ازدادت، ولم يعد العلاء بقادر على تلبيتها لأن في ذلك اضطراباً لامور الامارة، عندها سعوا للايقاع به، فاعتقله صمصام سنة ٣٨٢ / ٩٩٢ وقبض على كتابه وابنته وصودروا وعذبوا حتى ماتت ابنته تحت الضرب[١]. واستوزر مكانه، بناء على طلب والدته، ابا القاسم الدلجي وكان من كتاب العلاء، لكنه لم ينجح في تسيير الامور والاعمال، حتى تغيير رأي والدة صمصام به، فاعتقل سنة ٣٨٣ / ٩٩٣، فيما افرج عن العلاء واعيد الى الوزارة[٢].

استمرت وزارة العلاء الثانية من ٣٨٣ - ٣٨٧ / ٩٩٣ - ٩٩٧ تاريخ وفاته. وكانت اليه تدبير الامور في فارس، فيما كان صمصام الدولة منهمكاً في حربه مع اخيه بهاء الدولة في الاهواز. وعندما انهزم صمصام وابيد قسم من جيشه[٣] سنة ٣٨٤ / ٩٩٤، توجه العلاء بن الحسن على رأس جيش واستعاد الاهواز لصمصام الدولة. واقام العلاء بعسكر مكرم لضبط امور خوزستان[٤]، وظل مقيماً هناك إلى أن توفي سنة ٣٨٧ / ٩٩٧.

كان لهذا الوزير الفضل الاكبر لتملك صمصام الدولة فارس، وتثبيت حكمه، ومواجهة امير العراق بهاء الدولة. ولكن كان له أيضاً «الفضل الاكبر» في زعزعة حكم صمصام الدولة واضطراب الاحوال عليه. اذ يذكر الروذرواري[٥] ان العلاء عند توليته الوزارة في المرة الثانية، كان ناقماً على صمصام لما فعله به اثر اعتقاله ومقتل ابنته تحت التعذيب. فعمد إلى توزيع الاقطاعات بصورة كبيرة وعشوائية، وتسليم الاعمال إلى غير الكفوئين، وتبذير أموال الدولة مما اسفر لاحقاً عن تدهور اوضاع صمصام وخروج جنده عليه، وتمرد ابناء بختيار وقتله (أنظر سابقاً).

استوزر صمصام، بعد وفاة العلاء سنة ٣٨٧ / ٩٩٧، أبا الطيب الفرخان وبعث به إلى الاهواز لتدبير أمورها، لكنه فشل في مهمته، واستولى اصحاب بهاء الدولة على السوس وجنديسابور، فارسل صمصام أبا علي بن استاذ هرمز فأخرجهم من خوزستان ورتب اوضاع الاقليم، واستعد لمواجهة جيش بهاء الدولة الذي حاول من جديد الاستيلاء على هذا الاقليم. لكن مقتل صمصام الدولة بسنة ٣٨٨ / ٩٩٨ قلب الاوضاع، اذ دخل ابو علي بن استاذ هرمز في طاعة

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٤٦ - ٢٤٧. المصدر نفسه، ص ١٥٨.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ذيل، ص ٢٥٥ - ٢٦١.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٦٦ - ٢٦٨.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٤٧، ٣١١ - ٣١٢.

البهاء، وباتت مملكة صمصام الدولة في حوزته، فانتقل إلى فارس وجعلها مقر اقامته [١].

كانت وزارة بهاء الدولة في هذا الوقت، للموفق أبي علي بن اسماعيل، واليه يعود الفضل في تثبيت سيطرة بهاء الدولة على فارس والقضاء على تمرد اولاد بختيار واعادة ضبط اوضاعها التي اضطربت في أواخر حكم صمصام الدولة. حيث قام الموفق بتخفيض اقطاعات الديلم دون اغضابهم بل تمكن من كسبهم إلى جانبه، وضبط امور الجيش واخضع الجميع لسيطرته، وبات هو السلطة الحقيقية وليس بهاء الدولة واخذ يتصرف متجاوزاً اميره بل ومستهتراً به [٢]، مما دفع بهاء الدولة لاحقاً إلى اعتقاله سنة ٣٩٠ / ٩٩٩بشيراز [٣]، ثم قتله سنة ٣٩٤ / ١٠٠٣.

وبعد اعتقال الموفق، ولى بهاء الدولة وزارته للصاحب أبي علي بن استاذ هرمز، لكن هذا الاخير سرعان ما استعفى [٤]، ومن ثم بعثه البهاء سنة ٣٩١ / ١٠٠٠ إلى بغداد كنائب له على العراق، ولقبه عميد الجيوش [٥]. وفي العام نفسه تولى فخر الملك أبو غالب محمد بن خلف الوزارة وحتى سنة ٣٩٣ / ١٠٠٢ حين اعتقله بهاء الدولة وصادره طمعاً بماله واستوزر خلفاً له أبا الفضل محمد بن القاسم بن سودمند [٦]. لكن فخر الملك عاد إلى الوزارة. وفي سنة ٣٩٧ / ١٠٠٦ كان على راس الجيش الذي هزم ابن واصل صاحب البصرة [٧]. واستمر في الوزارة حتى وفاة بهاء الدولة سنة ٤٠٣ / ١٠١٢، إلا أنه تولى نيابة العراق منذ سنة ٤٠١ / ١٠١٠، اثر وفاة عميد الجيوش أبي علي بن استاذ هرمز [٨].

أقر سلطان الدولة الذي خلف اباه على العراق وفارس، الوزير فخر الملك على وزارته وأيضاً كنائب له على العراق إلى أن اعتقله سنة ٤٠٦ وقيل ٤٠٧ / ١٠١٦ وقتله. وقد أجمع الكثير من المؤرخين على اعتباره واحداً من اعظم وزراء بني بويه إلى جانب الصاحب بن عباد وابن العميد والمهلبي، لعلمه وخبرته في ادارة شؤون البلاد، فاستقامت الامور في أيامه في العراق وقام باصلاحات عديدة، فسد البثوق وعمر سواد الكوفة، والمارستان والجسر ببغداد [٩]. وكان المؤرخ هلال الصابي كاتب اسراره.

---

(١) ذيل، ص ٣١٥ ـ ٣٢٨. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٩٨. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٩١٢.

(٢) الصابي، تاريخ، ص ٣٦٣. ذيل، ص ٣٢٣، ٣٣٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٦٣، ٣٦٨، ٣٧٠. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٢٢٨. ابن الأثير، جـ ٧ ص ٢٠٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٧٠ ـ ٣٧١.

(٥) المصدر نفسه، ص ٤٣٧ ـ ٤٤٣. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣.

(٦) المصدر نفسه، ص ٤٥٨ ـ ٤٦٠. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٢٢٢.

(٧) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٢٣٣.

(٨) المصدر نفسه، ص ٢٥٤. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٩١٩ ـ ٩٢٠.

(٩) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧. ابن خلقان، وفيات، جـ ٥ ص ١٢٤ ـ ١٢٧. ابن الأثير، جـ ٧ ص ٢٧٩.

بعد فخر الملك، تولى الوزارة ابو محمد الحسن بن سهلان ولقب بعميد أصحاب الجيوش، وأقام في العراق نائباً عن سلطان الدولة، إلى أنه سرعان ما هرب سنة ٤٠٨ / ١٠١٧ إلى هيت خوفاً من سلطان الدولة عند عودة هذا الاخير إلى بغداد وكان قد استوزر أبا القاسم جعفر بن أبي الفرج بن فسانجس[1]، ثم قبض عليه في العام التالي ٤٠٩ / ١٠١٨، فتولى الوزارة ذو السعادتين ابو غالب الحسن بن منصور[2]، وفي العام التالي ٤١٠ / ١٠١٩ قبض عليه. وعندما اجبر سلطان الدولة على مغادرة بغداد بعد استيلاء اخيه مشرف الدولة على العراق سنة ٤١١ / ١٠٢٠، استوزر مرة أخرى عميد أصحاب الجيوش ابن سهلان، لكن مشرف الدولة نجح في القبض على ابن سهلان وكحله[3]. وكان آخر وزراء سلطان الدولة في فارس هو الأوحد ابو محمد بن مكرم[4] الذي استمر في منصبه حتى وفاة سلطان الدولة سنة ٤١٥ / ١٠٢٤، اذ قتله أبو الفوارس بن بهاء الدولة في نفس هذا العام اثر دخوله إلى شيراز[5].

استمر الصراع على فارس بين أبي كاليجار ابن سلطان الدولة وعمه أبي الفوارس، عامين (أنظر سابقاً)، كان خلالها أبو مزاحم صندل الخادم هو المدبر لامور ابي كاليجار، وعندما استقر الامر لابي كاليجار على فارس سنة ٣١٧ / ٩٢٩ كان وزيره ابو محمد بن باشاذ[6]. لكنه استبدله في العام التالي ٣١٨ / ٩٣٠ بالعادل ابي منصور بهرام بن مافنه وقد اشترط العادل لقبوله بهذا المنصب، ان لا يعارض في الرأي بما يفعله. وكان له ما أراد[7]. ففي سنة ٤٢٣ / ١٠٣١ عندما استدعى اتراك بغداد ابي كاليجار لتمليكه العراق، منعه وزيره العادل، إلى أن يحضر بعض قوادهم ويأخذ عهودهم[8].

وكان العادل ابن مافنه من اعظم وزراء ابي كاليجار، وقد سبق وتحدثنا عنه عند الحديث عن علاقة ابي كاليجار بالدعوة الفاطمية. وعرف عن هذا الوزير اهتمامه بالعلم ومن اثاره انه بنى في فارس دار كتب جمع فيها ١٩ ألف مجلد[9].

استمر العادل في منصبه إلى حين وفاته سنة ٤٣٣ / ١٠٤١. فخلفه مهذب الدولة ابو منصور

---

(١) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٢٩٩. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٢٦٠.
(٢) المصدر نفسه، ص ٣٠٢.
(٣) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٢٩٣ - ٢٩٤.
(٤) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٣١٣ - ٣١٧.
(٥) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٣١٧.
(٦) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٣٢٨. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ٣٧.
(٧) المصدر نفسه، ص ٣٢٨ - ٣٢٩.
(٨) المصدر نفسه، جـ ٨ ص ٢.
(٩) ياقوت، أدباء، جـ ٣ ص ٢٣. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ٦٤، ١١١.

هبة الله بن احمد الفسوي[1]، ولا نعلم متى عزل. ثم استوزر ابو كاليجار، ذا السعادات أبا الفرج محمد بن جعفر ابي العباس بن فسانجس الذي كان برفقته عند دخوله العراق سنة ٤٣٦ / ١٠٤٤ فأقره على وزارته[2] إلى أن اعتقله سنة ٤٣٩ / ١٠٤٧ وقتله. فتولى الوزارة كمال الملك أبو المعالي بن عبدالرحيم[3]، لكن سرعان ما توفي أبو كاليجار في العام التالي ٤٤٠ / ١٠٤٨.

استمر كمال الملك في وزارة الملك الرحيم الذي خلف اباه، أبا كاليجار، لغاية سنة ٤٤٣ / ١٠٥١ حين فقد في المعركة التي وقعت بين الرحيم واخيه فلاستون في الاهواز[4]. فخلفه منصور بن شاه مروان[5] الذي سرعان ما عزل وتولى الوزارة سنة ٤٤٥ / ١٠٥٣ سابور ابن المظفر[6] لكن الجند ثاروا به حتى عزل. فعين مكانه سنة ٤٤٦ / ١٠٥٤ شرف الأمة أبو عبدالله عبد الرحمن بن الحسين بن عبد الرحيم وبقي في الوزارة الى سنة ٤٤٧ / ١٠٥٥. فعشية دخول طغرل بك بغداد قام الملك الرحيم باعتقال وزيره ورميه في بئر وطم عليه[7]. وفي أواخر أيام حكمه، استوزر الرحيم، سعد بن أبي الفرج محمد بن فسانجس.

كان وزراء الملك الرحيم مقيمين معه في بغداد منذ أن ملكها. اما فارس التي عرفت خلال هذه المرحلة صراعاً حاداً بين الرحيم وفلاستون، والتي تبادلاها اكثر من مرة فقد تولى شؤونها أخوا الرحيم، أبو سعد وابو طالب. وفي سنة ٤٤٧ / ١٠٥٥ تصالح فلاستون مع الرحيم، حيث تولى فلاستون مع أخيه الاخر أبي سعد نيابته على فارس (أنظر سابقاً). لكن مع سقوط العراق بأيدي السلاجقة، والقضاء على الدولة البويهية هناك، قام فلاستون واطاح بأخيه أبي سعد وقتله، وانفرد بحكم فارس. وكان وزيره انذاك العادل هبة الله بن احمد الفسوي، واليه يعود الفضل في تملك فلاستون شيراز ورده اليها بعد خروجه منها دفعات، وباتت له اليد الطولى في الاقليم. لكن فلاستون قام سنة ٤٣٩ / ١٠٥٧ وقتل وزيره في داره بشيراز[8]، خوفاً من تصاعد نفوذه وطمعاً بمصادرة أمواله (انظر سابقاً) وكان الفسوي اخر وزراء بني بويه في فارس.

وعلى العموم، فقد كانت الوزارة في فارس اكثر استقراراً منها في بغداد، وذلك نتيجة استقرار احوال الاولى، وشدة الاضطرابات والصراعات في الثانية. فمقارنة عدد الوزراء الذين

---

(١) ابن الأثير، جـ ٨ ص ٣٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٠. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ١١٩، ١٣٢، ١٣٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥٩.

(٥) سفر نامه، ص١٤٦.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ١٣٦.

(٧) ابن الجوزي، جـ ٨ ص ١٦٠، ١٦٦. ابن الأثير، جـ ٨ ص ٧٣.

(٨) سبط، جـ ١٢ و٢٧. the last Buwyhids, p.230.

تناوبوا على الوزارة في كلا المنطقتين خلال نفس الفترة قد تكون احدى الدلائل على ذلك. ففي الفترة التي حكم فيها صمصام الدولة فارس من ٣٧٩ - ٣٨٨ / ٩٨٩ - ٩٩٨ بلغ عدد وزرائه ٤ وزراء، في حين تولى وزارة بهاء الدولة في العراق وفي نفس المدة ١٤ وزيراً. وأيضاً بلغ عدد وزراء أبي كاليجار امير فارس ٤١٥ - ٤٤٠ / ١٠٢٤ - ١٠٤٨ خمسة وزراء، في حين كان عدد من تناوب على وزارة جلال الدولة في العراق ما بين ٤١٦ - ٤٣٥ / ١٠٢٥ - ١٠٤٣، ١١ وزيراً. وقد تولى بعض الوزراء المنصب اكثر من مرة (انظر الملاحق).

ورث البويهيون نظام الوزارة الذي كان سائداً أيام العباسيين ولم يضيفوا عليه سوى بعض التعديلات التي سنشير اليها لاحقاً. فقد ظل الوزير في فارس أو في العراق يختار دائماً من بين طبقة الكتاب التي توسعت بشكل كبير في هذه الفترة، اذ كان لكل رجال الدولة الكبار، الامير، الوزير، قادة الجند، اصحاب الدواوين، كتابهم الخاصون. كذلك كان لكبار رجال الحاشية ولوالدة الأمير كتابهم. وكان معظم وزراء فارس من بين فئة الكتاب أو من العمال والولاة. وغالباً ما كان الوزير يتدرج في الأعمال في الدواوين قبل أن يصل إلى مركزه الجديد. فنصر بن هرون وزير عضد الدولة كان شيخ الكتاب كما يصفه مسكويه. أما أبو القاسم العلاء بن الحسن فكان أحد الكتاب، تنقل في خدمة عضد الدولة، واستوزره شرف الدولة ثم عينه نائباً عن الوزير ابن صالحان في فارس ثم تسلم وزارة صمصام الدولة. وكان فخر الملك ابو غالب محمد بن خلف نائباً للوزير أبي علي بن اسماعيل الموفق، وللصاحب أبي علي بن استاذ هرمز قبل أن يتولى وزارة بهاء الدولة...

واحتفظ وزراء هذا العهد برسوم الوزارة العباسية. فكان الوزير عند تعيينه يخلع عليه القباء والسيف والمنطقة المحليين بالذهب ويحمل على فرس بمركب ذهب[1]. واحياناً اذا اراد الامير زيادة تكريم وزيره فكان يضيف على الخلع الرسمية خلع أخرى. كما فعل بهاء الدولة مع وزيره الموفق سنة ٣٩٠ / ٩٩٩[2].

وكان الخلفاء العباسيون يقطعون وزراءهم الضياع العباسية وارتفاعها ٥٠ ألف دينار، ثم اضافوا اليها مرتباً شهرياً قدره خمسة آلاف دينار[3]، ثم صار سبعة آلاف[4]، بالإضافة إلى حوالي ١٥٠٠ دينار لاولاد الوزير، ويبلغ مجموع كل هذا حوالي ١٧٠ ألف دينار، وكانت هذه

---

(١)- مسكويه، جـ ١ ص ٣٠٣ وجـ ٢ ص ٢٤١، ٣٤٦.
(٢)- الصابي، تاريخ، ص ٣٤٨.
(٣)- الصابي، وزراء، ص ٢٩، ٢٨٥.
(٤)- المصدر نفسه، ص ٣٧٨.

مخصصات الوزير الرسمية[1]. واحياناً كان الخليفة يقطع وزيره عقارات للاقامة بها مع جماعته[2]، ثم ارتجع الخليفة الضياع العباسية من الوزير، واكتفى بمرتبه[3].

أما في العهد البويهي، فقد نقصت مخصصات الوزير كثيراً[4]، فخصص له اقطاع يقوم مقام الراتب يبلغ وارده ٥٠ ألف دينار فقط[5]

وانتقلت عدوى حب البويهيين للالقاب (انظر سابقاً)، إلى وزرائهم، حتى بات التلقيب احد رسوم الوزارة، على أنه لم يعرف لاوائل الوزراء انهم لقبوا. فابن العميد عرف بهذا الاسم لان لقب ابيه كان العميد[6]، ولم يكن ذلك لقباً رسمياً، حتى ما ذكر من أن عضد الدولة كان يدعوه «الاستاذ الرئيس» فلم يكن ذلك إلا من الاحترام والتقدير. اما ابن عباد فقد حمل لقبه الاول الصاحب لانه كان يصحب ابن العميد وقيل لانه صحب مؤيد الدولة منذ الصبا[7]. ثم لقب بكافي الكفاة[8] وهو على كل حال لقب ذو طابع «ديواني».

كما لم يعرف ان الصيمري او المهلبي قد لُقّبا، كذلك وزراء عضد الدولة في فارس والعراق، كالمطهر ونصر بن هرون. لكن مع التوسع في منح الالقاب الرسمية، حتى بات لقب الاصغر اعظم من لقب الاكبر[9]، اخذ الوزراء في التلقب. ويذكر مسكويه بما يبدو بداية تلقب الوزراء، انه سنة ٣٥٩ تلقب احد الكتاب «بالرئيس» فاضطر الوزير ان يطلب من الناس ان يخاطبوه «بالوزير الرئيس» تمييزاً له عن ذاك الكاتب[10].

وفي سنة ٣٦٢ / ٩٧٢ لقب الخليفة المطيع، الوزير ابن بقية بـ «الناصح»[11] وخلع عليه الخلع السلطانية وكل ذلك بأمر من الأمير البويهي بختيار. وشيئاً فشيئاً ثُني لقب الوزير ثم ثلث وربع، وباتت ألقاب الوزراء تنتسب إلى «الدولة» و «الدين» و «الأمة». فلقب الوزير أبو غالب بن علي بن خلف وزير فارس والعراق سنة ٤٠٤ / ١٠١٣ بفخر الملك[12]، ثم لقب سلطان الدولة سنة

---

(١) الهمذاني، ص ٥١.
(٢) الصابي، وزراء، ص ٣٩، ٢٨٥.
(٣) المصدر نفسه، ص ٣٠٦.
(٤) الدوري، تاريخ، ص ٢٤٠، ٢٤٢.
(٥) مسكويه، جـ ٢ ص ٢٤٢، ٢٤٦.
(٦) ابن خلقان، وفيات، جـ ٥ ص ١٠٣ - ١١٣.
(٧) ابن خلقان، وفيات، جـ ١ ص ٢٢٨ - ٢٣٣.
(٨) ياقوت، أدباء، جـ ٢ ص ٢٧٣ - ٢٧٧. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ١٧٩ - ١٨١.
(٩) الصابي، وزراء، ص ١٦٨.
(١٠) مسكويه، جـ ٢ ص ٢٦٤.
(١١) مسكويه، جـ ٢ ص ٣١٤. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٦١.
(١٢) ابن خلقان، وفيات، جـ ٥ ص ١٢٤ - ١٢٧.

٤٠٩ / ١٠١٨ وزيره بفارس والعراق أبا غالب الحسن بن منصور بـ «وزير الوزراء، نجاح الملوك» وخلع عليه [١]. وفي سنة ٤١٦ / ١٠٢٥ لقب جلال الدولة وزيره أبا علي بن ماكولا بأربعة القاب «علم الدين سعد الدولة أمين الملة شرف الملك» [٢]. كذلك لقب الملك أبو كاليجار أمير فارس، وزيره محمد بن باشاذ بخمسة القاب «معز الدين ملك الدولة سيد الأمة وزير الوزراء عماد الملك» [٣].

وكما انتقل رسم ضرب الطبل أوقات الصلاة من الخليفة إلى الامير البويهي، فقد انتقل أيضاً إلى الوزير بما افقد هذا الرسم أهميته وما يرمز اليه. ففي سنة ٣٩٠ / ٩٩٩ اذن الامير بهاء الدولة لوزيره الموفق أبي علي بضرب الطبل في أوقات الصلاة الخمس [٤]. كذلك فعل سلطان الدولة سنة ٤١١ / ١٠٢٠ اذ سمح لوزيره محمد بن سهلان بضرب الطبل في أوقات الصلاة [٥].

وقد خرج الامراء في بعض الاحيان لاستقبال وزرائهم، كما فعل الامير شرف الدولة ٣٧٧ / ٩٨٧ مع وزيره ابن ماكان [٦] وذلك تكريماً له على حسن سياسته لامور البلاد. وخرج بهاء الدولة سنة ٣٩٠ / ٩٩٩ لاستقبال وزيره الموفق بعد انتصاره على ابن بختيار وعودته إلى شيراز [٧]. وكان عضد الدولة قد خرج سنة ٣٧٠ / ٩٨٠ لاستقبال وزير أخيه الصاحب بن عباد تكريماً له ولاخيه مؤيد الدولة [٨].

ولم تعرف الوزارة في فارس، تلك المساومات الشائنة التي عرفها هذا المنصب في بغداد قبل السيطرة البويهية، وأحياناً قليلة خلال العهد البويهي ايام حكم عز الدولة بختيار [٩] وبهاء الدولة في العراق [١٠] وفخر الدولة في اقليم الجبال [١١]. وربما كان سبب ذلك، وفرة مداخيل كانت تؤمن للامير احتياجاته فلا يضطر إلى بيع المناصب لتأمين المال.

الا أن البويهيين استمروا في عادة مصادرة الوزراء اثر عزلهم أو وفاتهم. فصادر علي بن بويه

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ٣.
(٢) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ٢١.
(٣) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ٣٧.
(٤) الصابي، تاريخ، ص ٣٦٣. ابن الأثير، جـ ٧ ص ٢٠٦.
(٥) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٢٩٣ - ٢٩٤.
(٦) ذيل، ص ١٣٧.
(٧) الصابي، تاريخ، ص ٣٦٣. ابن الأثير، جـ ٧ ص ٢٠٦.
(٨) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ١٠٣. ذيل، ص ١١.
(٩) مسكويه، جـ ٢ ص ٢٨٦.
(١٠) المصدر نفسه، ص ٢٥٨.
(١١) ذيل، ص ٢٦٣ - ٢٦٤. ياقوت، أدباء، جـ ١ ص ٧١ - ٧٢.

كاتبه أبا سعد اسرائيل بعد اعتقاله [1]. كذلك فعل معز الدولة أمير العراق بوزيره الكبير أبي محمد المهلبي اثر وفاته، رغم كل خدماته الجلى للدولة البويهية، ولم يكتف معز الدولة بذلك بل اعتقل أيضاً كتاب واصحاب وخدم ونساء المهلبي وصادرهم « فاستفظع الناس ذلك واستقبحوه لمعز الدولة » [2] وتكرر الامر بين فخر الدولة ووزيره ابن عباد [3].

وفي فارس، واذا استثنينا وزراء عضد الدولة، وشرف الدولة، فان معظم وزراء هذه المقاطعة قد صودروا اثر عزلهم او وفاتهم. فقد صادر صمصام الدولة وزيره العلاء بن الحسن [4]، اما وزيره الاخر ابو الطيب الفرخان فصادره بهاء الدولة بعد استيلائه على فارس [5]. كذلك فعل بهاء الدولة بوزيريه، الموفق ابو علي بن اسماعيل [6] سنة ٣٩٠ / ٩٩٩، وفخر الملك [7] سنة ٣٩٣ / ١٠٠٢، لكنه عاد واستوزره. وعندما خلف سلطان الدولة اباه سنة ٤٠٣ / ١٠١٢، اقر فخر الملك على وزارته فبقي فيها إلى سنة ٤٠٧ / ١٠١٦، حيث قتله بعد ذلك وصادر من أمواله اكثر من ٦٣٠ ألف دينار سوى الضياع والثياب [8].

أما معاملة الامراء البويهيين لوزرائهم اثر عزلهم، فقد اتسمت بالقسوة والوحشية التي عرف بها الديلم. فقد ضرب الوزراء واعتقلوا وعذبوا وقتلوا بابشع الاساليب. ورغم أن عضد الدولة لم يمس وزراءه، إلاّ أنه فتك وبصورة بشعة بوزيري ابن عمه وأبيه لمعارضتهما اياه في انتزاع العراق من بختيار. فعندما تم لعضد الدولة دخول بغداد، أمر برمي ابن بقية وزير بختيار، وكان مسمولاً، إلى الفيلة لتقتله، ثم أمر بصلبه [9]. وبعث إلى أخيه مؤيد الدولة يأمره باعتقال وزيره أبي الفتح بن العميد الذي كان وزير ابيه ركن الدولة، ثم بعث عضد الدولة من مقره ببغداد من قام بمصادرة أبي الفتح ابن العميد ويقال انه سمل احدى عينيه وقطع أنفه وجز لحيته [10].

أما شرف الدولة، فقد قتل وزير أبيه نصر بن هرون [11]، وقام باعتقال جميع وزرائه ثم افرج

---

(١) مسكويه، جـ ١ ص ٣٠٥.
(٢) المصدر نفسه، جـ ٢ ص ١٩٧ - ١٩٨.
(٣) ذيل، ص ٢٦١ - ٢٦٢.
(٤) ذيل، ص ٢٤٧.
(٥) الصابي، تاريخ، ص ٤١٦.
(٦) الصابي، تاريخ، ص ٣٧٠.
(٧) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٢٢٢.
(٨) المصدر نفسه، جـ ٧ ص ٢٨٦ - ٢٨٧.
(٩) مسكويه، جـ ٢ ص ٣٨٠.
(١٠) الثعالبي، يتيمة، جـ ٣ ص ١٨٧.
(١١) ذيل، ص ٨١.

عنهم واستوزرهم الواحد تلو الاخر [١]. وقام صمصام الدولة امير فارس باعتقال وزيره العلاء بن الحسن وتعذيبه وقتل ابنته [٢]. كذلك فتك بهاء الدولة بوزيره الموفق أبي علي بن اسماعيل خنقاً [٣]. وقتل سلطان الدولة وزيره فخر الملك أبا غالب [٤] واعتقل وزيره الاخر ابن فسانجس وكحل وزيره الثالث ابن سهلان [٥]. وتوفي مسجوناً محمد بن باشاذ وزير أبي كاليجار [٦]، وقام هذا الملك باعتقال وزيره ابن فسانجس احد عشر شهراً ثم قتله [٧]. أما الملك الرحيم فقد رمى بوزيره ابي عبدالله بن عبدالرحيم بالبئر وطم عليه حتى قتل [٨]، ولم يكن حظ آخر وزراء البويهيين بفارس هبة الله بن أحمد الفسوي باحسن من سابقيه، فقام اميره فلاستون بمهاجمة داره ونهبه وقتله مع اصحابه [٩].

على أن البويهيين وان احتفظوا بمعظم رسوم وتقاليد الوزارة العباسية وأيضاً بأساليب معاملة الوزراء التي سادت الخلافة العباسية منذ ايام المقتدر (انظر سابقاً) الا انهم ادخلوا على المنصب أربعة امور جديدة:

أ ـ فقد بات الوزير إلى جانب توليه مهام الوزارة، يقوم بقيادة الجيش في المعارك، ولا نكاد نعرف وزيراً في فارس أو غيرها من الامارات البويهية، لم يقد جيوش اميره في معاركه الخارجية والداخلية. حتى أن الموفق أبا علي بن اسماعيل وزير بهاء الدولة، عندما قرر الاستعفاء من الوزارة، كانت حجته في ذلك أنه لا يريد الجندية [١٠]. وكانت شهرة هذا الوزير كقائد عسكري تفوق شهرته كاداري.

وقد أدى هذا الدور الجديد للوزير إلى تقوية مركزه ومكانته داخل الجيش وبين القادة العسكريين، وأيضاً تجاه الامير البويهي. وبالمقابل ترتب على ذلك زيادة اهمية منصب نائب الوزير، الذي كان يتولى امور الوزارة عند قيادة الوزير للجيش وابتعاده عن مقر الامارة.

ب ـ تعيين وزيرين في نفس الوقت والجمع بينهما في الوزارة: وكان أول من استحدث ذلك،

---

(١) ذيل، ص ١٠١.

(٢) ذيل، ص ٢٤٧.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٢٢٨. ابن الأثير، جـ ٧ ص ٢٢٥.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧. ابن خلقان، وفيات، جـ ٥ ص ١٢٤ ـ ١٢٧.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ٣٧.

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ١٣٨.

(٨) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ١٦٦.

(٩) سبط، جـ ١٢ و٢٧.

(١٠) الصابي، تاريخ، ص ٣٦٩.

عضد الدولة عندما استوزر عام ٣٦٣ / ٩٧٣ وزيرين معاً (١) هما المطهر بن عبدالله ونصر بن هـرون وكان يريد من ذلك ابقاء احدهما بفارس على أن يرافقه الاخر إلى بغداد.

لكن هذا الامر لا يتكرر أكثيراً، ففي فارس لم تعرف الوزارة مثل هذه الحالة بعد وفاة عضد الدولة، في حين عرف العراق والجبال حالات مشابهة. ففي سنة ٣٧٥ / ٩٨٥ قام صمصام الدولة امير العراق انذاك بالجمع في وزارته بين أبي القاسم عبدالعزيز بن يوسف وابي الحسن احمد بن محمد بن برمويه. فخلع عليهما وسوى في الرتبة بينهما وجلسا معاً في دست الوزارة (٢)، لكن أمر هذه الوزارة لم يطل لوقوع الخلاف بين الوزيرين. وفي سنة ٣٨٢ / ٩٩٢ كرر بهاء الدولة هذا الامر، وجمع في وزارته بين أبي نصر سابور وأبي منصور بن صالحان وجلسا معاً في دست واحد، وكانا يتناوبان في تقديم اسم احدهما على الاخر في المكاتبات (٣). كذلك فعل الأمر نفسه فخر الدولة اثر وفاة وزيره ابن عباد (٤) سنة ٣٨٥ / ٩٩٥.

وفيما عدا حالة عضد الدولة، فان الجمع بين وزيرين في وزارة واحدة في الحالات الاخرى التي أشرنا اليها، كان نتيجة كثرة المرشحين لهذا المنصب وتلبية ضغوطات أفراد الحاشية والمقربين من الامير لتوزير هذا او ذاك كما جرى مع صمصام الدولة وبهائها، أو نتيجة طمع الامير بالاموال المقدمة من المرشحين لتوزيرهم كما هي حالة فخر الدولة امير اقليم الجبال. والارجح أن هذه التجربة، اي تعيين وزيرين في وقت واحد، لم تنجح. وفضل معظم الامراء الاكتفاء بوزير واحد وتعيين نواب له عند الحاجة.

جـ ـ أما الامر الثالث الذي استحدثه البويهيون على منصب الوزارة، فكان توزير نصراني في هذا المنصب. وقد تم ذلك في فارس على أيدي عضد الدولة. وقد ظل هذا الوزير وهو نصر بن هرون وزيراً لعضد الدولة اكثر من عشر سنوات ٣٦٣ ـ ٣٧٢ أي حتى وفاة هذا الاخير. وكان عضد الدولة عندما استولى على بغداد، قد أبقى وزيره نصر بن هرون في فارس ليدير أمورها، وسمح له بعمارة الاديرة (٥).

ولم يحدث قبل ذلك ان وزر وزيراً غير مسلم، حتى يذكر أن عز الدولة بختيار عرض الوزارة على أبي اسحاق الصابي اذا اسلم (٦).

---

(١) مسكويه، جـ ٢ ص ٣٥٩، ٣٤٦، ٤١٢.

(٢) ذيل، ص ١٠٣ ـ ١٠٤.

(٣) ذيل، ص ٢٤٦.

(٤) ذيل، ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤.

(٥) ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٠١.

(٦) ياقوت، أدباء، جـ ١ ص ٣٢٤ ـ ٣٥٨. الثعالبي، يتيمة، جـ ٢ ص ٢٤١.

د - تعددية الوزارة: اذ بات هناك في العصر البويهي، ثلاث وزارات، واحدة في العراق، واخرى في فارس وثالثة في الري، وكل واحدة مستقلة عن الاخرى، وتتمتع بكل ميزات وخصائص ورسوم الوزارة، ولا تتميز وزارة أمير العراق سوى بميزة بغداد وأهميتها كعاصمة الخلافة ومقر الخليفة.

ولا شك ان الوزارة في هذا العهد، في فارس او في العراق او في الجبال، قد عرفت عصراً ذهبياً، لا يقلل من وهجه أبداً، حالات المصادرة والاعتقال والقتل التي تعرض لها الوزراء بعد عزلهم من منصبهم، حيث باتت تلك الامور بمثابة «رسوم» ملحقة بمنصب الوزارة. انما الاهم ذاك الدور الهام الذي احتله الوزراء حيث كانت أمور المملكة في أيديهم وكان الامراء يأخذون بارائهم واليهم تعود قيادة الجيش في كثير من الاحيان. كذلك لا يقلل من أهمية الدور الذي لعبه الوزراء البويهيون وجود بعض الوزراء الضعاف، في حين كان اغلبهم من ذوي المؤهلات الادارية والتنظيمية والسياسية.

٣ - النواب، العمال، الكتاب، الدواوين

برز بشكل كبير أيام البويهيين خاصة في فارس، والعراق، منصب «النائب» وهو الشخص الذي ينوب عن الأمير أو الوزير عندما يكون بعيداً عن مقر إقامته. في الحالة الأولى، فقد إنحصر هذا المنصب تقريباً، عندما يكون العراق وفارس في يد أمير واحد. وتكون مقر إقامته شيراز، فيرسل إلى بغداد من ينوب فيها عنه.

وكان ابتداء هذا الأمر مع بهاء الدولة. فعندما استولى على فارس وجعلها مقر إقامته، عين ابو نصر سابور نائباً له في بغداد. وكان هذا الأخير وزيراً سابقاً لبهاء الدولة، ثم جمع بينه وبين أبي جعفر الحجاج في هذا المنصب سنة ٣٩١ (١) ثم انفرد ابو جعفر بالامر في العام التالي (٢). لكنه لم ينجح في ضبط الأمور فعين عندها بهاء الدولة، عميد الجيوش أبا علي بن استاذ هرمز في هذا المنصب، أي نائباً له على العراق، واستمر في هذا المنصب حتى وفاته سنة ٤٠١ / ١٠١٠ (٣).

لكن أحياناً، كان الوزير نفسه هو الذي يتولى نيابة الأمير على العراق، كما كانت حال فخر الملك (٤) أبي غالب وزير بهاء الدولة وعميد اصحاب الجيوش ابن سهلان (٥)، وذي السعادتين

---

(١) الصابي، تاريخ، ص ٣٣٩. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٢٤٨.
(٢) المصدر نفسه، ص ٤١٢ - ٤١٣.
(٣) المصدر نفسه، ص ٤٣٢. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٢٥٢ - ٢٥٣
(٤) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٢٥٢.
(٥) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٢٧٩، ٢٩٩، ٣٠٠ - ٣٠١.

الحسين بن منصور [1]. وكان صاحب المنصب يسمى احياناً الناظر [2] ويوازي في اهميته منصب الوزير. إذ كانت له مطلق الصلاحيات في إدارة العراق، حتى فرض الضرائب [3]. وقد تولاه عدد من كبار رجال الدولة البويهية كفخر الملك وعميد الجيوش فعرفت بغداد في أيامهم حالة من الإستقرار والأمن والعمران [4].

كذلك، كان الأمير البويهي في بعض الأحيان، وعند خروجه من قصره يعين نائباً له لحين عودته، كما فعل بهاء الدولة سنة ٣٨٠ / ٩٩٠ عندما عين أبو نصر خواشاذه نائباً له في بغداد، عند خروجه إلى شيراز لمحاربة أخيه صمصام الدولة [5].

أما نيابة الوزير، فقد باتت في هذا العصر، مرادفة لمنصب الوزير لكثرة اضطرار هذا الأخير للخروج من قصره لقيادة الجيوش، أو في مهمات أخرى. وكان الوزير عند تعيينه يختار نائبه، وأحياناً كان الأمير هو الذي يختار نائب الوزير [6]. وكان للوزير أكثر من نائب واحد للنيابة عنه في المقاطعة الثانية التي تكون تحت حكم الأمير، وثان لنيابته في مقره [7] وأحياناً كان يتولى نيابته في الوزارة نائبان [8]. وكان نائب الوزير أيضاً يسمى بالناظر بالأمور [9]. وقد بات هذا المنصب التمهيد لتولي صاحبه الوزارة، وكثيراً ما خلف النائب الوزير على هذا المنصب فكان العلاء بن الحسن ينوب عن ابن صالحان وزير شرف الدولة في فارس ثم تولى وزارة صمصام الدولة. وكان أبو غالب محمد بن خلف ينوب عن الوزير الموفق، قبل أن يتولى وزارة بهاء الدولة. كما كان أبو الريان ينوب عن الوزير نصر بن هارون، قبل أن يتولى بدوره الوزارة [10].

وكانت فارس مقسمة إلى خمس كور [11]، على كل كورة عامل يدير شؤونها [12]، كما كان

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ٣. ابن الأثير، جـ ٧ ص ٣٠٢.
(٢) المصدر نفسه، ص ٣.
(٣) الصابي، تاريخ، ص ٣٣٦.
(٤) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٢٥٢ - ٢٥٦، ٢٦٠ - ٢٦١.
(٥) ذيل، ص ١٨٢.
(٦) مسكويه، جـ ٢ ص ٤١٢.
(٧) ذيل، ص ١٢٣.
(٨) الصابي، تاريخ، ص ٤١٥.
(٩) ذيل، ص ١٥٠.
(١٠) مسكويه، جـ ٢ ص ٤١٢. ذيل، ص ١١٩، ١٥٠، ٢٤٦ - ٢٤٧. الصابي، تاريخ، ص ٣٤٨، ٣٧٠.
(١١) ابن حوقل، ص ٢٣٦.
(١٢) الصابي، تاريخ، ص ٣٥٠.

بفارس خمسة زموم للأكراد [١] ولكل زم مدن وقرى مجتمعة، يضمن خراجها رئيس من الاكراد، وإليه تعود إدارتها [٢]. فعندما هرب الوزير الموفق أبو علي بن اسماعيل من معتقله سنة ٣٩٢ / ١٠٠١، إلتحق برئيس زم الديوان مما دفع بهاء الدولة بإرسال جيش إلى الديواني ومحاصرته [٣].

وكانت ادارة اعمال الأقليم منوطة فعلياً «بالدواوين» وهي مجموعة الدوائر التي تضم أعداداً من الموظفين يقومون بإدارة اعمال الدولة في مختلف المجالات، وايضاً بإدارة اعمال الأمير. وكانت الدواوين قد شهدت بفضل العباسيين أوج توسعها ونموها. ولقد ورث البويهيون هذه الدواوين وتنظيماتها. ولم يطرأ عليها خلال حكمهم سوى بعض التعديلات الطفيفة وسنشير إليها لاحقاً. وباتت فارس كونها إحدى إمارات البويهيين الثلاثة، ونتيجة لما تمتعت به كل من هذه الإمارات من استقلالية ذاتية (انظر سابقاً) تملك «جهازها» الديواني الخاص. وكان مقر هذه الدواوين طبعاً في شيراز عاصمة الاقليم [٤].

وإذا كنا لا نملك معلومات عن دواوين فارس، فلا شك أن معلوماتنا عن الدواوين في العهد البويهي عامة تعطينا صورة واضحة عن الأولى. وكانت أكثر هذه الدواوين ذكراً عند المؤرخين في هذه الفترة هي: ديوان السواد [٥] للعراق ويمكن أن يقابله بفارس ديوان الخراج. وهناك ديوان النفقات [٦]، وديوان الضياع (الضياع خاصة) [٧].

وكان ديوان المال المركزي يسمى «الديوان» وهو يخضع مباشرة لسلطة الوزير أو لأحد كبار الكتاب [٨]. وفي سنة ٣٨٩ / ٩٩٨ أنشأ ديوان خاص لتحصيل ضريبة العشر المفروضة على الثياب الحريرية المصنعة في بغداد [٩].

وكانت دار ضرب النقود تحت اشراف ديوان الخزن أو الخزائن ويسمى رئيسه الخازن أو

---

(١) الاصطخري، ص ٧١ - ٧٢. ابن حوقل، ص ٢٣٦.
(٢) نفس المصدر.
(٣) الصابي، تاريخ، ص ٤٢٩ - ٤٣١.
(٤) ابن حوقل، ص ٢٤٦.
(٥) مسكويه، جـ ٢ ص ١٢٠. الصابي، تاريخ، ص ٣٧٢، ٤٤٢.
(٦) المصدر نفسه، ص ١٢١. متز، جـ ١ ص ١٤٨.
(٧) ذيل، ص ١٤٧. الصابي، تاريخ، ص ٤٤٢.
(٨) مسكويه، جـ ٢ ص ٢٤٢، ٢٦٤، ٢٦٦.
(٩) الصابي، تاريخ، ص ٣٣٦.

الناظر[1]. إلا أن التوحيدي يشير إلى ديوان خاص بالنقد هو «ديوان النقد والعيار ودار الضرب»[2].

أما ديوان الجند، فقد قسم إلى ديوانين، واحد للديلم وآخر للأتراك ويسمى ديوان الجيشين، وكان لكل منهما رئيس يسمى العارض، وعلى صلة يومية بالامير[3]. وتجمعت دواوين الزمام في ديوان واحد[4] أيام البويهيين. أما ديوان الرسائل فقد كان يسمى ايضاً ديوان الإنشاء. وكان صاحب هذا الديوان دائماً من أقرب المقربين إلى الأمير البويهي[5]. وحافظ ديوان البريد[6] على أهميته ودوره. وعمد اوائل البويهيين ولحاجتهم الماسة إلى تبادل الرسائل فيما بينهم إلى تنظيم وتطوير[7] عمل السعاة حتى كانت الكتب تصل من شيراز إلى بغداد في سبعة أيام[8]. وكانت معرفة اخبار الرعية والعمال ورجال الدولة، وأحوال الدول الأخرى أحد اختصاصات صاحب البريد. وقد أولى البويهيون اهتماماً خاصاً بالجاسوسية وتوسيع نطاقها وتنظيمها. وكان الجواسيس (اصحاب الأخبار) على صلة مباشرة بالأمير[9] (انظر سابقاً). وقد حافظت كافة الدواوين على اختصاصاتها التي عرفتها قبل السيطرة البويهية[10].

كان يتولى كل ديوان رئيس هو صاحب الديوان. وأحياناً كان يتولى شخص واحد رئاسة أكثر من ديوان[11]. وكان يساعده مجموعة من الموظفين، وقد ازدادت اعدادهم باتساع الأجهزة الإدارية وتشعب الدواوين، ومنهم كان يختار كبار رجال الدولة من رؤساء دواوين ونواب ووزراء. وشكل الكتاب «طبقة اجتماعية مميزة»[12] لها نفوذها ومكانتها داخل المجتمع. وكانت الدراعة لباسهم الخاص المميز. وكان يخلع على اصحاب الدواوين ويلقبون. وكانت الخلعة دراعة

---

(١) الصابي، تاريخ، ص ٣٥١. ذيل، ص ١٥، ٦٦، ٦٧، ٢٥٠. EI², art diwan, t. III, p. 355.

(٢) التوحيدي، امتاع، جـ ١ ص ٩٨.

(٣) ذيل، ص ٤٠، ١٨٧، ٣٠٩. الصابي، تاريخ، ص ٤٤٢، ٤٤٣. EI², art diwan, t. III, p. 355.

(٤) الصابي، تاريخ، ص ٤٤٣.

(٥) ذيل، ص ٤١ ـ ٥٢. الثعالبي، يتيمة، جـ ٢ ص ٣١٢. ياقوت، ادباء، جـ ٥ ص ١٦٨.

(٦) ذيل، ص ٤٠ ـ ٤١، ٢٥٨. الصابي، تاريخ، ص ٤٣٩.

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٦ ص ٣٤١.

(٨) ذيل، ص ٤٠.

(٩) سياسة نامة، ص ١٠٤ ـ ١١٥.

(١٠) انظر حول أعمال واختصاصات الدواوين متز، جـ ١ ص ١٤٧ ـ ١٥٦. EI², art diwan, t. III. p. 332-336.

(١١) مسكويه، جـ ٢ ص ١٢٠.

(١٢) Cahen, Islam, p.75-76.

ديبقية وعمامة قصب واحياناً يحملون على فرس بمركب [١]. وكعادة البويهيين، فلم يعد رؤساء الدواوين يتلقون مرتبات كما كانت الحال سابقاً، بل كانوا يقطعون اقطاعاً بدلاً عن ذلك [٢]. إلا أنهم فوق ذلك كانوا يحصلون بطرق مشروعة وغير مشروعة على واردات كبيرة. فعندما قرر معز الدولة مصادرة كتابه وعماله سنة ٣٥٠ / ٩٦١ لتأمين الأموال لبناء قصره، كان جواب احدهم «إني خدمت الأمير ولا املك إلا طنفسة وكساء ودواة وأنا اليوم نظير أكبر ملك من ملوك الأطراف مالاً وضياعاً وأثاثاً وغلماناً وفرشاً» [٣] ودفع خمسمائة ألف درهم، وأخذ من صاحب الديوان ثلاثمائة ألف درهم، والمبلغ نفسه من صاحب ديوان الجيش واكثر من مائتي ألف دينار من الخازن [٤].

وكان من بين الكتاب عدد من الذميين، خاصة من النساطرة [٥] والمسيحيين [٦].

٤ ـ القضاء، القاضي

ظل القضاء بمنأى نسبياً عن سلطة الأمراء البويهيين. واحتفظ الخليفة بحق تعيين القضاة وعزلهم [٧]. لكن ذلك لم يكن بصورة مطلقة. إذ عملياً كان الخليفة يكتفي باقرار أو برفض تعيين القضاة المقترحين من الامراء البويهيين. وقد اشرنا سابقاً، إلى الحادثتين التي وقع فيها خلاف بين الأمير البويهي والخليفة حول تعيين القضاة. وفيما تمكن معز الدولة سنة ٣٥٠ / ٩٦١ من تمكين أبي العباس بن أبي الشوارب الذي اشترى منصبه كقاض، مقابل ٢٠٠ ألف درهم سنوياً، تدفع لمعز الدولة، من ممارسة عمله رغم معارضة الخليفة المطيع الشديدة لذلك ورفضه إقرار هذا التعيين ولا حتى السماح لهذا القاضي من الوصول إليه في ايام المواكب والمناسبات [٨]. نرى الخليفة القادر قد تمكن من تجميد قرار بهاء الدولة في تعيين الشريف أبي أحمد الحسين بن موسى قاضي قضاة لأنه كان شيعياً. فيما وافق على تقليده إمارة الحج والمظالم ونقابة الطالبيين [٩]. وفيما عدا هاتين الحالتين،

---

(١) مسكويه، جـ ٢ ص ٢٤٢، ٢٦٤. ذيل، ص ١٥٣ ـ ١٥٤.
(٢) مسكويه، جـ ٢ ص ١٨٨.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٨٥ ـ ١٨٨.
(٤) مسكويه، جـ ٢ ص ١٨٥ ـ ١٨٨.
(٥) ياقوت، أدباء، جـ ١ ص ٣٢٤.
(٦) مسكويه، جـ ٢ ص ١٨٦ ـ ١٨٨، ٣٦٤.
(٧) Kabir, administration, p.14.
(٨) مسكويه، جـ ٢ ص ١٨٨ ـ ١٨٩. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٢. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٣٦٠.
(٩) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧. ابن الأثير، جـ ٧ ص ٢٢٤.

التي حاول فيها الأمير البويهي فرض قضاة لا يستوفون الشروط الاساسية للتعيين كما جرت العادة، فقد سارت الأمور على أن يقوم الأمير البويهي، في أغلب الأحيان، باقتراح تعيين القضاة، ثم يقر الخليفة هذا الاقتراح مرفقاً بالعهد والخلع.

وقد حافظ المنصب على اهميته ومكانته، وعلى العموم فلم يتولاه سوى رجال عرفوا بالاستقامة والعلم والعدل. ولم تتكرر تلك الحادثة البشعة التي اقدم عليها معز الدولة. بل إنه سرعان ما تراجع عنها [1] وعزل ابن ابي الشوارب سنة ٣٥٢ / ٩٦٣. وجاء خليفته ابو بشر عمر بن اكثم مثال القاضي المتشدد فاشترط على ان يتولى القضاء دون رزق وأصر على أن لا يمضي شيئاً من أحكام سابقيه [2]. وفي سنة ٣٦٣ / ٩٧٣ استعفى قاضي القضاة ببغداد أبو محمد بن معروف لأنه رفض إمضاء أمر غير شرعي [3]. ولم يكن خليفته محمد بن صالح بن ام شيبان اقل تشدداً منه فاشترط عند توليه منصبه ألا يتناول على القضاء أجراً يخلع عليه، ولا يأمر ما لا يوجبه حكم، ولا يقبل شفاعة في فعل ما لا يجوز وفعل ما لا يقتضيه شرع [4]. ومن حسن سياسة عضد الدولة، انه كان يرفض الشفاعات، ويروى ان احد قادة جيشه أبا زهير اسفار بن كردويه طلب منه التدخل لتعيين احد من يهمه امره، شاهداً، فكان رد عضد الدولة «بابا زهير مالك وللخطاب في مثل هذا وفي الشهادة والشهود انما يتعلق بك الخطاب على زيادة قائد أو نقل رتبة إلى رتبة أما قبول الشهادة فليس لنا ولك قول فيه وهو متعلق بالقضاة ومتى عرفوا من إنسان ما يرون معه قبول شهادته فعلوا ذلك، بغير أمر ولا شفاعة شافع إليهم» [5].

كذلك احتفظ القضاة بمكانتهم، فعندما ورد قاضي القضاة ابو الحسن عبد الجبار بن احمد وابو الحسين علي بن ميكال إلى بغداد في طريقهما للحج سنة ٣٨٩ / ٩٩٨ خرج القضاة والفقهاء والشهود ووجوه الناس وكبار رجال الدولة وعلى رأسهم أبو نصر سابور نائب بهاء الدولة في العراق، لاستقبالهما [6]. وقد بلغ من قوة القاضي أبي حامد احمد بن محمد الاسفرائيني وكان احد قضاة [7] بغداد سنة ٣٩٨ / ١٠٠٧، أن كتب إلى الخليفة بعد أن وقع منه ما أوجب ذلك «أعلم انك لست بقادر على عزلي عن ولايتي التي ولانيها الله تعالى، وأنا اقدر أن اكتب إلى خراسان بكلمتين أو

---

(١) مسكويه، جـ ٢ ص ١٩٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٩٦. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ١٦، ١٧. Kabir, Administration, p.16-17.

(٣) المصدر نفسه، ص ٧٤. Ibid.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٦٤، ٧٦.

(٥) ذيل، ص ٦٥ - ٦٦.

(٦) الصابي، تاريخ، ص ٣٣٨.

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٢٣٧.

ثلاث اعزلـك عـن خلافتـك[1]. كـذلـك لم يتردد اقضى القضـاة أبـو الحسـن الماوردي سنـة ٤٢٩ / ١٠٣٧ رغم علاقته الوطيدة بجلال الدولة ومكانته العالية عند البويهيين، من الامتناع عن الإفتاء بجواز تلقيب الأمير بملك الملوك رغم افتاء عدد من القضاة والفقهاء بذلك[2].

ولم يكن كافة القضاة يمتنعون عن رفض أخذ اجر لهم إتقاء للشبهة. بل كان الأمر أن يأخذ القاضي أجراً من بيت المال. فكان دخل القاضي علي بن المحسن التنوخي في كل شهر من القضاء ودار الضرب ٦٠ ديناراً[3]. أما معاونو القاضي، فيذكر انه عندما قلد ابن ام شيبان قاضي قضاة سنة ٣٦٣ / ٩٧٣ اشترط أن يعطي لكاتبه في كل شهر ٣٠٠ درهم ولحاجبه ١٥٠، ومن يعرض الأحكام ١٠٠ درهم ولخازن ديوان الحكم ومن معه من الأعوان ٦٠٠ درهم[4].

وكان بعض القضاة، من المقربين جداً للأمراء البويهيين ووزرائهم حتى اعتبروا من حاشيتهم، ومن هؤلاء كان القاضي ابو القاسم علي بن محمد التنوخي. فيحكى أنه كان من أصحاب الوزير المهلبي وممن كانوا يجتمعون عنده في الاسبوع ليلتين على أطراح الحشمة والتبسط في القصف والخلاعة[5]. أما ابنه القاضي، ابو علي المحسن، صاحب الفرج بعد الشدة ونشوار المحاضرة، فكان من المقربين لعضد الدولة ويرافقه احياناً في تنقلاته، إلا أنه في آخر أيامه غضب عليه وعزله[6].

وفيما عانى الكثير من الامراء والوزراء وكبار رجال الدولة من الاعتقال، والمصادرة والقتل والإضطهاد، فإننا لا نجد سوى بعض الحالات القليلة التي تعرض فيها القضاة للإعتقال أو المصادرة، إلا أننا لم نسمع أن قاضياً قتل أو مات مسجوناً خلال العهد البويهي. ففي سنة ٣٦٩ / ٩٧٩ قام عضد الدولة بإعتقال قاضي القضاة ابي محمد بن معروف وارسله إلى احد قلاع فارس، وكان سبب ذلك ما اتهم به من التقصير في حق عضد الدولة وبأنه ينفسح فيما لا ينبغي للقضاة مثله[7]. ثم افرج عنه بعد وفاة عضد الدولة[8] واعاده شرف الدولة إلى منصبه قاضي قضاة سنة ٣٧٦ / ٩٨٦[9]. وسبق للوزير المهلبي أن صادر املاك قاضي القضاة أبي السائب سنة

---

(١) انظر متز، جـ ١ ص ٤٠٠.
(٢) ابن الأثير، جـ ٨ ص ١٦. ياقوت، أدباء، جـ ٥ ص ٤٠٧ - ٤٠٩.
(٣) ياقوت، أدباء، جـ ٥ ص ٣٠٢.
(٤) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٦٤. السيوطي، ص ٣، ٤.
(٥) ياقوت، أدباء، جـ ٥ ص ٣٣٢ - ٣٤٦. الثعالبي، يتيمة، جـ ٢ ص ٢٣٥ - ٢٣٦.
(٦) ياقوت، أدباء، جـ ٦ ص ٢٥١، ٢٦٧؛ البلدان، جـ ٤ ص ٣٠٥ ذيل. ص ١٩ - ٢١.
(٧) مسكويه، جـ ٢ ص ٣٩٩. ابن الجوزي. المنتظم، جـ ٧ ص ٩٨. Kabir, Administration, p.18.
(٨) ذيل، ص ٨١.
(٩) ذيل، ص ١٣٦.

٣٥٠ / ٩٦١ عند وفاته(١). وفي سنة ٣٨٥ / ٩٩٥ قبض فخر الدولة امير الجبال على قاضي القضاة أبي الحسن عبد الجبار بن احمد وصادره وصادر جماعته(٢).

إلا أن كلمة قاضي القضاة لم تعد تعني تماماً مثلما كانت تعني قبلاً. قبل البويهيين، كان الخلفاء يولون القاضي المقيم ببلدهم القضاء بجميع الأقاليم والبلاد التي تحت ملكهم، ثم يستنيب القاضي من شاء في كل اقليم وفي كل بلد ولهذا كان يلقب قاضي القضاة ومن عداه بالقاضي فقط. أما أيام البويهيين، فقد بات هناك أكثر من قاضي قضاة واحد، بل انه بات في البلد الواحد أربعة (قضاة) كل منهم يلقب قاضي القضاة(٣). وربما كان ذلك أحد الأسباب التي أدت إلى ايجاد منصب جديد في هذه الفترة هو أقضى القضاة(٤) الذي كان اول من لقب به هو قاضي القضاة أبو الحسن الماوردي، مؤلف الأحكام السلطانية، وذلك سنة ٤٢٩ / ١٠٣٧. ويبدو أن هذا اللقب اقتضته ضرورة اعادة التمييز بين «رئيس الهيئة القضائية» وبين سائر القضاة، الأمر الذي لم يعد يؤمنه لقب قاضي القضاة بعد ان تعدد حاملوه. أما لجهة صلاحيات هذا المنصب فلا يبدو أنها اختلفت عن تلك التي كانت لقاضي القضاة أصلاً. عدا أنه كان تكريماً لقاضي القضاة الماوردي، واقراراً بفضله وعمله. وكان الماوردي ذا منزلة كبيرة من ملوك بني بويه يرسلونه في التوسطات بينهم وبين مناوئيهم ويرتضون بوساطته(٥)، ويأخذون بآرائه؛ كما كان مبعوثاً شخصياً للخليفة عند سائر الأمراء والملوك(٦). وكانت العادة جارية ان يكون القاضي مبعوث الخليفة الشخصي عند الامراء والملوك(٧).

وقد حفظت لنا كتب العهود التي كان يبعث بها الخليفة والأمير البويهي إلى القضاة عند تعيينهم، الكثير من المعلومات عن أعمال القضاة، وكيفية النظر بالدعاوي وعن مساعدي القاضي وأهمهم الشهود وكيفية معاملته للخصوم(٨) إلخ. كذلك كتاب الاحكام السلطانية للماوردي والذي كتب في ذلك العصر.

وكان الخليفة، يعين إلى جانب قاضي القضاة الذي كان مقره عادة في عاصمة المملكة، عدداً من القضاة في المقاطعات والمدن الرئيسية. وبالاجمال، فإن الوحدات القضائية لم تكن متطابقة مع

---

(١) مسكويه، جـ ٢ ص ١٨٤.

(٢) ذيل، ص ٢٦٢.

(٣) السيوطي، ص ٤٠٤.

(٤) ياقوت، أدباء، جـ ٥ ص ٤٠٧ - ٤٠٩. ابن الأثير، جـ ٨ ص ١٦..

(٥) المصدر نفسه، ص ١٤ - ١٦. Kabir, Administration, p.15, 20.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ١١٦. ابن الأثير، جـ ٨ ص ٣٩.

(٧) مسكويه، جـ ٢ ص ١٧٦، ٤١٢.

(٨) الصابي، رسائل، ص ١٦٨، ٢٠٧. الصاحب رسائل، ص ٣٤، ٤٠ - ٤٦. Cahen, Islam, p.77-78.

الوحدات الادارية والضرائبية القائمة[1]. فبغداد وحواليها كانت مقسمة إلى أربع مناطق قضائية على كل منها قاضٍ،[2] لكن هذا التقسيم لم يكن ثابتاً، كذلك عدد القضاة، إذ كان يتبدل بسبب وفاة أحد القضاة أو لأسباب أخرى، فأحياناً كان عدد قضاة بغداد ثلاثة[3] واحياناً اثنين[4]، وفي بعض الحالات واحد[5]. وكان القاضي عبد الجبار بن احمد يجمع بين قضاء الري وجرجان وطبرستان[6]. أما فارس فكانت مع خوزستان تشكلان وحدة قضائية إذ كانتا تُجمعان لقاضٍ واحد[7] يتبع له مجموعة من القضاة المعينين في المدن الرئيسية كشيراز مثلاً. فعندما اعتقل عضد الدولة قاضي القضاة ابن معروف، قلد مكانه أبا سعد بشر بن الحسين وكان قاضي قضاة شيراز[8]. كما كان لسيراف قاضيها، فيذكر ان الحسن بن عبدالله (المتوفي في عام ٣٦٩ / ٩٧٨) لبث على قضاء مدينة سيراف خمسين عاماً، وكان يرفض ان يتقاضى اجراً، ويكتفي مما يبيعه من منسوخاته المشهورة بجودة خطها[9]. كما أن القاضي علي بن محمد التنوخي (المتوفي سنة ٣٤٢) تولى قضاء ارجان، وسابور[10]، في بعض الفترات.

وقد برز في هذا العصر في سائر انحاء المملكة الإسلامية، اتجاه لجعل المناصب وراثية في بعض المراكز والمهن، وكان أبرز ذلك في مناصب القضاء. ففي القرنين الثالث والرابع تقلد قضاء القضاة من أسرة واحدة هي أسرة ابي الشوارب ثمانية رجال ببغداد، عدا ستة عشر قاضياً آخرين من هذه الإسرة[11]. كذلك كان الأمر بفارس، إذ برز بنو ابي بردة، الذين كانوا يتولون قضاء القضاة في هذه المقاطعة منذ سنة ٣٢٥ / ٩٣٧، وكان منهم عبدالله بن محمد بن أبي بردة[12]. أحد المعتزلة المشهورين.

وكان معظم قضاة فارس من المعتزلة واهل الظاهر (الداودية) ويذكر المقدسي ان عضد الدولة

---

(1) Kabir, Administration, p.20.

(2) مسكويه، جـ ٢ ص ٣٩٩ ـ ٤٠٠. ذيل، ص ٢٧٧.

(3) الصابي، تاريخ، ص ٣٧٢.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٣٨.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ٢٧٣.

(6) الصاحب، رسائل، ص ٣٤ و٤٢.

(7) الصابي، وزراء، ص ١٥٧. ابن الأثير، جـ ٨ ص ٤١.

(8) مسكوية، جـ ٢ ص ٣٩٩. المصدر نفسه، جـ ٧ ص ١٠٣.

(9) ياقوت، أدباء، جـ ٣ ص ٨٤ ـ ١٢٥. متز، جـ ١ ص ٤٠٨.

(10) المصدر نفسه، جـ ٥ ص ٣٣٢ ـ ٣٤٦.

(11) انظر متز، جـ ١ ص ٤٢٥ ـ ٤٢٦.

(12) المصدر نفسه، ص ٤٢٦. ياقوت، أدباء، جـ ٥ ص ٣ ـ ٤.

كان من أنصار الداودية [1]. وفي سنة ٣٦٩ / ٩٧٩ عين عضد الدولة بشر بن الحسين قاضي القضاة وهو من أهل الظاهر وكان مقيماً بفارس، واستخلف له ببغداد أربعة خلفاء هم من رؤوس المعتزلة [2]. وكان القاضي أبو الحسن الجزري امام أهل الظاهر في زمنه، وصحب عضد الدولة وقدم من شيراز معه إلى بغداد [3]. كما تولى عدد من الشافعيين هذا المنصب أيضاً، وكان منهم أبو الحسن عبد الوهاب بن المشتري قاضي خوزستان وفارس [4]. وكان ينظر إلى منصب القاضي على انه منصب ديني [5]. ومن مهامه الذود عن الدين بوجه الفرق والمذاهب المناهضة. لذلك رأينا قاضي شيراز يقود العامة ضد أعمال الداعي الاسماعيلي المؤيد الشيرازي. ويهددون أبا كاليجار بالفتنة اذا لم يضع حداً للداعي الفاطمي [6]. كذلك فعل قاضي قضاة فارس وخوزستان ابن المشتري، وبعث إلى الخليفة برسالة ينعي فيها خلافة بني العباس اذا لم يتم التخلص من الداعي الشيرازي [7].

٥ ـ الجيش

أدت التطورات التي عرفتها المؤسسة العسكرية في القرن الثالث الهجري، إلى تغييرات أساسية في بنية الجيش ودوره. فباتت تعددية عناصره، وغربتها عن المجتمع، وفقدانها للرابطة القومية فيما بينها ومع الخلافة والسكان، صفات ملازمة للجيش، مما اسفر عن اضطراب احواله، وساهم بالتالي في زيادة حدة الإضطرابات التي عرفتها الدولة العباسية انذاك (انظر الفصل الثاني) ولم يعد الجيش الركيزة الأولى للخلافة، بل أصبح هو السلطة الأولى، تخضع لها كل السلطات الأخرى، ابتداءً من الخليفة والوزارة وكل الدوائر الأخرى. كما أن مفاهيم الجيش وأهدافه ومبادئه تبدلت نتيجة تلك التطورات، فباتت هيمنة احدى العناصر داخله، والصراع على السلطة بين أطرافه الهمّ الاساسي له، كما باتت المكاسب المادية وتوفير رغبات الجند والقادة هي شرط الطاعة للأمير أو للقائد، لذلك لم يكن غريباً أن تشهد فترة حكم أمير الأمراء، وهي التي تولى خلالها الجيش السلطة الفعلية في البلاد، اشد حالات الاضطراب والفوضى.

عندما تم للبويهيين السيطرة على فارس ومن ثم على معظم الخلافة العباسية، فإنهم لم يستطيعوا أن يعيدوا

---

(١) المقدسي، ص ٤٣٩.
(٢) مسكويه، جـ ٢ ص ٤٠٠.
(٣) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٢١١.
(٤) المصدر نفسه، ص ٨ ص ٤١.

Kabir, Administration, p.14.

(٥) سيرة المؤيد، ص ٦.
(٦) المصدر نفسه، ص ٦٣ ـ ٦٤.

تنظيم الجيش وإعادة ترتيب أوضاعه الداخلية وضبطه بل بالعكس، إذ أدت سياساتهم التي اتبعوها حياله وضعفهم تجاهه إلى تفاقم الأمر، وبات الجيش عبئاً ثقيلاً على الدولة ومواردها وعلى السكان وأمنهم. وقد فشل البويهيون منذ بداية سيطرتهم على فارس من إقامة جيش « وطني »، أي جيش تقوم قاعدته الأساسية على بني قومهم الديلم. وذلك لأن الديلم وهم الذين اعتادوا من زمن بعيد حياة العمل كجنود مرتزقة، كانوا أيضاً موزعي الولاء بين عدد من قادتهم كأسفار وماكان، كما كان قسم منهم في خدمة أمير الامراء ببغداد، (انظر الفصل الثاني والسادس). ولم يكن البويهيون عند بداية أمرهم يملكون اية قاعدة اجتماعية تساعدهم على كسب طاعة الديلم وولائهم (انظر الفصل السادس) لكن مع بداية الإنتصارات التي حققها علي بن بويه، وما توفر له من مغانم مكنته من جذب الكثير من الديلم إلى جيشه ولكن أيضاً التحق به عدد من الأتراك بعد مقتل مرداويج بن زيار (انظر الفصل الخامس).

إذاً، تكوّن جيش البويهيين في فارس في مستهل الأمر، بغلبة ديلمية، لكن رغم الإنتصارات التي حققوها وتمكنهم من إقامة ملك لهم في فارس والجبال والإستيلاء على العراق، ألا أنهم لم يستطيعوا أن ينتزعوا من الديلم إقراراً بكونهم اسرة مالكة جديدة، يسلمون بقيادتها ويدينون لها بالطاعة، بل ظل الديلم ينظرون اليهم تلك النظرة المتخلفة التي تقوم بين الجندي المرتزق وقائده، فالطاعة قائمة ما دامت مؤنتهم ومكاسبهم متوفرة، ومتطالباتهم مهما كانت، محققة. ولا طاعة من غير ذلك. لذلك كاد علي بن بويه مع بداية تقدمه في فارس أن يفقد كل ما حققه، ويخسر جيشه لولا انه كان في اللحظة الأخيرة يتمكن من تأمين الأموال اللازمة لهم وتلبية طلباتهم[1]. ولقد حكمت هذه القاعدة علاقة البويهيين بجيشهم، في فارس كما في سائر الأقاليم التي خضعت لهم، ولم يكن مردها فقط إلى طبيعة الديلم، والبويهيون جزء منهم (انظر الفصل الثالث)، بل أيضاً إلى عجز هؤلاء الآخرين، حتى عندما باتوا حكام الخلافة، عن ادراك اهمية استبدال تلك القاعدة، بقاعدة الولاء للدولة، بل نجد ان البويهيين الثلاثة الأوائل، كانوا يعتبرون تلك العلاقة القائمة على المنافع، والمكاسب المادية مقابل الطاعة، أمراً عادياً، وطبيعياً. فعلي بن بويه (عماد الدولة) رغم كل ما اتصف به من قوة وحسن سياسة، إلا أنه كان كثير المداراة لجنده، لا يرفض لهم مطلباً ولو على حساب احوال المملكة.

ويقول مسكويه أن الجند كانوا متحكمين بالأمور، والدنيا في ايديهم يملكونها كيف شاؤوا لا يمنعهم أحد منها، وإنما أميرهم يسمى بالأمرة ما دام يستجيب لهم وإلى إقتراحاتهم ومن خالفهم استبدلوا به. وكان ركن الدولة وقبله عماد الدولة يوسعان عليهم في الاقطاعات ويبذلان لهم من

---

(١) مسكويه، جـ ١ ص ٢٩٩. الهمداني، ص ٨٨.

الرغائب ما لا يبقى حجة ولا موضع طلب وهم مع ذلك يتحكمون ويبسطون ايديهم ويطمعون فيما لا مطمع فيه [1]. ويصف ركن الدولة بأنه كان يتصرف «على طريقة الجند المتطلبين بتغنم ما يتعجل له ولا يرى النظر في عواقب أمره وعواقب أمور رعيته، وكان يفسح لجنده وعسكره على طريق مداراتهم ما لا يمكن أحداً تلافيه وردهم عنهم وكان مضطراً إلى فعل ذلك لأنه لم يكن من اهل بيت الملك ولا كانت له بين الديلم حشمة من يتمثل جميع أموره، وإنما يرأس عليهم بسماحة كثيرة كانت فيه ومسامحة في اشياء لا يحتملها أمير عن مأمور وهذه سيرة إذا عودها الجند لم يمكن أن يفطموا عنها بل تزداد مع الأيام وتتمادي حتى ينتهي الى ما انتهى إليه جند عصرنا من نسجهم على الملوك واقتراحاتهم ما لا يفي به دخل المملكة وخروجهم في سوء الأدب [2].

وقد ظهرت نتائج هذه السياسة في فارس في أواخر أيام عماد الدولة، فعندما قرر تعيين ابن اخيه خلفاً له، أظهر عدد من قادة جيشه عدم رضائهم على ذلك. وكانوا يرون أنفسهم احق في خلافته وتولي إمارة فارس، مما دفع بعماد الدولة إلى اعتقال بعضهم [3]. لكن ذلك لم يحول دون إضطراب الجيش على خليفته عضد الدولة، الذي لم يستتب له أمر فارس إلا بعد حضور ابيه ركن الدولة ووزير عمه معز الدولة بجيوشهما فاعادا ضبط الأوضاع وترتيب وضع الجيش [4]. ثم جاء تمرد روزبهان الديلمي في العراق وأخويه اسفار في خوزستان وبلكا في فارس سنة ٣٤٥ / ٩٤٦ بمثابة ضربة مؤلمة للبويهيين من جيشهم. فقد كان روزبهان احد كبار قادة معز الدولة، وصنيعته، وموضع ثقته حتى ان هذا الأخير عندما علم بحركة روزبهان لم يصدق ذلك للوهلة الأولى. وقد بلغ من قوة حركة التمرد هذه أن هددت بالفعل بزوال ملك بني بويه، خاصة بعد ان انحاز معظم الديلم إلى جانب روزبهان وأخويه مما اضطر معز الدولة إلى الاعتماد على جنده الاتراك وخاض بهم معركة انتحارية وانتصر فيها. أما في فارس فقد اجبر بلكا عضد الدولة على الخروج من شيراز والتي لم يعد إليها إلا بمساعدة جيوش ابيه ركن الدولة التي قادها وزيره ابن العميد [5]. وكانت النتيجة الأساسية لهذه الحركة، بداية اعتماد البويهيين على الجند الاتراك. ويذكر مسكويه، ان معز الدولة بعد قضائه على التمرد، ابعد كل الديلم الموالين لروزبهان من الجيش، واعتقل جماعة من قواده الديلم لشكه في نواياهم وأعرض عن سائر الديلم، وأقبل على الأتراك واصطنعهم [6]. لكن

---

(١) مسكويه، جـ ٢ ص ٢٨٠.

(٢) مسكويه، جـ ٢ ص ٢٧٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢٢. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٣٣٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٢٠، ١٣٧. المصدر نفسه، جـ ٦ ص ٣٣٢.

(٥) مسكويه، جـ ٢ ص ١٦٢ ـ ١٦٦. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٦٦.

سياسة البويهيين مع الاتراك لم تختلف عما كانت عليه مع الديلم، حتى أن معز الدولة، كان قبل تمرد سنة ٣٤٥/ ٩٥٦، قد اخذ يميل إلى غلمانه الاتراك فتوسع في إقطاعاتهم وأسرف في تمويلهم مما أدى إلى غيرة الديلم ومنافستهم وإلى اشتداد الصراع بين الطرفين [١]. ثم جاء تمرد روزبهان وما نتج عنه ليزيد من نفوذ الاتراك، وأطلق معز الدولة يدهم في البلاد فعاثوا فساداً، وصادروا العمال، وامتدت يدهم إلى حقوق بيت المال [٢].

تعددية الجيش

وكان الاتراك قد باتوا القوة الاساسية في جيش الخلافة منذ عهد المعتصم. كما باتوا عنصراً أساسياً لا غنى عنه في جيوش أمراء المقاطعات والممالك الأخرى، لما امتازوا به من مميزات عسكرية (انظر الفصل الثاني) ولما عرف عنهم من اخلاصهم لاصحابهم بصفة عامة. وكان لا غنى للبويهيين عن الاتراك من الناحية العسكرية، فإذا كان الديلم جند مشاة من الدرجة الأولى (انظر الفصل الثالث) فكانوا بحاجة إلى فرق الفرسان، أي إلى الأتراك الذين تخصصوا على الأقل في بعض ألوان من قتال الفرسان [٣]. وكان أن انضم لعلي بن بويه قسم من اتراك مرداويج إثر مقتله. ثم رأينا سنة ٣٢٤ / ٩٣٥ علي بن بويه يرسل مع أخيه احمد لغزو كرمان ١٥٠٠ من الديلم وخمسمائة من الاتراك [٤]. وشيئاً فشيئاً اخذ الاتراك يكسبون ثقة البويهيين، خاصة بعد أن كثرت حركات تمرد الديلم وشغبهم وكثرة مطالبهم. فما كاد معز الدولة يستقر ببغداد سنة ٣٣٤ / ٩٤٥ حتى شغب الديلم وتطاولوا عليه حتى اضطر إلى مصادرة الناس واستخراج الأموال من غير وجوهها لإرضائهم وتهدئتهم [٥]. ثم جاء اضطراب ديلم جيش فارس إثر وفاة عماد الدولة، وأيضاً تمرد روزبهان وأخويه، ليزيد من اعتماد البويهيين على الأتراك، وليزيد اعداد هؤلاء في الجيش، ولا عجب إن رأينا معز الدولة يضمن وصيته إلى ابنه بختيار، بأن يداري الديلم ولا يقصر في استحقاقاتهم لئلا يشعلوا الفتنة، ألا أنه أيضاً أوصاه بالأتراك والابقاء عليهم نواة أساسية لجيشه والاعتماد عليهم لقمع الديلم اذا خرجوا عن الطاعة [٦].

إذاً، كان الهدف الآخر من وراء، إدخال الأتراك إلى الجيش، ومن ثم زيادة عددهم

---

(١) المصدر نفسه، ص ٩٩ ـ ١٠٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٧٤.

(٣) Cahen, Islam, p.179.

(٤) مسكويه، جـ ١ ص ٣٥٢ ـ ٣٥٣.

(٥) المصدر نفسه، جـ ٢ ص ٩٦.

(٦) مسكويه، جـ ٢ ص ٢٣٤.

ونفوذهم، ايجاد قوة موازية للديلم، لمواجهة نفوذهم المتصاعد والحد من تسلطهم، وضربهم في حالات العصيان، ومن ثم استغلال التناقضات بين جناحي الجيش لضرب احدهما بالآخر عند الضرورة. لكن السياسة التي إنتهجها البويهيون تجاه الجيش والتي لم تمكنهم من ضبط بني قومهم الديلم، لن تؤدي إلى ضبط الأتراك، بل ستزداد الصراعات داخل الجيش بين الطرفين، كذلك لن يتمكن البويهيون بصورة دائمة من استخدام أحد الأطراف ضد الآخر، ففي بعض الحالات تحالف الأتراك والديلم ضد الأمير البويهي واجبروه على تلبية طلباتهم كاملة (١).

لقد بات الجيش البويهي، مؤلفاً من «جيشين حقيقيين» واحد ديلمي وآخر تركي وإلى جانبهما عداد من أصناف اخرى؛ حتى ان ديوان الجند بات ديوانين يسمى ديوان الجيشين وكان لكل منهما رئيساً يسمى «عارض» فواحد كان للديلم وآخر للاتراك والاعراب والاكراد وسواهم (٢). وقد شملت هذه التعددية في عناصر الجيش، كل جيوش البويهيين في العراق، والجبال، وايضاً في فارس، ففي سنة ٣٦٠ / ٩٧٠ عندم ارسل عضد الدولة جيشه لمقاتلة قبائل القفص والبلوص، كان يتألف من الديلم والجيل والاتراك والاعراب والاكراد والزط ورجال السيفية (٣)، وفي سنة ٣٨٤ / ٩٩٤ كان مع صمصام الدولة أمير فارس جيش من الديلم وبنو تميم وبنو أسد (٤).

ولم تكن فقط هذه التعددية الاتنية لتركيبة الجيش وراء تلك الصراعات العنيفة التي شهدتها «المؤسسة العسكرية» البويهية، بل إنضاف إليها تعددية مذهبية ساعدت في إذكاء نار تلك الصراعات، إذ كان الديلم من الشيعة، والاتراك من السنة، لذلك انخرط الجيش البويهي في الصراع بين السنة والشيعة والذي شهده العصر البويهي بوتيرة وبعنف لا مثيل لهما خاصة في العراق. إذ وقف الاتراك مع اهل السنة والديلم مع الشيعة وكانوا هم أحياناً سبباً لتلك الفتن (٥). أما في فارس فرغم ان المقاطعة لم تشهد فتناً طائفية، للتدليل على حالة انقسام الجيش، إلاّ أن الأمر كان واقعاً، وذلك انه من الصعب اصلاً الفصل بين جيش فارس وجيش العراق، بإعتبار ان معظم امراء فارس كانوا في الوقت نفسه امراء للعراق، وبالتالي كان هناك وحدة حال للجيش البويهي في فارس أو العراق. إلا أننا ايضاً نملك مؤشراً للإنقسام الطائفي الذي كان يعاني منه جيش فارس. فعندما احتدم الصراع بين أهل السنة في فارس مع الداعي الفاطمي المؤيد الشيرازي وجماعته، هدد

---

(١). ذيل، ص ١٨٧، ٢٠٣.

(٢). ذيل، ص ٤٠، ١٨٧، ٢٢٧، ٣٠٩. El², art, Djaysh, t. II. p.520.

(٣). مسكويه، حـ ٢ ص ١١٨ ـ ١٣٨، ٣٠٠. ذيل، ص ٩، ١١.

(٤). ذيل، ص ٢٥٦.

(٥). مسكويه، جـ ٢ ص ٣٢٧، ٣٢٨. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٥٣، ٢١١، وجـ ٨ ص ٦٥.

قاضي البلد[1] بأنه إذا ما استعان المؤيد بالديلم، استنجد خصومهم (أي السنة) بعبرهم (أي الاتراك).

حتى نهاية حكم شرف الدولة لفارس ٣٧٩ / ٩٨٩، وفي عدا حالة الإضطراب التي عرفها جيش هذه المقاطعة إثر وفاة علي بن بويه وتولي عضد الدولة مكانه، وأيضاً حركة تمرد بلكا أخ روزبهان (أنظر سابقاً)، فإن جيش فارس لم يعرف حالة الصراعات والفتن والتمرد التي كان يعيشها جيش بغداد[2]. وذلك لما تمتعت به المقاطعة من امكانات اقتصادية أتاحت توفير متطلبات الجيش، وعدم احتدام الصراع بين السنة والشيعة، كما كانت عليه الحال في بغداد، وانعدام الصراع الداخلي أو الخارجي على فارس خلال هذه الفترة، الأمر الذي كان أحد الأسباب لإنقسام الجيش وتمرده في بغداد ولاحقاً في فارس. لكن، وبالإضافة إلى كل هذه الأسباب، التي حالت دون إضطراب الجيش في فارس خلال تلك المرحلة، فإن تولي إمارة فارس في هذه الفترة، ثلاثة من أعظم امراء بني بويه قد ساهم كثيراً في ضبط الجيش وتماسكه، فإذا كانت السياسية السيئة التي اتبعها عماد الدولة علي بن بويه تجاه جيشه والتي قامت على مجاملتهم وتلبية طلباتهم والخضوع لرغباتهم (انظر سابقاً) قد أدّت إلى زيادة إضطراب الجند وكثرة فتنهم وشغبهم وتمردهم، ألا أنه قد تمكن من سد هذه المساوىء، وبالتالي الحفاظ على تماسك جيشه والحيلولة دون إنقسامه وتمرده بفضل موقعه كرئيس للاسرة البويهية ومؤسس الدولة، وهيبته على جنده وقادته.

لكن حالة الجيش لم تبلغ أوجهها، لجهة تنظيمه، وضبط أوضاعه، وغياب كل حالات التمرد، والفتن، إلا في عهد عضد الدولة، وهو العهد الذهبي للدولة البويهية. ولقد اثبتت سياسة عضد الدولة الحكيمة تجاه الجيش وما أسفرت عنه على هذا الصعيد، أهمية دور الأمير، أي سياسته في هذا المجال. ولقد حكم عضد الدولة فارس نحو ٣٤ عاماً، وفي السنوات الخمس الأخيرة، استولى على العراق وبات يحكم معظم أراضي الخلافة العباسية (انظر الفصل الخامس) ورغم كل الصراعات التي خاضها لتثبيت حكمه وفرض سيطرته، إلا أن جيشه ومنذ أن اعاد تنظيمه إثر تمرد روزبهان وأخويه، لم يعرف أية حالة تمرد أو صراع بين أطرافه.

كانت سياسة عضد الدولة تجاه الجيش النقيض الكامل لسياسة اسلافه وخلفائه؛ إذ قضى على كل الأسباب التي كانت باعثاً لحركات تمرد الجند وصراعاتهم. فلم يعرف عنه انه ميز في معاملته بين طوائف الجيش ولم يمالىء الديلم على حساب الأتراك أو بالعكس، بل كان يهتم بمتابعة أمور

(١) سيرة المؤيد، ص ٦.

(٢) مسكويه، جـ ٢/ص ٩٦، ٩٩، ١١٤، ١٢٩، ١٦٢، ٢٣٤، ٥، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٢٥، ٣٢٧. ذيل، ص ٣٦، ١٠٥، ١٠٨، ١٢٩، ١٣٣. ابن الأثير جـ ٦ ص ٣١٤، ٣١٥، ٣٣١، ٣٥٠ وجـ ٧ ص ٥٢، ٥٣، ٥٥ ـ ٥٧، ١٣٠.

الجانبين يومياً ويلتقي عارضي الديلم والاتراك لهذه الغاية [1]. وكان يرفض تلبية طلبات قادة الجيش غير المقررة، وتحقيق رغباتهم مهما كانت بسيطة. فيذكر ان طغان الحاجب وكان اكبر قادة الاتراك في جيشه، طلب زيادة عشرة أرطال خبز في خزانته فرفض ذلك واجابه قائلاً: «لو أجبناك إلى مرادك على ما طالبتنا به، لأنفتح علينا باب لا يمكننا سده» [2]. كما أنه نفى أحد قادة جيشه من الديلم، لأنه بالغ في الزينة وتشاغل بالترف عن الجندية معتبراً ذلك من المظاهر الخطرة المفسدة للجند [3]. وحال دون تدخل الجند والقادة في امور الدولة ومنعهم من التدخل في أمور الدواوين وأعمال المملكة [4]. وقد أشرنا سابقاً إلى رفضه وساطة كبير قادة جيشه اسفار بن كردوية لتعيين احد من يهمه امره شاهداً، طالباً منه عدم التدخل في أمور القضاء، وحصر إهتمامه بأمور الجيش، رغم ما كان لاسفار من هيبة وعظمة، ورغم إلحاحه أكثر من مرة في الأمر [5]. كما وقف بوجه اعتداءات قادة الجيش على مصالح الرعية واملاكها، مجبراً قادته وبسياسة حكيمة، على إنصاف الناس وإعادة ما كانوا يستولون عليه من ضياع، وأموال بغير حق [6]. ولم يتوان عن إنزال أشد العقوبات بالجند المعتدين على السكان رافضاً وساطة قادتهم محملاً اياهم مسؤولية أعمال جندهم [7]. حتى بات قادة جيشه من الأتراك والديلم وسائر الأصناف يخافونه، مهما بلغت قوة احدهم وشدة بأسه ونفوذه بين جماعته. ولم يجرأ أحد منهم على الوقوف بوجه قرارته [8].

كذلك وقف عضد الدولة بوجه الفتن التي كانت تشهدها بغداد والتي كان الجيش منغمساً فيها، وكان من حسن سياسته في هذا المجال، ان بات اهل السنة والشيعة يشتركون في زيارة المشاهد والمقابر الدينية لكل منها واصطلحوا بعد الخلافات العنيفة فيما بينهم [9]. كما أنه حاول منع القصاص من القصص لأنهم كانوا يحرضون الناس على القتال والنهب. واهتم كثيراً بتنظيم أعطيات الجند، وصرفها في أوقاتها [10]، وإيجاد الزيادات المحقة، وكان يغضب إذا ما تأخر صرف مرتبات الجند، بل كان يدفعها قبل أوانها بقليل قائلاً: «إذا اطلقنا لهؤلاء الغلمان ما لهم وقد بقي في الشهر

---

(1) ذيل، ص ٤٠.
(2) المصدر نفسه، ص ٤٣.
(3) المصدر نفسه، ص ٤٤.
(4) ذيل، ص ٤٦ - ٤٧
(5) المصدر نفسه، ص ٦٤ - ٦٦.
(6) ذيل، ص ٤٧ - ٥٠.
(7) المصدر نفسه، ص ٥١.
(8) المصدر نفسه، ص ٤٣، ٤٤، ٤٧ - ٥٠، ٥١، ٥٣.
(9) مسكويه، جـ ٢ ص ٤٠٧.
(10) ذيل، ص ٤٣.

يوم كان الفضل لنا عليهم، واذا انقضى الشهر واستهل الآخر... فتضيع المنة وتحصل الجرأة ونكون إلى الخسارة أقرب منا إلى الربح»[1]. وكانت هذه المسألة، أحد اسباب تمردات الجند وفتنهم. هذه السياسة التي انتهجها عضد الدولة تجاه جيشه في فارس والعراق، قد مكنته من بناء جيش قوي ومتماسك في ظل قيادته، الأمر الذي مكنه من خوض معارك مستمرة ضد خصومه حتى تم له توحيد المملكة بزعامته. (انظر الفصل الخامس).

وكان شرف الدولة وهو الابن الاكبر لعضد الدولة والذي خلفه على فارس، قد اتصف ببعض صفات أبيه الادارية والتنظيمية. وبالتالي لم يعرف جيش فارس خلال فترة حكمه حالات الفتن والاضطراب التي عادت الى الجيش في العراق خلال حكم أخيه صمصام الدولة. حتى عندما استولى شرف الدولة على العراق في السنتين والثمانية اشهر الاخيرة من حكمه، واختلط جيش العراق بجيش فارس وباتا جيشاً واحداً، فإنه لم تقع سوى فتنة واحدة في جيش شرف الدولة، وذلك عند دخوله بغداد وانضواء قسم كبير من جيش بغداد بجيشه، اذ وقع نزاع بين الديلم والاتراك قتل فيه الكثير من الاتراك واكثر من الديلم (٣ آلاف) ثم اصلح بين الفئتين[2].

لم يعرف جيش فارس حالة الاضطراب والفتن في داخله، الا بعد وفاة شرف الدولة، وتولي صمصام الدولة امارة فارس. ومنذ ذلك الوقت وحتى نهاية حكم البويهيين في هذه المقاطعة، باتت أوضاع الجيش هنا، شبيهة بأوضاع جيش بغداد، وان كانت حدة الصراعات ووتيرتها اخف بكثير مما كانت عليه في عاصمة الخلافة.

وكان طبيعياً، ان تنعكس حدة الصراعات التي نشبت بين الامراء البويهيين بعد وفاة شرف الدولة، بشكل عام على فارس وخاصة على الجيش، اذ بات كل أمير يحاول كسب ولاء الجيش الى جانبه، أو استقطاب اعداد منه اليه بالاغراءات والمكاسب المادية واطلاق يدهم في أمور الامارة. فادى الامر، الى زيادة أسباب انقسام الجيش وتفتته. اذ عمد الامراء الى الاعتماد على احدى طوائف الجيش في وجه الامير الآخر المدعوم من طائفة عسكرية اخرى. فقد وقف الاتراك الى جانب أبي علي بن شرف الدولة بوجه الديلم الذين مالوا الى صمصام الدولة، في الصراع بين الاثنين على فارس[3] سنة ٣٧٩/٩٨٩ وكان بهاء الدولة في العراق، وفي العام نفسه، قد مال الى الاتراك ووقف الى جانبهم بوجه الديلم في الفتنة التي شهدها جيش العراق[4]. لذلك كان من السهل على

(١) ذيل، ص ٤٥.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٣٢ - ١٣٣. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٣١.
(٣) ذيل، ص ١٦١. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٣٩.
(٤) ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٣٩.

بهاء الدولة استمالة اتراك أبي علي بن شرف الدولة، والتخلص من هذا الاخير[1]. ومن ثم بات الصراع بين أمير فارس والعراق، صراعاً بين الديلم والاتراك. وعند هزيمة صمصام الدولة سنة ٣٨٤/٩٩٤ بالاهواز أمام جيش بهاء الدولة[2]، ومقتل ألفين من الديلم على أيدي الاتراك بعد أن استأمنوا اليهم، قام صمصام الدولة وانتقم لجنده، وامر بقتل من بجيشه بفارس من الاتراك فقتل قسماً منهم، ودفع الباقين للخروج من الاقليم[3].

إذاً كان جيش فارس خلال حكم صمصام الدولة جيشاً ديلمياً بصورة أساسية والى جانبه اعداد من الاتراك، اذ كان لا غنى عنهم من الناحية العسكرية (قبل ان يقرر تصفيتهم). وكان الى جانبهم مجموعات من العرب من بني تميم وبني أسد[4]. الا أنه ورغم اختفاء احد الاسباب الاساسية لفتن الجيش أي ثنائيته، لكن الاسباب الاخرى لم تختفِ، وبخاصة سياسة الامير، وطبيعة الديلم، لذلك أدت سياسة صمصام الدولة، المهالأة لجنده، والتساهل معهم، والتغاضي عن سوء أعمالهم وخضوعه لمطالبهم، وبالاجمال الارتهان لهم، الى زيادة تطلباتهم، ولو على حساب مصالح الإمارة. فزادوا من اقطاعاتهم بصورة كبيرة وعشوائية واستولوا على اقطاعات السكان ووصل بهم الامر الى أن طالبوا باقطاعات حاشية الامير نفسه، وعندما رفض تلبية طلبهم اضطربوا وقتلوا عامله في فسا، فخرج اليهم بنفسه لتهدئتهم، لكنهم «لقوه بالغلظة ولقيهم بالرفق، واشتدوا عليه ولان لهم فاضطر الى الخضوع الى مطالبهم فاستولوا على اقطاعات الحواشي جميعها»[5].

وقد أدت سيطرة جنده، أو الديلم، على الإقطاعات، الى تقليص حجم العائدات المالية. فعمد في محاولة منه لاستعادة بعض الاقطاعات، والحد من نفوذ الديلم، الى اسقاط من لم يكن ديلمياً حقاً، ومن لم يثبت اهله ونسبه الى الديلم - اذ كانت العادة، أن يدّعي البعض انتسابهم الى الديلم للحصول على المكاسب والامتيازات - فتم اسقاط حوالي ألف من ديلم فارس وكرمان[6]. فما كان من هؤلاء الا أن التحقوا بابني بختيار اللذين هربا من معتلقهما. وجمعا الى صفوفهما الاكراد، وتمّ لهم الاستيلاء على ارجان ومن ثم قتلوا صمصام الدولة[7] سنة ٣٨٨/٩٩٨. لم يتعلم الامراء البويهيون، على الاطلاق من سياسة سابقيهم في ما يتعلق بعلاقاتهم بجيشهم اذ ظلت نظرتهم للجيش كقوة مرتزقة يمكن استقطاب عناصرها بالمال والاغراءات هي المستحكمة، بل أدت الى تمسك

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٦٥. ذيل، ص ٢٥٦ - ٢٥٧.

(٣) ذيل، ص ٢٦٤ - ٢٦٥. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٧٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٥٦.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣١١، ٣١٢.

(٦) ذيل، ص ٣١٢. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٩٣.

(٧) المصدر نفسه، ص ٣١٣، ٣١٥. المصدر نفسه، جـ ٧ ص ١٩٣.

الجند بهذه القاعدة كشرط للولاء، كذلك بدت سياسة عضد الدولة (التي أشرنا اليها سابقاً) والمعاكسة لهذه القاعدة، وكأنها الشواذ.

لذلك، ما ان قتل صمصام الدولة، حتى دخل جيشه الديلمي تحت طاعة بهاء الدولة الذي امتلك فارس[(١)]، وجعلها مقر إمارته. وتم توزيع الاقطاعات بين الديلم والاتراك[(٢)]. وفي الوقت نفسه كانت قوة ابن بختيار في تعاظم بعد أن انضمت اليه مجموعات من ديلم وأتراك وزط واكراد فارس، وكان الديلم في فارس كاتبوه والتحقوا به، ومال اليه معظم الديلم والكثير من جيش بهاء الدولة[(٣)]، واستولى على كرمان، وعندما انهزم امام جيش الموفق وزير بهاء الدولة، قتل الموفق من الديلم الكثيرين[(٤)]، وعفى عن البعض الاخر بعد شفاعة وجوه الديلم فيهم[(٥)]. كذلك توسط اتراك بهاء الدولة للاتراك الذين كانوا مع ابن بختيار[(٦)].

كانت حالة تدهور جيش فارس وازدياد الاضطراب في صفوفه تزداد مع ازدياد الصراع بين الامراء وكثرة عدد الطامعين بامتلاك تلك المقاطعة، وحالة الضعف التي وصل اليها أمير فارس. ففي سنة ١٠٢٠/٤١١، تخلى الجند عن أميرهم سلطان الدولة، وكان أمير فارس والعراق، واجبروه على ترك العراق لاخيه شرف الدولة، فعاد الى فارس. وفي العام التالي، تخلى الديلم عن شرف الدولة، وعادوا للعمل تحت امرة سلطان الدولة[(٧)]. وفي سنة ١٠٢٤/٤١٥ انقسم جيش فارس اثر وفاة سلطان الدولة، فكان الديلم مع ابنه أبي كاليجار، فيما مال الاتراك الى اخيه أبي الفوارس صاحب كرمان. لكن قسماً من الديلم، وهم الديلم الشيرازيه (نسبة لشيراز) سرعان ما تمردوا على ابي كاليجار، واستدعوا عمه أبا الفوارس وسلموه شيراز[(٨)]. وكانت حالة الجيش أحد أسباب اطالة امد الصراع على فارس بين أبي كاليجار وعمه والتي استمرت سنتين وحسمت أخيراً لمصلحة الاول[(٩)].

كذلك بات الجند يتحكمون باختيار الامير في بعض الاحيان، فعند وفاة شرف الدولة أمير العراق سنة ١٠٢٥/٤١٦ استدعى الجند أخاه جلال الدولة لكنهم عادوا وتمردوا لقلة ماله،

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣١٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٢٣، ٣٢٧ - ٣٢٨.

(٣) الصابي، تاريخ، ص ٣٤٩، ٣٦١.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٥٨ - ٣٥٩.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٦١.

(٦) المصدر نفسه، ص ٣٦٠.

(٧) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٣٠٦، ٣٠٩.

(٨) المصدر نفسه، ص ٣١٧ - ٣١٨.

(٩) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٣١٧ - ٣١٨.

واستدعوا أبا كاليجار أمير فارس، لكن تأخر هذا الاخير عن الحضور الى بغداد، وتقصيره بحقهم، واشتداد الفتن، دفعهم الى العودة الى استدعاء جلال الدولة سنة ٤١٧[١]. وكان من الطبيعي ان ينعكس هذا الامر، على علاقة الجند بالامير، فتطاولوا عليه وكثرة تعدياتهم ولم تعد هناك أي حرمة. ففي سنة ١٠٢٨/٤١٩ ثار الجند الاتراك على أميرهم جلال الدولة، ونهبوا دار وزيره ودار الكتاب والحاشية بسبب الاموال. وحاصروا جلال الدولة، ومنعوا عنه الطعام والماء، ثم اضطر جلال الدولة الى بيع فرشه وثيابه وخيمه وفرق ثمنهم فيهم حتى سكتوا[٢]. وتكرر الأمر نفسه بين الجند الاتراك وجلال الدولة في سنوات ١٠٣١/٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٧، ٤٢٨ فاعتقلوه ورموه بالآجر واضطر جلال الدولة الى الخروج من بغداد، وأقام الاتراك الخطبة لابي كاليجار لكن هذا الاخير امتنع عن القدوم الى بغداد، عندها اضطر الجند الى مصالحة جلال الدولة واعادته الى ملكه بعدما لم يجدوا من يضعونه بدلا منه[٣].

والواقع ان الاتراك ما عادوا يحملون تلك الصفة التي ميزتهم قليلا عن الديلم وهي الطاعة. بل أنهم باتوا مثل الديلم في كثرة فتنهم وتعدياتهم على الامراء والوزراء، والسكان. وعندما تولى الملك الرحيم خلافة ابيه على فارس والعراق وما كاد يصل الى شيراز، حتى وقعت فتنة بين الاتراك انفسهم. اذ كان اتراك بغداد على عداء لاتراك شيراز. وعندما قرر الاوائل العودة الى بغداد لم يجد الملك الرحيم بداً من اللحاق بهم لانه كان منحرفاً عن اتراك شيراز وأيضاً عن ديلم فارس لميل هؤلاء الاخرين الى أخيه فلاستون منافسه على الملك[٤]. ومع هذه الصراعات بين الامراء البويهيين، والانقسامات داخل الجيش، لم يكن غريباً انه كلما ازدادت صراعات الجند كلما اضطربت احوال الإمارات البويهية ومن بينها فارس. لذلك لن يستطيع الملك الرحيم ان يحسم امر فارس لمصلحته بصورة قاطعة الا بعد سنة ١٠٥٥/٤٤٧ عندما تصالح مع اخيه فلاستون أي بعد سبع سنوات من حكمه (أنظر الفصل الخامس) وقبله لم يستطع أبو كاليجار ان يحسم امر فارس الا بعد عامين من الصراعات والمعارك مع عمه أبي الفوارس. وفي كل الحالات كانت المقاطعة وسكانها وأوضاعها ومصالحها الاقتصادية هي المتضررة الاولى. اذ كان الجيش بعناصره وقادته، ابعد ما يكون عن الاهتمام بمصالح الاقليم وسكانه، ولا حتى بمصالح المملكة ولا الدولة البويهية. كان همهم الوحيد والذي على أساسه يتقرر ولاؤهم وطاعتهم او فتنهم واضطراباتهم، مصالحهم

---

(١) المصدر نفسه، جـ ٧ ص ٣٢٢ - ٣٢٩. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ٢١، ٢٩.

(٢) المصدر نفسه، جـ ٧ ص ٣٣٢. المصدر نفسه، ص ٣٥ - ٣٦.

(٣) المصدر نفسه، جـ ٨ ص ٢ - ٥، ١٠، ٢٤. المصدر نفسه، جـ ٨ ص ٦٣، ٦٤، ٧٢ - ٧٥، ٨٩، ٩١.

(٤) ابن خلدون، جـ ٣ ص ٩٤٢ - ٩٤٣.

المباشرة: المال والاقطاعات والمكاسب. فكانوا جيشاً مرتزقاً، اجنبياً عن البلاد واهلها.

لذلك فمن الضروري التأكيد على القول بأن جيش فارس، يعني جيش البويهيين في فارس. لأنه لم يتشكل من سكان المقاطعة، بل كانت قوتاه الأساسيتان الديلم والأتراك، غريبتين عن فارس. أما المجموعات الصغيرة الأخرى التي كان يضمها جيش فارس في بعض الأحيان، وان كان بعضها من عناصر سكان فارس، إلا أنهم لم يكن لهم أي دور فعلي داخله.

كانت ثنائية تركيبة الجيش سبباً آخر من أسباب حالة الاضطراب التي عاشها الجيش وبالتالي التي تسببت في الكثير من الصراعات والفتن التي شهدها. والواقع أن هذه المسألة بحاجة إلى دراسة معمقة لمعرفة مدى تأثيرها في تدهور أحوال الخلافة العباسية. ولم يكن البويهيون هم أول من أوجدها أو اعتمدها بل كانت قد بدأت قبل ذلك ومنذ أيام المعتصم. وان كانت في أيام البويهيين قد أخذت شكلها الواضح. ولم يسفر اعتماد البويهيين على أحد الفريقين في مواجهة الفريق الآخر سوى مزيد من الفتن والفوضى، والتي زادتها صراعات الامراء، التي وجد الجيش نفسه منغمساً بها وفي الوقت ذاته منفذاً لاحد اطرافه لمواجهة الطرف الآخر. وهكذا بات الاتراك غالباً ومنذ أيام بهاء الدولة القوة الاساسية في جيش بغداد، في حين شكل الديلم العصب الرئيسي لجيش فارس. ثم ادت الاطماع الشخصية والصراع على الزعامة والمكاسب داخل كل طرف، الى تكتلات اخذت شكل اقليمي، (أتراك شيراز ضد اتراك بغداد)، أو قيادي، أي بالانتساب الى احد القادة، فكان هناك الديلم الروزبهانية نسبة الى روزبهان وغيرهم.

لقد شكلت سياسة البويهيين تجاه الجيش عنصراً أساسياً في تأجيج الصراع داخله، فبدلا من اعتماد سياسة تخفف من مساوىء ثنائية تركيبة الجيش، الامر الذي تنبه له عضد الدولة وعمل بموجبه، كانت سياسة الامراء البويهيين سبباً فيما آلت اليه احوال الجيش، فالصراع الطائفي الذي أطلق له البويهيون العنان، سرعان ما دخل الجيش في أتونه. والنظرة المتخلفة للملك وللسلطة التي كانت عند البويهيين (أنظر الفصل السادس) ما كانت الا لتؤكد نظرة الديلم والاتراك الى الملك والسلطة باعتبارها طريقاً للترؤس والمكاسب. وهكذا فلم يكن البويهيون أقل حباً في تجميع الاموال والثروة بأي طريقة، من جندهم. كما أن عدم اهتمامهم باحوال المناطق التي حكموها، وتعميرها، وحياة السكان، ما كان يضاهيها سوى سوء اعمال الجند التي أدت الى مزيد من تخريب البلاد وتدهور أحوالها الاقتصادية.

أعداد الجند

لم نعثر على أي رقم يشير الى عدد قوات جيش فارس. فالأرقام القليلة جداً عن الجيش البويهي، معظمها عن جيش العراق أو اثر اندماج جيش فارس بجيش العراق، على أن ذلك قد يتيح لنا تقدير عدد جيش فارس بصورة تقريبية.

والامر الجدير بالذكر في هذا الصدد، ان عدد أفراد الجيش، لم يكن خاضعاً لنسبة عدد السكان. فليس من الضروري مثلا أن يكون عدد جيش العراق أكبر من عدد جيش فارس. باعتبار أن عناصر الجيش الأساسية كانت من الاجانب (ديلم وأتراك) والذين تشكل لهم الجندية مهنة للعيش. وبالتالي فإن عدد افراد الجيش خاضع لمقدرات الامير المالية، فكلما كان بمقدور الامير دفع رواتب جنده وتلبية حاجاتهم ومطالبهم، كلما ازداد عدد افراد جيشه.

ان الصورة التي يرسمها المؤرخون عن جيش فارس عند قدومه الى بغداد سنة ٩٧٣/٣٦٣ وعلى رأسه عضد الدولة، تظهر ضخامة ذاك الجيش عدداً وعدة[١]. واذا اضفنا الى ذلك القسم الآخر من الجيش الذي توجه الى عُمان بقيادة الوزير المطهر بن عبدالله لقمع تمرد فيها[٢] لبات بامكاننا التقدير بأن جيش فارس في أسوأ الاحتمالات لم يكن أقل عدداً من جيش العراق. خاصة وان امكانات فارس الاقتصادية، وحسن سياسة عضد الدولة، كان يتيح له تجنيد أكبر عدد من الديلم والاتراك وغيرهم بخلاف ما كانت عليه حال عز الدولة بختيار في بغداد. وعلى العموم، نستطيع القول، إن جيش فارس كان بالاجمال، على نفس مستوى جيش بغداد عددياً. فخلال كل المعارك التي دارت بين أمراء فارس وامراء بغداد، لم يشر المؤرخون ولا في أية حالة، الى تمايز احد الجيشين من الناحية العددية. ويستفاد مما ذكره الصابي[٣]، ان عدد الجنود الديلم سنة ٩٨٥/٣٧٥ أيام حكم صمصام الدولة للعراق كان عشرة آلاف رجل. ويذكر الروذرواري وابن الجوزي[٤] أنه في العام التالي، عندما قدم شرف الدولة بجيش فارس ودخل بغداد مستولياً عليها، بلغ عدد قواته من الديلم الواردين معه والمقيمين (أي الذين كانوا في جيش صمصام في العراق ثم التحقوا بجيش شرف الدولة) تسعة عشر ألف رجل، ومن الاتراك ثلاثة آلاف غلام. واذا اضفنا اليهم القوة الصغيرة التي تركها شرف الدولة في فارس عند قدومه الى العراق، ومن ثم قارنّا هذا العدد بالعدد الذي ذكره الصابي لديلم العراق، لأمكننا القول إن ديلم جيش فارس كانوا في حوالي عشرة آلاف رجل.

ولا نعتقد أن هذا الرقم قد تبدل كثيراً فيما بعد، أي في مرحلة ما بعد شرف الدولة، عندما بات الأتراك يشكلون معظم جيش بغداد، فيما تركز الديلم في جيش فارس، لكن هذا لا يعني أيضاً ان كل ديلم العراق قد انتقلوا إلى جيش فارس. إذ ظل قسم منهم (من الديلم) في جيش العراق كما بقي قسم من الأتراك في جيش فارس لحاجة كل جيش إلى اختصاصات ذاك الطرف العسكرية.

---

(١) مسكويه، جـ ٢ ص ٣٣٣.
(٢) المصدر نفسه، ص ٣٦٠.
(٣) الصابي، رسوم، ص ١٧.
(٤) ذيل، ص ١٣٢. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ١٣٢. Bosworth, military, p.158.

كما كان هناك بعض الديلم في خدمة جيوش سائر بلدان وملوك وامراء الممالك القائمة في ذلك الوقت[1]. ان ما جرى سنة ٣٨٤/٩٩٤، قد ساعدنا على التدليل بأن ديلم جيش فارس لم يتجاوزوا في احسن الحالات الرقم الذي أشرنا اليه سابقاً. اذ في ذاك العام هزم جيش فارس بقيادة صمصام الدولة، والمؤلف من ألوف عديدة من الديلم [2] واعداد من بني تميم وبني أسد، أمام اتراك بهاء الدولة الذين لم يتجاوزوا الـ ٧٠٠ غلام. وقتل من ديلم جيش فارس حوالي الألفين[3] مما اعتبر كارثة كبرى بالنسبة لصمصام الدولة، كما تشتت جيشه في هذه المعركة، واضطر الى العودة الى فارس مع عدد قليل من الديلم[4].

ولا شك أن اعتبار صمصام الدولة، مقتل ألفين من الديلم، كارثة كبرى، يعكس الى حد ما نسبة هذه الخسارة لنسبة مجموع ديلم جيش فارس. والى جانب الديلم، كان جيش فارس يضم بصورة شبه دائمة قوة من الاتراك والى جانبهم قوات غير ثابتة من الاعراب، والاكراد والبلوص وغيرهم. ويبدو أن قوة الاتراك في جيش فارس كانت تدور حول ٣ آلاف غلام. فعند دخول شرف الدولة بغداد كان في جيشه هذا العدد من الاتراك [5]. أما الاكراد، فربما زادوا عن هذا العدد وأحياناً أقل. ففي سنة ٤١٥/١٠٢٤، وخلال الصراع على فارس بين أبي كاليجار وعمه أبي الفوارس تمكن هذا الآخر من جمع ١٠ آلاف مقاتل من الأكراد في جيشه[6] رغم أننا نشك في صحة هذا الرقم. أما باقي اصناف الجند في جيش فارس من اعراب وبلوص وغيرهم فلا نملك أرقاماً عن اعدادهم. خاصة وان وجود هذه القوى في الجيش لم يكن بصورة دائمة ومستقرة.

الرتب العسكرية

من الواضح ان الجيش البويهي عامة في فارس او العراق، قد عرف نظام الرتب داخله، شأنه في ذلك شأن الجيوش العباسية[7] من قبل، وجيوش الدول الاخرى القائمة آنذاك وان كانت تلك الرتب وألقابها واختصاصاتها قد اختلفت من مكان لآخر ومن فترة لاخرى.

وقد تعددت الرتب داخل الجيش البويهي بصورة أكثر مما كانت عليه قبلاً. نستدل على ذلك من الالقاب العديدة التي كان يحملها عناصر وقواد الجيش البويهي والتي تدل على رتب معينة منها،

---

(١) Bosworth, military, p.158-159.

(٢) ذيل، ص ٢٥٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٥٧.

(٤) ذيل، ص ٢٦٠.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٣٢.

(٦) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٣١٨.

(٧) Voir, EI^2, art djaysh, t. II. p.520 et art Hadjib, T. III. p.48.

الحاجب، القائد، النقيب، حاجب الحجاب، نقيب النقباء. وكانت هناك أسماء غير عربية متداولة، لرتب في الجيش مثلا، سباشي أي صاحب الجيش، واصفهلار، أي قائد الجيش.

ويذكر مسكويه، ما يؤكد وجود الرتب والمراتبية في الجيش البويهي، والتي أساسها الحاجب، القائد والنقيب، ويقول أن قادة جيش عز الدولة بختيار طالبوه بأن «يسلك فيهم سبيل ابيه (معز الدولة) في الاستحجاب، والتقويد والتنقيب والزيادة في المنازل والمراتب»[1].

وكانت كلمة حاجب منذ سنة ٩٢٩/٣١٧ قد أخذت تنحو لتأخذ مضموناً لصفة عسكرية، وقد تكرس هذا المضمون في أيام البويهيين بصفة قاطعة. وهذا واضح من استعمالات مسكويه لها. فهو يستعمل كلمة حاجب، دائماً للدلالة على رتبة عسكرية هي قائد الجيش[2]، وليس بمعنى حاجب الخليفة ومتولي شؤون داره كما كان عليه الامر سابقاً.

وكان أشهر من حمل هذا اللقب في بداية الدولة البويهية سبكتكين حاجب معز الدولة[3]، ثم عز الدولة قبل ان يختلفا ويتقاتلا، الامر الذي أدى الى دخول عضد الدولة الى بغداد (انظر الفصل الخامس)، وكان حاجب هذا الاخير وهو من كبير الاتراك في دولته يدعى طغان[4].

واستقرت هذه الرتبة في الجيش البويهي بصورة دائمة. وكان الحاجب هو الذي يتولى قيادة الجيوش؛ ولكنه لم يكن وحده الذي يقوم بهذه المهمة. فكما رأينا سابقاً، فقد كانت هذه المهمة أيضاً من اختصاصات الوزير. الا أن الاول كان يعتبر كبير قادة الجيش. وطبعاً كان هناك عدد من الحجاب (أي قادة الجيش) واحياناً كان يكتفى بكلمة حاجب للدلالة على رئيسهم وأحياناً كان يسمى حاجب الحجاب، تمييزاً له. ومن بين الذين تولوا هذا المنصب بارسطغان ايام جلال الدولة[5] والفتكين أيام بهاء الدولة[6]. ونتيجة للمنصب الذي كان يتولاه الحاجب أو حاجب الحجاب، أي رئاسة الجيش، فقد كان يسمى أحياناً بصاحب الجيش[7]. ويبدو أن هذه الرتبة قد عرفت بأسماء تركية وايرانية: سباشي[8] أي صاحب الجيش، واصفهلار[9] أي قائد الجيش. وكان من بين الذين حملوا هذا اللقب كورتكين بن جستان في عهد شرف الدولة، وفولاذ بن ماناذر قائد

---

(١) مسكويه، جـ ٢ ص ٢٣٦. EI², art Hadjib. t. III. p.48.

(٢) EI², art, Hadjib T. III. p.47, 48.

(٣) مسكويه، جـ ٢ ص ١١٨، ١٢٣، ١٢٦، ١٣٨، ١٥٩، ١٦٢، ٢٣٤.

(٤) ذيل، ص ٤٣.

(٥) ابن الأثير، جـ ٨ ص ١٤.

(٦) ذيل، ص ٥١، ٣٢٨.

(٧) مسكويه، جـ ٢ ص ٢٣٤.

(٨) ذيل، ص ٢٨٥.

(٩) مسكويه، جـ ٢ ص ٢٥٨. ذيل، ص ١٠٧. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ٢١، ٢٩..

جيش صمصام الدولة. ويبدو أن كلمة حاجب اطلقت في معظم الاحوال على الاتراك فيما حمل بعض الديلم لقب اصفهلار للدلالة على نفس المنصب [1].

كان هناك أكثر من صاحب جيش وذلك تبعاً لتعددية الجيش، فعندما استولى أبو كاليجار، أمير فارس على بغداد اثر وفاة جلال الدولة خلع على اصحاب الجيوش فيها وهم البساسيري والناشاروري والهمام أبو اللقاء[2]. ولهذا حمل نائب بهاء الدولة على العراق أبو علي بن استاذ هرمز لقب عميد الجيوش، كما لقب خليفته الوزير ابن سهلان بعميد أصحاب الجيوش (انظر الفصل السابق). وكان الصراع على أشده بين قادة الجيش والوزراء الذين كانوا بدورهم يتولون هذه المهمة. وفي الحالات التي يكون فيها الوزير، ذا قوة ونفوذ، كانت صلاحيات قادة الجيش في يديه، كما هي الحال أيام الموفق أبي علي بن اسماعيل وزير بهاء الدولة (انظر الفصل الخامس).

وكان القادة يأتون في المرتبة الثانية بعد الحجاب ويطلق على رؤسائهم لقب «كبار القادة»، ولم تكن تلك التسمية مرتبة محددة، بل يبدو انهم كانوا يسمون بها لما لهم من نفوذ داخل الجيش أو نتيجة بعض الانتصارات التي حققوها خلال قيادهم بعض الفرق العسكرية. وكان لكبار القادة دور مهم في الحياة العسكرية والسياسية للبلاد. والواقع انه كان لكبار القادة في بعض الاحيان نفوذ وسلطات الحاجب أو الاصفهلار. ففي فترة حكم عضد الدولة، ورغم وجود الحجاب، كانت اخبار كبار القادة مثل اسفار بن كردويه وزيار بن شهراكويه وكوركير اكثر بكثير من تلك التي للحجاب كطخان[3]. كذلك فقد كان بعض كبار القادة يحملون لقب صاحب الجيش[4]. ان هذا الامر يدعونا للاعتقاد، بأن «القادة الكبار» كانوا مساوين للحجاب، وانهم لم يحملوا هذا اللقب الاخير باعتباره كان محصوراً بالاتراك. كما أن لقب اصفهلار كان ايرانياً، ولم يحمله سوى عدد قليل من الديلم في حين احتفظ هؤلاء الآخرون بلقب «قائد» الذي كان لقب معظم «ضباط» الديلم ومنهم كان يبرز «القادة الكبار».

على هذا يكون المقصود بالرتبة الثانية في الجيش هم القادة الصغار أي مجموع «الضباط». أما الرتبة الثالثة فهي «النقيب»[5]، وكان هناك رؤساء للنقباء يسمى الواحد منهم «نقيب النقباء[6]

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٥٨. ذيل، ص ٨١.
(٢) ابن الأثير، جـ ٨ ص ٤٠.
(٣) مسكويه، جـ ٢ ص ٢٩٩، ٣٠١. ذيل، ص ٤٣، ٤٧، ٤٩، ٥١، ٦٥.
(٤) ذيل، ص ٤٩، ٦٥.
(٥) مسكويه، جـ ٢ ص ١٦٤، ١٥٧. ذيل، ص ٤٧، ٥٠، ٥٣.
(٦) ذيل، ص ١٩٠، ٣٢١، ٣٣١.

وأحياناً يقال نقيب الاتراك[1] أو نقيب الديلم، مما يعني نقيب نقباء الاتراك أو الديلم». أما الآخرون فكانوا يسمون النقباء الاصاغر[2]. وكان نقيب النقباء يتولى احياناً مناصب مهمة، كالشرطة[3] او قيادة بعض الجيوش الصغيرة في مهمات صغيرة كما فعل صمصام الدولة امير فارس عندما ارسل نقيب نقباء الديلم على رأس جيش صغير لاعتقال احد القادة المشكوك في ولائهم أو مقاتلة احد الاعداء الصغار[4]. أما النقباء الاصاغر فكانوا يتولون رئاسة مجموعة عسكرية صغيرة داخل الجيش[5].

وكانت الترقيات بين الرتب الكبيرة بيد الأمير، اما الترقيات في الرتب الصغيرة فكانت تجري بعد اقتراح من القائد على الامير[6]. وكان يخلع على القادة الكبار عند تعيينهم أو عند رفع مرتبتهم او حين خروجهم لاحدى المعارك[7]. وكان لكبار قادة الجيش نفوذ كبيـر أحياناً على الامير ذاته حسب قوة الامير، ومدى فضل قادة جيشه على تنصيبه في الحكم، وغالباً داخل الجيش وعلى مجمل الحياة السياسية. لذلك كان الامير عند تزايد نفوذ وقوة قائد جيشه، ينتهز الفرصة للإطاحة به باعتقاله او قتلة. ففي فارس، قام عماد الدولة سنة ٩٤٩/٣٣٨ باعتقال عدد من قادة جيشه خوفاً من تمردهم على خليفته[8]. وفي سنة ٣٦١/ ٩٧١ اعتقل عضد الدولة قائد جيشه رغم الانتصارات الكبيرة التي حققها له[9]. وفي سنة ٩٨٧/٣٧٧ اعتقل شرف الدولة امير فارس والعراق، قائد جنده قراتكين الجهشياري بعد أن قوي أمره ثم قتله. فحاول جنده التمرد لكنه سرعان ما أرضاهم بالمال[10]. وفي سنة ٣٨١/ ٩٩١ حاول صمصام الدولة اعتقال قائد جيشه فولاذ بن مانادر، بعد أن استفحل امره بفارس وبات صمصام الدولة تحت حكمه حتى بات فولاذ يقرن اسمه باسم صمصام الدولة في الرسائل، وقد نجح فولاذ الذي كان له الفضل الاكبر في تولي صمصام الدولة امارة فارس بالهرب الى الري بعد أن علم بنية اميره بالقبض عليه[11]. وأيضاً فعل بهاء الدولة بوزيره

---

(١) مسكويه، جـ ٢ ص ١٥٧.
(٢) ذيل، ص ٥٣.
(٣) مسكويه، جـ ٢ ص ١٥٧.
(٤) ذيل، ص ١٩٠ - ١٩١.
(٥) المصدر نفسه، ص ٥٠.
(٦) ذيل، ص ٦٥ - ٦٦.
(٧) المصدر نفسه، ص ١٠٧، ١٣٩.
(٨) مسكويه، جـ ٢ ص ١٢٢.
(٩) المصدر نفسه، ص ٣٠١.
(١٠) ذيل، ص ١٤٠.
(١١) المصدر نفسه، ص ١٩٩ - ٢٠١. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٥٦.

وقائد جيشه الموفق أبي علي بن اسماعيل فاعتقله بفارس سنة ٣٩٠/٩٩٩ وقتله سنة ٣٩٤/١٠٠٣[١].

أسلحة الجيش

تحددت نوعية الاسلحة المستعملة من قبل الجيش البويهي، وأيضاً الاسلوب الحربي لهذا الجيش، بالتقاليد العسكرية التي حملها معهم الديلم والاتراك عنصر الجيش الاساسيين، من بيئتهم وبلادهم.

ولقد حافظ الديلم في ظل الدولة البويهية، على تقاليدهم وخصائصهم العسكرية، كجنود مشاة، بسيوفهم وتراسهم (ترس) المطلية اللامعة، وبأقواسهم ونشابهم وقبل كل شيء بزوبيناتهم[٢] (زوبينة وهي شبيهة بالرماح القصيرة التي ترمي باتجاه العدو).

كان العتاد الاساسي للمشاة الديلم[٣]، الزوبينة، والترس وأيضاً النافك وهو قوس مصلب لاطلاق الاسهم المشتعلة (النارية) بواسطة انبوب. بالاضافة الى الجوشن (الدرع)[٤].

كان الديلم جنود مشاة من الدرجة الاولى. وكانت احدى ميزاتهم الاساسية، شدة التحمل الجسدية وسط الظروف الطبيعية والمناخية الشديدة أو أثناء الحصار وقلة المؤن[٥]. أما تكتيكهم العسكري، فكان أساساً يقوم على ترتيب الجنود في خطوط صلبة (مصاف) في مواجهة العدو ثم الزحف باتجاهه. لكن، اذا ما نجح العدو في اختراق هذه الصفوف بواسطة قوات الفرسان، فان ذلك كان يؤدي، الى انحلال تلك التشكيلات وتفتيت الجيش.

وأحياناً كان الديلم يتبعون تكتيكاً آخر، بأن يدفعوا مجموعة من قواتهم نحو العدو وأمامهم «جدار» من حملة الدروع حيث يقوم الجنود من خلف هذا «المتراس المتحرك» بقذف العدو بالرماح والزوبينات[٦].

ومن تقاليد الديلم العسكرية، نصب خيمة أثناء الحرب. فما دامت الخيمة منصوبة فالقتال واقع، متى قلعت كان ذلك علامة الهزيمة[٧]. إلا أن النقص الأساسي في أسلحة الجيش الديلمي، كان غياب الفرسان. وذلك أن فرق الفرسان باتت عنصراً أساسياً لا يكتمل الجيش

---

(١) الصابي تاريخ، ص٣٦٧ ـ ٣٧٠. ابن الأثير، جـ ٧ ص ٢٠٦.

(٢) Bosworth, Military, p.149. مسكويه، جـ ١ ص ٢٩٨، جـ ٢ ص ٣١٥، ٣٦٩.

(٣) مسكويه، جـ ١ ص ٢٩٨، جـ ٢ ص ٣١٥، ٣٦٩. Bosworth, Military, p.149.

(٤) مسكويه، جـ ٢ ص ١٦١.

(٥) مسكويه، جـ ٢ ص ١٤١. Bosworth, Military, p.150.

(٦) المصدر نفسه، ص ٢٩٨. Ibid, p.151.

(٧) مسكويه، جـ ٢ ص ٧٧.

بدونها عسكرياً. فالجيش الديلمي المكون من المشاة كان بحاجة للفرسان، لمواجهة فرسان الاعداء من ناحية، والوقوف بوجههم لمنع اختراق صفوف مشاتـه. إذ أن أي اختراق قـوي لقـوات الديلم كان يعني هزيمة هذه القوات وتشتتها[1].

لذلك كان على البويهيين لبناء جيش كامل، ان يؤمنوا وجود فرق الفرسان في جيشهم. والواضح أنهم لم يفكروا للحظة بتعليم قواتهم الديلمية فن الفروسية الذي ينقصهم، بل قاموا بانشاء جيش مواز من الاتراك لتلـك المهمـة، وربما حـرصـاً منهـم على ايجاد تـوازن في وجـه النفـوذ الديلمي[2].

كان الاتراك فرسان من الطراز الاول. وبسرعة، كما أشرنا سابقاً، باتوا يشكلون القسم الثاني في الجيش البويهي. وكان سلاح الفرسان الاساسي القوس والسهام[3]، يطلقونه من على الحصان. وكان تنظيم الفرسان الاتراك أثناء القتال يقوم على تشكيل كراديس متعددة وأحياناً تقوم هذه الكراديس مجتمعة بشن هجوم على الاعداء. واحياناً أخرى كانت تتناوب في الحملات[4]. كما كانوا يستعملون بالاضافة الى السيوف، الدبابيس أو العامود[5].

وبالاضافة الى هذه الاسلحة التي كان يستعملها الديلم والاتراك في الجيش البويهي كان هناك الاسلحة الثقيلة التي تستعمل للحصار، وكان أهمها: المنجنيق والعرادات[6] كما استعملوا في بعض الاحيان الفيلة[7].

ولا ندري تماماً ما اذا كانت هناك قوات مائية أي بحرية متخصصة. الا أنه كثيراً ما انتقلت الجيوش عبر الانهر أو عبر البحار لقتال الجيوش العدوة. فعندما بعث معز الدولة سنة ٣٥٥ بجيش بالبحر في مائة مركب وشذاءة الى عُمان، انضم اليه عند وصولهم الى سيراف قوات من جيش فارس في مراكب وشذاءات كان اعدها عضد الدولة لمساعدة عمه[8]. وقد استعمل الجيش البويهي أنواعاً عديدة من السفن المائية لنقل الجنود والعتاد، كالزبازب والطيارات والشذاءات[9] وكانت

---

(١) ذيل، ص ١٣٣.
(٢) Cahen, peuples, art changement techniques, p.491.
(٣) مسكويه، جـ ٢ ص ١٦٤، ٢٢٥، ٣٢٥.
(٤) مسكويه، جـ ٢ ص ١٦٤، ٣٤٠. ذيل، ص ٢٥٦.
(٥) المصدر نفسه، ص ٣٣٦. ذيل، ص ٢٥٧.
(٦) مسكويه، جـ ٢ ص ١٥٩، ٣٨٨.
(٧) المصدر نفسه، ص ٣٦٨.
(٨) المصدر نفسه، ص ٢٦٨.
(٩) المصدر نفسه، ص ٢١٨، ٢٤٤، ٢٤٥، ٣٣٤، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٧٠. ذيل، ص ١٠٦.

تسمى هذه القوات « عسكر الماء » وقائدها يسمى « رئيس عسكر الماء »[1] وفي بعض الاحيان كانت تقع بعض المعارك المائية التي تنتهي باغراق او حرق مراكب الخصوم[2]. وفي سنة ٤٤٤/١٠٥٢ بعث الملك الرحيم بجيش الى البصرة لانتزاعها من أخيه ووقعت معركة بحرية بين الطرفين انتهت بانتصار قوات الملك الرحيم[3].

وكانت الجمال، والدواب الوسيلة الاساسية لنقل المؤن والعتاد للجيش[4]. فعندما توجه شرف الدولة بجيشه من فارس قاصداً العراق لانتزاعها من أخيه صمصام الدولة، كانت جمال عسكره أكثر من ١٣ ألف رأس[5]، وكان القوات العسكرية تقيم في ثكنات ومعسكرات خاصة بها[6]. الا اننا لا نعرف ما اذا كان يحصل لفارس ما كان يحصل في بغداد، حين كان الجند في بعض الاحيان وخاصة عندما لا يكون هناك مكان لاقامتهم يقومون باحتلال مساكن السكان للاقامة بها [7]. وكان لكل من الأتراك والديلم معسكر خاص نتيجة للخصومة والصراع الدائم بين هاتين الفئتين، وتجنبا للاحتكاك فيما بينهم[8].

كانت القوة الأساسية لجيش فارس تتمركز في العاصمة شيراز وبالقرب من مقر الأمير. فيما كان لكل مدينة من المدن الأساسية حاميتها العسكرية، فكان على فسا سنة٣٨٨ / ٩٨٨ أبو جعفر أستاذ هرمز على راس قوة ديلمية [9]. وكان القائد العسكري لارجان سنة ٤٤٥ / ١٠٥٣ فولاذ بن خسرو[10]. أما حجم هذه الحاميات، فيذكر أنه سنة ٣٧٩ / ٩٨٩ كان مع عامل فسا ابن أبي مكثوم ٤٠٠ من الديلم[11].

يتولى إدارة شؤون الجند، ديوان الجيش، الذي سمي في مرحلة لاحقة بديوان الجيشين لكل منها عارض، واحد للديلم وآخر للأتراك والاعراب وسائر أصناف الجند الأخرى. وكان العارض (وهو بمثابة رئيس الادارة العسكرية) يتولى الاشراف على كل شؤون الجند، المرتبات، المؤن، الاسلحة، الخ، ويقدم تقريراً دورياً للامير عن حالة الجيش ومتطلباته[12].

---

(١) مسكويه، جـ ٢ ص ٢٤٤، ٣٣٤ ـ ٣٣٥.
(٢) المصدر نفسه، ص ٢٤٥.
(٣) ابن الأثير، جـ ٨ ص ٦٣.
(٤) مسكويه، جـ ٢ ص ٧٧.
(٥) ذيل، ص ١٢٨.
(٦) مسكويه، جـ ٢ ص ٣٨٣.
(٧) ابن الأثير، جـ ٦ ص ٣١٤. ذيل، ص٥٣. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٦ ص ٣٤٠. ابن الطقطقي، ص ٣٨٩.
(٨) ذيل، ص ١٥٨.
(٩) المصدر نفسه، ص ٣١٣. ابن خلدون، جـ٣ ص ٩١٢.
(١٠) ابن الأثير، جـ ٨ ص ٦٥. نفس المصدر.
(١١) ذيل، ص ١٦١.
(١٢) ذيل، ص ٤٠، ١٠٥، ١٨٧، ٢٤٦. الصابي، تاريخ، ص ٤٤٢ ـ ٤٤٣.
Bosworth, Military, p.162 - 163. EI², art. djaysh, T. II, p.520.

مرتبات الجند ـ الاقطاع العسكري

شكلت هذه المسألة احدى المشاكل الكبرى التي واجهت البويهيين، وإحدى الأسباب الرئيسية التي أدت الى انتفاضات الجند وحركات تمردهم الدائمة. ونتج عن ذلك كله مزيد من التدهور في الاوضاع الاقتصادية للبلاد.

ذلك، أن البويهيين الذين وجدوا انفسهم في عجز عن تأمين مرتبات الجند وتلبية طلباتهم المادية المتكررة والكبيرة، لجأوا الى نظام اقطاع الاراضي للجند بدلا من الرواتب. هذا النظام الذي عرف باسم الاقطاع العسكري والذي سيكون له أسوأ الاثر على موارد الخزينة وعلى تدهور الزراعة.

كانت أزمة الخزينة قد برزت منذ أوائل القرن الرابع، نتيجة اسراف القصر في النفقات وانقسام الجهاز الإداري وطمع الجند بالمال وتقلص اراضي الخلافة. وقد جرت محاولات لمواجهة الازمة كبيع ضياع الخليفة، وعقد القروض المحدودة، ثم انشاء «مصرف» رسمي والتدقيق في الحسابات مع محاولة التوفير[1]. دون أن يلجأ الى الاقطاع كحل لتلك الازمة. لكن مع مجيء البويهيين، فان أزمة الخزينة ازدادت بسبب سياستهم في تجميع الاموال. وعدم الاهتمام بتطوير اقتصاديات البلاد، والإسراف في نفقات القصور، وسوء الإدارة، واضطراب الاحوال العامة، وخضوعهم لمطالب الجند المالية لضمان طاعتهم. وبدلاً من أن يبحثوا عن حلول لهذه المشكلات وبالتالي لازمة الخزانة بطرق لا تؤدي الى مزيد من التدهور عمدوا الى حل نابع من خلفيتهم الاقطاعية ونظرتهم القبلية الى الارض كغنيمة. واهمالهم المفهوم الاسلامي لها[2].

صحيح أنه قبل البويهيين، كان الخلفاء العباسيون يقطعون القادة أحياناً، لكن هذه الاقطاعات لم تكن بدل الرواتب بل كانت امتيازات ومنحاً اضافية. كما أنها كانت محدودة جداً اذ انحصرت بعدد قليل من كبار القادة الاتراك، وهذا الاقطاع لم يكن وراثياً وللخليفة أن يلغيه متى أراد[3]. لكن الامر مع البويهيين كان مختلفاً جداً. اذ اعطى معز الدولة الاقطاعات لقادته وخاصته ولقسم من الجند كبديل عن الراتب[4]. وفي بعض الحالات اعطيت مناطق للجند ليأخذوا عطاءهم من واردها فاستأثروا بالوارد وامتلكوا الاراضي عن طريق الالجاء وغيره[5]. وتوسع نطاق الاقطاع

---

(١) الدوري، تاريخ، ص ٤٢ ـ ٤٣.
(٢) الدوري، تاريخ، ص ٤٣. مسكويه، جـ ٢ ص ٩٦، ٩٩.
(٣) المصدر نفسه. ص ٤٣.
(٤) المصدر نفسه، ص ٤٤. مسكويه، جـ ٢ ص ٩٦ ـ ٩٩.
(٥) المصدر نفسه، ص ٤٤. نفس المصدر، ص ١٧٣ ـ ١٧٤، ٢٦٧.

العسكري زمن بختيار بن معز الدولة [١] واستمر زمن عضد الدولة رغم قوة سلطانه [٢]. ثم توسع بعده حتى أن الأراضي الزراعية حول بغداد أعطيت بالاقطاع زمن جلال الدولة [٣]، وقد توسعت الاقطاعات العسكرية على حساب الانواع الاخرى للأراضي، مثل الضياع الخاصة، وضياع الخلافة، واراضي الخراج. وقد تطرف عضد الدولة فمنح الجند اقطاعات من أراضي الوقف [٤].

من الناحية المبدئية، لم تكن الاقطاعات العسكرية وراثية كما أنها لا تدوم مدى الحياة. وهي لا تعتبر ملكاً لصاحبها لان الامير البويهي يحتفظ بحق الغائها متى أراد. وهي اذ تمنح للجند، انما ليعوض واردها عن الراتب الذي لا تستطيع الخزينة البويهية المرتبكة دفعه. وكان يصحب ذلك اتفاق يفرض على صاحب الاقطاع دفع كمية من النقود أو ما يعادلها من الغلة، دفعة واحدة، أو بأقساط معينة متعددة. كما كان ينتظر منه العناية بالقنوات المارة بأرضه. أما السلطة داخل اقطاعه فيفترض أن تبقى بيد الادارة المركزية [٥].

لكن الواقع كان العكس تماماً. فالاقطاعيون «الجدد» من العسكر ما كانوا يدفعون للخزينة شيئاً يذكر، ولم يتركوا للادارة المركزية أي نفوذ في اقطاعاتهم التي اعتادوا ان يديروها بواسطة وكلاء. ولم يحتفظوا بأي سجل بواردهم. وتحكموا بزراعها كما يشاؤون وكثر التجاوز والمصادرة وفرض رسوم اضافية. وكثر ايجار الاراضي من قبل الملاكين الى المقطعين العسكريين تجنباً للابتزاز والارهاق كما هرب البعض وتركوا الاراضي لهم [٦]. وكان الجند يخربون اقطاعاتهم [٧] ثم يردّونها ويعتاضوا عنها بأية طريقة باقطاع آخر اكثر وارداً.

لقد امتد الاقطاع العسكري ليشمل كل أنواع الأراضي تقريباً. وكان كلما ازداد ضعف الأمير توسعت اقطاعات الجند، ذلك أن ارتهان الأمراء البويهيين للجند خاصة في مرحلة ما بعد عضد الدولة، أدى إلى انفلات الجند في السيطرة على الاقطاعات والاستيلاء على الأراضي. إذ كان طمع العسكريين لا يحد، فهم أبداً يسعون إلى امتلاك المزيد من الاقطاعات والحصول على المال، غير عابئين لا بمصالح المملكة ولا بمصالح اميرهم. ففي فارس مثلا وصلت اطماع جند صمصام الدولة سنة ٣٨٨/٩٩٨ الى ان طمعوا بالاستيلاء على اقطاعات حاشية الامير وتم لهم الامر بعد أن هددوا صمصام الدولة.

---

(١) الدوري، تاريخ، ص ٤٤. مسكويه، جـ ٢، ص ٢٣٥، ٢٣٧.
(٢) المصدر نفسه، ص ٤٤. ذيل، ص ٤٧.
(٣) المصدر نفسه، ص ٤٤. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ٦٠.
(٤) الدوري، تاريخ، ص ٤٤.
(٥) المصدر نفسه. ص ٤٤. مسكويه، جـ ٢ ص ٩٧ ـ ٩٩.
(٦) المصدر نفسه، ص ٤٤، ٤٥. المصدر نفسه، ص ٩٧ ـ ٩٩. ذيل، ص ٤٧ ـ ٥٠.
(٧) مسكويه، جـ ٢ ص ٩٧.

وعندما ادى توسع اقطاعات الجند الى تلك الدرجة، مما قلل من واردات الامارة، اضطر صمصام الدولة الى أن يلجأ الى طريقة اعادة التثبت من صحة نسب جنده. اذ كانت العادة ان يدعي البعض أنه ديلمي للحصول على الاقطاعات والمكاسب، فثبت كل من كان صريح النسب واسقط كل من كان متشبهاً، وأيضاً الدخلاء. وبهذه الطريقة استعاد اقطاعات هؤلاء المسقطين لتأمين بعض موارده[1]. وتكرر الامر عند استيلاء بهاء الدولة على فارس سنة ٣٨٩ فاعيد تنظيم توزيع الاقطاعات. وأقر معدل لذلك، واخذ من كان معه ما يزيد على المعدل المقرر. وألغيت كل الاقطاعات التي حصل عليها الجند في أواخر حكم صمصام الدولة[2]. الا أن هذه التعديلات لم تمس سوى أواسط وصغار قادة الديلم، أما كبار القادة فقد احتفظوا باقطاعاتهم بل وزيد في عطاياهم[3].

كانت قيمة مردود هذه الاقطاعات متفاوتة. فمردود اقطاع كل واحد من كبار الديلم في الجبال حوالي سنة ٣٧٩ / ٩٨٩، يتراوح ما بين ٢٠ ألف درهم إلى ثلاثين ألف درهم فيما كان يبلغ اقطاع القائد الديلمي في خوزستان في نفس تلك الفترة ما بين مائتي ألف درهم والى ثلاثمائة الف درهم[4]. أما مردود اقطاع الفارس فكان يتراوح ما بين ١٠٠٠ و١٢٥٠ ديناراً[5].

وهذه العائدات غير تلك التي كانوا يحصلون عليها في المناسبات، عند تولي الامير الجديد، او اثر انتصار عسكري... الخ. وكان لكبار القادة ثروات ضخمة تبين حجم ما كان يحصل عليه هؤلاء من اقطاعاتهم ومن اراضي التلجئة، ومن الاراضي التي يستولون عليها والمصادرات[6] الخ. فقد بلغت ثروة سبكتكين الحاجب عند وفاته مليون دينار وعشرة ملايين درهم وصندوقين من الجواهر وستين صندوقاً فيها تحف وأواني من ذهب عدا آلاف الاثواب النفيسة والدواب وغيره[7]. على أنه رغم التوسع البويهي في اعتماد الاقطاع، بدلا من الرواتب، الا أنه لم يشمل كل عناصر الجيش. اذ ظل الاقطاع محصوراً بأصحاب المراتب العليا في الجيش. أي مختلف اصناف القادة الكبار والاواسط والصغار بالاضافة الى قسم من عناصر الجيش الاخرى.

ولم يكن القائد المقطع مسؤولا عن تأمين رواتب جنده. اذ ظل هؤلاء يتلقون رواتبهم من

---

(١) ذيل، ص ٣١٢.
(٢) المصدر نفسه، ص ٣٢٧.
(٣) ذيل، ص ٣٢٨.
(٤) المصدر نفسه، ص ١٦٦.
(٥) Cahen, peuples, art, Ikta, p.244.
(٦) مسكويه، جـ ٢ ص ١٧٥.
(٧) ابن الجوزي، عجائب و٤٠. المنتظم، جـ ٧ ص ٧٦ - ٧٩.

خزينة الدولة[١] وكان راتب غلام ديلمي سنة ٩٥٩/٣٤٨ في أيام معز الدولة ١٠ دراهم كل يوم وللنقيب ٢٠ درهماً أي حوالي ٢٠ للاول وللثاني ٤٠ ديناراً في الشهر[٢]. وفي سنة ٣٧١/ ٩٨١ اعطى عضد الدولة لكل من المتطوعين العرب ما بين ٢٠ و٤٠ ديناراً في الشهر[٣]. وفي سنة ٩٩٧/٣٨٧ وزعت ضياع واردها السنوي مائة الف دينار على ٥٠٠ جندي ديلمي و٣٠٠ جندي كردي أي بمعدل ١٠ دنانير راتب شهري لكل منهم[٤]. ان مقارنة هذه المرتبات[٥] بتلك التي كان يتقاضاها الجند ما قبل العهد البويهي تظهر أن الرواتب التي يتقاضاها الجند في الفترة البويهية زادت حوالي ١,٤ ـ ٤ أضعاف رواتب الجند أيام المقتدر[٦] مثلاً. وفي كل الحالات فان صغار الجند كانوا باستمرار وطوال حكم الخلفاء وأيضاً في القرن الرابع/العاشر يحتلون مكانة اقتصادية ارفع بكثير من تلك التي كانت للعمال والحرفيين[٧].

لكن الجند البويهي كان على شاكلة قادته وامرائه، فما كان ليقنع بتلك المرتبات، بل باستمرار يتطلب زيادة ويسعى للحصول على المال والمكاسب بأية طريقة. كذلك فان أوضاع الخزينة وسوء سياسة معظم الامراء البويهيين، كثيراً ما أدت الى التأخير في دفع استحقاقات الجند، مما كان يؤدي الى تمرد الجند وشغبهم. وقد بلغت هذه الحركات أوجها في العراق وبوتيرة لا مثيل لها من قبل. وكانت هذه الحركات تصل الى الاعتداء على الوزير او الامير نفسه ويرافق ذلك عمليات نهب لمنازل الوزراء والامراء واملاكهم[٨]. وفي فارس اخذت حركات تمرد الجند بسبب الاموال تزداد في مرحلة ما بعد شرف الدولة. وان ظلت اقل عدداً وحدة مما كانت عليه في العراق ولم تكن زيادة الرواتب أو التأخير في دفعها هي فقط وراء هذه الفتن، بل كان طمع الجند في الحصول على الاموال عن أي طريق، سبباً أساسياً، ففي سنة ٩٩٠/٣٨٠ عندما دخل بهاء الدولة أرجان اخذ ما بها من الاموال وكان مليون دينار و٨٠٠ ألف درهم عدا الجواهر والثياب. فشغب الجند حتى

---

(١) Cahen, peuples, art Iktà , p.244. EI², art Buyldes, t. I. p.1392.

(٢) مسكويه، جـ ٢ ص ١٧٤. الدوري، ص ٢٤٥.

(٣) ص ٢٧٤. المصدر نفسه، ص ٢٤٥.

(٤) ذيل، ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥. المصدر نفسه، ص ٢٤٥.

(٥) الدوري، تاريخ، ص ٢٤٥. Ashtor, Histoire de prix. p.70-72.

(٦) الدوري، تاريخ، ص ٢٤٦.

(٧) Ashtor, Histoire de prix, p.72.

(٨) مسكويه، جـ ٢ ص ص ٢٨٠، ٢٨١، ٢٩٨. ذيل، ص ٣٧٢. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ١٤٩، ١٥٧، ١٧٢. جـ ٨ ص ٢١، ٢٩، ٥٩، ١٠٥، ١١٤، ١٦٠. ابن الأثير، جـ ٦ ص ٢١٧، ٣٢٧؛ جـ ٧ ص ١٥٨، ١٦١؛ جـ ٨ ص ٢، ١٠، ٦٥، ٦٧، ٧٠، ٢١، ٤٨.

وزع عليهم بهاء الدولة هذه الاموال كلها[1]. وفي سنة ١٠٢٤/٤١٥ عندما استولى ابو كاليجار على شيراز ثار عليه الجند وطالبوه بالمال مما اضطره الى الخروج من البلد[2]. وعند وفاة هذا الاخير سنة ١٠٤٨/٤٤٠ نهب جنده الخزائن[3].

---

(١) ابن خلدون، جـ ٣ ص ٩٠٦ - ٩٠٧.

(٢) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٣١٧.

(٣) المصدر نفسه، جـ ٨ ص ٤٨. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ١٣٩.

الفصل الثامن:

الحياة الاجتماعية، أحوال المدن والنشاط العمراني

الحياة الاجتماعية، أحوال المدن والنشاط العمراني

خضعت فارس للحكم البويهي، ١٣٢ سنة. وكانت اهم مواقعهم العسكرية والاقتصادية. وبعكس العراق، فانها لم تعرف حالة الصراعات الدينية والاجتماعية التي عمت بغداد طوال الحكم البويهي. كما أنها حكمت من قبل اعظم الامراء البويهيين على الاطلاق فترة طويلة: عضد الدولة (٣٣٨ - ٣٧٢ / ٩٤٩ - ٩٨٢). وعرفت فترة من الهدوء داخلياً وخارجياً لم تعرفها باقي المقاطعات البويهية، استمرت منذ السيطرة البويهية عليها سنة ٩٣٩/٣٢٢ الى وفاة شرف الدولة سنة ٩٨٩/٣٧٩، أي ٥٧ عاماً. ورغم ان البدايات الاولى لاضطراب احوال فارس بدأت مع حكم صمصام الدولة (٣٧٩ - ٣٨٧ / ٩٨٩ - ٩٩٨)، إلا أنها لم تستفحل وتشتد إلا بعد وفاة بهاء الدولة سنة ١٠١٢/٤٠٣ ولغاية السيطرة السلجوقية على فارس سنة ١٠٦٢/٤٥٤.

ان كل هذا، يفترض حدوث تأثيرات وتبدلات اجتماعية بفعل تلك السيطرة. كما أن معرفة الاحوال الاجتماعية لفارس خلال هذه المرحلة، يتيح لنا معرفة نتائج التغلب البويهي على هذه المقاطعة. ان مصادر هذا الفصل تعتمد بالدرجة الاولى على كتب الجغرافيين والرحالة المسلمين، ففي هذا القرن شهد علم الجغرافية تطوراً كبيراً على أيدي الاصطخري، وابن حوقل والمقدسي، وقد نقل الينا هؤلاء الكثير عن احوال فارس وسكانها في هذا القرن. كذلك فعل المتأخرون عنهم خاصة ابن البلخي، وحمدالله مستوفي، وياقوت (انظر حول الجغرافيين: الفصل الاول).

١ - السكان

لا تحدثنا المصادر عن عدد سكان فارس. الا أنه من الاكيد انها كانت ذات كثافة سكانية ملحوظة. وهذه الكثافة لم تكن محصورة بالمدن بل أيضاً بالريف. فشيراز كانت خلال عهد عضد الدولة، كثيفة السكان لدرجة أن بعض الجند لم يجدوا مكاناً يسكنونه مما اضطر عضد الدولة الى بناء مدينة صغيرة لجنده خارج شيراز لاسكانهم وسماها كردفناخسرو[١].

(١) مستوفي، ص ١١٢ - ١١٤. ابن البلخي، ص ٣١٦ - ٣١٨.

كذلك كان شأن سائر المدن الكبرى، كسيراف ودار بجرد، وسابور وكثه[1]. وايضا المدن الصغرى والضياع. حتى أن الجغرافيين، عموماً، لا يذكرون موقعاً في فارس إلا ويؤكدون أنه كان كثير السكان[2]. الا أننا لا نملك سوى ثلاثة ارقام تؤكد كثافة سكان فارس وتتيح امكانية تصور عدد سكان هذه المقاطعة. الاول وهو ما ذكره ناصر خسرو عند زيارته لارجان سنة ٤٤٤ / ١٠٥٢ إذ يذكر أن بها عشرين ألف رجل[3] (عدا النساء والأطفال) وهو رقم ليس بالقليل لمدينة ليست من أكبر مدن فارس ولا أهمها اذ يضعها الاصطخري[4] في المرتبة الرابعة من حيث الكبر بعد شيراز وفسا وسيراف. أما الرقم الثاني فيذكره الاصطخري وينقله عنه ياقوت، وهو عن جرمق فيقول، انها تضم ثلاثة قرى صغيرة عدد سكانها نحو ألف رجل[5] ومن المعروف أن فارس كانت تحتوي على مئات عديدة من القرى.

أما الرقم الثالث فيتعلق بأكراد فارس وكانوا عنصراً مهماً من عناصر السكان اذ يذكر الجغرافيون انهم يتوزعون على حوالي مائة قبيلة (حي) «يخرج من الحي الواحد ألف فارس وأكثر وأقل». وهم «يزيدون على خمس مائة ألف بيت شعر ويخرج من البيت الواحد من الأرباب والاجراء والرعاة والخول وأتباعهم ما بين رجل واحد الى عشرة من الرجال»[6].

هذه الكثافة السكانية التي عرفتها فارس كانت في بعض أسبابها نتيجة حالة الرخاء الاقتصادي (أنظر لاحقاً) واستتباب حالة الامن. فحتى حوالي النصف الثاني من الحكم البويهي لم تعرف فارس الفتن الاجتماعية او الدينية أو السياسية. بل أن فارس ومنذ ان استتبت السيطرة البويهية عليها، لم تشهد ما شهدته سائر المقاطعات من حركات دينية وقومية (انظر الفصل الرابع). ولا أدل على ذلك من أنه عندما اشتدت الصراعات والفتن داخل فارس بدأت المقاطعة تشهد انحساراً سكانياً كبيراً. ويخبرنا ابن الجوزي أنه في سنة ١٠٥٥/٤٤٧ كانت فارس عامة وشيراز خاصة قد شهدت صراعات حادة وحروب متتالية منذ سنة ١٠٤٨/٤٤٠ بين الملك الرحيم وأخيه فلاستون (أنظر سابقاً) وإثر المجاعة التي عمت شيراز اثر حصارها، مات أهلها جوعاً ولم يبق فيها الا نحو ألف

---

(١) الاصطخري، ص ٧٨. ابن حوقل، ص ٢٤٨. ادريسي، ص ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٩، ٤١٨، ٤١٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ص ٧٧. المصدر نفسه، ص ٢٣٨، ٢٤٧. المصدر نفسه، ص ٣٩٨، ٣٩٥، ٤١٩. ياقوت. البلدان، جـ ١ ص ٦٩. ابن البلخي، ص ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٩، ٣٠.

(٣) سفر نامه، ص ١٥٢ - ١٥٣.

(٤) الاصطخري، ص ٧٨.

(٥) ياقوت، البلدان، ص ١٢٩.

(٦) ابن حوقل، ص ٢٣٦، ٢٣٩ - ٢٤١. الاصطخري، ص ٧١ - ٧٢. المقدسي، ص ٤٤٦ - ٤٤٧.

انسان[1]. ورغم أن هذا الرقم يدعو للشك اذ يبدو من الصعب حقاً أن يتقلص عدد سكان شيراز التي كانت تعج بالناس الى هذا الرقم. الا انه مؤشر على دور الرخاء الاقتصادي واستتباب الامن على الكثافة السكانية.

٢ ـ التركيب الاتنولوجي للسكان

كان سكان فارس مزيجاً من اجناس مختلفة. وكان التنوع السكاني في المدن اكثر منه في الريف والجبال، اذ ظل هؤلاء الاخرون اكثر تجانساً. ورغم أن التأثيرات العربية ـ الاسلامية كانت قد توغلت عميقاً داخل المجتمع الفارسي منذ زمن بعيد (أنظر الفصل الرابع) حتى باتت الغلبة الثقافية والاجتماعية لهذه الحضارة الجديدة؛ مشكلة في الوقت نفسه عنصر التوحيد بين أناس تختلف لغاتهم وتتباين ألوانهم وطباعهم وثقافتهم وأديانهم وعاداتهم. الا ان ذلك لم يقض بصورة نهائية على التمايزات اللغوية والثقافية والاجتماعية بين أجناس السكان..وقد ضمت فارس خلال العهد البويهي: الفرس والعرب، الاكراد، الديلم، الزط، الاتراك، ويأتي الفرس في المقدمة، اذ ظلوا يشكلون الاكثرية الساحقة بين السكان. ويمكننا تقسيمهم ثلاث فئات: الاولى وهم فئة ضئيلة احتفظوا بديانتهم القديمة الزرداشتية وبطقوسهم وعاداتهم ولغتهم الفهلوية. وكانوا متمركزين بشكل أساسي في بعض القلاع العديدة المنتشرة بفارس وأيضاً حول بعض بيوت النيران. أما الفئة الثانية وهم الفرس الذين اسلموا وانخرطوا في الحضارة العربية ـ الاسلامية وباتوا جزءاً منها. وهؤلاء على العموم كانوا من سكان المدن. ومنهم ستتكون، فئات الموظفين، رجال الدولة ورجال الدين والفقهاء ورجال العلم وأيضاً التجار، وأصحاب المصالح المستقلة، والحرفيون... الخ. وكانت هذه الفئة نتاج القرون الثلاثة التي مرت خلال السيطرة العربية على فارس، وعمق التأثيرات الاجتماعية واللغوية والدينية. كما تضم هذه الفئة اهل البيوتات القديمة الذين احتفظوا حتى أيام البويهيين بموقع اجتماعي مميز[2]. ومن هؤلاء خرج معظم كتاب الدواوين. وكانوا يتوارثون فيما بينهم أعمال الدواوين[3]. منهم آل حبيب واصلهم من كام فيروز ويقيمون في شيراز. وآل أبي صفيه مـوالي بني باهلة. وآل المرزبان بن زازبة واصلهم من شيراز. وآل مرزبان بن خدايداذ واصلهم من فسا. وآل مردشاد أو (خرشاد) بن نسبه. وجميع هؤلاء واولادهم تولوا أعمال الدواوين في فارس[4].

أما الفئة الثالثة فهم عامة الفرس، ومعظمهم من الفلاحين سكان الارياف والجبال الذين اسلموا

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ١٦٦. ابن الأثير، جـ ٨ ص ٦٩.

(٢) ابن حوقل، ص ٢٥٥.

(٣) نفس المصدر، ص ٢٥٥. الاصطخري، ص ٨٩.

(٤) ابن حوقل، ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦. الاصطخري، ص ٨٩.

الا أنهم كانوا اقل عرضة للتأثيرات العربية من غيرهم.

والى جانب الفرس كان هناك العرب وهم الفئة الثانية من سكان فارس. والواقع ان فارس لم تشهد حركة استيطان عربية كبيرة كالتي عرفتها خراسان مثلاً. وانحصر الاستيطان العربي على ساحل الخليج الفارسي بشكل رئيسي وكانت توّج أول مدينة بفارس استوطنها العرب. فعندما فتحت المدينة سنة ١٩/ ٦٤٠ اسكن فيها قبيلة عبدالقيس وغيرهم(١). ويذكر ابن البلخي ان عضد الدولة جلب اليها قبيلة من عرب سوريا واسكنهم فيها(٢). ويصف حمدالله المدينة بأنها « مدينة كبيرة يسكنها العرب »(٣). أما جزيرة اوال فكان فيها بنو معن وبنو مسمار وخلائق كثيرة من العرب، كما يقول المسعودي(٤). كذلك كان في هزو وهي احدى القلاع على ساحل بحر فارس مقابلة لجزيرة قيس قوم من العرب يقال لهم بنو عمارة ويرجعون بنسبهم الى آل الجلندي بن كركر. وظلت هذه الاسرة تحكم قلعة هزو، حتى استيلاء عضد الدولة عليها. وفي هذه القلعة اعتقل صمصام الدولة(٥).

ويذكر الاصطخري ان آل عمارة المعروفين بآل الجلندي كانوا من ازد اليمن وكان لهم ضياع وقلاع كثيرة على سيف البحر بفارس متاخمة لحد كرمان(٦). وهي المنطقة المعروفة بسيف بني عمارة. وكان لهم وحتى منتصف القرن الرابع « منعة وعدة وبأس وعدد لا يستطيع السلطان قهرهم واليهم ارصاد البحر وعشور السفن »(٧). ومن آل الجلندي أيضاً خرج آل الصفار واليهم ينسب سيف بن الصفار على ساحل فارس، وهؤلاء استقروا بفارس قبل الفتح(٨). وأيضاً آل أبي زهير وينسب اليهم سيف بني زهير الممتد على ساحل فارس من نجيرم الى حد بني عمارة، وكان مقر هؤلاء مدينة كران(٩). ومن هؤلاء خرج المظفر بن جعفر الذي ينسب اليه سيف بن المظفر والذي كان يمتد من جنابة الى نجيرم وكان مقر هؤلاء في صفارة(١٠). والى جانب هؤلاء كان هناك قوم من آل حنظلة بن تميم من ولد عروة بن آدبه والذين عبروا البحرين الى فارس أيام بني أميه، وسكنوا اصطخر

---

(١) انظر ياقوت، البلدان، جـ ٢ ص ٥٦ ـ ٥٧.
(٢) ابن البلخي، ص ٣٢١.
(٣) مستوفي، ص ١١٥.
(٤) المسعودي، مروج، جـ ١ ص ١١٠ ـ ١١١.
(٥) ياقوت، البلدان، جـ ٥ ص ٤٠٦.
(٦) الاصطخري، ص ٨٥.
(٧) المصدر نفسه، ص ٨٥.
(٨) المصدر نفسه.؛ياقوت، البلدان، جـ ٣ ص ٢٩٨.
(٩) المصدر نفسه.
(١٠) المصدر نفسه.

ونواحيها. وكانت لهم ضياع كثيرة حتى بلغ خراج ضياعهم مليون درهم[1]. ولا شك أنه بالاضافة الى هذه الاسر العربية التي استقرت بفارس في فترات متفاوتة مشكلة احد عناصر سكان هذا الاقليم، قد استقر الكثيرون من العرب بشكل افرادي، سعياً وراء حالة الامان والازدهار الاقتصادي التي كانت تعيشها المقاطعة. فيخبرنا مستوفي[2]، انه كان في شيراز بعض العائلات التي يعود نسبها الى الرسول (اشراف).

أما الاكراد، فكانوا يشكلون الفئة الثالثة من سكان فارس، وان كانوا على ما يبدو اكثر عدداً من العرب، وكانوا يتوزعون على خمسة زموم (نواحـي) اكبرهـا «زم جيلـويـه ويعـرف بـزم الرميجان فانه يلي اصفهان ويأخذ طرفا من كورة اصطخر، وطرفا من كورة سابور وطرفا من كورة ارجان. وحد منه ينتهي الى البيضاء، وحد منه ينتهي الى حدود اصفهان وحد منه الى حدود خوزستان وحد منه ينتهي إلى زم ناحية سابور... المازنجان هم من زم شهريار... أمـا زم الديـوان المعروف بالحسين بن صالح وهو من كورة سابور فان حدا منه يلي اردشيرخره، وثلاثة حدوده تنعطف عليها كورة سابور... فاما اللواجان زم احمد بن الليث وهو في كورة اردشير خرة فحد منه يلي البحر، ويحيط بثلاثة حدوده كورة اردشير خره... أما زم الكاريان فان حداً منه الى سيف بني الصفار وحداً منه الى زم المازنجان، وحداً من حدوده كرمان وحداً منه اردشير خره...»[3].

وكان كل زم يضم عدداً من المدن والقرى. وقد ضمن خراج كل ناحية منها رئيس من الاكراد وعليه اصلاح احوال منطقته وتأمين سلامة القوافل وحفظ الطرق وتنفيذ قرارات واوامر السلطة العليا (الخليفة أو الامير)[4].

وكان أكراد فارس يتوزعون على اكثر من مائة حي (قبيلة)، (كما أشرنا سابقاً). يزيدون عن خمس مائة ألف بيت شعر (خيمة)، وفي كل خيمة ما بين رجل واحد الى عشرة رجال. ينتجعون المراعي في الشتاء والصيف. الا مجموعة صغيرة منهم تسكن المناطق الباردة. اما معظم اكراد فارس والذين يقطنون المناطق الحارة فلا يتنقلون الا في دائرة نواحيهم[5].

وهناك من يقول بأن بعض هؤلاء الاكراد يعودون الى اصول عربية، كما يفعل ابن دريد الذي يزعم انهم من «ولد كرد بن فرد بن عامر»[6]. ويشير الاصطخري الى أن احمد بن الحسين

---

(١) الاصطخري، ص ٨٥ - ٨٦.
(٢) مستوفي، ص ١١٢ - ١١٤.
(٣) الاصطخري، ص ٦٨، ٧٢، ٨٧. ابن حوقل، ص ٢٣٦، ٢٣٩ - ٢٤٠. ياقوت بلدان، جـ ٣ ص ٧١. المقدسي، ٤٤٧. ابن خرداذبه، ص ٤٧. ابن الفقيه، ص ٢٠٣ - ٢٠٤. الادريسي، ص ٤٠٦ - ٤٠٧.
(٤) الاصطخري، ص ٦٩ - ٧٠. ابن حوقل، ص ٢٣٩.
(٥) المصدر نفسه، ص ٦٩ - ٧٢. المصدر نفسه، ص ٢٣٦، ٢٣٩ - ٢٤٠.
(٦) ابن حوقل، ص ٢٤٠.

صاحب زم الكاريان هو من آل الجلندي[1] الذين اشرنا اليهم سابقاً. لكن ومهما تكن ضعيفة هذه الاقوال، فقد بات هؤلاء «الاكراد» اكراداً حقيقيين، لم يدع احد منهم نسب اخر غير نسبهم الكردي. ولا يشير اليهم الجغرافيون الا على هذا الاساس.

والى جانب هذه العناصر الثلاثة الرئيسية لسكان فارس في العهد البويهي، كان هناك الديالمة، الذين اخذوا بالاستقرار بفارس بشكل واضح منذ السيطرة البويهية كونهم يشكلون الغالبية العظمى في جيش المقاطعة. وهؤلاء لم يكونوا مستقرين فقط بالمعسكرات التي أقيمت لهم، بل أيضاً داخل المدن. ونستدل مما ذكره المؤيد الشيرازي في سيرته - وهو دائماً يطلق على أنصاره في فارس اسم الديلم - ان الديلم ما كانوا مجرد جنود في فارس فقط بل باتوا جزءاً من سكان هذا الاقليم، وكانت لهم مناطق تجمعاتهم، فمثلاً، كان سوق الدواب في شيراز احد مراكزهم[2]. كذلك كان بفارس كتلة من الاتراك باعتبار انهم كانوا يشكلون احدى فرق جيش المقاطعة. وأيضاً كتلة صغيرة من الزط، وهم في الاصل هنود يشتغلون بتربية الجاموس، فعندما دخل ابن بختيار فارس بعد مقتل صمصام الدولة سنة ٣٨٩/٩٩٨ اجتمع عليه كثير من الزط والديلم والاتراك[3].

٣ - الحياة الدينية:

كان الاسلام قد عم فارس، وثبت اقدامه فيها منذ زمن بعيد، وقد ساعده على ذلك، بالاضافة الى الاسباب العامة التي أدت الى انتشاره، موقف الزرادشتية المهادن والمتصالح معه، وأيضاً ابتعاد الاقليم عن المشاركة في الحركات المعادية للإسلام او التي خرجت عنه وحاولت الجمع بين تعاليم الاسلام وغيرها من الديانات السابقة (أنظر سابقاً) والتي عمت ايران ثم زالت نهائياً منذ منتصف القرن الثالث / التاسع. وفي احسن الاحوال حصرتْ في جماعات صغيرة متوارية عن الانظار ولا أثر لها. وكان الى جانب المسلمين الذين باتوا يشكلون معظم سكان فارس، أقليات صغيرة جداً من أصحاب الديانات الاخرى، زرادشتيين، مسيحيين، ويهود.

أما المسلمون فكانوا من السنة، اذ لم تكن فارس يوماً موقعاً أو ملجأ لأئمة الشيعة ودعاتها الذين أختاروا أماكن بعيدة عن مقر الخلافة العباسية كخراسان وطبرستان لبث دعوتهم، وتنظيم انصارهم. لذلك كان الشيعة أقلية صغيرة بفارس انحصرتْ أماكن تواجدهم على ساحل الخليج الفارسي[4]، ربما لقربه من الجزيرة العربية التي كانت احدى مراكز الحركات الشيعية.

---

(١) الاصطخري، ص ٨٥.

(٢) سيرة المؤيد، ص ٩، ١٢، ٥٧، ٦٤.

(٣) الصابي، تاريخ، ص ٣٤٩ - ٣٧٨. ابن خلدون، جـ ٣ ص ٩١٣ - ٩١٤.

(٤) المقدسي، ص ٤٣٩.

ولم يطرأ أي تعديل يذكر، خلال الحكم البويهي، على انتماءات السكان الدينية، رغم تشيع الاسرة الحاكمة. اذ ظلت فارس مقاطعة سنية. وهذا ما يظهر بوضوح في سيرة المؤيد الشيرازي(1) عند حديثه عن فارس خلال حكم الملك أبي كاليجار. وأيضاً من شهادات الجغرافيين(2). فالمقدسي والاصطخري يشيران الى أن كافة الاتجاهات الدينية التي ظهرت في الاسلام السني والعديد من المدارس الفقهية كانت موجودة ولها أنصار بفارس. ويذكر الاصطخري: بأن كل مناطق ساحل فارس، من سيراف الى مهروبان وأرجان، ومعظم مناطق فارس الحارة، تتبع مذاهب أهل البصرة. في حين كان المعتزلة بتلك المناطق أقلية. الا أنهم كانوا أكثرية سكان جهرم. كما كان الشيعة كثر في حُرة. أما في المناطق الباردة، كشيراز، واصطخر وفسا، فكانت اكثرية السكان من أهل السنة الذين يتبعون مذاهب أهل بغداد(3).

ولم يختلف الوضع كثيراً أيام المقدسي. فأهل الحديث وأصحاب أبي حنيفة كانت لهم الغلبة. كما كان يوجد أتباع لأهل الظاهر (الداودية)، والشافعية والمعتزلة والحنابلة. وكان الشيعة كثر على السواحل وفي ارجان(4).

ويبدو أن المذهب الشافعي قد حقق تقدماً في فارس منذ مطلع القرن الخامس الهجري اذ يذكر مستوفي الذي كتب كتابه سنة ١٩٣٩/٧٤٠، ان يزد، كانت شافعية قبل أن تتحول الى المذهب الشيعي في أيامه. كذلك فإن كازرون، جيلويه وسابور كانوا من السنة الشافعية(5). أما الحنابلة فرغم الانتشار الذي لاقوه في بغداد، وتعاظم عددهم وقوتهم حتى باتوا يشكلون ما يشبه حزب معارضة سياسي - ديني دفاعاً عن السنة والخلافة، بوجه تقدم الشيعة الامامية المحمية من البويهيين، والاسماعيلية بعد استيلاء الفاطميين على مصر(6)، رغم ذلك، فإن انتشارهم بفارس كان محدوداً، وربما كان لغياب الفتن بين السنة والشيعة في الاقليم سبباً لتقلص انتشار المذهب الحنبلي. كذلك الحال بالنسبة لأهل الظاهر أو الداودية. فرغم ان عدداً منهم تولى القضاء بفارس (أنظر سابقاً) وكانوا يلاقون الدعم والتأييد من عضد الدولة اذ يذكر المقدسي، أنه كان مؤيداً لهم(7)، الا أنه يبدو أن أنصار هذا المذهب انحصروا في فئة رجال الفكر والعلم. كذلك كانت حالة المعتزلة،

---

(1) سيرة المؤيد، ص ٥.

(2) الاصطخري، ص ٨٤. المقدسي، ص ٤٣٩.

(3) الاصطخري، ص ٨٤.

(4) المقدسي، ص ٤٣٩.

(5) مستوفي، ص ١٢٥، ١٢٦.

(6) EI², art Hanablla, t. III. p.162-163.

(7) المقدسي، ص ٤٣٩.

الذين وان عادوا للانتعاش خلال الحكم البويهي، وتولى الكثيرون منهم مراكز مهمة في الدولة. وبرز منهم الكثير من العلماء الا أنهم عادوا للتقهقر بعد اشتداد حملة الخلافة عليهم والتي وصلت أوجها في صدور الاعتقاد القادري[1] سنة ٤٢٠/١٠٢٩.

لكن رغم تعددية المذاهب في فارس، الا أن المقاطعة لم تشهد أي اضطراب وصراعات مذهبية. لا بين أصحاب مذاهب أهل السنة فيما بينهم ولا مع المذاهب الدينية الاخرى. واذا كادت المنافسة بين المذاهب الفقهية لم تظهر في صورة شديدة الا في القرن التالي عندما فنيت المذاهب الصغرى، وبقيت المذاهب الكبرى وحدها في ميدان الخلاف[2]، الا أن هذا القرن كان قرن الصراعات بين السنة والشيعة والتي وصلت أوجها في بغداد خلال الحكم البويهي، حتى أنه ما كانت تمر سنة دون وقوع فتنة أو اكثر بين الفئتين، وكانت هذه الفتن من الضخامة وشدة العنف، انها كانت تسفر عن احراق أسواق بكاملها وتدمير ألوف الدكاكين والدور وقتل العديد من الطرفين[3]. لكن فارس ظلت بعيدة جداً عن مثل هذه الفتن، حتى أنه لم يشر المؤرخون ولا الى أية فتنة بين السنة والشيعة في هذا الاقليم طوال فترة الحكم البويهي. والسؤال الذي يطرح هنا، هو لماذا ظلت فارس بعيدة عن الصراع السني ـ الشيعي، رغم انها كانت خاضعة لحكم نفس الاسرة البويهية، والتي كانت في سياساتها وراء تصاعد هذه الصراعات في العراق؟ واصلاً لماذا لم يعمد البويهيون الى دعم الاقلية الشيعية في فارس وتشجيع الانتقال الى المذهب الشيعي وزيادة اعدادهم؟

كما أشرنا سابقاً فان مواقف وسياسات البويهيين تجاه سائر القضايا، والعلاقات مع الاطراف الداخلية أو الخارجية كانت محكومة بمصالحهم السياسية وليست الدينية. لذلك فان انتقالهم المحتمل من المذهب الزيدي الذي كان منتشراً بين الديلم عند بدايات ظهور الاسرة البويهية، الى المذهب الاثني عشري كان مدفوعاً بمصلحتهم السياسية، اذ كان لزاماً عليه لو كانوا زيديين «ان يتركوا الحكم لاحد العلويين. فكان من الايسر لهم أن ينتسبوا الى العقيدة الاثني عشرية التي تقول بغيبة الامام، ولحين عودته تكون السلطة الفعلية ملكاً لا نزاع فيه لمن يستولي عليها شريطة أن ينافح عن قدسية الاسلام»[4]، وبالاجمال، فان كل سلوك البويهيين الديني، لا يمكن أن يستدل منه على شدة

---

(١) ابن الجوزي، عجائب ٤٧ ـ ٤٨.

(٢) متز، جـ ١ ص ٣٩٥.

(٣) ابن الجوزي، عجائب و٣٧ ـ ٥٢. المنتظم، جـ ٦ ص ٣٦٤، ٣٦٩، ٣٩٠، ٣٩٥. جـ ٧ ص ٦٨، ٨٧ـ٨٨. ١٦٤، ١٦٩، ٣٠٦، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٥٢ـ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٧٦، ٢٧٨. جـ ٨ ص ١٩، ٤٦، ٤٧، ٥٩، ٦٢، ٧٨، ٧٩، ١٠٧، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٢، ١٣٦، ١٤٠، ١٤١، ١٥٠، ١٥٤، ١٥٧. سبط، جـ ١٢ و٢، ١٣، ١٨، ٢٣.

(٤) Cahen, Islam, p.178.

تدينهم أو تعصبهم لمذهبهم الشيعي، وكانت أهم اعمال البويهيين في هذا المجال، اقامة بعض الابنية كمشهد الحسين واضافة تحسينات على مشهد علي، وبعض الاعياد الدينية الشيعية، مثل عاشوراء وعيد الغدير[1] (غدير خم) والقيام بزيارة مشهدي الامام علي والحسين وأحياناً مشياً على الاقدام وهم حفاة» على بعد فرسخ منها[2]. والتوصية بدفنهم في هذه المشاهد[3].

ولا شك أن للبويهيين فضلا كبيراً على الدعوة الاثني عشرية، فقد عاش في ظلهم وبحمايتهم الفقهاء الذين حددوا منذ ذلك الحين المضمون الدقيق والثابت لهذه العقيدة[4].

ومن هؤلاء الفقهاء الثلاثة الكبار، أصحاب الكتب الفقهية الاساسية عند الشيعة الاثني عشرية والمعروفة «بالكتب الاربعة». وهم الكليني، والذي توفي سنة ٣٢٨ أو ٩٢٩/٣٢٩، أي عشية قيام الدولة البويهية. والثاني وهو ابن بابويه، وكان أهمهم، فقد عمل بتشجيع وحماية البويهيين في الربع الثالث من القرن الرابع الهجري (ت ٣٨١/ ٩٩١). والثالث هو ابو جعفر الطوسي (ت ٤٦٠/١٠٧٦)[5]. والى هؤلاء يضاف عدد آخر من كبار علماء وفقهاء الاثني عشرية الذين عاشوا وعملوا خلال العهد البويهي وبرعايتهم[6]. لذلك فقد انشئت بعض المدارس الشيعية، مثل دار العلم التي أقامها الوزير سابور ببغداد[7] سنة ٩٩٣/٣٨٣.

ان هذا السلوك المعتدل وغير المتعصب من قبل البويهيين تجاه أهل ملتهم والذي كان واضحاً بصورة قاطعة في فارس والري خاصة، أكدته سياستهم مع الاطراف والقوى الداخلية والخارجية والتي لم تستند على الإطلاق الى أسس طائفية أو مذهبية (أنظر سابقاً) كذلك اختيارهم لموظفيهم وكبار رجال دولتهم من وزراء وقادة جيش، حيث كان الوزراء وكبار رجال الدواوين من الشيعة والسنة وحتى في أحياناً قليلة من المسيحيين. فيما أشرك وأحياناً تناوب الاتراك والديلم أي السنة والشيعة على قيادة جيوشهم (أنظر سابقاً) إن البويهيين لم يقيموا دولة شيعية فلم يفرضوا مذهبهم كمذهب رسمي، ولم يدفعوا السكان الى الالتزام به، واصلا لم يكن هذا الامر على الاطلاق احد أهدافهم (انظر سابقاً) وكان المكسب الاساسي للمذهب الاثني عشري، من وجود البويهيين في السلطة، هو حريتهم في التحرك والعمل بصورة علنية، ووثوقهم بوجود سلطة تحميهم

---

(١) مسكويه، جـ ٢ ص ٢٠٠.

(٢) ابن الأثير، جـ ٨ ص ٣٧.

(٣) المصدر نفسه، جـ ٧ ص ١١٣، ٢٦٨.

(٤) Cahen, Islam, p.178.

(٥) Voir, EI², art Shi'a, p.366-367. EI², art Buyides. T. I. p.1381. Azezi,. domination, p.283-284.

(٦) Ibid.

(٧) ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٦٢. EI², art, Buyides, T.I. p.1391.

وتدافع عنهم.

لكن سياسة البويهيين في هذا المجال، في بغداد وخاصة أيام معز الدولة، كانت نقيض ما سبق وأشرنا إليه، وبالتالي فقد سمحت للاعتقاد بأنهم كانوا من غلاة الشيعة، متعصبين لمذهبهم، مناهضين لاهل السنة. فمعز الدولة ما ان دخل بغداد، حتى أطاح بالخليفة المستكفي. وكانت احدى حججه في ذلك، اعتقال الخليفة لزعيم الشيعة[1]. وأعقب ذلك بطرح فكرة الاطاحة بالخليفة السني، واستبداله بخليفة علوي (أنظر سابقاً) ولم يتردد في إطلاق سراح قوم من التناسخية بعد ان ادعوا بأنهم من أهل البيت[2]. وفي ٩٦٣/٣٥٢ عمد معز الدولة الى تحويل ذكرى استشهاد الإمام الحسين بن علي في العاشر من محرم، الى احتفال ديني فأمر الناس «بأن يغلقوا دكاكينهم ويبطلوا الاسواق والبيع والشراء وان يظهروا النياحة ويلبسوا قبابا عملوها بالمسوح وأن يخرج النساء منشرات الشعور مسودات الوجوه قد شققن ثيابهن يدرن في البلد بالنوائح ويلطمن وجوههن على الحسين بن علي رضي الله عنهما، ففعل الناس ذلك ولم يكن للسنية قدرة على المنع منه لكثرة الشيعة ولان السلطان معهم»[3].

وفي سنة ٩٦٢/٣٥١ كتب عامة الشيعة بأمر معز الدولة على مساجد بغداد، «بلعن من غصب فاطمة فدكاً، ومن اخرج العباس من الشورى ومن نفى ابا ذر ومن منع دفن الحسن عند جده»، ثم أن العامة قد محوا هذا المكتوب، فأشار الوزير المهلبي على معز الدولة ان يكتب: «لعن الله الظالمين لآل رسول الله، ولا يذكر أحداً الا معاوية ففعل ذلك»[4].

ثم اتبع معز الدولة ذلك، بأن جعل من الثامن عشر من ذي الحجة مناسبة ذكرى غدير خم، عيداً للشيعة، فأظهروا الفرح وأشعلوا النيران وزينوا البلد وفتحت الاسواق بالليل ابتهاجاً[5].

هذا التناقض بين سياسة معز الدولة ببغداد، مع سياسة البويهيين العامة التي أشرنا إليها سابقاً، يعود بالدرجة الاولى الى اختلاف وضع كل من العراق وفارس السياسي والاجتماعي بالنسبة للبويهيين. اذ كان العراق، وهو مركز الخلافة العباسية السنية، مركز الصراعات الحادة بين مختلف الاطراف الداخلية والمحيطة به. فكما دلت فترة حكم أمير الامراء السابقة، فقد كان من الصعب الامساك بالسلطة في بغداد لفترة طويلة فكيف هي الحال اذن اذا كانت هذه السلطة غريبة عن

---

(١) مسكويه، جـ ٢ ص ٨٦.

(٢) ابن الأثير، جـ ٦ ص ٣٣٩.

(٣) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٧. مسكويه، جـ ٢ ص ٢٠٠. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ١٥. Minorsky, domination, p.19.

(٤) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٤. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٨.

(٥) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٧. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ١٥.

بغداد، ومن غير مذهب الخلافة السني، كما هي حال البويهيين. لذلك، رأينا معز الدولة، اثر دخوله بغداد، يعمد الى الاطاحة بالخليفة بهدف انتزاع كل سلطاته والقضاء على أي دور للخليفة مما يحول دون تأثيره في أية حركة معارضة للبويهيين، ومن الجهة المقابلة، الاعتماد على الشيعة كقوة شعبية في مواجهة أهل السنة.

كان العراق في هذا الوقت قد بات المركز الأول للتشيع وكانت بغداد ملتقى ومركز صراع لجميع الحركات الروحية في مملكة الإسلام. ولكن أكبر حزبين كانا بها في القرن الرابع هما الحزبان المتشددان في التمسك بمذهبها وهما الحنابلة والشيعة [1]. هذا الانقسام الحاد على مستوى الحكم بين الخليفة والأمير البويهي وعلى مستوى العامة بين السنة والشيعة، أمام تضامن السنة مع الخليفة ومناهضتهم للأمير البويهي، كان لا بد أن يدفع بالأمير البويهي إلى أن يبحث عن قوى اجتماعية يستند اليها في صراعه ضد تلك القوى المناهضة له. فكان أن اندفع بابراز تشييعه وحتى المغالاة في ذلك في سبيل كسب الشيعة الى جانبه وبقوة ووضعهم في وجه أهل السنة. وهو وان نجح في ذلك، وضمن تأييد أحد أكبر قوتين في بغداد، الا أنه في الوقت نفسه، أطلق العنان للصراع الداخلي، الامر الذي من الصعب اعادة ضبطه، فكانت الفتن بين السنة والشيعة أحد أبرز الاسباب التي أدت الى تدهور أوضاع بغداد، وأضاف الحكم البويهي فيها. حتى أن عضد الدولة عندما دخل بغداد، وجد أنه قد هلك أهلها قتلا وحرقاً وجوعاً بسبب الفتن المتواصلة بين الشيعة والسنة، فرأى أن القصاص هم أحد أسباب اندلاع هذه الفتن فأمر بمنعهم من القصص [2].

لكن الفتن والصراعات الداخلية عادت أكثر قوة وعنفاً مع خلفاء عضد الدولة. حتى اضطر هؤلاء أو من ينوب عنهم في حكم العراق الى الغاء الاحتفالات الدينية التي غالباً ما كانت مناسبات لانطلاق تلك الفتن. خاصة وأن أهل السنة ومنذ سنة ٣٨٩/٩٩٨ قد اخترعوا مناسبتين للاحتفال بها ومنها ذكرى مقتل مصعب بن الزبير ويوم الغار وذلك رداً على عاشوراء والغدير. لذلك لم يتردد البويهيون في العراق في محاولة منهم لاستتباب الامن، في التصدي وبالقوة للفتن والتي كان مصدرها أحياناً الشيعة. ففي سنة ٣٨٢/٩٩٢ منع الشيعة من النوح في عاشوراء وتعليق المسوح، وحين وقعت الفتنة في الكرخ قمعت بالقوة [3]. وعندما تولى عميد الجيوش امر

---

(١) متز، جـ ١ ص ١٢٠، ١٣٣.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٨٧ ـ ٨٨.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ١٦٨، ١٦٩.

العراق نيابة عن بهاء الدولة، قضى على جماعات من السنة والشيعة لانهم كانوا يحرضون على الفتن ومنع الجانبين من اقامة احتفالاتهم ولم يجد أي حرج في نفي فقيه الشيعة ابن المعلم عن بغداد رغم عظمته وموقعه عند البويهيين(١).

لكن وان كان البويهيون قد فشلوا في القضاء على الفتن الدينية ببغداد، لتفاوت سياسات الامراء في هذا الصعيد، وضعف السلطة البويهية عموماً وتدهور احوال العراق، بل ان هذه الفتن قد ازدادت عدداً وحجماً فيما بعد، واختلطت بحركات الجند والعيارين والزعار(٢). الا أن ما يهمنا هو ان محاولات البويهيين التي أشرنا اليها للقضاء على هذه الفتن وذلك بضرب السنة والشيعة على السواء دليل آخر، على أن موقفهم في العراق المنحاز للشيعة في بادىء الامر وفي فترات اخرى، انما كانت تتغلب عليه المنطلقات والاهداف السياسية التي أوجبها وضع العراق السياسي والاجتماعي ووضع الدولة البويهية نفسها داخل العراق. وهذا الامر وان اظهر البويهيين في العراق وخاصة في أيام معز الدولة، بمظهر المغالين في تعصبهم للشيعة ومناهضة أهل السنة ومن منطلق مذهبي، فذلك عائد في أحد اسبابه أيضاً بالاضافة الى ما سبق وذكرناه الى صفات الامير البويهي وقدراته، في ادارته شؤون الدولة. لذلك فلا عجب، ان ترتبط مرحلة التعصب المذهبي عند البويهيين بصورة أساسية، بالامير معز الدولة، الذي عُرف عنه التهور وسرعة الغضب وسوء السلوك(أنظر سابقاً). ومن مفارقات هذا الامير، ان احد كاتبيه اللذين توليا أمور وزارته بعد وفاة المهلبي هو أبو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي، كان متعصباً للسنة، وبعد وفاة معز الدولة تولى وزارة عز الدولة بختيار وفي أيام وزارته وقعت فتنة عظيمة بين السنة والشيعة ببغداد، تعصب فيها الوزير ضد الشيعة وقام حاجبه باحراق الكرخ وبلغ عدد من قتل اثر الحريق بالالوف وتدمير مئات الدكاكين والمنازل(٣).

لكن احوال فارس، كانت النقيض لما كانت عليه احوال العراق، فالشيعة ما كانوا يشكلون سوى اقلية ضئيلة من السكان، والمقاطعة لم تكن مركزاً للاضطرابات من أي نوع، وأهميتها السياسية تختلف عن أهمية العراق، وهي وان كانت مركزاً لمختلف أصحاب المذاهب والفرق الا أنها تمتعت بجو من الحرية والتسامح مما أبعد عنها أجواء التعصب والفتن. ولا شك أن كونها مركزاً تجارياً وعقدة مواصلات هامة وغناها الاقتصادي قد ساعد كثيراً في ايجاد هذه الاجواء. حتى أن المقدسي لا يجد ما يفسر به حالة الهدوء والاستقرار التي تعيشها المقاطعة بخلاف معظم

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٣٧ ـ ٢٣٨. الذهبي، دول، جـ ١ ص ١٨٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٧٦، ٢٨٣، ٢٨٧. جـ ٨ ص ٤٤ ـ ٤٧، ٥٥، ٥٩ ـ ٦٠، ٧٨ ـ ٧٩، ١٠٧، ١٣٢، ١٣٦، ١٤٠، ١٤١، ١٤٥، ١٥٠، ١٥٤، ١٥٧، ١٦٥.

(٣) مسكويه، جـ ٢ ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥. ابن الأثير، جـ ٧ ص ٤٩.

المقاطعات الاخرى، الا باتهام أهل فارس بأنهم « أبخع الناس بطاعة السلطان وأصبرهم على الظلم وأثقلهم خراجاً وأذلهم نفوساً »[1]. ومهما يكن، فان استتباب الامر للبويهيين في فارس منذ بداية سيادتهم عليها وحيث لم يبرز أي اتجاه من السكان معادٍ لهذه السيطرة، وبالمقابل لم يبرز أي اتجاه مذهبي من السلطة الشيعية الجديدة معاد لمجموع سكان الاقليم السنة، فلذلك انتفت الاسباب والامكانات التي دفعت بالبويهيين في بغداد للظهور بمظهر مذهبي. بل ان احوال فارس، وغياب أي شكل من أشكال الصراع السني ـ الشيعي فيها طوال الحكم البويهي، حتى أن كثير من وزراء فارس وكبار رجال الدولة كانوا من اهل السنة (أنظر سابقاً) يؤكد ما ذهبنا اليه، من أن موقف البويهيين الطائفي في العراق كان ذا منطلقات سياسية وان كانت سياستهم العامة والاساسية لم تكن سياسة طائفية.

أهل الذمة

وكما يخبرنا الجغرافيون الذين زاروا فارس في القرن الرابع فقد بقي في هذه المقاطعة اقليات صغيرة من المجوس واليهود والنصارى، وكان أكبر هذه الاقليات هم المجوس أي الزرادشتيين، وأكبر تجمع لهم موجود في فارس « لأن بها كانت دار مملكتهم وأديانهم وكتبهم وبيوت نيرانهم »[2]. ولقد تمكن هؤلاء من الحفاظ على تراثهم الساساني القديم، اذ انحصرت اللغة الفهلوية فيما بينهم فقط[3]. كذلك كانوا بمثابة حفظة التراث الديني والتاريخي للفرس (أنظر سابقاً) وقد ساعدهم على ذلك كثرة بيوت النيران المنتشرة في معظم انحاء فارس[4]. والتي باتت تشكل عنصر تماسك هذه الاقلية التي فضلت البقاء على دينها القديم وعدم الدخول في الاسلام. وكانوا يعيشون جنباً الى جنب مع المسلمين دون أن يؤدي ذلك الى بروز حركات اضطهاد أو فتن بين الجانبين، ولا يذكر المؤرخون سوى فتنة واحدة وقعت سنة ٣٦٩/٩٧٩ بينهم وبين عامة شيراز من المسلمين، ونهبت في هذه الفتنة دور المجوس، وضربوا، وقُتل منهم جماعة، وعندما سمع عضد الدولة بالخبر، وكان مقيماً ببغداد، ارسل من يعتقل كل من شارك في هذه الفتنة وضربهم وبالغ في تأديبهم وزجرهم[5]. وكان عضد الدولة حازماً جداً في كل ما يتعلق بالفتن الداخلية على اختلاف أنواعها.

(١) المقدسي، ص ٤٤٨.
(٢) ابن حوقل، ص ٢٥٥. الاصطخري، ص ٨٤.
(٣) الاصطخري، ص ٨٣ ـ ٨٤.
(٤) المصدر نفسه، ص ٧٤. ابن حوقل، ص ٢٤٢.
(٥) ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٠٢ ـ ١٠٣.

ويأتي اليهود بعد المجوس بين أهل الذمة، من ناحية العدد في فارس كما يذكر المقدسي[1] الذي وضع كتابه في الربع الاخير من القرن الرابع. في حين انهم كانوا حسب الاصطخري[2] الذي ألّف كتابه في الربع الاول من القرن الرابع، يأتون بعد المجوس والنصارى. وهذا الاختلاف حول اليهود بالنسبة للنصارى ما بين بداية ونهاية القرن الرابع، يعود على الارجح الى تقلص حجم النصارى بفعل استمرار حركة دخول أعداد منهم في الاسلام. ومهما كان من أمر، فليس لدينا أية أرقام عن عدد اليهود في فارس خلال الحكم البويهي. لكن يعتقد أنه كان في شيراز وحدها في القرن الرابع حوالي عشرة آلاف يهودي[3]. وبعد حوالي قرن من انتهاء الحكم البويهي لفارس، كان بجزيرة قيس حوالي خمسمائة يهودي[4]. ويذكر الرحالة Benjamin de tulède الذي قام برحلته ما بين ٥٦٠ ـ ٥٨٦ / ١١٦٤ ـ ١١٧٢. ان هؤلاء اليهود هم احفاد يهود سيراف الذين كانوا أكثر أهمية[5]. ونعتقد، نظراً لاهمية دور سيراف التجاري والاقتصادي في العصر البويهي وهما المجال الاساسي الذي كان يعمل به اليهود بصورة عامة في تلك العصور، فان عددهم في سيراف ما كان ليقل عن عددهم في شيراز ان لم يزد على ذلك.

أما النصارى فليست هناك أية اشارات الى اعدادهم في فارس، لكن ربما نستطيع تكوين فكرة عامة عن ذلك، اذ اكدنا ما أشرنا اليه اعلاه، من أنه ما بين بداية القرن الرابع ونهايته انتقل النصارى من كونهم اكثر عدداً الى أقل عدداً من اليهود، الذين كان يبلغ عددهم تقريباً كما رأينا في أهم مدينتين في فارس أي شيرازوسيراف حوالي العشرين ألفاً.

ولقد عاش أهل الذمة في فارس خلال العهد البويهي في جو من التسامح الكلي، يكفي للدلالة على ذلك، أنه لم يسجل المؤرخون وقوع أية حادثة بين أهل الذمة (المجوس، النصارى واليهود) والمسلمين في فارس طوال فترة الحكم البويهي ما عدا الحادثة الوحيدة التي أشرنا اليها سابقاً بين المجوس والمسلمين، وهذه المسألة لم تكن خاصة بفارس، بل شملت عموماً كافة أنحاء المملكة الاسلامية في ذلك الوقت، ففي بغداد التي كانت تعيش اجواء الفتن الدائمة بين السنة والشيعة، فان الحوادث مع أهل الذمة، النصارى واليهود كانت قليلة جداً[6]. ولم يكن هناك ما يحول امام المجوسي او النصراني او اليهودي من ممارسته أي عمل أو مهنة. واذا كانت المصادر لا تخبرنا عن

---

(١) المقدسي، ص ٤٣٩.

(٢) الاصطخري، ص ٨٤.

(٣) متز، جـ ١ ص ٨٣.

(٤) Aubin, la ruine de Siraf. p.297-298.

(٥) Ibid.

(٦) انظر، ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٢١٩، ٢٣٩، ٢٦٢. جـ ٨ ص ٥٥، ١٢٧، ١٢٨. متز، جـ ١ ص ١٠٩ ـ ١١٨.

الاعمال التي كان يقوم بها أهل الذمة بفارس في هذا الوقت، الا أننا نستطيع استناداً الى الاخبار عن نوعية اعمالهم في بغداد والشام ان نكوّن فكرة عما كانوا عليه في فارس، فاما المجوس، فقدامة يخبرنا انه «كانت تقع في المفازه التي في شرق فارس مدينة القرينيين واهلها مجوس، وكسبهم من كرى حميرهم يضربون عليها الى الافاق»[1]. أما النصارى واليهود فقد كان قدمهم راسخاً في الصنائع التي تدر الارباح الوافرة، فكانوا صيارفة وتجاراً وأصحاب ضياع وأطباء، بل إنهم نظموا انفسهم بحيث كان معظم الصيارفة والجهابذة من اليهود على حين كان اكثر الاطباء والكتبة نصارى. كذلك كان من بين اليهود حرفيون وخياطون، صباغون، اساكفة خرازون ومن اليهم[2]. وهذه الاعمال والمهن التي انخرط فيها المسيحيون واليهود، تفسر أسباب تمركزهم بصورة أساسية في المدن الكبرى لفارس، كشيراز العاصمة وسيراف المركز التجاري والمرفأ البحري الهام.

كذلك، فلقد تبوأ عدد من أهل الذمة مراكز مهمة في فارس، وقد استهل علي بن بويه حكمه لفارس وكان الى جانبه كاتب نصراني من الري بمثابة الوزير، وهو أبو سعد اسرائيل بن موسى وكان ذا مكانة كبيرة ورأي مسموع عند البويهي الكبير. كذلك كان وزير عضد الدولة بفارس نصر بن هرون من نصارى فارس. هذا بالاضافة الى عدد من كتاب الدواوين والموظفين الاخرين (أنظر سابقاً)، أما المجوس فقد برز منهم عبيدالله بن الفضل احد قادة جيش بهاء الدولة بفارس[3].

وتمتع اهل الذمة بحرية ادارة شؤونهم الدينية بصورة كاملة ولم تكن السلطات تتدخل في الشعائر الدينية الخاصة بهم، وقد احتفظوا بأماكن عباداتهم؛ فحتى هذا الوقت، ظلت بيوت النار تملىء فارس، فتقريباً ما كانت ناحية ولا مدينة بفارس تخلو من بيت نار للمجوس[4]. وكان هناك العديد من الاديرة منها دير الابلق، ودير النوبندجان[5]. وقد سمح عضد الدولة لوزيره النصراني نصر بن هرون في عمارة البيع والاديرة واطلاق الاموال لفقراء النصارى[6]. أما اجبار اهل الذمة على ارتداء ملابس مميزة لهم عن المسلمين، الامر الذي حصل في بعض الاحيان القليلة السابقة واللاحقة[7]، فلم نسمع عن مثل ذلك طوال القرن الرابع كله[8]، رغم أن بعض العهود التي كانت

---

(١) متز، جـ ١ ص ٨٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٦ ـ ٨٧. الدوري، تاريخ، ص ٣٣.

(٣) الصابي، تاريخ، ص ٣٧٩.

(٤) الاصطخري، ص ٦٨. المسعودي، مروج، جـ ٢ ص ٢٥٣ ـ ٢٥٥.

(٥) ياقوت، بلدان، جـ ٢ ص ٤٩٦. ابن حوقل، ص ٢٤٢. الثعالبي، يتيمة، جـ ٢ ص ٣٩٥.

(٦) مسكويه، جـ ٢ ص ٤٠٨. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٠١.

(٧) انظر متز، جـ ١ ص ١٠١ ـ ١٠٢.

(٨) متز، جـ ١ ص ١٠٣.

تعطى للمحتسبين كانت تنص على ضروزة اتباع ذلك. ففي العهد الذي كتبه الصاحب بن عباد عن مؤيد الدولة لاحد المحتسبين في الري يأمره بأخذ «أهل الذمة بلبس الغيار وعقد الزنار والتميز عن المسلمين»[١]. لكن نصوص هذه العهود، كانت تتضمن واجبات المحتسب العامة والمفترضة اكثر مما كانت تتضمن أوامر محددة مطلوب تنفيذها، لذلك فان معظم ما كانت تتضمنه تلك العهود التي كانت تعطى للمحتسب او القاضي أو سواهما ما كانت لتطبق بصورة كاملة.

وفي فارس، فان ما ينقله الجغرافيون، يؤكد عدم وجود أي تمييز في اللباس بين أهل الذمة والمسلمين. ففي وصفه لشيراز يقول المقدسي «ولا ترى على مجوسي غياراً ولا لصاحب طيلسان مقداراً، ولقد رأيت أهل الطيالس سكارى ويلبسه المكدون والنصارى وبه دور الزنا ظاهرة ورسوم المجوس مستعملة»[٢].

ولقد استمر هذا الوضع الى سنة ١٠٣٧/٤٢٩ عندما أمر الخليفة العباسي بإلزام أهل الذمة ملابس يعرفون بها عند المشاهدة[٣]. ولا ندري تماماً مدى تطبيق هذا الامر بفارس، لكن الاكيد ان حريات أهل الذمة استمرت مصونة، بعد سنة ١٠٣٧/٤٢٩، حتى أن الداعي الفاطمي المؤيد الشيرازي يشير الى ذلك في معرض احتجاجه على المضايقات التي يتعرض لها أنصاره ويقول: «انهم يزاحمون في دينهم ويمانعون عن اعتقادهم، والنصارى واليهود في دينهم لا يعارضون، وعن بيعهم وكنائسهم لا يمنعون...»[٤].

وكما كانت فارس مركزاً لكل أصحاب المذاهب والطوائف، فقد كانت أيضاً مركزاً مهماً من مراكز الزهد والتصوف. ويذكر المقدسي ان شيراز بنوع خاص كانت مملوءة بالصوفية[٥]. ومن هؤلاء محمد بن حفيف الشيرازي ت ٣٧١ أو ٣٩١ وكان يتردد على بلاط عضد الدولة بفارس[٦]. ويذكر الشاعر العطار في كتابه «تذكرة الاولياء» أنه التقى به في بلاط عضد الدولة[٧]. وبطبيعة الحال، فقد كانت فارس تضم اعداداً من القرامطة والفاطميين الاسماعيليين، وقد سبق وتحدثنا عن هاتين الفئتين عند حديثنا عن العلاقات الخارجية لفارس (أنظر سابقاً).

---

(١) الصاحب، رسائل، ص ٤١.

(٢) المقدسي، ص ٤٢٩

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ٩٦ - ٩٧

(٤) سيرة المنتظم، ص ٩.

(٥) المقدسي، ص ٤٣٩.

(٦) متز، جـ ٢ ص ٣٨

(٧) أربري، شيراز، ص ١٢٠ - ١٢١

٤ ـ صفات أهل فارس، العادات، التقاليد

وكان لا بد اذن، أن ينعكس هذا التنوع السكاني والديني في ظل أجواء الحرية والتسامح التي عاشتها المقاطعة وبتأثيرات الازدهار الاقتصادي وخاصة الحركة التجارية على صفات وسلوك وتقاليد السكان. الا أنه علينا أن نميز بين ما ولدته تلك الاوضاع من صفات عامة وما احتفظ به السكان من صفات ذات خصوصيات تاريخية ومحلية.

لذلك فإن الصفات المطلقة والشاملة التي يطلقها الجغرافيون على سكان فارس في القرن الرابع، لا تعطي سوى صورة جزئية عن ذلك، فالمسعودي يصف أهل فارس قائلاً: «وفي أهله شح، ولهم خب، وغرائزهم سيئة، وهممهم دنيئة، وفيهم مكر وخداع»[1].

ان بعض هذا الوصف ربما ينطبق على بعض فئات السكان، الا أنه قطعاً لا يمكن اطلاقه على مجمل السكان. لذلك نرى الاصطخري أكثر تحديداً إذ يقول: «وأما أخلاق ملوكهم والتناء منهم والمخالطين للسلطان، من عمال الدواوين وغيرهم فالغالب منهم استعمال المروة في أحوالهم والنزاهة عما يقبح به الحديث من الاخلاق الدنيئة... والاداب الظاهرة فيهم، وأما تجارهم فالغالب عليهم محبة جمع المال والحرص»[2]. ثم يضيف قائلا: «واما اهل كازرون وفسا وغيرهم... فهم حرصّ على جمع المال، وفيهم اليسار الظاهر حيثما كانوا، وما علمت مدينة لا في بر ولا بحر فيها قوم من الفرس مقيمون الا وهم عيون تلك المدينة، والغالب عليهم اليسار واستقامة الحال والصفة»[3].

أما المقدسي فيقول عن فارس: «انه معدن الجور والفساد»[4]. ويذكر أنه بسيراف كثر الزنا وتفشّى الربا[5]... وحُدثت عن نسائهم بشيء قبيح... وأما شيراز فعدولهم لوطه وأكثرهم يقولون ما لا يفعلون[6].

أما ابن البلخي فهو عندما يتحدث عن صفات سكان احد المدن الصغيرة بفارس وهي ريشهر، الذين يعملون معظمهم بالتجارة البحرية فيقول: «إنهم لا يملكون سمو الشخصية ولا قوة الصفات وهم ذوو طبيعة ضعيفة الا أنهم شرفاء لا يتعاطون سوى باعمالهم وبشؤونهم الشخصية»[7]. ويصف أهل جنابة بأنهم ذوو صفات شيطانية[8] أما سكان جويم أبو أحمد فهم

---

(١) المسعودي، مروج، جـ ٢ ص ٦٣.

(٢) الاصطخري، ص ٨٣ ـ ٨٤.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المقدسي، ص ٤٣١.

(٥) المصدر نفسه، ص ٤٢٧.

(٦) المصدر نفسه، ص ٤٢٩.

(٧) ابن البلخي، ص ٨٦٦.

(٨) المصدر نفسه، ص ٨٦٧.

محبون للحروب واللصوصية[1]. وعند حمدالله مستوفي في نزهة القلوب، نجد بعض الاوصاف لسكان بعض مناطق فارس. فسكان تيرمردان وكيشت ومائين، محبون للحروب واللصوصية وقطع الطرق[2]. وهذه المدن الثلاث هي مدن جبلية صغيرة، في حين أنه يصف سكان النوبندجان بانهم يمتازون بالرحمة والحكمة[3].

ولا بد من الاشارة الى أن كتابي ابن البلخي ومستوفي، قد كتبا بعد حوالي قرن وقرنين من انتهاء السيطرة البويهية على فارس، وكانت المقاطعة قد شهدت أسوأ مراحل تدهورها بسبب الاضطرابات والصراعات واعمال التدمير التي شهدتها بعد انتهاء السيطرة البويهية عليها، وفقدت دورها ومكانتها الاقتصادية، مما يفسر انتعاش اعمال اللصوصية خاصة في المناطق الجبلية من فارس في هذا الوقت، في حين أننا لا نجد اشارات بمثل ذلك عند جغرافيي القرن الرابع.

الا أن أبرز ما عرفت به فارس فكان انتشار البغاء وكثرة اماكن الفسق والمجون. فالمقدسي لا ينفك من الاشارة الى هذا الامر كلما تحدث عن فارس او عن أحد مدنها. فيقول: «ان فارس كانت اكثر اقاليم المملكة الاسلامية فسقاً[4]، وان ليس هناك افسق من أهل سيراف»[5] مؤكداً ما يشبه القاعدة، بأن كل بلد على بحر او نهر فالزنا واللواطة فيه كثير، مثل سيراف وبخارا وعدن[6].

كذلك كانت حال شيراز التي تفشى بها الزنا واللواط، ويقول أن دور الزنا كانت ظاهرة بشيراز وتقصد كما تقصد الحمامات كما تحولت المقابر الى مكان يلتقي به للفساد[7]. ويذكر، أن عضد الدولة قد فرض ضريبة على الراقصات والقحاب بفارس، وكان يضمن هذه الضريبة. ويقول البيروني بعد حكاية ما كان عليه ملوك الهند من فرض الضريبة على المغنيات والراقصات طلباً للمال: «وهكذا كان عضد الدولة»[8].

وكانت المرأة بفارس في هذا الوقت، على شيء كبير من الحرية، ولربما ازداد هذا الامر، بتأثير الديلم، حيث كانت المرأة في المجتمع الديلمي تتمتع بحريات كثيرة فيما يتعلق بالعمل وادارة شؤونها ومشاركة ومخالطة الرجال، ومشاركتهم في الاعمال (أنظر سابقاً)، ويذكر المقدسي ان

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣١٥.
(٢) مستوفي، ص ١٢٣، ١٢٦، ١٢٧.
(٣) مستوفي، ص ١٢٨.
(٤) المقدسي، ص ٣٢.
(٥) المصدر نفسه، ص ٣٤.
(٦) المصدر نفسه، ص ٣٦.
(٧) المصدر نفسه، ص ٤٢٧، ٤٢٩، ٤٤١.
(٨) انظر متز، جـ ٢ ص ١٧٤.

المرأة كانت تعمل في حراسة الحمامات[1]. كمكا اظهر عدم رضاه عن سلوك المرأة بفارس، يقول عن فساد سيراف « وحُدثت عن نسائهم بشيء قبيح »[2].

وترافقت هذه الامور، مع غياب اجواء التزمت وضعف دور ونفوذ رجال الدين والفقهاء، وكثيراً ما اشار المقدسي الى غياب العلماء عن فارس وجهل رجال الدين فيقول عن شهرستان، « وليس بها عالم جليل »[3]، ويصف إمام النوبندجان بالجهل[4]، ويخلص الى أن طبقة الكتاب باتت تحتل المكانة الاجتماعية الاولى. ففي عاصمة الاقليم شيراز الكتاب أرفع قدراً من الفقهاء، فليس لأهل الطيالسة مقدار انما هو لاصحاب الدراريع... كما يرفع بالمشرق العلماء ها هنا ترفع الكتبة[5].

وكان الزي واللباس، مرتبطاً بالفئات الاجتماعية للسكان، اذ كان لكل فئة زيها ولباسها، كما هو الامر في سائر انحاء المملكة. ويخبرنا الاصطخري ان السلاطين بفارس كانوا يرتدون الاقبية « قباء »، وربما لبسوا الدراريع[6] وكان عضد الدولة يلبس قباء[7] الا أن الامر لم يبق ثابتاً كما يقول ابن حوقل: « فقد تغير زي سلطانهم في وقتنا هذا، لأن الغالب على أصحابه لباس الديلم ». أما القضاة « فيلبسون الدنيَّات وما أشبهها من القلانس المشمَّرة عن الاذنين مع الطيالسة والقمص والجباب، ولا يلبسون دَراعة ولا خفاً بكسرةٍ ولا قلنسوة تغطي الاذنين[8]، ويذكر المقدسي، ان كتاب فارس كانوا يلبسون الدراعة، وعلماء الطيلسان[9].

وكان لباس الملاكين يتراوح بين « لباس الكتاب والتجار من الطيالسة والارديه والاكسية القومسين والخز والصمائم والخفان التي لا كسر فيها والقمص والجباب والمبطنات »[10].

لذلك، فانه فيما عدا الامير والكتاب والعلماء والقضاة والقواد، الذين كان لكل منهم زي مميز، فان لباس سائر السكان كان موحداً تقريباً، ويذكر الاصطخري ان بعض كبار تجار سيراف ما

---

(1) المقدسي، ص ٤٤٠.
(2) المصدر نفسه، ص ٤٢٧.
(3) المقدسي، ص ٤٣٣.
(4) المصدر نفسه، ص ٤٣٤.
(5) المقدسي، ص ٤٢٩، ٤٤٠.
(6) الاصطخري، ص ٨٣ - ٨٤.
(7) ذيل، ص ٦٧.
(8) ابن حوقل، ص ٢٥٣. الاصطخري، ص ٨٣ - ٨٤.
(9) المقدسي، ص ٤٤٠.
(10) ابن حوقل، ص ٢٥٣.

كان يتميز في لباست عن أجيره[1] بل أن الطيلسان الذي هو لباس العلماء، لم يعد حكراً عليهم، وربما لانعدام أهليتهم لحمل هذا اللقب. لذلك يقول المقدسي عند حديثه عن شيراز «وليس لصاحب طيلسان مقدار ولقد رأيت أهل الطيلسان سكارى ويلبسه المكدون والنصارى»[2].

واختلفت بعض مراسيم الموت في فارس عما كانت عليه في أنحاء أخرى، فكان «الرجال يمشون أمام الجنازة، والنسوة خلفهم. وبخوزستان، كانوا يقيمون الزمر والطبل في المواتيم وفي المقابر ولا يعرف في اقاليم الاعاجم الخروج الى المقابر لختم القرآن وانما يجلسون للتعزية في المساجد ثلاثة أيام»[3]. كذلك، فقد كان من عادات البويهيين لبس الثياب السود حداداً والجلوس أرضاً لتقبل التعازي، والنياح واللطم على الميت[4]، كذلك ظهرت بين الشيعة عادة حمل موتاهم الى النجف وكربلاء، وكان الامراء البويهيين يدفنون في الغالب في مشهد علي (أنظر سابقاً) واحياناً كان الامير البويهي وكبار رجال الدولة يبنون لانفسهم في حياتهم ترباً ليدفنوا فيها بعد مماتهم كما فعل معز الدولة امير العراق[5].

ولم تشذ فارس عما كانت عليه معظم المقاطعات الاخرى فيما يتعلق بالاعياد، حيث كان سائر السكان من مختلف الطوائف يشاركون بعضهم بعضاً الاحتفال بالاعياد، ويقول المقدسي «بأنه في شيراز كانت الاسواق تُزيَّن في اعياد الكفرة»[6].

كانت أعياد النصارى كثيرة، وأهمها أحد الشعانين وعيد الفصح وعيد الميلاد بالإضافة إلى عدد من أعياد القديسين[7]. كما كانت الاديرة بمواقعها وبساتينها الفسيحة ملتقى أهل اللهو واللذات، وغالباً ما اقترن ذكر الأديرة بذكر الشراب في كلام الشعراء. ومن بين هذه الأديرة التي كانت بفارس الدير الذي بقنطرة النوبندجان، الذي قال فيه الشاعر أبو الحسن السلامي بعد أن شرب هناك مع اصحابه ولبسوا اكاليل الزهر:

اقنطرة النوبندجان وديرها ... وحور مهى لا تألف الحور غيرها
شربنا بها والروض يخلع زهرة ... على الشرب والاشجار تنثر طيرها[8]

---

(١) الاصطخري، ص ٨٤.
(٢) المقدسي، ص ٤٢٩.
(٣) المصدر نفسه، ص ٤٤٠.
(٤) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ١٢٠. ذيل، ص ١٥٢.
(٥) متز، جـ ٢ ص ٢٣٢.
(٦) المقدسي، ص ٤٢٩.
(٧) انظر متز، جـ ٢ ص ٢٨٢ - ٢٩٣.
(٨) الثعالبي، يتيمة، جـ ٢ ص ٤٠٨.

أما أهم اعياد المجوس التي كان يُحتفل بها في فارس فكانت النيروز والمهرجان[1]. وكانت العادة في عيد النيروز، وهو بداية السنة الشمسية، ان يجلس الامير البويهي للتهنئة ويوزع الهدايا على الجند ويخلع على القواد[2]. أما في عيد المهرجان الذي كان يعتبر أول أيام الشتاء فكان الناس يتهادون فيه كما يتهادون في النيروز، الا أنه يمتاز بأن الرعية يهدون فيه الى الامير. وقد جاء المهرجان مرة وأبو اسحاق الصابي في السجن بأمر عضد الدولة فكتب اليه قصيدة وبعثها اليه مع درهم خسرواني وجزء من كتاب[3]. وبطبيعة الحال فقد كانت هناك اعياد المسلمين الكبرى، عيد الاضحى وعيد الفطر، وهما العيدان الوحيدان للمسلمين لكن فيما بعد بدأ المسلمون يحتفلون بذكرى مولد الرسول ﷺ وعيد رأس السنة الهجرية، وأيضاً هناك الاحتفالات بالاعياد العائلية، كالختان، أو مناسبة زواج، الا أن فارس اختصت بعيد كان هو عيد كرد فناخسرو وهي المدينة التي بناها عضد الدولة على بعد نصف فرسخ من شيراز وحملت اسمه. اذ جعل لها عيداً في كل سنة في شهر ربيع الاول، بذكرى دخوله الى المدينة سنة ٣٥٤، وكان الناس يجتمعون فيه من النواحي للشرب والفسق واللهو[4].

٥ ـ أحوال المدن

كانت فارس كما رأينا سابقاً مقسمة الى خمس كور وحسب الجغرافيين، الفرس القدماء كانت الكورة (في الفارسية: أسيتان)[5] تنقسم الى عدد من الرساتيق[6]، وينقسم الرستاق الى طساسيج، وينقسم كل طسوج الى عدة من القرى[7]. وكان لكل كورة مدينتها الاساسية اي عاصمتها أو قصبتها، وغالباً ما كان اسم الكورة مأخوذاً من اسم عاصمتها، فكورة اصطخر وعاصمتها اصطخر، وسابور ومدينتها سابور، ودارابجرد ومدينتها دارابجرد، وارجان ومدينتها ارجان، واردشير خره ومدينتها جور، وعند المقدسي سيراف. وليس من الضرورة ان تكون هذه المدن اكبر وأهم مدن تلك الكور، بل كثيراً ما كانت الكورة تضم مدناً اهم من القصبة، لكنها حملت اسمها، لأن بانيها كان أحد ملوك الفرس القدماء.

(١) المقدسي، ص ٤٤١.
(٢) ذيل، ص ٦٧.
(٣) الثعالبي، يتيمة، جـ ٢ ص ٢٤٤ ـ ٣٠٦. متز، جـ ٢ ص ٢٩٦.
(٤) ياقوت، بلدان، جـ ٤ ص ٤٥٠.
(٥) ياقوت، البلدان، جـ ١ ص ٣٦ ـ ٣٧.
(٦) المصدر نفسه.
(٧) المصدر نفسه.

وكان للرستاق مدينته الاساسية والى جانبها أحياناً مدن أخرى، تتبع بعضها طسوج او اكثر، أي عدد من القرى والمزارع[1]. ومثلا على ذلك، فكورة اصطخر وعاصمتها اصطخر تضم عدداً من الرساتيق اهمها يزد، وهذه بدورها تضم عدداً من المدن منها: كثه وهي قصبة يزد، نايين، فهرج، وبالتالي فإن نايين وتوابعها تشكل طسوجاً من يزد ونيستان قرية من نايين[2]. وعلى هذا، فاننا أمام عدد كبير جداً من المدن بفارس، مدن أساسية منها عاصمة الاقليم وعواصم الكور، وقصبات الرساتيق، بالاضافة الى المدن الكبيرة والمتوسطة المنتشرة في الكور والرساتيق والمدن الصغيرة. الموجودة في الطساسيج. وهذه المدن جميعها منتشرة في كل مكان وفي كافة أنحاء الاقليم، ومنها مدن جبلية أو سهلية أو بحرية، واحياناً كان بعض منها يجمع بين صفتين أو ثلاثة[3].

وقد توفر لمعظم هذه المدن الشرطان الاساسيان اللذان كانا على أساسها تحدد المدن: وهما المسجد الجامع ذو المنبر والاسواق[4]. ولم تخلُ المنابر الا من عدد منها وخاصة بين المدن الصغيرة. أما الاسواق فقد كانت موجودة في كافة المدن تقريباً. واصلا، فان انتعاش الحياة المدينية وتطورها بفارس، كان مرتبطاً بنمو الحركة التجارية خاصة وازدهار الحياة الاقتصادية في الاقليم بشكل عام. ففي كورة اصطخر، فقد كان هناك مسجد جامع في عاصمة هذه الكورة أي مدينة اصطخر، وهذا المسجد يعرف باسم مسجد سليمان[5]. كذلك في معظم مدنها[6]. وسائر مدن كور فارس. وكان حجم وفخامة هذا المسجد، تختلف من مدينة الى أخرى، حسب حجم المدينة وأهميتها، وقد أشاد الجغرافيون بمساجد المدن الكبرى، وبجمالها، والتي كانت تضم أكثر من مسجد. ويصف المقدسي مسجد ارجان بأنه « جامع حسن عامر على طرف الاسواق وبه منارة طويلة ظريفة »[7]. ويشيد بظرف مسجد سيراف[8]، وكان في أحد مدن اردشيرخره مسجدان، نقر صحن أحدهما بالصخر[9]، وفي فُرْج احدى مدن داربجرد مسجداً ليس له بـالاقليم نظيراً[10].

---

(1) ياقوت، البلدان، جـ ١ ص ٣٧ - ٣٨.

(2) الاصطخري، ص ٦٨ - ٦٩. ابن حوقل، ص ٢٣٧. ياقوت، البلدان، جـ ١ ص ٣٧ - ٣٨.

(3) المصدر نفسه، ص ٧٨. المقدسي، ص ٤٢١.

(4) متز، جـ ٢ ص ٢٦٨. Lomband, Islam, p.147-149. Cahen, Islam, p.115.

(5) الاصطخري، ص ٧٦. ابن حوقل، ص ٢٤٥. الادريسي، ص ٣٩٣. حدود العالم، ص ١٢٦.

(6) المصدر نفسه، ص ٦٨ - ٦٩. المصدر نفسه، ص ٢٣٧.

(7) المقدسي، ص ٤٢٥.

(8) المصدر نفسه، ص ٤٢٦.

(9) المصدر نفسه، ص ٤٢٧.

(10) المصدر نفسه، ص ٤٢٨.

أما مسجد شيراز عاصمة فارس « فليس له نظير في سائر اقاليم العجم الثمانية ، له يوم الجمعة سما باساطين على عمل المسجد الاقصى »[1]، ومسجد فسا اكبر من جامع شيراز له « صحنان على عمل جامع مدينة السلام وبينهما سقيفة »[2]. أما جامع اصطخر فكان على عمل مساجد الشام باساطين مدورة على رأس كل اسطوانة بقرة ذكروا انه كان في القديم بيت نار[3]. وكل مساجد كورة اصطخر عالية[4].

وقد احتفظت مساجد فارس بدورها كمكان للعبادة، ولحلقات التدريس، وملتقى لأهل الفكر وللناس، ففي شيراز ، كان من العادة أن يجلس العلماء للتدريس بين صلاة العصر والمغرب ثم بعد المغرب وحتى الضحى[5]. كذلك كان الناس يجلسون في المساجد ثلاثة أيام للتعزية[6]. ورغم ان القرن الرابع ، قد عرف ظهور التطريب في قراءة القرآن والآذان، الا ان المقدسي يخبرنا ان شيراز ، كان فيها الآذان بلا تطريب[7]، لكن القصاص كانوا موجودين بفارس شأنهم في كل مكان في ذلك العصر ، ويذكر المؤيد الشيرازي، ان القصاص لعبوا دوراً في تحريض السكان ضده[8].

أما العلامة الثانية للمدينة، أي الاسواق، فقد كانت متوافرة في جميع مدن فارس، بل انه كثيراً ما كان المسجد والسوق متقاربين. وكما كانت المدن الكبرى تحتوي على أكثر من مسجد ، فقد كانت تضم أيضاً عدداً متنوعاً من الاسواق. ففي ارجان كان الجامع على طرف الاسواق، ومنها سوق البزازين وعليه أبواب تغلق كل ليلة وهو صفوف مصلبة والابواب من الأربعة جوانب يقابل بعضها بعضاً. اما سوق الحنطة فهو أحسن أسواق المدينة[9]. ومن مدن ارجان، هندوان، وكان الجامع والسوق من جهة وبقية الدور وسوق السمك في الجانب الآخر من المدينة[10]، وداريان لها سوق عامر ، وسينيز لها سوق طويل، والجامع ناء عن السوق[11].

(1) المقدسي، ص ٤٣٠ .
(2) المصدر نفسه، ص ٤٣١ .
(3) المصدر نفسه، ص ٤٣٦ .
(4) المصدر نفسه، ص ٤٣٨ .
(5) المقدسي، ص ٤٣٩ .
(6) المقدسي، ص ٤٤٠ .
(7) المصدر نفسه، ص ٤٣٩ .
(8) سيرة المؤيد ، ص ٥ .
(9) المقدسي، ص ٤٢٥ .
(10) المصدر نفسه، ص ٤٢٦ .
(11) المقدسي، ص ٤٢٦ .

ومن مدن اردشير خره، هناك نجيرم، وسوقها خارج البلد. وكركم وجامعها على رابية على رأس السوق يصعد اليه في درج. ورأس كشم صغيرة لها سوق واسع، الجامع يصعد اليه بدرج[1]. وهكذا كان حال سائر مدن فارس حتى لنجد مدناً صغيرة، يذكر الجغرافيون أنه كان بها أسواق عامرة وكبيرة[2].

وأكبر مدن فارس شيراز، ثم تليها في الكبر فسا، ثم سيراف، ثم ارجان، ويلي ذلك مجموعة من المدن المتقاربة حجماً وهي توج وسابور واصطخر وكثه ودارابجرد وجور وجنابه والنوبنجان والغندجان[3]. وكانت شيراز المدينة الوحيدة المستحدثة أي أنها بنيت بعد الفتح العربي، أما باقي مدن فارس فقد وجدت ما قبل الفتح وبنيت على أيدي ملوك الفرس القدماء. على أن هذا يجب أن لا يعني بالضرورة، أن المدن المستحدثة كشيراز كانت نقيضاً او مغايرة تماماً في طرازها لما كانت عليه المدن الفارسية القديمة. «اذ يمكن للمدينة المستحدثة، ان تكون مقتبسة من نماذج سابقة، وعلى قدر ما يتوافد عليها من السكان من مصادر متباينة، وتتعقد وظائفها، فهناك ما يجعلنا نفكر بأنها لا بد ان تتقارب من اخواتها غير «المستحدثات»[4].

ومن الجهة الأخرى، فإن المدن الفارسية القديمة، وان احتفظت بطرازها الايراني بصورة عامة، الا أنها وبعد ثلاثة قرون من السيطرة العربية والتفاعل بمحيطها، قد خضعت لتعديلات وتغييرات عديدة تبعاً لنظرة المسلمين للمدينة والشروط التي يجب توافرها لقيامها.

أساساً، فإن مدن ايران القديمة ومن ضمنها مدن فارس، كانت تتألف من قلعة (قوهندز) ومن المدينة نفسها (شهرستان) ولها في العادة اربعة أبواب، ومن قسم تجاري يشتمل على الاسواق وهو خارج المدينة، اذ كان كل قسم من هذه الاقسام محصناً بسوره الخاص[5].

أما المدينة العربية الاسلامية، فكما رأينا سابقاً، فإن شرطيها الاساسيين هما المسجد والاسواق. ولكن أيضاً القلعة والسور والتي ازدادت اهميتها مع ازدياد الصراعات بين القوى المختلفة داخل المملكة الاسلامية وأيضاً لصد الاعتداءات الخارجية المتعددة.

وفي فارس، فان تداخل الشكلين الفارسي القديم، والاسلامي المستحدث قد بدا واضحاً جداً. فالمدينة الاسلامية المستحدثة كشيراز قد تأثرت بجيرانها، المدن الفا سية القديمة. اما هذه الاخيرة

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٢٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٢٧ - ٤٣٨.

(٣) الاصطخري، ص ٧٨.

(٤) Cahen, Islam, p.116.

(٥) متز، جـ ٢ ص ٢٧٣. Azizi, domination, p.400-401.

فقد تم « اسلمتها » بادخال المسجد والاسواق الى داخلها وأيضاً بنمط البناء الداخلي فيها، اذ غدت متقاربة المباني مرتفعة الدور، وهذا احدى ميزات المدينة العربية عامة[١]. والملاحظ هنا، أن مدن فارس احتفظت بعد الفتح بوجودها وبمعظم هيكليتها ومكانتها مع ادخال التعديلات الاسلامية عليها في حين أن مدن اقاليم ايران (المدن الايرانية القديمة) الاخرى، قد اضمحلت وذابت تدريجياً في المدن الجديدة التي تكونت تدريجياً في الارباض المحيطة بها[٢]. وكانت معظم مدن فارس خلال فترة السيطرة البويهية محصنة، فيها قلاع صعبة المنال، ومزنرة بأسوار صلبة مرتفعة. بل ان بعض تلك المدن كانت تحتوي أيضاً على تحصينات وقلاع داخلية[٣].

وقد ذكر الجغرافيون عدداً من أهم مدن فارس المحصنة بالقلاع والحصون اذ كان من المستحيل تعداد جميع تلك القلاع، اذ يبلغ عددها ما يزيد على خمسة آلاف قلعة موزعة في الجبال وبقرب المدن وفي المدن[٤]. وكانت معظم المدن محصة بأسوار من طين، وقد كان لاصطخر سور لكنه قد تهدم[٥]، لكن معظم المدن الاخرى قد احتفظت بأسوارها كبرقويه، داربجرد، كوان، جور، صاهك[٦]. واما شيراز ورغم أنه في بداية الامر لم يكن لها سور[٧]. الا أنه مع اشتداد هجمات السلاجقة قام البويهيون ببناء سورٍ لها[٨]. وكان لكل مدينة أبوابها، وهي وان كانت على الغالب ذات اربعة أبواب الا أنها أحياناً كانت أقل من ذلك أو أكثر، فقد كان لدار بجرد أربعة أبواب[٩]. ولشيراز ثمانية أبواب وقيل تسعة[١٠]. ارجان ولها ستة دروب أو أبواب[١١]. شهرستان ولها أربعة أبواب. هراة باب واحد[١٢]، وكذلك بيضا[١٣]. جور ولها أربعة أبواب[١٤].

---

(١) متز، جـ ٢ ص ٢٧٣.

(٢) Azizi, domination, p.400-403.

(٣) الاصطخري، ص ٧٣. ابن حوقل، ص ٢٤١. المقدسي، ص ٤٤٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ٧٦. المصدر نفسه. ابن البلخي، ص ٢٣، ٢٩، ٣٠، ٣١٤..

(٥) المصدر نفسه، ص ٧٦. المصدر نفسه، ص ٢٤٥.

(٦) المصدر نفسه، ص . الادريسي، ص ٣٩٤ - ٣٩٥، ٣٩٨، ٤١٧ - ٤٢٠.

(٧) المصدر نفسه، ص ٧٧..

(٨) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ١٣٧. سبط، جـ ١٢ و١.

(٩) المقدسي، ص ٤٢٨. الادريسي، ص ٣٩٤ - ٣٩٥.

(١٠) المصدر نفسه، ص ٤٣٠. مستوفي، ص ١١٢ - ١١٤.

(١١) المصدر نفسه، ص ٤٢٥.

(١٢) المصدر نفسه، ص ٤٣٣، ٤٣٦.

(١٣) ابن البلخي، ص ٣٠. الاصطخري، ص ٧٦.

(١٤) الادريسي، ص ٣٩٤.

وكانت فارس مكتظة بالمباني السكنية، حتى أنه لا تذكر مدينة بها الا وتوصف بازدحامها السكاني، وكثرة العمران واشتباك الابنية. ونرى هذه الصفة «مشتبكة البناء كثيرة الاهل» قد اطلقت على شيراز، كذلك على ابرقوه، الروذان، هَرَاة وسابور، وكازرون خره والنوبندجان وفسا وسيراف[1]... الخ. وكانت الابنية في المدن الكبرى كسيراف مؤلفة من عدة طبقات[2]، كما كانت عليه المباني في مصر، حيث يذكر ناصر خسرو، أنه كان بمصر دور من أربع عشرة طبقة واخرى بسبع طبقات[3]. وكانت معظم المنازل مبنية من الطين، كذلك كانوا يستعملون الجص، والحجارة، والأجر، والاخشاب، خاصة السرو، والساج، كما استوردوا نوعاً من الخشب من بلاد الزنج لهذه الغاية[4].

كانت معظم بيوت سيراف مبنية من خشب الساج والاجر[5]. وكان بأرجان بيوت تحت الارض بمثابة بيوت صيفية. ويقول ناصر خسرو «وبنيت ارجان بحيث يكون ما تحت الارض من بيوتها مساوياً لما فوقها، ويتخلل الماء هذه المساكن الارضية والسراديب في جميع الجهات، حيث يستريح الناس في فصل الصيف»[6].

وكانت مدن فارس تؤمن حاجتها من ماء الشرب بطرق مختلفة، حسب الموارد المائية المتوافرة في تلك المدن أو بالقرب منها. وكان هذا الامر، أحد الامور الهامة التي حظيت بعناية كبيرة في الدولة الاسلامية بوجه عام. ولقد ساعدت وفرة الانهار ومجاري المياه الموجودة بكثرة في فارس (أنظر سابقاً) على تأمين قسم كبير من حاجات السكان. فكانت ارجان تسقى من نهر طاب الذي يخترق المدينة، وقد شقت عند جانبه الشمالي أربع ترع عظيمة تتخلل المدينة، انفق في انشائها مال كثير وتسير هذه الترع الى ما وراء ارجان وقد زرعت على شواطئها الحدائق والبساتين[7]. وكانت مياه مدينة كوار تأتي من نهر طاقان[8]. أما راجرد وكام فيروز وتقعان على جانب نهر كور ومنه

(١) الاصطخري، ص ٧٧، ٧٨. ابن حوقل، ص ٢٤٥ - ٢٤٨. المقدسي، ص ٤٢٥.
(٢) الاصطخري، ص ٧٨. ابن حوقل، ص ٢٤٨.
(٣) متز، جـ ٢ ص ٢٧٣.
(٤) الاصطخري، ص ٧٦-٧٨. ابن حوقل، ص ٢٤٥-٢٤٨. المقدسي، ص ٤٢٥، ٤٣٠، ٤٣٦، ٤٤٠. الادريسي، ص ٣٩٤-٣٩٧. ياقوت، البلدان، جـ ٢ ص ٥٦ - ٥٧.
(٥) المقدسي، ص ٤٢٦.
(٦) سفر نامه، ص ١٥٢ - ١٥٣.
(٧) المقدسي، ٤٢٥. سفر نامه، ص ١٥٢ - ١٥٣. ابن البلخي، ص ٨٦٥.
(٨) ابن البلخي، ص ٣١٨.

تستمدان مياهها. وكانت اقليد، نيروز، خرمه، خيره، بوان، البيضاء، وغيرها، تشرب من الروافد والينابيع [1].

أما المدن التي لم تكن قريبة من الأنهار أو لا تمر بها روافد المياه، أو لا يكفيها، ما عندها من روافد مائية، فكانت تعتمد على الآبار لتوفير حاجاتها، أو تقوم بتجميع مياه الشتاء في خزانات كبيرة لهذه الغاية. فكانت فسا تعتمد على مياه الآبار[2]، أما سيراف فلم يكن فيها سوى نبع أو نبعين من الماء لذلك كان السكان يقومون بتجميع مياه الامطار في خزانات للشرب ويجلبون الماء بواسطة القنوات[3]. ولم تكن روافد المياه في جهرم تؤمن كفاية البلد من الماء فكانوا يعتمدون الى جانب ذلك على الابار[4]. في حين ان مدن خرهَ والنوبندجان فكانت مياهها من الآبار [5]. أما كازرون فكانت تعتمد على القنوات والآبار، وأيضاً على تجميع مياه الامطار[6]. وجنابه ونجيرم على الابار والبرك التي تملأ بالمطر[7]، وكانت قنوات الماء التي تحمل المياه من مصادرها الى المدن، من أهم الطرق المعتمدة والاكثر رقياً في ذلك الوقت. خاصة تلك المبنية تحت الأرض، والتي اشتهرت بها المقاطعات الايرانية عموماً[8]. وكانت شيراز اشهر مدن فارس التي عرفت بقنواتها المتعددة. وكانت هذه القنوات هي الوسيلة الاساسية لتأمين المياه لهذه المدينة، اضافة الى عدد من الروافد المتأتية من الجبال في فصل الربيع والآبار[9]، كذلك فان ابرقويه كانت مياهها تأتي عن طريق الروافد والقنوات الممتدة تحت الأرض[10]. كذلك الحال بالنسبة لفسا ودارابجرد ويزد وجويم ابي احمد، ونيريز وغيرها كثير[11]. ويذكر المقدسي، أن عضد الدولة كان قد بنى على النهر الذي بين شيراز واصطخر سداً جعل أساسه بالرصاص ثم انشىء على الجانبين عشرة دواليب وتحت كل دولاب رحى وجري الماء في قنى فاسقى ثلاثمائة قرية[12].

---

(١) ابن البلخي، ص ٢٤، ٢٩، ٣٠، ٣٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣١٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٣٢. المقدسي، ص ٤٢٧. مستوفي، ص ١١٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣١٤.

(٥) الاصطخري، ص ٧٨.

(٦) الاصطخري، ص ٧٨. مستوفي، ص ١٢٥. المقدسي، ص ٤٣٤.

(٧) المقدسي، ص ٤٢٦، ٤٢٧.

(٨) متز، جـ ٢ ص ٢٧٧.

(٩) مستوفي، ص ١١٢ ـ ١١٤. المقدسي، ص ٤٢٩. الادريسي، ص ٣٩٢ ٣٩٣. ياقوت، البلدان، جـ ٣ ص ٣٨٠ ـ ٣٨١.

(١٠) ابن البلخي، ص ٢٣.

(١١) المقدسي، ص ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٢، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٤٤. الاصطخري، ص ٧٧. الادريسي، ص ٤١٨ ـ ٤١٩. مستوفي، ص ١٢٤، ١٢٥.

(١٢) المقدسي، ص ٤٤٤.

اما الشوارع، فقد تراوحت ضيقاً وعرضاً من مدينة الى اخرى، فكانت شوارع شيراز ضيقة شديدة الازدحام وسخة [1] في حين كانت شوارع فسا عريضة [2].

وكانت الحمامات موجودة أيضاً في مدن فارس، الا أنه يبدو انها لم تكن كثيرة، وعلى كل حال، فان انتشار الحمامات في المدن انخفض كثيراً في هذا الوقت، ففي بغداد - مثلا - كان عدد الحمامات أيام معز الدولة ١٧ ألف حمام ثم انخفضت أيام عضد الدولة الى خمسة آلاف. وفي أيام بهاء الدولة سنة ٣٩٢/١٠٠١ الى ألف وخمسمائة، ثم انخفض العدد بعد ذلك الى حوالي مائة وخمسين حماماً [3]. وفي فارس، فان اشهر الحمامات فيها كانت في مدينة فرج احدى مدن داربجرد ويقول المقدسي «ان بها جامعاً وحماماً ليس لهما بالاقليم نظير» [4]. وكان الناس يدخلون حمامات شيراز غالباً بلا ميازر، وكانت حراسة هذه الحمامات توكل الى النساء [5]. وعرفت حمامات شهرستان بطيبها ونظافتها [6]، بعكس حمامات روزان الوسخة [7].

كذلك كانت بعض مدن فارس، تضم خانات عدة ومستشفيات [8]، فكان في مارستان شيراز «الات حسنة وأطباء حذاق» [9] كما وجدت بعض المشاهد الدينية [10] في بعض المدن.

وكانت شيراز لكونها عاصمة الاقليم، تضم دار الامارة، وقصور الامراء ورجال الدولة ومقرات العمال والكتاب. وقد قام عضد الدولة ببناء قصر له في شيراز، لم يكن له مثيل ذاك الوقت على حد قول المقدسي [11]. اذ اجرى الانهار اليه ونصب عليها القباب واحاطه بالبساتين والاشجار وحفر فيه البرك. وكان يضم ٣٦٠ حجرة وداراً. وكان عضد الدولة يقيم كل يوم في حجرة، ويتألف من طابقين ويضم أيضاً مكتبة كبيرة لم يبق كتاب صنف الى وقته من أنواع العلوم الا وحصله فيها. وكان القصر مفروشاً افخم فرش ومجهزاً بكل ما يحتاجه اليه. حتى خيل

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٢٩. مستوفي، ص ١١٢ - ١١٤. ياقوت، البلدان، جـ ٣ ص ٣٨٠ - ٣٨١.
(٢) الاصطخري، ص ٧٨. ابن حوقل، ص ٢٤٧. الادريسي، ص ٣٩٥.
(٣) الصابي، رسوم، ص ٢٠ - ٢١.
(٤) المقدسي، ص ٤٢٨.
(٥) المقدسي، ص ٤٢٩، ٤٤٠.
(٦) المقدسي، ص ٤٣٣.
(٧) المقدسي، ص ٤٣٨.
(٨) المصدر نفسه، ص ٤٣٣.
(٩) المصدر نفسه، ص ٤٣٠.
(١٠) المصدر نفسه، ص ٤٣٢.
(١١) المقدسي، ص ٤٤٩.

للمقدسي من كثرة فخامة القصر ان قال: « واظنه ـ أي عضد الدولة ـ بناه على ما سمع عن اخبار الجنة »[1].

والحق، أنه فيما كانت كافة مدن فارس قائمة، منذ أيام ملوك الفرس وقبل الفتح العربي، فان شيراز وحدها من بينهم التي تأسست على أيدي العرب، وبالتالي كانت مثالا للمدينة العربية في الوسط الايراني.

وليست هناك شكوك كبيرة حول أصل هذه المدينة، وما اذا كانت موجودة قبل الفتح العربي، أم لا. فالاصطخري وابن حوقل وياقوت يؤكدون بانها بنيت بعد الفتح، وكانت معسكراً لجيش المسلمين الذي أرسل لحصار اصطخر، فلما فتحت قام القائد العسكري للحملة وهو محمد بن القاسم وهو ابن عم الحجاج بن يوسف ببنائها[2]. ويؤيد ابن البلخي هذا القول إلا أنه يقول ان مؤسسها هو محمد أخ الحجاج بن يوسف[3]. وربما استناداً الى هذه المعلومات، استند « ليسترانج » في تأكيده بأن العرب هم الذين أسسوا وأنشأوا شيراز[4].

لكن بالمقابل، هناك بعض الاشارات التي تقول بأن شيراز كانت موجودة منذ أيام ملوك الفرس القدماء وان مكانها، كان مأهولا أصلا بالسكان. فالمقدسي يقول « ان شيراز كانت مدينة بناها شيراز بن فارس وان المسلمين مصروها لما فتحوا الاقليم »[5].

كذلك فان مؤلف كتاب حدود العالم، رغم انه يقول بأن المدينة بنيت في العصر الاسلامي غير أنه لا يلبث أن يذكر ان بها « قلعة قديمة متينة جداً تسمى حصن شاه مباذ ويوجد في هذه القلعة معبدان للنار مقدسان »[6] عند المجوس. وهذا يعني ان شيراز قامت على مكان مدينة فارسية قديمة أو بالقرب منها. كذلك فان بعض الاكتشافات الاثرية الحديثة في برسبوليس تشير الى وجود مكان مأهول سنة ٥١٧ ق. م. اسمه شيرا ـ اتس ـ تس ـ اش[7] وهذا اسم قريب من اسم شيراز. مما يدفع الى الافتراض ان شيراز ربما كانت موجودة منذ أيام ملوك الفرس القدماء، كمدينة أو قرية، وتهدمت فيما بعد. لكن مهما تكن أهمية هذه الافتراضات، فانها في احسن

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٤٩.
(٢) الاصطخري، ص ٧٧. ابن حوقل، ص ٢٤٦. ياقوت، البلدان، جـ ٣ ص ٣٨٠ ـ ٣٨١.
(٣) ابن البلخي، ص ٣١٦ ـ ٣١٨.
(٤) Le Strange, the land, p.249.
(٥) المقدسي، ص ٤٢٣.
(٦) حدود العالم، ص ١٢٦.
(٧) اربري، شيراز، ص ٦١.

الحالات تؤكد على وجود مدينة قديمة اندثرت وقام العرب ببناء المدينة الجديدة على انقاضها، وهذا ما يذهب اليه حمدالله مستوفي في « نزهة القلوب » اذ بعد ان ينقل الروايات التي تعيد تأسيس المدينة الى أيام ملوك الفرس القدماء، يقول: « غير ان الرواية المعول عليها أكثر من غيرها، هي أن باني شيراز أو مرممها هو محمد أخ الحجاج بن يوسف »[١].

كانت مساحة شيراز حوالي فرسخ واحد[٢] أو أكثر قليلاً ولذلك وصفت بضيق الرقعة[٣]. وكانت مقسمة الى ١٧ حياً، ولها تسعة أبواب[٤]. وحتى سنة ١٠٤٤/٤٣٦ لم يكن لها سور، حتى أمر الملك ابو كاليجار ببناء سور لها (أنظر سابقاً) لكن كان بها قلعة قديمة (قهندز) وتسمى قلعة شاه موبذ[٥]، ولها بيتا نار يعرفان بالكارينان وبهرمز[٦]. وكانت تضم عدداً من الاسواق، شوارع هذه الاسواق ضيقة لدرجة أنها لا تتسع لسير بهيمتين، كما كانت كثيرة الازدحام، وأهم مسجد فيها يقع داخل منطقة الاسواق هو من بناء عمر بن الليث[٧] في القرن الثالث الهجري. كما كانت شيراز تضم مستشفى وحمامات (أنظر سابقاً) واماكن للهو والعربدة[٨]. وقد بلغ ازدحام شيراز لدرجة أنه لم يبق مكان للسكن داخل المدينة أو في معسكر الديلم، الامر الذي دفع عضد الدولة الى بناء مدينة الى جانبها حملت اسمه كردفناخسرو. ولكنها أيضاً كانت تكريساً للعادة التي ظهرت بين الملوك منذ منتصف القرن الثالث الهجري، وهي أن يبنوا الى جانب العاصمة مدناً خاصة تكون مقراً لهم، مثل سامراء والجعفرية الى جانب بغداد، ورقادة التي اتخذها بنو الاغلب بجوار القيروان، والقطائع التي اتخذها الطولونيون الى جوار مصر[٩].

وقد بنى عضد الدولة مدينته الجديدة على بعد نصف فرسخ من شيراز. وشق اليها نهراً كبيراً وجعل الى جنبيه بستاناً سعته فرسخ، ونقل اليها الصوافين وصناع الخز والديباج وأصحاب مختلف أنواع المهن وأسكنهم حولها وقد أتى بهم من مناطق نائية ليسكنوا في اقليم فارس. وكانت مليئة بالاسواق ومركزاً تجارياً هاماً لدرجة أن الناس كانوا يسمونها سوق الامير واتخذ بها القواد دوراً

(١) مستوفي، ص ١١٢.
(٢) الاصطخري، ص ٧٧. ابن حوقل، ص ٢٤٦. الادريسي، ص ٣٩٢، ٣٩٣.
(٣) ياقوت، البلدان، جـ ٣ ص ٣٨٠ - ٣٨١. المقدسي، ص ٤٢٣.
(٤) مستوفي، ص ١١٢ - ١١٣.
(٥) الاصطخري، ص ٧٣. ابن حوقل، ص ٢٤١.
(٦) الاصطخري، ص ٧٤. ابن حوقل، ص ٢٤٢.
(٧) Le Strange, the land, p.251.
(٨) المقدسي، ص ٤٢٩.
(٩) متز، جـ ٢ ص ٢٧٣.

حسنة وعقارات جليلة. كما بنى عضد الدولة لنفسه فيها قصراً ثانياً وجعل لها عيداً في كل سنة يجتمع فيه الناس للفسق واللهو. لكن بعد وفاة عضد الدولة تدهورت احوال المدينة تدريجياً ثم آلت الى خراب[1].

كذلك فان عضد الدولة كان أول من أنشأ نظام مراقبة أبواب المدن، لمراقبة الداخل اليها والخارج منها وقد فعل ذلك بشيراز حتى قال المقدسي: «ومنع الخارج منها الا بجواز، وحبس الداخل والمجتاز»[2].

والواقع، أن مدن فارس وصلت إلى أوج عزها وازدهارها، خلال العصر البويهي. وما الكثافة السكانية والعمرانية، وتنوع الحياة الاجتماعية واجواء الحرية والبعد عن التعصب المذهبي التي أشرنا إليها سابقاً سوى وجه من وجوه ذلك الازدهار كذلك تلك الحركة الاقتصادية المتنوعة والغنية التي عرفتها المقاطعة في كافة المجالات، الزراعة والصناعة والتجارة وحركة المواصلات التجارية (أنظر لاحقاً) انعكست بدورها على حياة السكان ومستوى معيشتهم عامة. فبدت مدن فارس خلال هذه الفترة أيضاً مراكز للنشاط الاقتصادي من الدرجة الاولى. واحتلت المدن الرئيسية كشيراز وارجان وسيراف وفسا وكازرون، مركز الصدارة.

ان ارجان مثلاً، وصلت في هذا العصر الى قمة ازدهارها، حتى باتت على الصعيد التجاري و«الصناعي» أهم مدن فارس. وهي التي قال عنها عضد الدولة يوم كان في بغداد عاصمة الخلافة العباسية «غرضي من العراق الاسم ومن ارجان الدخل»[3].

٦ ـ أعمال البويهيين العمرانية في فارس

احتوت مقالة غ. وايت[4]، حول أعمال المنفعة العامة في ظل الحكم البويهي، استعراضاً لمعظم أعمال البويهيين العمرانية ومنها تلك التي اقاموها بفارس. خاصة وان هذه المقاطعة قد حظيت بنصيب وافر من اعمال البويهيين في هذا المجال. واستند وايت في مقالته هذه، على المعلومات التي أوردها المقدسي وابن البلخي وحمدالله مستوفي.

بدأ ركن الدولة هذه الأعمال، حين قام بحفر قناة لايصال ماء الشرب الى شيراز وسميت القناة

---

(١) المقدسي، ص ٤٣٠ ـ ٤٣١. ابن البلخي، ص ٣١٦ ـ ٣١٨. مستوفي، ص ١١٢ ـ ١١٤. ياقوت، البلدان، جـ ٤ ص ٤٥٠.
Le Strange, the land, p.250.

(٢) المقدسي، ص ٤٢٩.

(٣) المقدسي، ص ٤٢١.

(٤) Les travaux d'utilité publique sous le gouvernement des Buyides; Art Asiatique, 1970, T. III. p.3-14.

بركن آباد[1]. وخلال عهد عضد الدولة، عرفت فارس حركة عمرانية نشطة فبنى فيها عضد الدولة قصره، الذي وصفه المقدسي بقوله « وبنى بشيراز داراً لم أر في شرق ولا غرب مثلها ما دخلها عامي الا افتتن بها، ولا عارف الا استدل بها على نعمة الجنة وطيبها. خرق فيها الانهار ونصب عليها القباب واحاط بالبساتين والاشجار وحفر فيها الحياض وجمع فيها المرافق والعدد... وفيها ثلاثمائة وستون حجرة... فرشت فيها الآلات فرأيت في كل مجلس ما يليق بها من الفرش والستور ورأيت بيوت الخيش ينزع عليها الماء من قنى حولها من فوق بالدوام ورأيت الانهار تطرد في البيوت والاروقة »[2] كما احتوى القصر على مكتبة كبيرة سبق وتحدثنا عنها.

وفي شيراز أيضاً، انشأ عضد الدولة مستشفى جهزه بكل ما يحتاجه من معدات والات واطباء. وجعل له وقفاً لتأمين احتياجاته المالية[3]. كما بنى في المدينة ذاتها قلعة أنفق عليها اموالا جمة وحفر فيها بئراً في الجبل. وخصص عضد الدولة حول المدينة، مساحة واسعة من الأرض لانشاء أسواق عليها[4].

ومن أهم اعمال عضد الدولة العمرانية في فارس، السد الذي بناه على بعد عشرة فراسخ شمال شرق شيراز، على نهر طاب الذي يمر بين شيراز واصطخر. وقد اعجب به وبضخامته كل من رآه. فالمقدسي اعتبره من « عجائب »[5] فارس، ومستوفي رأى العمل بمثابة مغامرة تقنية كبرى لا يمكن مقارنته بأي عمل من نوعه[6].

ويتألف هذا السد من حائط كبير جعل أساسه من الرصاص، وخلف السد يتجمع الماء ويرتفع. وجعل على جانبي السد عشرة دواليب وتحت كل دولاب رحىً. وقد حمل هذا السد اسم صاحبه، فعرف باسم بندر أمير، أو السكر العضدي، أو سكر فناخسرو. كما بنى عضد الدولة بالقرب منه مدينة جر اليها الماء بالقنوات. وكانت هذه القنوات تؤمن المياه لثلاثمائة قرية. وقام عضد الدولة بتسميد وري مساحة واسعة من الاراضي غير المزروعة وجلب اليها السكان حتى باتت ناحية ذات مدخول هام.

وحسب ابن البلخي فهذا السد ليس له مثيل في العالم. وكانت المنطقة المحيطة به عبارة عن سهل

---

(١) مستوفي، ص ١١٣. Wiet, travaux, p.3.

(٢) المقدسي، ص ٤٤٩.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ١١٢. المقدسي، ص ٤٣٠.

(٤) المقدسي، ص ٤٣٠، ٤٤٧، ٤٤٩. ابن البلخي، ص ٣٧ - ٣٨. Wiet, travaux, p.5 مستوفي، ص ١١٤. le strange, the land, p.251. the Cambridge, vol 4, p.281.

(٥) المقدسي، ص ٤٤٤.

(٦) Voir Wiet, Travaux, p.6.

صحراوي، وقدر عضد الدولة ان بناء نظام سدود في هذه المنطقة سيكون مفيداً لتطوير الزراعة. فاستدعى المهندسين وجمع العمال، وصرف مبالغ كبيرة كي يحفر القنوات المتوازية التي تروي مناطق ضفتي النهر. وبنى السد من الحجارة الكبيرة اللاصقة بعضها ببعض ومن الرمال الناعمة، بحيث أن أية آلة لا تستطيع تخريبه. اما ظهر السد فكان بمثابة الجسر بعرض يسمح بمرور فارسين[1]. ولا بد من التذكير بالمدينة التي بناها عضد الدولة على بعد نصف فرسخ من شيراز والتي حملت أيضاً اسمه كردفناخسرو وقد سبق وتحدثنا عنها.

ولتزويد قلعة اصطخر بالماء، بنى عضد الدولة خزاناً كبيراً سمي بالخزان العضدي. وكان موقع الخزان في وادٍ عميق، حيث تجري المياه وتمر بالقرب من القلعة. وفي البداية سد عضد الدولة نهاية الوادي بسدٍ كبير مبني من الحجارة الممزوجة بالدهون والاصباغ ومدعمة بأقمشة من القطن المشبعة بالزفت. مما اعطاه صلابة كبيرة. وكانت سعة هذا الخزان أن ألف رجل كان بامكانهم استعمال مياهه لمدة سنة دون أن ينخفض مستوى الماء فيه. وقد تم فيما بعد تغطية الخزان بسقف يرتكز على عشرين عاموراً من الحجارة المدعمة. وقد بنى عضد الدولة لاحقاً احواضاً وخزانات اخرى[2].

في كازرون بنى عضد الدولة مقراً للسماسرة «بورصة»، تؤمن دخلا يومياً بقيمة عشرة آلاف درهم[3]. وقد اتخذ السماسرة والتجار قصوراً في البلد وضواحيها تدلل على غناهم. ولا شك أن عضد الدولة كان اكثر البويهيين اهتماماً بعمارة البلاد. فبالاضافة الى انجازاته بفارس، فقد حظيت كرمان وخوزستان والعراق بالكثير من اعماله العمرانية[4]. وقد أشاد المؤرخون بالجهود الكبيرة التي بذلها عضد الدولة اثر دخوله الى بغداد، لاعادة تعمير المدينة التي خربت نتيجة الفتن والاضطرابات والحروب التي شهدتها. وقد تحدث مسكويه[5] عن ذلك وبتفصيل الأعمال التي قام بها عضد الدولة والتي شملت مختلف شؤون المدينة. ويلخص الروذراوري ذلك قائلا «وأما ما عمله من الآثار الجميلة فانه جدد بفارس وخوزستان منها ما هو باقي الاثر شائع الخبر عند السامع. وعمد الى مصالح بغداد فأوجدها بعد العدم واعادها الى ريعانها بعد الهرم، واستدر

---

(١) انظر حول السد: المقدسي، ص ٤٤٠، ٤٤٤. ابن البلخي، ص ٦٥، ٦٦، ٧٩.
Minorsky, domination, p.15. Wiet, travaux, p.6. the Cambridge, vol 4, p.280-282.

(٢) The Cambridge, vol 4, p.281-282. Wiet, travaux, p.7-12.
مستوفي، ص ١٣١. ابن البلخي، ص ٨٧٦. Le strange, the land, p.276.

(٣) المقدسي، ص ٤٣٤. ياقوت، البلدان، جـ ٤ ص ٤٢٩. Wiet, travaux, p.7.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ١١٣. The Cambridge, vol 4, p.283-284. Wiet, travaux, p.7-12

(٥) مسكويه، جـ ٢ ص ٤٠٤ ـ ٤٠٥. ابن الأثير، جـ ٧ ١٠٠.

افاويق الاعمال بعد ان كانت متصرمة واستمد ينابيع الاموال بعد ان كانت مستهدمة، وفعل في تجديد العمران وبناء البيمارستان ووقف الكثير عليه ونقل انواع الآلات والادوية من كل ناحية اليه ما يدرك العيان بعضه الى الآن. وعمل السكور وانفق فيها الاموال واعد عليها الآلات ووكل بها الرجال والزمهم حفظها بالليل والنهار وراعى ذلك منهم اتم مراعاة في آونة المدود الجوارف وأزمنة الغيوث الهواطل وأوقات الرياح العواصف»[1].

لكن خلفاء عضد الدولة، لم يبدوا اهتماماً فعلياً في عمارة البلاد [2]. ففي فارس فإن الانشاءات التي أقاموها تكاد لا تذكر، منها السور الذي بناه أبو كاليجار حول شيراز (انظر سابقاً)، وبعض المكتبات وقنوات الماء التي اقامها وزراء بني بويه (انظر سابقاً).

وكانت فارس تحتوي على عدد من الاثارات والانشاءات القديمة التي خلفتها الحضارة الفارسية القديمة. ويشير الاصطخري والمقدسي الى معظم تلك الاثارات الموجودة في نواحي اصطخر وسابور وارجان وفي بعض القلاع كقلعة الجص[3].

وكانت ايران، منذ القدم، تحتل موقعاً أساسياً في مجال الفنون «واذا استثنينا الفن الاغريقي القديم لا نكاد نعرف أي فن اخر قدر له أن يمتد امتداد الفن الايراني... فليس هناك فن عظيم لم يأخذ عن الفن الايراني شيئاً من زخارفه أو أساليبه»[4].

وخلال العهد الساساني، كانت فارس مركز النحت والعمارة[5]. وعلى العموم، فقد استمرت ايران بعد الفتح العربي في تبوؤ هذا المركز داخل المملكة الاسلامية[6].

لكن مع اختلاف وتنوع أصول وحضارات الاسر الحاكمة التي تناوبت على حكم المملكة الاسلامية او بعض اجزائها والخصائص الفنية التي تميزت بها بعض مراحل الدولة الاسلامية، بات الخبراء يقسمون الفن الاسلامي، الى طرز أو مدارس هي الطراز الاموي في الشرق، والاموي في الغرب (الاندلس) والطراز العباسي والفاطمي والسلجوقي والايراني التتري، والمملوكي والاسباني المغربي والصفوي، والمغولي، والهندي والتركي.

والملاحظ هنا، أن معظم الدراسات التي تتحدث عن الفنون الايرانية لا تشير الى دور البويهيين

---

(١) ذيل، ص ٦٨ - ٦٩. the Cambridge, vol 4, p.283-284.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ١٧١.

(٣) الاصطخري، ص ٧٦، ٩٠. المقدسي، ص ٣٣٦، ٤٢٥، ٤٤٤، ٤٤٥. ياقوت، البلدان، جـ ٤ ص ٣٩٠.

(٤) حسن، فنون، ص ١١ - ١٥.

(٥) Minorsky, géo in art, p.624.

(٦) حسن، فنون، ص ١١ - ١٥.

الا عابراً ومن ضمن حديثها عن الطراز العباسي. وعلى الارجح فان ذلك عائد الى عدم اهتمام البويهيين بالحركة الفنية اجمالاً، والى تدمير معظم الانشاءات التي أقاموها.

كذلك فان كتب النقوش لم تحفظ لنا سوى القليل القليل من الشواهد عن المرحلة البويهية. اثنان باسم عضد الدولة مؤرخان سنة ٣٤٤ وثالث يشير الى بهاء الدولة بتاريخ ٣٩٢/١٠٠٢، واثنان اخران باسماء بختيار والقائد بختكين[١].

ومهما يكن من أمر، نستطيع ان نأمل بأن تتوصل الاكتشافات الاثرية الحديثة من العثور على بعض مخلفات المرحلة البويهية مما يتيح دراسة اوفى للفن «البويهي»، اذ ما كان هناك من فن للبويهيين!

---

(١) Voir répertoire Chronologique, vol 4, p.135, 154. vol 5, p.101, 103, 137. Exposition d'art persan, p.3. Wiet travaux, p.7.

الفصل التاسع:

الحياة الثقافية

الحياة الثقافية

كانت الثقافة العربية الإسلامية التي تكونت في القرن الثالث / التاسع والتي أسهمت فيها إسهاماً كبيراً عناصر غير عربية كالعناصر الايرانية [1]، مستمرة في تطورها ونموها، عندما استولى البويهيون على السلطة في المملكة الإسلامية. ولم يكن بمقدور أحد أن يوقف زخم هذه الحركة واندفاعها، في الوقت الذي بدا بأنه عصر الولادة الطبيعية لتلك الثقافة بعد مرحلة التكوين، لذلك كان هذا القرن الرابع / العاشر، عصرها الذهبي وعصر انبعاثها.

ومن الحسنات القليلة والمؤقتة لحالة التجزئة السياسية، والاضطرابات الاجتماعية التي عمت أنحاء المملكة واشتدت منذ الربع الأول للقرن الرابع، انها ساعدت بشكل غير مباشر على نهضة الثقافة الإسلامية. ذلك أن تعدد بلاطات الأمراء، حيث استمر اعتبـار وجـود مجالس العلم والأدب في قصور الأمراء والوزراء وكبار رجال الدولة، احدى علامات عظمة هذه الممالك، أدى إلى زيادة التنافس بينهم لجذب أكبر عدد من الشعراء والأدباء والفلاسفة والمهندسين والمنجمين والأطباء إلى مجالسهم، مما يعني حركة واسعة لرعاية الأدباء والعلماء الأمر الذي يوفر لهم امكانات العطاء والانتاج. وانتشرت عادة اهداء الكتاب أعمالهم إلى الأمير وأحياناً يقومون بالتأليف بناء على طلبه ورغبته. كما أدت الصراعات الاجتماعية، المتنوعة بين الأجناس والطوائف والفرق إلى نهضة وغزارة النتاج في علوم الدين والفقه، والفلسفة لحاجة كل طرف الى ايجاد المبررات الدينية والفلسفية لاثبات حججه ومنطقه. لكن الأساس لهذه النهضة التي شهدها القرن الرابع انها نتيجة حالة التطور التي وصل اليها المجتمع الإسلامي على مختلف المستويات، وأجواء الانفتاح والحرية التي نعم بها خلال هذه المرحلة.

ورغم ان أوائل الأمراء البويهيين (الأخوة المؤسسون) كانوا بعيدين كل البعد عن أي اهتمام

---

(١) Voir Cahen, Islam, p.87-96.

أدبي أو علمي، وأصلاً لا صلة لهم بالثقافة العربية والإسلامية السائدة، حتى ان معز الدولة نفسه أمير العراق لم يكن يحسن الكلام بالعربية، وقد احتاج لمترجم بينه وبين الوزير السابق علي ابن عيسى[1]. إلا ان وزراءهم الكبار، ابن العميد، والمهلبي قد عوضا عن ذلك النقص بشكل كامل.

الا ان الجيل الثاني من البويهيين، والذي تربى وتشبع بالثقافة العربية الإسلامية، قد أبدى اهتماماً كبيراً بالحياة العلمية والأدبية، فعدا عن رعايتهم للعلماء والأدباء، والإنشاءات التي أقاموها كالمراصد والمكتبات والمدارس والمستشفيات، فإن اهتمامهم واعجابهم وانخراطهم بالثقافة العربية قد أوصل بعضهم إلى أن يكونوا شعراء باللغة العربية[2] التي لم يكن يجيدها أسلافهم الأوائل.

امتدت السيطرة البويهية لتشمل معظم أراضي الخلافة العباسية إلا أن تقسيم المملكة إلى ثلاث امارات بويهية أدى إلى وجود ثلاث عواصم وبالتالي ثلاثة مراكز ثقافية هي بغداد، والري، وشيراز وبالتأكيد عدا عن مراكز الأمراء المحليين كالحمدانيين ومراكز سائر المقاطعات المستقلة أو شبه المستقلة، خراسان، الأندلس... إلخ.

لكن بغداد، ظلت الحاضرة الثقافية الحقيقية والأساسية[3]، واليها يسعى كل من يبغي التعلم أو الشهرة، وهي الممر والمستقر لكافة رجال العلم والأدب والدين. أما الحواضر الأخرى كشيراز، والري، فإن انتعاش الحياة الثقافية فيها مرتبط بشخصية الأمير أو الوزير وميولها الثقافية والفكرية. لذلك سنرى ان معظم رجال العلم والأدب الذين نشأوا وتعلموا واستهلوا حياتهم الثقافية بفارس سرعان ما انتقلوا الى بغداد وعملوا بها وتوفوا فيها، كذلك فكثيراً ما تنقل رجال الثقافة من بلاط أمير فارس الى بلاط أمير العراق، أو من مجالس وزراء العراق الى مجالس وزراء الري. فقد استحوذت بغداد بصفتها عاصمة المملكة، على أكبر نسبة من النشاط الثقافي: مكتبات، مدارس، حركة التأليف والنسخ... الخ.

لذلك، ونتيجة لتشابك النشاط الثقافي بين «الممالك» البويهية الثلاث من المفيد قبل الإسترسال في الحديث عن فارس، تقديم صورة عامة لتبيان حركة النشاط الثقافي خلال الحكم البويهي ودور هؤلاء في ذلك. قلنا ان البويهيين الثلاثة الأوائل، معز الدولة في العراق وعماد الدولة بفارس وركن الدولة بالجبال، ونتيجة لأصولهم العرقية والاجتماعية وطبيعتهم العسكرية البحتة، كانوا بعيدين كل

---

(١) مسكويه، جـ ٢ ص ١٠٧. الهمذاني، ص ١٩٢.

(٢) الثعالبي، يتيمة، جـ ٢ ص ٢١٦ - ٢٢٢.

(٣) Kabir, Cultural, p.25-44.

البعد عن الثقافة العربية الإسلامية السائدة، الا ان وزراءهم في بغداد والري قد عوضوا هذا النقص. اذ تولى الوزارة كبار كتاب ذلك العصر كالمهلبي وابن العميد، وبذلك احتلت مجالس هؤلاء الوزراء دور بلاطات الأمراء، كاحدى مراكز النشاط الثقافي.

كان المهلبي[1] أديباً له شعر ونثر، مشجعاً لأهل الأدب والعلم مغدقاً عليهم. ومن جملة الأدباء الذين كانوا على صلة وثيقة به، أبو الفرج الاصفهاني صاحب كتاب الأغاني، وكان كثير المدح له ويصفه بأن له نظماً كالدر ونثراً رقيقاً، وقدرة على التعبير عن المعنى الكثير باللفظ القليل. ويصف أبو حيان التوحيدي ندماء المهلبي بـ «اعيان الفضل وسادة ذوي العقل» من أهل الأدب والعلوم. كان شعر المهلبي في مرتبة أرقى من مرتبة الطبقة الوسطى من الشعراء، وقد أنشأ مجلساً حافلاً للأدباء، وكان يحب الطبيعة والتراب، فنشر طريقة الصنوبري وهو من أدباء الشام وأول شاعر للطبيعة في الأدب العربي، في بغداد.

أما ابن العميد[2] وزير ركن الدولة، فيصفه مسكويه قائلاً: «بانه أكتب أهل عصره وأجمعهم لآلات الكتابة حفظاً للغة والغريب وتوسطاً في النحو والعروض واهتداء الى الاشتقاق والإستعارات... وكان شعره في أعلى درجات الشعر... فأما المنطق وعلوم الفلسفة فما جسر أحد في زمانه ان يدعيها بحضرته... ثم كان يختص بغرائب من العلوم الغامضة التي لا يدعيها أحد كعلوم الحيل التي يحتاج فيها الى أواخر علوم الهندسة والطبيعة والحركات الغريبة، وجر الثقيل ومعرفة مركز الأثقال». وكان مكسويه الفيلسوف والمؤرخ، يعمل خازناً لمكتبة ابن العميد وكانت عامرة فيها كتب من كل علم وأدب ويبلغ حجمها مقدار حمولة مائة وقر. وقد أشاد مكسويه كثيراً بابن العميد وبأدبه وعلمه ومدحه الصاحب بن عباد. وورد عليه المتنبي عند مغادرته مصر ومدحه بقصائد مشهورة، وكان مجلسه الأدبي عامراً بكبار رجال الأدب في عصره.

والواقع ان الوزراء لعبوا دوراً أساسياً في النهضة الثقافية على مختلف الجبهات. واستمر هذا الدور، حتى عندما انغمس الأمراء البويهيون في الثقافة العربية وأولوها اهتمامهم الكبير. فعندما كان الأمير عضد الدولة بفارس ومن ثم ببغداد، وهو الذي كان من أعظم البويهيين اهتماماً بالأداب والعلوم، كان الوزير الكبير الصاحب بن عباد وزير مؤيد الدولة ومن ثم فخر الدولة في

---

(١) مسكويه، جـ ٢ ص ١٢٤ ـ ١٢٥. الثعالبي، يتيمة، جـ ٢ ص ٢٢٣ ـ ٢٤٠. ياقوت، أدباء، جـ ٣ ص ١٨٣ ـ ٢٠٠. متز، جـ ١ ص ٢٩١.

(٢) مسكويه، جـ ٢ ص ٢٧٤ ـ ٢٧٩، ٢٢٤. الثعالبي، يتيمة، جـ ٣ ص ١٥٤ ـ ١٨١. ابن خلقان، وفيات، جـ ٥ ص ١٠٣ ـ ١١٣.

الري « ينافس » عضد الدولة فيما جمع حوله من رجال العلم والأدب، حتى شبهه [1] مادحوه بهارون الرشيد لكثرة ما اجتمع حوله من رجال العلم والأدب. وممن كانت تضمهم مجالس الصاحب: أبي الحسين السلامي، أبي بكر الخوارزمي، أبي الفضل الهمذاني، أبي العباس الضبي وغيرهم كثيرين جداً. كما كان للصاحب مراسلات مع كبار الأدباء بالشام وبغداد أمثال الشريف الرضي، وأبي اسحاق الصابي، وابن الحجاج وابن سكرة وابن نباته[2]. وكان للصاحب مكتبة ضخمة تضم من كتب العلم خاصة ما يحمل على ٤٠٠ جمل أو أكثر. وكان فهرس كتبه يقع في عشرة مجلدات وتضم ٢٠ آلاف مجلد كما يذكر ياقوت [3]. وقد ألف الصاحب عدداً من الكتب منها كتاب في اللغة سماه المحيط وهو في سبعة مجلدات وكتاب « الكافي » في الرسائل وكتاب « الكشف عن مساوىء شعر المتنبي »، وكتاب « الإمامة » يذكر فيه فضائل علي بن أبي طالب، وغيرها كما له رسائل بديعة وشعر جيد [4]. كما ان مجالس الوزير الصاحب، لم تكن فقط ملتقى لرجال العلم والأدب ومركزاً من مراكز النشاط الثقافي، بل انها أيضاً كانت بمثابة « مدرسة عليا للمبتدئين »، الذين كانوا يترددون على هذه المجالس للاستفادة من المناقشات والحوارات الثقافية الدائرة بين كبار الأدباء والعلماء. ويذكر بديع الزمان الهمذاني انه قدم في صباه إلى الري للجو الثقافي الزاخر التي كانت تشهده المدينة ودخل مجالس الصاحب بن عباد « فتزود من ثمارها » [5].

كذلك فقد كان لوزير صمصام الدولة أبي عبدالله بن سعدان مجلس يجتمع فيه كثير من جلة العلماء والأدباء من مختلف الفروع والفنون. ويقدم لنا كتاب أبي حيان التوحيدي « الامتاع والمؤانسة » وأيضاً كتابه الآخر « مثالب الوزيرين » صوراً كثيرة عن مجالس هؤلاء الوزراء: ابن العميد، ابن عباد، ابن سعدان، وأسماء الكثيرين من كبار رجال العصر الذين كانوا يترددون باستمرار عليها [6].

واهتم الوزراء بإنشاء دور العلم والمكتبات العامة، فاشترى أبو النصر سابور وزير بهاء الدولة سنة ٣٨١/ ٩٩١ داراً في الكرخ وسماها « دار العلم » ونقل اليها كتباً كثيرة ابتاعها وجمعها وعمل لها فهرساً. وكان فيها أكثر من ١٠ آلاف مجلد ثم احترقت أيام السلاجقة [7]. وهي التي أشار اليها أبو

---

(١) الثعالبي، يتيمة، جـ ٣ ص ١٨٨ - ١٩٠.
(٢) الثعالبي، يتيمة، جـ ٣ ص ١٨٨ - ١٩٠.
(٣) ياقوت، أدباء، جـ ٢ ص ٢٧٣ - ٣٤٣. جـ ٥ ص ١٥٠.
(٤) ابن خلقان، وفيات، جـ ١ ص ٢٢٨ - ٢٣٣.
(٥) الثعالبي، يتيمة، جـ ١ ص ٩٤ - ١١٨.
(٦) انظر التوحيدي، امتاع، ص ١٣٣ - ١٤٣.
(٧) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ١٧٢. جـ ٨ ص ٢٢.

العلاء المعري في احدى قصائده المشهورة[1].

وكان من الطبيعي أن ينخرط البويهيون بالحياة الثقافية العربية ـ الإسلامية، منذ أن شب الجيل الثاني منهم داخل المجتمع الإسلامي، وتثقف بالثقافة العربية، وتعلم على أيدي كبار أدباء العصر، وتأثر بعادات وتقاليد المجتمع القائم. فابن معز الدولة، حبشي جمع في مكتبته ما يناهز على خمسة عشر ألف مجلد سوى الأجزاء وما ليس بمجلد[2]. أما أخوه عز الدولة بختيار الذي خلف أباه في حكم العراق فكان من بين الذي تولوا تعليمه محمد بن جعفر الهمذاني كما تولى أبو نصر محمد بن الشيرازي خازن كتب عضد الدولة وقاضي فارس تعليم صمصام الدولة [3].

وكان بختيار ينظم الشعر كما يذكر الثعالبي[4]، الذي ينقل بعض أبيات أبي العباس خسرو بن فيروز بن ركن الدولة[5]. ويقول عن تاج الدولة أبي الحسين أحمد بن عضد الدولة أمير خوزستان، بانه آدب آل بويه، وأشعرهم[6]. لكن يبقى عضد الدولة الأبرز بين جميع أمراء بني بويه ثقافة وعلماً واطلاعاً على معظم العلوم، واهتماماً برعايته الأدباء والعلماء، ويقول عنه الثعالبي «بأنه كان يتفرغ للأدب ويتشاغل بالكتب ويؤثر مجالسة الأدباء على منادمة الأمراء، ويقول شعراً كثيراً»[7] وسنعود للحديث عنه فيما بعد. كما أبدى بعض الأمراء البويهيين اهتماماً واضحاً بالعلوم، ففي سنة ٩٨٨/٣٧٨ أمر شرف الدولة برصد الكواكب السبعة في مسيرها وتنقلها في بروجها على مثل ما كان المأمون فعله في أيامه. وبنى لهذه الغاية مرصداً في بغداد وأولى ادارته لابن رستم الكوهي المنجم أشهر علماء بغداد بالهندسة وعلم الهيئة، يساعده مجموعة من العلماء من بينهم أبو حامد الاصطرلابي، وكان عالماً في الهندسة وعلم الهيئة متحكماً بصناعة الاصطرلاب والآلات الرصدية[8].

واستمرت عناية معظم الأمراء البويهيين، بإقامة المجالس الثقافية وتشجيع رجال العلم والأدب، والعناية بمكتباتهم. وكان مسكويه المؤرخ خازناً لمكتبة الوزير ابن العميد، واتصل أيضاً بعضد الدولة وخلفائه، صمصام الدولة، وشرف الدولة ويُعتقد انه تابع عمله كخازن لمكتبات هؤلاء.

(١) ابن خلقان، وفيات، جـ ٢ ص ٣٥٤ ـ ٣٥٦.
(٢) مسكويه، جـ ٢ ص ٢٤٦.
(٣) ياقوت، أدباء، جـ ٦ ص ١٩٨، ٤٦٦ ـ ٤٦٧.
(٤) الثعالبي، يتيمة، جـ ٢ ص ٢١٨ ـ ٢١٩.
(٥) الثعالبي، يتيمة، جـ ٢ ص ٢٢٢.
(٦) المصدر نفسه، ص ٢١٩ ـ ٢٢٢.
(٧) الثعالبي، يتيمة، جـ ٢ ص ٢١٦.
(٨) القفطي، ص ٥٦ ـ ٥٧، ٢٣٠ ـ ٢٣١. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ١٤١. ابن الأثير، جـ ٧ ص ١٣٧.

كما كان لبهاء الدولة مكتبة كبيرة[1].

ان موقف البويهيين هذا، المنخرط والمتبني للحركة العلمية الأدبية في البلاد، قد ساهم وبشكل فعال في أن تأخذ انطلاقة الحركة الثقافية مداها الأوسع والأشمل. اذ توفر لها حماية ودعم السلطة. وشمل الدعم، تأمين حاجات كبار رجال العلم والأدب المادية ان عن طريق الأعطيات والهدايا، فقد بلغ مجموع ما تلقاه المتنبي من عضد الدولة اثر زيارته له مائتي ألف درهم عدا الخلع، والهدايا الأخرى[2]. وعندما تم للوزير فخر الملك فتح قلعة سابور. وهب حمزة بن ابراهيم وكان عالماً بالنجوم، مائة ألف دينار ؛ أو عن طريق تعهد أحد أعمال هؤلاء، اذ كثيراً ما كان الكتاب يؤلفون كتبهم باسم الأمراء والوزراء ويتقاضون على ذلك أعطيات كثيرة، كما كان بعض منهم يتقاضون مرتبات سنوية فيذكر الثعالبي ان « أبا بكر الخوارزمي قصد عضد الدولة بشيراز مما كان سبباً لارتياشه ويساره فإنه وجد قبولاً حسناً، واستفاد منها مالاً كثيراً،... ثم... أجرى له عند انصرافه رسماً يصل اليه في كل سنة بنيسابور »[4]. وعندما أهدى أبو الفرج الأصفهاني كتابه الأغاني الى سيف الدولة أعطاه ألف دينار، وبلغ ذلك الصاحب بن عباد فقال « قصر سيف الدولة وانه يستاهل أضعافها »[5]. وكان قسم آخر من الأدباء يعملون ككتاب في الدواوين، كأبي اسحاق الصابي، كاتب الخليفة الطائع، وحفيده هلال كاتب سر الوزير فخر الملك. كما عمل قسم آخر عند الأمراء والوزراء، كخازنين للكتب كمسكويه كما أشرنا سابقاً، وعثمان بن جني النحوي الذي خدم أيضاً عضد الدولة وصمصامها وشرفها وبهائها[6]. كما تولى عدد آخر مناصب كالقضاء كابي سعيد السيرافي النحوي، وأبي أحمد الطبيب المرزباني[7] إلخ...

والواقع انه يكفي استعراض أسماء الأدباء والعلماء الذين كانوا على صلة بالأمراء البويهيين أو بوزرائهم، لنتبيّن مدى الدور الهام الذي لعبه البويهيون في دفع الحركة الثقافية، حتى لا يكاد يذكر أحد من مشاهير القرن الرابع الا وكان على صلة بالأمراء البويهيين ووزرائهم ومن هؤلاء أبو اسحاق الصابي[8] (٣٨٤/٩٩٤) كاتب الخليفة الطائع وكان على صلة بالوزير المهلبي،

---

(١) ياقوت، أدباء، جـ ٥ ص ٤٤٦.
(٢) الثعالبي، يتيمة، جـ ١ ص ٢٢٣ - ٢٢٤.
(٣) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ٣٦.
(٤) الثعالبي، يتيمة، جـ ٤ ص ٢٠٤ - ٢٠٩.
(٥) ياقوت، أدباء، جـ ٥ ص ١٤٩ - ١٦٨.
(٦) الصابي، تاريخ، ص ٤١٧.
(٧) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٩٥. الطقطقي، ص ١٥٤.
(٨) ياقوت، أدباء، جـ ١ ص ٣٢٤ - ٣٥٨. الثعالبي، يتيمة، جـ ٢ ص ٢٤١ - ٣٠٦. القفطي، ص ٥٤ - ٥٥. ابن خلقان، وفيات، جـ ١ ص ٥٢ - ٥٤. التوحيدي، الامتاع، ص ٦٧ - ٦٨. الصابي، رسائل، ص ٣١٥ - ٣٢٥.

وبالأمير عز الدولة بختيار، وله مراسلات مع ابن عباد وهو صاحب الرسائل الشهيرة ومؤلف كتاب التاجي في أخبار الدولة البويهية بناءً لطلب عضد الدولة، وكان له معرفة جيدة بالهندسة والرياضيات وعلم الهيئة، وشاعراً وله قصائد كثيرة ومنها في مدح عضد الدولة. وأبو بكر الخوارزمي[1] (ت ٩٩٣/٣٨٣) وهو أشهر كتاب الرسائل الاخوانية، واتصل بالوزير ابن عباد ومن ثم بعضد الدولة، وكان شديد التعصب لآل بويه، وله قصائد في مدح عدد من الأمراء البويهيين. بديع الزمان الهمذاني[2] (ت ٣٩٨ / ١٠٠٧) صاحب المقامات الشهيرة، اتصل بالصاحب بن عباد، ووقع خلاف بينه وبين الخوارزمي وتناظرا فكانت الغلبة للهمذاني وذاع صيته. وأبو حيان التوحيدي[3] (ت ١٠٠٩/٤٠٠) وهو أعظم كتاب النثر في الأدب العربي، اتصل بالصاحب بن عباد وأبي الفضل بن العميد لكنه عاد ونقم عليهما، وألف كتاب في مثالبهما، كما اتصل بالوزير ابن سعدان وكان متفنناً في كثير من العلوم.

وأيضاً أبو الفرج الاصفهاني (ت ٩٦٦/٣٥٦) وكان من ندماء المهلبي وعمل كاتباً عند ركن الدولة، واستحوذ كتابه الأغاني على اهتمام واعجاب معظم رجال الدولة البويهية كالصاحب وعضد الدولة[4]. ثم هناك:

ـ عثمان بن جني، من أهم علماء اللغة[5]، وخاصة فيما يتعلق بالإشتقاق اللغوي، وهو الذي ينسب إليه ابتداع مبحث جديد في علم اللغة المسمى باشتقاق الأكبر، وكان ابن جني على صلة بأمراء الدولة البويهية كما أشرنا سابقاً.

ـ أحمد بن فارس (ت ١٠٠٥/٣٩٥) وهو أول من ألّف «مقدمة في النحو» وقد استدعي الى الري ليكون مدرساً لمجد الدولة بن فخر الدولة فأقام بها وكان الصاحب بن عباد يكرمه ويتتلمذ له. ولابن فارس تصانيف كثيرة منها «المجمل» و«متغير الألفاظ» وكتاب الصاحبي صنفه لخزانة الصاحب بن عباد[6].

ومن الشعراء الكبار الذين اتصلوا بالأمراء البويهيين، السلامي والمتنبي، وسنعود للحديث عنهما

---

(١) الثعالبي، يتيمة، جـ ٤ ص ٢٠٤ ـ ٢٢٨.
(٢) المصدر نفسه، ص ٢٥٦ ـ ٢٥٨. ياقوت، أدباء، جـ ١ ص ٩٤ ـ ١١٨. EI², art Hamadhanl.
(٣) ياقوت، أدباء، جـ ٥ ص ٣٨٠ ـ ٤٠٧.
(٤) ياقوت، أدباء، جـ ٥ ص ١٤٩ ـ ١٦٨.
(٥) المصدر نفسه، جـ ٥ ص ١٥ ـ ٣٢. انظر متز، جـ ١ ص ٤٣٧.
(٦) ياقوت، أدباء، جـ ٢ ص ٦ ـ ١٥. الثعالبي، يتيمة، جـ ٣ ص ٣٩٧. ابن خلقان، وفيات، جـ ١ ص ١١٨ ـ ١٢٠.

بعد قليل، وأيضاً ابن نباته، مهيار الديلمي، وكان هذان من جملة الشعراء الذين اتصلوا بالوزير فخر الملك، كما كان ابن نباته من جملة الشعراء الذين مدحوا عضو الدولة[1]. وعلى العموم فإن معظم شعراء القرن الرابع ومن جميع درجاتهم كانوا يترددون على مجالس الأمراء والوزراء البويهيين، وهذا واضح من الاعداد الكبيرة لقصائد المدح التي حظي بها رجال الدولة البويهية من كافة الشعراء...

ولا ننسى، مسكويه المؤرخ، الفيلسوف وهلال الصابي صاحب كتاب التاريخ وكتاب الوزراء وغيرها وقد سبق وتحدثنا عنهما. وهناك أيضاً، ابن البواب أحد ندماء الوزير فخر الملك، وأحد واضعي الخط المعروف بالنسخي[2].

ولم يكن حظ العلماء من الرعاية بأقل من الأدباء، ومن هؤلاء المنجم ابن الأعلم وكان ذا مكانة عالية عند عضد الدولة[3]، والصوفي الرازي (ت ٣٧٦ / ٩٧٤)، وكان منجم عضد الدولة[4]، وابن رستم الكوهي وهو الذي كلفه شرف الدولة بإدارة المرصد الذي بناه في بغداد[5]، علي بن أحمد الانطاكي الرياضي وكان من أصحاب عضد الدولة [6]، والمهندس أبو الوفاء البوزجاني وكان قريباً من الوزير ابن سعدان، وهو الذي عرّف التوحيدي على الوزير البويهي، واليه أهدى أبو حيان كتابه الامتاع والمؤانسة[7].

ـ أبو بكر الكرخي، عالم بالحساب، ومن تأليفه «الفخري» في الجبر والمقابلة وكتاب «الكافي» في الحساب، وقد ألفهما للوزير فخر الملك وزير بهاء الدولة وسلطان الدولة[8].

كذلك برع عدد كبير من الأطباء وازدادت أهميتهم ومكانتهم نظراً للتوسع في بناء المستشفيات في العهد البويهي، التي نظمت بصورة جيدة، وكان لكل أمير بويهي طبيبه الخاص الذي يرافقه في معظم الأحيان في تنقلاته أو حملاته العسكرية، ومن هؤلاء: ـ ثابت بن سنان أبو الحسن (ت ٣٦٥/٩٧٥) وكان يتولى ادارة مارستان بغداد، وهو أيضاً صاحب كتاب التاريخ

(١) الثعالبي، يتيمة، جـ ٢ ص ٣٩٠.
(٢) ياقوت، أدباء، جـ ٥ ص ٤٤٥ ـ ٤٥٣.
(٣) القفطي، ص ١٧٥. البيهقي، ص ٩٠.
(٤) المصدر نفسه، ص ١٥٢ ـ ١٥٣.
(٥) المصدر نفسه، ص ٢٣٠ ـ ٢٣١.
(٦) المصدر نفسه، ص ١٥٧.
(٧) ياقوت، ادباء، جـ ٥ ص ٣٨٠ ـ ٤٠٧. انظر مقدمة كتاب الامتاع والمؤانسة.
(٨) ابن خلقان، وفيات، جـ ٥ ص ١٢٤ ـ ١٢٧.

المشهور باسمه[1].

- ثابت بن ابراهيم الصابي: (ت ٩٧٩/٣٦٩) وله مصنفات عدة وقد خلع عليه عز الدولة بختيار، وكان عضد الدولة عندما قدم الى بغداد استدعاه لملازمته[2]. وجبرائيل بن بختيشوع وكان طبيب عضد الدولة بفارس ثم قدم معه إلى بغداد وعمل في مارستانها وكانت نوبته في الأسبوع يومين وليلتين[3]. أبو الحسن بن سنان وكان معاصراً لثابت بن ابراهيم الصابي ورفيقاً له تقدم في الدولة البويهية[4]. وهناك أيضاً الحكيم دانيال الطبيب وكان طبيباً لمعز الدولة[5]، ونظيف النفس الرومي وكان من جملة ٢٤ طبيباً الذين عينهم معز الدولة في المارستان الذي عمره ببغداد ورتبوا لمعالجة المرضى[6]. ومن هؤلاء كان أبو الخير الجرائحي، وأبو الحسين بن نفاخ وكانا مشهورين في علم الجراحة[7]، وأبو يعقوب الأهوازي وأبو الحسن بن كشكرايا[8] وغيرهم كثيرون[9].

الا ان أشهر الأطباء الذين اتصلوا بالبويهيين، فهو الشيخ الرئيس ابن سينا (٣٧٠ - ٩٨٠/٤٢٨ - ١٠٣٦) وكانت شهرته كفيلسوف تساوي شهرته كطبيب، وقد تنقل من خدمة نوح الساماني الى خدمة خوارزم شاه، ثم انتقل الى الري واتصل بأميرها مجد الدولة بن فخر الدولة البويهي وبوالدته سيده، ولقي لديهما كل تقدير، وصنف هناك كتاب «المعاد» ثم قصد شمس الدولة الابن الثاني لفخر الدولة وصاحب همذان ويقال انه تولى وزارة شمس الدولة، لكنه سريعاً ما عاد وانتقل الى خدمة علاء الدولة بن كاكويه (احدى فروع الأسرة البويهية) والذين باتوا أصحاب اصفهان وظل ابن سينا في خدمة آل كاكويه الى حين وفاته سنة ١٠٣٦/٤٢٨[10].

والى جانب هؤلاء، كان هناك رجال الدين والفقه، كابن بابويه والطوسي، أهم فقهاء الشيعة

---

(١) القفطي، ص ٧٧ - ٧٨.
(٢) المصدر نفسه، ص ٧٨ - ٧٩.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٠٢ - ١٠٦.
(٤) المصدر نفسه، ص ٢٥٩.
(٥) البيهقي، ص ٨١.
(٦) القفطي، ص ٢٢١.
(٧) المصدر نفسه، ص ٢٦٣ - ٢٦٦.
(٨) المصدر نفسه، ص ٢٨٤، ٢٦٣.
(٩) المصدر نفسه، ص ١٥٤، ٢٥٩ - ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٦٦.
(١٠) انظر حول ابن سينا: القفطي، ص ٢٦٨ - ٢٧٨. البيهقي، ص ٥٢ - ٧٢. ابن خلقان. وفيات، جـ ٢ ص ١٥٧ - ١٦٢. ابن الأثير، جـ ٨ ص ١٥.

الاثني عشرية. وأيضاً الماوردي صاحب كتاب الأحكام السلطانية. ومن القضاة الأدباء، أبو علي التنوخي صاحب الفرج بعد الشدة ومشوار المحاضرة، وقد سبق وأشرنا الى هؤلاء جميعاً وتحدثنا عن علاقاتهم بالبويهيين (أنظر سابقاً). كذلك، فقد عاش وعمل وكتب خلال العهد البويهي الكثير من المشاهير الذين تحتل مؤلفاتهم مكاناً مرموقاً في التراث الثقافي العربي - الإسلامي، مثل الجغرافيان ابن حوقل والمقدسي.

اذن، لقد حظيت الثقافة برعاية واهتمام البويهيين، كما حظي رجالها بتقديرهم واحترامهم، وكثيراً ما رأينا كبار رجال الدولة ينتقلون لزيارة كبار رجال العلم والأدب، فيحكى أن عضد الدولة كان يقف بباب الكاتب المعروف بالمرزباني (٢٩٦ - ٣٨٤ / ٩٠٨ - ٩٩٤) حتى يخرج إليه فيسلم عليه، وهو الذي وصفه أبو علي الفارسي انه من محاسن الدنيا، وكان المرزباني صاحب أخبار ورواية وأدب[1]. وفي سنة ٩٨٩/٣٧٩ قام فخر الدولة ووزيره الصاحب بن عباد بزيارة أبي سعيد الحسن بن عبد الله العسكري (ت ٩٩٧/٣٨٧) صاحب التصانيف الكثيرة في الأدب واللغة والأمثال في البصرة للإستماع إليه[2]. وقبل ذلك قام الصاحب خلال عهد مؤيد الدولة، بزيارة أبي أحمد العسكري (ت ٩٩٢/٣٨٢) أحد علماء الأدب وله عدة مصنفات وكان مقيماً في معسكر مكرم[3]. كما كان الوزير فخر الملك وكبار رجال الدولة يقصدون مجلس أبي حامد الاسفرائيني (ت ١٠١٥/٤٠٦) أكبر فقهاء الشافعية، للاستماع اليه[4].

ولم يتعرض رجال العلم والأدب الى أي اضطهاد لأسباب مذهبية أو فكرية على أيدي البويهيين، كما انهم لم يقوموا بأي عمل من أعمال الإرهاب الفكري. أما ما أقدم عليه عضد الدولة بحق أبي اسحاق الصابي، أي اعتقاله ومصادرته وكاد أن يقتله برميه تحت أرجل الفيلة لولا تدخل أصدقائه وشفاعتهم له، فليس سوى بسبب حزازات شخصية من الأمير البويهي ضد أبي اسحاق بسبب كتب كتبها الصابي عن الخليفة الطائع في شأن عز الدولة بختيار وازعجت جداً عضد الدولة. وعلى كل حال: فهذه الحادثة يسجلها المؤرخون على انها أحد أخطاء الأمير البويهي الكبير[5].

والواقع ان هذا التعداد الجاف لأسماء رجال العلم والأدب الذين كانوا على علاقة مباشرة

---

(١) التنوخي، نشوار، جـ ١ هامش ص ١٧٩.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ١٩١.

(٣) ابن خلقان، وفيات، جـ ٢ ص ٨٣ - ٨٥.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٢٧٧

(٥) ياقوت، أدباء، جـ ١ ص ٣٢٤ - ٣٥٨. الثعالبي، يتيمة، جـ ٢ ص ٢٤٤. القفطي، ص ٥٤ - ٥٥. الصابي، رسائل ٣١٥ - ٣١٥. ابن خلقان، وفيات، جـ ١ ص ٥٢ - ٥٤. ذيل، ص ٢١ - ٢٤.

بالبويهيين ويلقون دعمهم، إنما الهدف منه التأكيد على موقف البويهيين ودورهم في انعاش النشاط الثقافي ودعمهم له وليس دراسة الحياة الثقافية ونموها وتطورها خلال تلك الفترة. الا انه يجب أن لا يعني ذلك ان الحركة الثقافية انحصرت بقصور الأمراء، ومجالس الوزراء، أو بانها كانت مرتبطة ومحدودة باهتمام الأمير البويهي، اذ كما أشرنا في بداية هذا الفصل، فإن الحركة الثقافية الضخمة التي شهدها القرن الرابع، كانت أساساً وليدة ذاك التراكم الضخم الذي تكون داخل المجتمع الإسلامي طوال القرون الثلاثة السابقة وكان دور البويهيين انه أتاح لهذه الحركة المنطلقة، أساساً، ان تأخذ أقصى مداها.

واذا كان قسم من كبار العلماء ورجال الأدب، والفقه يأخذون أرزاقاً من الأمير وكبار رجال دولته: مرتبات. صلات، مكافآت بمناسبات عديدة، وقسم عن طريق الندامة بوصفهم ندماء في مجالس الأمير أو الوزير، فإن القسم الأكبر كان يعمل لتأمين مصدر رزقه. وهؤلاء يقسمون الى قسمين: قسم كان يعمل كموظف في احدى مراكز الدولة، قاضي، كاتب، خازن، طبيب في المستشفيات (أنظر سابقاً) الخ... وأحياناً محتسب، فقد تولى الشاعر الحسين بن الحجاج حسبة بغداد في أيام عز الدولة بختيار، فاستخلف عليها ستة نواب وتشاغل هو بالشعر[1]، فيما اعتمد القسم الآخر على الأعمال الحرة لتأمين رزقهم فكانوا: تجاراً، ومدرسين، ووراق (نساخ).

وكان لكبار العلماء مكتباتهم الخاصة، كذلك مجالسهم الثقافية، واحتفظت المساجد بدورها كمراكز علمية، فكان في كل جامع كبير مكتبة، كما كانت مركزاً لحلقات التدريس، وكان جامع المنصور ببغداد أشهر مركز للتعليم في المملكة الإسلامية. وكان أكثر تلاميذ العلماء من الفقهاء، لأنهم كانوا يعلمون العلم الذي يؤهل أصحابه لتولي مناصب يعيشون منها. فكان يحضر مجلس أبي حامد الاسفرائيني وكان يُدرس في مسجد عبد الله بن المبارك ببغداد، ما بين ثلاثمائة وسبعمائة فقيه. ولا شك ان عدد الطلاب، وكثرة حلقات التدريس في المسجد الواحد، وما كان يستتبع ذلك من مناظرات وجدل قد يخرج أصحابه أحياناً عن الأدب الذي تجب مراعاته للمسجد. كل ذلك ساهم في نشأة دور العلم كالتي بناها الوزير البويهي أبو نصر سابور والشريف الرضي في بغداد وكانت تضم مكتبة كبيرة تضم مختلف أنواع الكتب ومفتوحة أمام طلبة العلم، للقراءة والنسخ، وأحياناً كانت تعقد فيها حلقات التدريس، وكان لهذه الدور موظفون لإدارتها والاشراف عليها. وبالتالي أدى لاحقاً الى نشأة المدارس في القرن الخامس[2].

---

(١) ابن الأثير، جـ ٧ ص ٢١١.

(٢) متز، جـ ١ ص ٣١٩ - ٣٥٠.

الحياة الثقافية في فارس

وإذا كانت بغداد، هي العاصمة الثقافية للمملكة، والمركز الذي يقصده الأدباء والعلماء من مختلف الاقاليم للقاء كبار رجال العلم والتتلمذ على أيديهم وأيضاً للعمل وللشهرة، فإن عدداً من عواصم الأقاليم الأخرى قد حظيت بقدر مهم من النشاط الثقافي متفاوت الحجم والأهمية تبعاً للأوضاع السياسية والاجتماعية التي تعيشها هذه المقاطعات. فقد لعب الإستقرار السياسي والغنى الاقتصادي للمقاطعات دوراً أساسياً في انتعاشها الثقافي كما كانت عليه مدينة نيسابور في ظل السامانيين. وكان للأمير دوراً أساسياً في نمو الحركة الثقافية في المقاطعة، فكلما كانت ميول الأمير الثقافية قوية، واحتضانه للعلماء والأدباء شديد كلما نمت الحركة الثقافية في امارته، وغالباً ما كان يحدث انه بوفاة هذا الأمير تضعف الحركة الثقافية في عاصمته ان لم تجد التشجيع والدعم الكافي من خلفائه، كما كانت عليه حال حلب أيام سيف الدولة الحمداني.

كانت فارس واحدة من الأقاليم التي توفرت لها كل مقومات النمو الثقافي: فحالة الاستقرار السياسي والنمو الاقتصادي التي عرفتها المقاطعة، وأجواء الحرية التي سادتها، وتنوع المشارب الثقافية لسكانها، بالاضافة الى تولي حكم المقاطعة من قبل أعظم أمراء بني بويه اهتماماً بالثقافة أي عضد الدولة. كل ذلك كان من المفترض أن يدفع بفارس لتحتل موقعاً مميزاً في الحياة الثقافية داخل المملكة الإسلامية. لكنها لم تستطع أن تبلغ ذلك، وأقصى ما وصلت اليه في هذا المجال انها كانت صورة مصغرة عن بغداد بل عن نيسابور.

صحيح انه في مرحلة عضد الدولة عرفت المقاطعة أوج ازدهارها الثقافي، وبات النشاط الثقافي داخل بلاط الأمير ومجالسه ينافس سائر بلاطات الأمراء الآخرين ومجالسهم، الا ان نتائج ذلك على مجمل الحركة الثقافية داخل المقاطعة لم يكن بنفس المستوى. كما ان الأمر انحصر بشكل أساسي خلال مرحلة حكم عضد الدولة وبشخصه مباشرة.

ومن جهة ثانية، فلقد كان لقرب فارس من بغداد أثر في تقليص النشاط الثقافي فيها، اذ كان معظم رجال العلم والأدب من أهالي فارس، ينتقلون الى بغداد ويقيمون فيها. كذلك طلاب العلم الذين يسعون للدراسة على أيدي كبار العلماء والاحتكاك بالأوساط الثقافية، والإطلاع على ما تحتويه مكتبات بغداد العامة، والخاصة.

ورغم ان فارس كانت خلال العهد البويهي امارة شبه مستقلة، واحدة من ثلاث امارات تشكل مجتمعة الدولة البويهية، الأمر الذي يفترض، نمو الحركة الثقافية داخلها، استتباعاً لتلك الاستقلالية، الا ان تطلع أمرائها باستمرار للسيطرة على بغداد، وتولي امارة فارس والعراق وهو

الأمر الذي حصل مراراً (أنظر سابقاً) قد أدى باستمرار الى التحاق فارس الثقافي ببغداد. لذلك رأينا شرف الدولة أمير فارس ما ان استولى على العراق حتى أمر ببناء مرصد فيها[1]، في حين لم يخطر له بناء ذلك المرصد في فارس طوال فترة حكمه لها.

لا شك أيضاً، ان احتفاظ فارس بموقعها كمركز للتراث الساساني القديم، واحتفاظ قسم كبير من عامة سكانها باللغة الفارسية، قد ساهما بدورهما في تقليص النشاط الثقافي، وذلك، انه بالرغم من التأثيرات الكبيرة والشاملة التي خضع لها مجتمع فارس بعد الفتح العربي، ودخول سكانه في الدين الإسلامي. ورغم ان اللغة العربية باتت لغة الدين والإدارة والعلم، إلا أنها لم تستطع أن تحل بصورة كاملة محل اللغة الفهلوية (الفارسية الوسطى) وان دفعت بها إلى التطور، وباتت اللغة الفارسية «الحديثة» هي لغة عامة السكان (أنظر سابقاً). وكما يقول الجغرافيون، فقد كان لفارس ثلاث لغات «الفارسية التي يتكلمون بها، وجميع أهل فارس يفقهونها ويكلم بعضهم لبعض بها الا ألفاظاً تختلف لا تستعجم على عامتهم، ولسانهم الذي به كتب العجم وأيامهم ومكاتبات المجوس فيما بينهم من الفهلوية التي تحتاج إلى تفسير حتى يعرفها الفرس، ولسان العربية الذي به مكاتبات السلطان والدواوين وعامة الناس»[2]. وتركز النشاط الثقافي في فارس في المدن الكبرى وخاصة في العاصمة شيراز حيث مقر الأمير والكتاب وسائر رجال الدولة وموظفيها، وكان الكتاب وموظفو الدولة بمعظمهم من الفرس الذين منهم خرجت فئة الموالي (أنظر سابقاً) والذين شكلوا باستمرار شحنة الدواوين والعمال وكبار رجال الدولة ليس فقط بفارس وإنما للخلافة العباسية بشكل عام[3]. وقد أورد لنا الجغرافيون لائحة بأسماء بعض العائلات الفارسية، وتسمّى «بأهل البيوتات»، التي تولت منذ السيطرة العربية أعمال الدواوين في فارس، وتوارثت هذه الأعمال فيما بينها وخلال العهد البويهي أيضاً، ومن هذه العائلات، آل حبيب، آل المرزبان، وآل أبي صفية، وآل مردشاد[4] الخ...

وقد شكلت طبقة الكتاب محور الحياة الثقافية في فارس، ومنها برز عدد من الأدباء والشعراء، في حين ان المقاطعة لم تعرف كمركز لرجال الدين. ولا شك ان مرحلة حكم عضد الدولة والتي استمرت ٣٤ سنة كانت العصر الذهبي للمقاطعة، وخاصة في المجال الثقافي. وكان عضد الدولة، مولعاً بالأدب مهتماً بالعلوم. وهذا ما دفعه الى احتضان الكثير من أدباء وعلماء عصره حتى بات

---

(١) القفطي، ص ٢٣٠ – ٢٣١.

(٢) الاصطخري، ص ٨٣. ابن حوقل، ص ٢٥٣. Azizi, domination, p.415, 416.

(٣) الاصطخري، ص ٨٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ٨٩. ابن حوقل، ص ٢٥٥ – ٢٥٧.

بلاطه في فارس مقصداً لكل هؤلاء. ويبدو ان اهتمامات عضد الدولة الثقافية واتصالاته بالعلماء والأدباء، قد بدأت باكراً، فحمزة الأصفهاني (المتوفي بين ٣٥٠ ـ ٣٦٠) قد أهدى أحد كتبه إلى عضد الدولة وهو كتاب الموازنة «بين العربي والعجمي»[١].

وتدل اعداد الشعراء والأدباء والعلماء الذين كانوا في بلاطه أو الذين حظيوا بدعمه ومكافآته والذين قصدوه من مختلف أنحاء المملكة الإسلامية، على مدى الاهتمام الواسع الذي أبداه الأمير تجاههم. ومثلاً على ذلك، فإنه عندما استولى على بغداد «بسط رسوماً للفقراء والفقهاء والمتكلمين والمحدثين والنسابين والشعراء والنحويين والعروضيين والأطباء والمنجمين والحساب والمهندسين وأفرد في داره لأهل الخصوص والحكماء من الفلاسفة موضع يقرب من مجلسه وهو الحجرة التي يختص بها الحجاب فكانوا يجتمعون فيها للمفاوضة آمنين من السفهاء، ورعاع العامة. وأقيمت لهم رسوم تصل اليهم وكرامات تتصل بهم، فعاشت هذه العلوم وكانت مواتاً وتراجع أهلها، وكانوا أشتاتاً»[٢]. ولا شك ان هذا الوصف الذي يقدمه مسكويه عن ما يمكن تسميته سياسة عضد الدولة الثقافية في بغداد اثر دخوله إليها، هي صورة عن السياسة الثقافية التي سبق وطبقها بفارس، ونحن نعرف، انه قد اجتمع عنده في بلاطه بفارس عدد كبير من العلماء في مختلف أبواب المعرفة، وصنفت له الكثيرمن المصنفات الأدبية والعلمية، وكان بعض هؤلاء شبه ملازمين له ويرافقونه في تنقلاته، وهذا من حرص عضد الدولة. كما أشرنا سابقاً الى تفضيله منادمة الأدباء والعلماء على منادمة الأمراء والحاشية. إذ كثيراً ما كان يتبادل عضد الدولة مع مرافقيه من الأدباء. أحاديث أدبية وفكرية. ومن أشهر هؤلاء أبو علي الحسن الفارسي (٢٨٨ ـ ٣٧٧/٩٠٠ ـ ٩٨٧)، ولد بفارس في مدينة فسا وإليها ينسب ثم انتقل الى بغداد سنة ٣٠٧/٩١٩ ثم الى حلب عند سيف الدولة سنة ٣٤١/٩٥٢ ثم عاد الى فارس أيام عضد الدولة، وصحبه وتقدم عنده وعلت منزلته، وأقام بفارس فترة مديدة، وخلال فترة إقامة عضد الدولة ببغداد كان أبو علي معه أيضاً. واستمر كذلك حتى وفاة عضد الدولة، وله ألف أبو علي كتاب «الايضاح» و«التكملة» في النحو. وكان أبو علي من أكبر نحويي عصره، حتى يعتبره البعض بانه فوق المبرد. وكان بين تلامذته الذين برعوا في النحو عثمان بن جنى وعلي بن عيسى الربعي. ولما صنف أبو علي كتاب الايضاح وحمله إلى عضد الدولة، استقصره عضد الدولة وقال له: «ما زدت على ما أعرف شيئاً، انما يصلح هذا للصبيان». فمضى أبو علي وألف التكملة فلما وقف عليها عضد الدولة قال: «غضب الشيخ وجاء بما لا نفهمه

---

(١) EI[2], art Hamza al-Isfahani t. II. p.159-160

(٢) مسكويه، جـ ٢ ص ٤٠٨.

نحن ولا هو » . وكثيراً ما تناقش الرجلان في مسائل نحوية ، وفي شؤون الأدب الا ان دور أبي علي في فارس لم يقتصر على صحبة عضد الدولة والعمل لديه بل قام بعقد بعض مجالس التدريس وأملى فيها بعضاً من أبحاثه.(1)

وبرز أيضاً في النحو أبو سعيد السيرافي ، من سيراف ، ومنها ابتدأ بطلب العلم . وفي العشرين من عمره ، مضى الى عُمان فتفقه بها ثم عاد الى سيراف ثم انتقل ليستقر ببغداد حتى وفاته . وقد تولى القضاء على بعض أرباع بغداد وقام بالتدريس في مجالس العلم ولم يأخذ على الحكم أجراً انما كان يأكل من كتب يمينه ؛ فكان لا يخرج الى مجلس الحكم ولا الى مجلس التدريس حتى ينسخ عشر ورقات يأخذ أجرتها عشرة دراهم تكون بقدر مؤونته . كما تولى تعليم أبي اسحاق بن معز الدولة . وعرض عليه الوزير الصيمري ديوان الإنشاء فاستعفى .

وألف أبو سعيد عدداً من الكتب منها شرح سيبويه وشرح مقصورة ابن دريد ، وأخبار النحويين البصريين ، وكان بينه وبين أبي الفرج الاصفهاني منافسة ، وكان أبو علي الفارسي وجماعته كثيري الحسد لأبي سعيد ، وقد هم عضد الدولة ان يجمع بينهما ، فلم يتم له ذلك اذ توفي أبو سعيد سنة ٣٦٨/٩٧٨(2) .

لقد تمكنت فارس بفضل سياسة عضد الدولة الثقافية من استعادة بعض أبنائها الذين ارتحلوا عنها إلى بغداد وباقي الحواضر المزدهرة ثقافياً سعياً وراء المزيد من المعرفة ، والعمل ، والشهرة ، كما هي حال أبي علي الفارسي ، وبالتالي أدى وجود عدد من كبار العلماء في فارس إلى أن تصبح المقاطعة هدفاً لطالبي العلم . ومن هؤلاء علي بن عيسى الربعي ، فبعد أن أخذ النحو على يد أبي سعيد السيرافي في بغداد ، هاجر إلى شيراز فأخذ عن أبي علي الفارسي ولازمه عشرين سنة ثم رجع إلى بغداد ، وأقام بها إلى أن مات سنة ٤٢٠ / ١٠٢٩ .

ويعتبر الربعي واحداً من كبار علماء النحو وقد ألف عدداً من المصنفات منها شرح كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي ، وكتاب البديع في النحو ... إلخ ... واتصل الربعي بعضد الدولة ، وكان من بين الذين يعزون مجالسه ويستشيره عضد الدولة في شعره(3) . وبرز في علم الفلك والكواكب ، عبد الرحمن الصوفي الرازي ، وكان من [illegible] فارسي النسبة ، وكان منجم عضد

---

(1) ياقوت ، أدباء ، جـ ٣ ص ٩ - ٢٢ . ابن خلقان ، وفيات ، جـ ٢ ص ٨٠ - ٨٢ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٧ ص ٨٦ . التوحيدي الامتاع ، جـ ١ ص ١٢٩ - ١٣٣ .

(2) ياقوت ، أدباء ، جـ ٣ ص ٨٤ - ١٢٥ ، التوحيد ، الامتاع ، جـ ١ ص ١٢٩ - ١٣٣ . ابن خلقان ، وفيات ، جـ ٢ ص ٧٨ - ٧٩ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٧ ص ٩٥ .

(3) ياقوت ، أدباء ، جـ ٥ ص ٢٨٣ - ٢٨٧ .

الدولة، وأستاذه في هذا العلم. وكثيراً ما ردد عضد الدولة: «إذا افتخر بالعلم والمعلمين فمعلمي في النحو أبو علي الفارسي النسوي، ومعلمي في حل الزيج الشريف بن الأعلم، ومعلمي في الكواكب الثابتة وأماكن سيرها أبو الحسين الرازي الصوفي»[١].

وقد برع عدد من مواطني فارس بالطب وعلومه، كذلك عمل بفارس بعض من أشهر أطباء المملكة الإسلامية. وكان جبرائيل بن بختيشوع (توفي ٣٩٦ / ١٠٠٥) من أول الأطباء الذين رعاهم عضد الدولة. إذ صادف قدومه إلى شيراز في السنوات الأولى لحكمه. وبات جبرائيل الطبيب الخاص للأمير البويهي وعندما دخل عضد الدولة بغداد كان جبرائيل معه في خاصته وعمل في المارستان وصار يأخذ رزقين: واحد بصفته طبيب الأمير والآخر لعمله في المارستان[٢]. كذلك اتصل بعضد الدولة أبو الحسن بن غسان وكان من أطباء البصرة وكان شاعراً أيضاً وله شعر في عضد الدولة[٣]. أما الأطباء من أهل فارس، والذين عملوا مع الأمراء البويهيين في شيراز ورافقوهم إلى بغداد، فمنهم اثنان من أرجان هما أبو سعيد الارجاني، وأبو سهل الارجاني[٤].

ومن الفلاسفة الذين اتصلوا بعضد الدولة أو بغيره من رجال الدولة البويهية بفارس نذكر أبا سليمان السجيستاني المنطقي (٣٠٠ - ٩١٢/٣٧٥ - ٩٨٥) وكان عضد الدولة يكرمه ويفخمه وله كتب صنفها ورسائل عدة الى عضد الدولة في فنون مختلفة من الحكمة[٥]، وأبو علي المنطقي (٣٣٦ - ٩٤٧/٣٩٠ - ٩٩٩) واتصل بعضد الدولة وبوزيره بفارس نصر بن هارون، وبوزير صمصام الدولة العلاء بن الحسن، وتوفي بشيراز[٦].

وعلى هذا السياق نستطيع أن نعدد الكثير من أسماء الأدباء والعلماء الذين عملوا بفارس أو الذين كانوا من أهل فارس خلال العهد البويهي، كعبد العزيز بن يوسف كاتب عضد الدولة ووزير بهاء الدولة وكان أديباً شاعراً[٧]، وأبي أحمد الشيرازي[٨]، وأبو بكر بن العلاف الشيرازي

---

(١) المصدر نفسه، جـ ٣ ص ٩ - ١٥. القفطي، ص ١٥٢ - ١٥٣.
(٢) القفطي، ص ١٠٢ - ١٠٦.
(٣) المصدر نفسه، ص ٢٦٣.
(٤) المصدر نفسه، ص ٢٦٦.
(٥) القفطي، ص ١٨٥ - ١٨٦.
(٦) ياقوت، أدباء، جـ ٥ ص ٤٩٤ - ٥٠٦.
(٧) الثعالبي، يتيمة، جـ ٣ ص ٤١٧. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ١٧٨.
(٨) المصدر نفسه.

النحوي[1]، الدهكي[2]، والفقيه أبي بكر الفارسي[3] وعلي بن الحسين بن هندو أحد كتاب الإنشاء في ديوان عضد الدولة وصاحب الرسائل البديعة[4]، والقاضي الأديب أبي محمد الرامهرمزي[5]، وابن موسى الجوري عالم الأنساب[6]. ومن الزهاد، ابن حفيف الشيرازي. ومن الحفاظ أحمد بن عبدالرحمن الحافظ الشيرازي[7]. ومن القراء أبو بكر محمد بن اسحاق[8] وغيرهم كثيرون. أما الشعراء فهم أكثر من أن يحصوا بسهولة، إن بالنسبة للذين كانوا بفارس، أو ترددوا على بلاط أميرها، أو الذين اتصلوا بأمرائها كتابة ومدحوهم. ومن الصعب ذكر أسماء هؤلاء جميعاً. اذ نستطيع القول، انه في حالة عضد الدولة فإنه حظي بمدح معظم الذين يقولون الشعر في الدولة البويهية وأحياناً خارجها.

وكان عضد الدولة نفسه شاعراً دون مستوى الشعراء الكبار بل ان البعض يعتبر شعره مجرد كلام موزون رديء[9]. ومن أشهب الشعراء الذين اتصلوا بعضد الدولة بفارس هما أبو الحسن السلامي وأبو الطيب المتنبي. فأما المتنبي فقد توجه الى فارس قاصداً عضد الدولة، بعد عودته من مصر، وأقام بشيراز مدة مدح فيها عضد الدولة وانشده الكافية التي هي آخر شعره، ولاقى المتنبي من عضد الدولة كل تكريم فوصله من صلاته أكثر من مائتي ألف درهم غير الخلع الخاصة[10]. وكانت صلة المتنبي هذه هي الأخيرة، اذ قتل وهو في طريق عودته الى بغداد سنة ٩٦٥/٣٥٤ وذكر ابن الجوزي ثلاث روايات لقتل المتنبي، منها ان الاعراب طمعوا بماله، وانه كان قد هجا ضبة الأسدي الذي كمن له وقتله، والثالثة وهي أضعفهن، بأن عضد الدولة اغتاظ منه لقوله: «بأن عطاءه متكلف وعطاء سيف الدولة طبعاً». فدس عليه من قتله[11].

أما السلامي، فقد كان أكثر تردداً على عضد الدولة في شيراز ورافقه عند توجهه الى بغداد،

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤١٧ ـ ٤١٨. ياقوت، أدباء، جـ ٧ ص ٢٤٠.
(٢) ياقوت، أدباء، جـ ٥ ص ٧٨ ـ ٧٩.
(٣) ابن خلقان، وفيات، جـ ٤ ص ٢١١.
(٤) ياقوت، أدباء، جـ ٥ ص ١٦٨.
(٥) المصدر نفسه، جـ ٣ ص ١٤٠ ـ ١٤٥.
(٦) المصدر نفسه، جـ ٦ ص ٢٦٩.
(٧) ياقوت، بلدان، جـ ٣ ص ٣٨٠ ـ ٣٨١.
(٨) ياقوت، بلدان، جـ ١ ص ٥٢٩.
(٩) ياقوت، أدباء، جـ ٥ ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧.
(١٠) الثعالبي، يتيمة، جـ ١ ص ١٢٠ ـ ١٢٣، ٢٢٢ ـ ٢٢٤. ابن خلقان، وفيات، جـ ١ ص ١٢٠ ـ ١٢٥.
(١١) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص ٢٤ ـ ٣٠.

وعندما نزل عضد الدولة « شعب بوان » طلب منه أن يتغنى بالشعب كما فعل المتنبي قبلاً. فدخل خيمته وخرج منها بقصيدة عن ذلك. وله أيضاً قصائد عديدة في مدح عضد الدولة، كما له قصائد في وصف بعض مشاهداته في فارس(١).

وكان عضد الدولة، قارئاً ومتعلماً من الدرجة الأولى، لذلك أبدى اهتماماً كبيراً في الاطلاع على كافة أنواع المعرفة، والحصول على المؤلفات والكتب من أي جهة كانت. وقد وجد له في تذكرة: اذا فرغنا من حل إقليدس كله تصدقت بعشرين ألف درهم، واذا فرغنا من كتاب أبي علي النحوي تصدقت بخمسين ألف درهم »(٢) وينقل عن لسان كاتبه عبد العزيز بن يوسف ان « كتاب الأغاني لم يكن يفارق عضد الدولة في سفره ولا حضره وانه كان جليسه الذي يأنس إليه وخدينه الذي يرتاح نحوه »(٣). لذلك لم يكن غريباً أن يضم قصره الكبير الذي بناه في شيراز مكتبة كبيرة تنافس تلك التي كانت للسامانيين في بخاري والتي وصفها ابن سينا. وقد وصف المقدسي مكتبة عضد الدولة، والتي كان يتردد عليها للاطلاع على بعض المخطوطات الموجودة فيها. وهي تتألف من غرفة كبيرة ودار طويل. ويتولى شؤونها وكيل وخازن ومشرف من عدول البلد. ولم يبق كتاب صنف الى وقته من أنواع العلوم كلها الى وحصله فيها. وقد وضعت الكتب في خزائن ثبتت على جميع الحيطان. ويبلغ طول الخزانة طول رجل وعرضها ثلاثة أذرع ولها أبواب تنحدر من فوق. ورتبت الكتب بحيث تحتوي كل خزانة نوع من أنواع المعرفة وأحياناً، كانت كتب أحد فروع العلم موجودة في أكثر من خزانة. وللكتب فهارس عدة، ولا يدخل المكتبة إلا الوجهاء(٤).

وكان خازن المكتبة، عادة، رجلاً من علية القوم، له معرفة جيدة في مختلف العلوم. فقد تولى هذا المنصب خازن مكتبة عضد الدولة بفارس أبو نصر الشيرازي(٥). وهو أستاذ صمصام الدولة بن عضد الدولة وكان أيضاً قاضي فارس، كما تولى هذه المهمة لمكتبة ابن العميد في الري ومن ثم لمعز الدولة في العراق، المؤرخ الفيلسوف مسكويه(٦). وقد حرص معظم أمراء فارس، على اقتناء مكتبة داخل قصورهم فكان لبهاء الدولة مكتبة كبيرة بشيراز، وكان خازنها ابن البواب صاحب

---

(١) الثعالبي، يتيمة، جـ ٢ ص ٤٠٨ - ٤٢٣.
(٢) نفس المصدر.
(٣) ياقوت، أدباء، جـ ٥ ص ١٥٠.
(٤) المقدسي، ص ٤٤٩. Azizi, domination, p.423-433.
(٥) المصدر نفسه، جـ ٥ ص ١٩٨.
(٦) القفطي، ص ٢١٧ - ٢١٨.

الخط الجيد، ولكبر حجم هذه المكتبة فقد استغرق ابن البواب وقتاً طويلاً في تفتيشها بحثاً عن جزء ناقص للقرآن بخط ابن مقلة[١].

وكما في بغداد، والري، فقد كان لكبار وزراء فارس دوراً مهماً في النشاط الثقافي خاصة ان معظمهم كانوا من طبقة الكتاب ومنهم الأدباء الشعراء ورجال الفكر (أنظر سابقاً) فرعوا رجال العلم والأدب وأقاموا بعض المنشآت الثقافية، كالمكتبات. وكان من أبرز وزراء فارس على هذا الصعيد، الوزير بهرام بن مافنه (توفي ٤٣٣/١٠٤١) وزير أبي كاليجار، فكان الأسود الغندجاني من ندماء هذا الوزير، وكان اذا ألف كتاباً جعله باسمه، ويقابله الوزير بالعطايا والنعم[٢]. الا ان العمل الهام الذي قام به هذا الوزير، هو بناؤه لدار كتب بفارس وقفها على طلاب العلم وجمع فيها ١٩ ألف مجلد[٣].

وكانت مجالس العلم والأدب في بلاطات الأمراء، حافلة بالنقاشات الجدية الهادفة، فكان البحث يدور في مجلس عضد الدولة حول الفرق بين النحو العربي والنحو اليوناني[٤]. كما استمرت حلقات التدريس تعقد في مساجد فارس كما يخبرنا المقدسي، فللداودية دروس ومجالس، ومن رسوم أهل المذاهب أن يجلس العلماء كل يوم بعد صلاة العصر للعوام الى المغرب، وكذلك بعد الغداة الى الضحى، وأيام الجمع يجتمعون في غير موضع[٥]. لكن فارس لم تبرز في علوم الدين كما يشير المقدسي في أكثر من مكان[٦] ففارس برأيه لم تخرج عالماً قط مذكور في الآفاق ويضيف: «وكم أخرجت خراسان مثل ابن المبارك وابن راهويه ونظائرهما في الفقه والحديث والى اليوم لا تخلو من أئمة أجلة وفارس خالية من هذا الضرب ولا ترى لهم تصنيفاً يعتمد عليه ولا رسماً في العلم يرجع إليه»[٧].

البويهيون والأيرنة

وفي نفس هذا الوقت الذي كانت فيه الآداب والعلوم العربية تشهد أوج ازدهارها، وتخرج الى الإنسانية أعظم انتاجها من مختلف أنواع المعرفة، شهد هذا القرن أيضاً البدايات الأولى لانبعاث

(١) ياقوت، أدباء، جـ ٥ ص ٤٤٥ ـ ٤٤٦.
(٢) المصدر نفسه، جـ ٣ ص ٢٣.
(٣) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص ٦٤.
(٤) متز، جـ ١ ص ٤٣٥.
(٥) المقدسي، ص ٤٣٩.
(٦) المصدر نفسه، ص ٤٣٣ ـ ٤٣٤، ٤٢٩.
(٧) المصدر نفسه، ص ٤٤٨ ـ ٤٤٩.

الثقافة الإيرانية الجديدة، وولادة الأدب الفارسي الحديث.

لكن فارس التي ظلت تشكل طوال مرحلة الحكم العربي، المركز الأساسي الحافظ للتراث الساساني بفضل رجال الدين الزرادشتي الذين كانت المقاطعة معقلهم الأساسي. كما ظلت معقلاً للغة الفارسية الوسطى «الفهلوية» الذي استمرت لغة رجال الدين الزرادشتي، والفارسية الحديثة، «فارسي» التي تطورت عن الأولى بفضل احتكاكها باللغة العربية، والتي باتت لغة السكان الأصليين؛ ومع هذا لم تقم فارس كما قد يفترض بدور المركز لنهضة الثقافة الفارسية، كما لم يقم البويهيون، الذين كان لهم دوراً مهماً في أن تأخذ حركة النهضة الثقافية العربية مداها الكامل، بدور أساسي في أحياء الثقافة الفارسية الجديدة. وهم المفترض فيهم أن يكونوا أشد حماساً للثانية من الأولى كونهم يشكلون احدى الشعوب الايرانية. لكن ذلك لم يحدث وقامت خراسان في ظل السامانيين بقيادة هذه الحركة. فلماذا انكفأت فارس عن لعب هذا الدور، والى أي مدى شارك البويهيون في هذه الحركة الثقافية الجديدة؟

لا شك ان التاريخ السياسي لكل من فارس وخراسان في ظل المملكة الإسلامية يوضح إحدى الأسباب. ذلك وكما رأينا سابقاً ففيما استكانت فارس للسيطرة العربية وخضعت لتأثيرات الحضارة العربية - الإسلامية، واتخذ رجال الدين الزرادشتي المتمركزين فيها موقفاً متصالحاً ومهادناً للفتح العربي وللدين الإسلامي، في هذه الفترة كانت مناطق جنوب بحر قزوين وخراسان تشهد سلسلة من الحركات القومية - الدينية والتي اتخذ بعضها وجهاً معادياً للعرب والإسلام (أنظر سابقاً) ورغم ان هذه الحركات قمعت وزالت منذ منتصف القرن الثالث/ التاسع، الا انها لا شك قد نمت الشعور القومي الايراني فبات أشد بروزاً في خراسان منه في فارس.

كذلك فإن بُعد خراسان عن عاصمة الخلافة الإسلامية، وتمتعها باستقلال اداري - سياسي مبكر، بدأ مع الطاهريين في خلافة المأمون وتطور مع الصفاريين ثم تحول الى استقلال شبه كامل أيام السامانيين اذ لم تعد تربطهم بالخلافة سوى علاقة اسمية. في حين ان فارس ظلت مرتبطة بالخلافة بصورة مباشرة وحتى السيطرة البويهية، مما جعلها مرتبطة بالتوجهات الأساسية للخلافة العباسية والتي من بينها التشدد في اعتماد اللغة العربية اللغة الرسمية للإدارات وللعلم والأدب وطبعاً لغة الدين. وحتى خلال العهد البويهي فإن فارس ورغم تمتعها بحالة من الاستقلالية داخل الدولة البويهية فكان لها وزير وجيش واستقلال إداري واقتصادي كامل الا انها في الوقت نفسه كانت جزءاً في الدولة البويهية ككل، وبشكل خاص، بعد مرحلة عضد الدولة باتت في علاقة متشابكة مع العراق بحكم كون سلالة عضد الدولة هي التي تولت حكم فارس والعراق، وفي فترات كثيرة توحدت المقاطعات تحت امرة أمير واحد، وبالتالي فكان لا بد أن تتبع فارس ثقافياً، المركز

الأساسي للثقافة العربية في ذلك الوقت الا وهي بغداد.

لكن اذا كانت هذه الأسباب قد جعلت من خراسان أكثر تأهيلاً من فارس للقيام بدور المركز الأول لاحياء الثقافة الفارسية، فلماذا، لم يبد البويهيون اهتماماً كبيراً باحياء هذه الثقافة كما فعل السامانيون؟

كان البويهيون ينتمون الى الديلم وهم احدى الجماعات التي استوطنت الهضبة الايرانية وحافظت على شخصيتها المميزة ولغتها المميزة أيضاً، وساهم موقعهم الجغرافي وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية على بقائهم في حالة من «البربرية» بعيدين كل البعد عن الحضارة الإيرانية السائدة. ومع الفتح العربي، فإن الديلم لم يستسلموا بسهولة للفاتحين الجدد، كما انهم لم يدخلوا في الإسلام الا في وقت متأخر، في القرن الثالث الهجري (أنظر سابقاً). ورغم ذلك، فإنهم أيضاً لم ينخرطوا بالحياة الإسلامية ـ العربية ولم يتأثروا بثقافتها الا فيما بعد.

إذاً لم يكن للبويهيين أي ارتباط حقيقي بالثقافة والحضارة الفارسية الساسانية وعندما وجدوا أنفسهم في قلب الخلافة العباسية حيث عاصمة الثقافة والفكر في العالم كانت هناك، كان لا بد أن يخضعوا لتلك الثقافة واللغة التي تعبر عنها، وبالتالي أن يتبنوا ذلك ودون أي حرج وهم الذين لا يملكون ثقافة خاصة بهم تحول دون ذلك، بل انهم شاركوا بفعالية كبيرة في الحياة الثقافية العربية بافتخار واعجاب ظاهرين. لكن من جهة أخرى، فإننا نعتقد انه حتى لو أراد البويهيون احياء الثقافة الفارسية الحديثة ودعمها فإنه ما كان باستطاعتهم أن يفعلوا كما حصل بخراسان، الا بحدود ضيقة جداً، لانهم ـ وبحكم موقعهم ـ كانوا مضطرين الى مراعاة الخلافة، ورجال الدين الذين كانوا يعتبرون اللغة العربية شبه «مقدسة» باعتبارها لغة القرآن. كما كانت كل مؤسسات الدولة التي يحكمونها عربية اللغة من زمن طويل، وكان العلماء والأدباء بجميع اختصاصهم يكتبون بالعربية رغم ان قسماً كبيراً منهم كانوا من الفرس.

صحيح ان البويهيين قد أوجدوا لأنفسهم نسباً ساسانياً (غير صحيح تاريخياً) وحملوا ألقاباً ايرانية كشاهنشاه الا انها لا تكفي للتأكيد على ميولهم الايرانية التي ان وجدت في المرحلة الثانية من الحكم البويهي إلا أنها لم تكن ميول قوية وحاسمة. كذلك فقد أوجد لهم جماعتهم نسباً عربياً. وذكر ان عضد الدولة رغب شخصياً في ذلك (أنظر سابقاً) كما ان احتضانهم للثقافة العربية، ومشاركتهم المباشرة في أعمالها ذو دلالة أهم من حمل لقب أو اسم ساساني. أما السامانيون[1]، وهم

---

(١) EI, art Samanide, p.126-128.

أسرة ايرانية نبيلة، ترجع نسبتهم الى أحد أجدادهم سامان خداة مؤسس مدينة سامان بالقرب من بلخ، فقد أوجدوا لأنفسهم أيضاً نسباً ساسانياً، كما كانت الفارسية لغة بلاطهم الرسمية أيام حكم معظم أمرائهم[1].

واذا كانت حركة احياء الثقافة الفارسية قد بدأت بالظهور منذ أيام الطاهريين والصفاريين حيث الفت بعض القصائد الغنائية باللغة الفارسية، لكنها لم تعرف انبعاثتها الحقيقية الا في القرن الرابع / العاشر ومع السامانيين، حيث ظهرت أولى المؤلفات الأدبية الكبرى باللغة الفارسية.

والواقع ان هذه الحركة، انحصرت خلال هذه الفترة في مجالات الأدب، فيما ظلت العربية لغة العلم والدين. وكانت مجالس الأمراء السامانيين تضم كبار رجال الأدب الذين تصدروا حركة بعث الأدب الفارسي الحديث. ففي ظل الأمير نصر الثاني (٣٠١ - ٣٣١/٩١٣ - ٩٢٤) عاش الرودكي أول شاعر بالفارسية الحديثة. وفي ظل المنصور الساماني (٣٥٠ - ٣٦٦ / ٩٦١ - ٩٧٦)، قام وزيره البلعمي بترجمة تاريخ الطبري الى الفارسية، وكان هذا بداية النثر الفارسي. وفي بخاري كتب ابن سينا مؤلفاته الكبرى باللغة العربية، ولكنه كتب مختصراً لفلسفته بالفارسية.

ويعتبر الأمير الساماني نوح الثاني (٣٦٦ - ٣٨٧/٩٧٦ - ٩٩٧) باعث الشعر الغنائي الملحمي الفارسي[2]. فالحوليات الساسانية القديمة المكتوبة بالفهلوية والتي تضم أخبار أسطورية، ولكنها مهمة لما حوته من معلومات، كانت قد ترجمت الى الفارسية الحديثة. فقام نوح الثاني، واستعاد هذه الترجمة وطلب من الشاعر دقيقي تحويلها الى شعر. لكن دقيقي اغتيل بعد قليل من بدء العمل.

استند الفردوسي في كتابه الشاه نامه « كتاب الملوك » إلى العمل الذي بدأه دقيقي. « وقد أتم الفردوسي أول صياغة للشاه نامة حوالي سنة ٣٨٤/٩٩٤. لكن بعض التعديلات والاضافات مدت العمل بها حتى سنة ٤٠١/١٠١٠. وبلغ حجم الشاه نامه ٥٠ ألف ثنائية (بيت شعر مزدوج) مما يعادل ثمانية أضعاف حجم الالياذة. بيد ان هذا العصر لم يلبث ان اضطرب إذ انهارت الامارة الساسانية. عندئذٍ استدار الفردوسي نحو « الزعيم» الجديد للحضارة الايرانية، محمود الغزنوي. وقدم له المائة ألف بيت (الشاه نامه)، لكن محمود سئم من الاستماع اليها حتى النهاية. وعندما كوفيء الفردوسي بشكل غير كاف، وجُرح، وضع في رأس مؤلفه قصيدة هجائية بدلاً من كلمة الاهداء التمجيدية المعدة وهرب. ثم مات منسياً في طوس بين ٤١١ و٤١٦/١٠٢٠ و١٠٢٥. هذه

---

(١) Azizi, domination, p.367.

(٢) Lombard, Islam, p.61-65.

الحكاية الأدبية الصغيرة ذات مغزى: ايرنة السادة الجدد الأتراك كانت سطحية. مع ذلك، فبفضل الغزنويين ستتغلغل التأثيرات الفارسية في الهند الشمالية »[١].

مقابل هذا الدور الكبير الذي لعبه السامانيون والغزنويون[٢] في بعث الأدب الفارسي الحديث، وتشجيع حركة الايرنة الناشئة، فأن مساهمة معاصريهم البويهيين في هذا المجال، كانت محدودة جداً وظرفية. كما كانت علاقاتهم برجال حركة الايرنة عابرة وهامشية.

ويبدو ان حمزة الاصفهاني كان من أوائل الأدباء ذو النزعة الفارسية الذين حاولوا الاتصال بالأمراء البويهيين، وربما بهدف استمالتهم ودفعهم الى تبني دعوته القائمة على تفضيل اللغة الفارسية على اللغة العربية. « ويصفه القفطي بانه وطني فارسي مشبع بالأفكار المعادية للعرب. ويمكن أن يكون هذا صحيحاً. اذ نجده على درجة كبيرة من الاهتمام بالمسائل الفارسية، ولكنه يظهر ادراكه التام لأهمية الدور الثقافي للعرب »[٣].

ويظهر ان محاولة الاصفهاني لبناء علاقة وطيدة مع عضد الدولة لم تثمر رغم انه أهداه كتابه « الموازنة » بين العربي والعجمي. ونحن لا نعرف الكثير عن هذه العلاقة، لكن الواضح ان عضد الدولة الذي كان مبهوراً وغارقاً باللغة العربية وبنتاجها الأدبي والعلمي لم يعط أذناً صاغية لدعوات الاصفهاني.

وفيما كانت بلاطات الأمراء البويهيين تعج بأدباء وعلماء العصر، ويتوافد عليها كبار شعراء العرب. كان شعراء الفارسية أقلية تكاد لا تذكر مثل[٤] أستاذ منطقي مولى اسماعيل بن عباد، وبندر الذي كان يكتب باللهجة العامية، والغدائري المتوفي سنة ٤٢٦ / ١٠٣٤.

أما علاقة البويهيين ببعض رموز حركة الايرنة كالفردوسي والى حد ما ابن سينا، فيجب ان لا تعطي حجماً أكبر مما هي عليه، اذ كانت علاقة عابرة فرضتها الظروف التي مر بها الرجلان. فالفردوسي، اتصل ببهاء الدولة البويهي، عندما لم يجد الدعم والتشجيع الكافي من الغزنويين. وقد قام الفردوسي باهداء قصيدته « يوسف وزليخة » لبهاء الدولة[٥]، لكن علاقة الرجلين لم تتجاوز هذا الحد.

---

(١) Lombard, Islam, p.61-65. Bosworth, Mahmud of glsazna, p.89.

(٢) انظر حول دور الغزنويين في بعث الأدب الفارسي:

Bosworth, Mahmud of ghazna, p.85-92.

(٣) EI², art Hamza Al-Isfahani. T. III. p.159-160.

(٤) Minorsky, domination, p.19-20.

(٥) Ibid, p.19.

أما ابن سينا، وكما أشرنا سابقاً، فقد رحب بـه بويهيو الجبال بصفته طبيباً مشهوراً بالدرجة الأولى.

والواقع، انه لم يكن للبويهيين أي دور أساسي في حركة الايرنة التي عرفت بداياتها في تلك المرحلة للأسباب التي ذكرناها. أما فارس، فرغم انها لم تكن مقر انطلاق الحركة الأدبية الفارسية الجديدة، الا انها كانت ولا شك، بفضل الدور الذي لعبته في حفظ التراث الفارسي، المنبع الذي استمدت منه الحركة الأدبية الفارسية الناشئة مصادرها ومكوناتها.

الفصل العاشر:

الأوضاع الاقتصادية

الأوضاع الاقتصادية

كانت مقاطعة فارس عشية السيطرة البويهية، احدى أهم مقاطعات المملكة الاسلامية من الناحية الاقتصادية، تدلنا على ذلك لوائح الخراج التي كانت تعكس الى حد كبير مبلغ ارتفاع المقاطعات ومدى غناها الاقتصادي. فعند قدامه بلغ ارتفاع خراج فارس ٢٤ مليون درهم ولم يزد عليها سوى السواد وخراسان ومصر والاسكندرية مجتمعتان، في حين جاء بعدهما من حيث مبلغ الخراج، ٣٩ مقاطعة حسب جدول قدامه[1]، من بينهم مثلاً، الاهواز، وكرمان، واذربيجان وجرجان وطبرستان وسجستان واصفهان الخ... وهذا الموقع لفارس من حيث قيمة ما يرتفع منها بالنسبة لبقية المناطق نجده في لائحة الجهشياري[2] كذلك عند ابن خرداذبة[3] رغم اختلاف الارقام.

ولقد شكلت طبيعة فارس الجغرافية عنصراً مهماً في انتعاش الحياة الاقتصادية. فكان موقعها على الخليج الفارسي، أحد أسباب ازدهارها التجاري. كما كان تنوع مناخها ووفرة مياهها. واستقرار أوضاع السكان، عناصر مهمة لازدهار الزراعة وتعدد منتوجاتها. كما عرفت المقاطعة نشاطاً صناعياً خاصة النسيج. وبالتالي فقد أدى انتعاش الحياة الاقتصادية في المقاطعة، إلى استقرار أمني تميزت به فارس عن سائر المقاطعات كما رأينا سابقاً.

ولقد احتفظت فارس بأهميتها الاقتصادية، أيام البويهيين، حتى باتت محور صراع الامراء، فيما بينهم طمعاً بمداخيلها وحالة الاستقرار التي تتمتع بها وقد عبر عن ذلك عضد الدولة بقوله:

---

(١) قدامه، ص ٢٤٩ ـ ٢٥١.

(٢) الجهشياري، ص ٢٨١ ـ ٢٨٨.

(٣) ابن خرداذبه، ص ٢٢، ٣٤، ٤٨.

« غرضي من العراق الاسم ومن ارجان الدخل »[1]. ويصف المقدسي فارس قائلاً : « هذا اقليم ترابه معادن وجباله مشاجر... كثير الخيرات ومعدن التجارات »[2].

أ ـ الزراعة

شكلت الزراعة بفارس أحدى الركائز الاساسية لاقتصاديات الاقليم، الذي كان اقليماً زراعياً من الدرجة الاولى. وكانت الاراضي الزراعية متوفرة بشكل كبير في مختلف مناطقه الجبلية والساحلية. وقد انتشرت هذه الاراضي حول المدن الكبيرة والصغيرة وفي الارياف حول القرى المنتشرة في سهول وجبال المقاطعة. وشملت كافة كور فارس الخمسة.

وقد قسم الجغرافيون فارس الى منطقتين مناخيتين[3]، وكانت السهول تغطي المناطق الجنوبية (الحارة) فيما كانت الجبال تقع في المناطق الشمالية (الباردة). ومن بين المناطق الجنوبية هناك ارجان، النوبندجان، مهروبان، سينيز، جنّابة، توّج، دشت الرستقان، جرّة، داذين، مور، كارزين، دشت بارين، جينزير، دشت البوشقان، زم اللوالجان، كير، كيرين، ايزر، سميران، خايجان، كران، سيراف، نجيرم، حصن ابن عمارة[4].

أما في المناطق الشمالية (الباردة) فكان هناك: اصطخر، البيضاء، مايين، ابرج، كام فيروز، كرد، خلاّر، سروستان، الاسبنجان، الارد، الرون، صرام، بازرنج، السردن، الخرمه، الخيرة، النيريز، الماشكانات، الايج، الاصطبهانات، برم رهان، بوّان، طرخيشان، الجوبر، قان، اقليد، السرمق، ابرقويه، يزد، جارين، ونايين، بالاضافة الى الاراضي المحيطة بها[5].

ويقع ما بين المنطقتين، منطقة معتدلة المناخ تضم دار بجرد وشيراز والنوبندجان وفسا وجور وسابور وكازرون[6].

تبعاً لذلك، كانت منتوجات الاراضي الزراعية بفارس متنوعة بتنوع المناخ. فكان هناك مزروعات المناطق الحارة، والمناطق الباردة، كما اجتمعت في المنطقة المعتدلة بعض المنتوجات التابعة للمنطقتين الحارة والباردة. الا أنه في بعض المناطق الباردة، كانت شدة البرد تحول دون ان ينبت

---

(١) المقدسي، ص ٤٢١.
(٢) المصدر نفسه، ص ٤٢٠ ـ ٤٢١.
(٣) الاصطخري، ص ٨٢. ابن حوقل، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣. المقدسي، ص ٤٤٨. أبو الفدا، ص ٣٢١.
(٤) ابن حوقل، ص ٢٥٢.
(٥) ابن حوقل، ص ٢٥٢.
(٦) المصدر نفسه.

أي شيء من الفواكه والبقول[1].

ومن الصعب فعلا اجراء مسح كامل للاراضي الزراعية بفارس وتحديد مساحتها، لعدم توفر معلومات شاملة ودقيقة عن ذلك، لكن ما نملكه من معلومات يؤكد على أن مساحة الاراضي الزراعية في هذا الاقليم كانت كبيرة جداً.

ومن اهم الاراضي الزراعية بفارس[2]: مغزار ارد: وهي في غاية الخصوبة وفيها ينابيع مياه عذبة وقرى كثيفة السكان ومساحة هذه الاراضي ١٠ فراسخ طولا وخمسة عرضاً. مغزار كام فيروز وتمتد على ضفاف نهر كور. أراضي الرون ومساحتها ٧×٥ فرسخ وفيها ينابيع مياه كثيرة وعدد من القرى.. أراضي سيكام وتقع بين شيراز وكوار مساحتها ٥×٣ فرسخ وفيها كميات ضخمة من المياه. حقول دشت ارزن وتقع بالقرب من بحيرة ارزن ومساحتها ١٠×١٠ فرسخ. أراضي كالي وتقع على ضفة نهر برواب مساحتها ١×٣ فرسخ. حقل كلار وطوله ٤ فراسخ. حقل داربجرد مساحته ٣ × ١ فرسخ. أراضي بيد ومشكان مساحتها ٧ × ٣ فرسخ. مرج بشمن ويقع شمال شيراز مساحته ١×١ فرسخ. مرج شيدان وفيه ينابيع متعددة ومساحته ١٠×١٠ فرسخ. كذلك يوجد العديد من الحقول الزراعية الاصغر مساحة والمنتشرة في كل مناطق فارس.

ب ـ نظام الاراضي

كان نظام الارض في فارس على شاكلة النظام السائد في العراق نتيجة ارتباط المقاطعتين ببعضها قبل وخلال الحكم البويهي. لذلك يمكننا تصنيف اراضي فارس بصورة عامة الى أربعة اصناف رئيسية[3]:

١ ـ ضياع الامير البويهي.
٢ ـ الإقطاعات.
٣ ـ أراضي الوقف.
٤ ـ أراضي الملك.

كان الامير البويهي في فارس يملك أراضي واسعة، تعود في أصولها الى ضياع الولاة العباسيين

(١) المصدر نفسه. المقدسي، ص ٤٣٩. الاصطخري، ص ٨٢
(٢) ابن البلخي، ص ٨٧١، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥
(٣) انظر، الدوري، تاريخ، ص ٣٧.

الذين حكموا فارس قبل السيطرة البويهية ثم أضاف اليها البويهيون ضياعاً جديدة، أما عن طريق الشراء أو بمصادرة ضياع موظفيهم كالوزراء والعمال حين عزلهم أو وفاتهم (انظر سابقاً). وأيضاً عن طريق مصادرة جزء من أملاك الموتى[1]. لكن معظم اراضي فارس الزراعية كانت مقطعة وقد ادخل البويهيون تعديلات هامة على نظام الاقطاع الذي كان سائداً قبلهم. فلم يعد الخليفة هو الذي يمنح الاقطاعات بل الامير البويهي مانح الاقطاع الاول، كذلك فقد بات على أصحاب الاقطاعات في معظم الاحيان واجبات عسكرية بدل الضرائب واصلاح القنوات والجسور، التي تقع في أراضيهم[2].

وكانت الاقطاعات تصنف نظرياً الى صنفين وذلك بالنسبة لما يصحبها من حقوق: ـ اقطاع التمليك وبموجبه تكون لصاحبه ملكية تامة وقد تكون وراثية أيضاً، وعلى صاحب هذا الاقطاع دفع العشر. ويعطى اقطاع التمليك عادة من الارض الموات لاحيائها أو من ارض توفي صاحبها دون وارث[3].

ـ واقطاع الاستغلال وقد يبدو أنه تطور لإعطاء الارض بالايجار أو بالضمان أو بالمزارعة وكان يعطى عادة من الصوافي مقابل نسبة من الحاصل او دفع مبلغ نقدي محدود. ولكن مع البويهيين بات اقطاع الاستغلال يختلف عن ذلك فهو ناشىء عن تسلط الجند وكان يعطى لرجال الجيش من أرض الخراج، ويفترض فيه أن يفيد المقطع من الوارد فهو بالاساس اقطاع لوارد الارض، في أراض لها زراعها وملاكوها، ويدفع شيئاً منه للدولة، ولكن الجند لم يدفعوا في الغالب شيئاً، وهذا الاقطاع لا يورث مطلقاً[4]، الا أنه ادى الى تكوين بعض الحقوق في الاراضي والى أن يصبح الزراع والفلاحون تحت رحمة المقطعين العسكريين والى شلل الإدارة[5].

عملياً، قام البويهيون بتوزيع الاقطاعات دون أية الزامات مالية، وسرعان ما انتشرت هذه العادة لاحقاً في كل آسيا الاسلامية[6]. وقد بات نوع الاقطاع، يعتمد في الواقع على مركز صاحبه لاعلى ما يصحبه من حقوق نظرية، لذلك يميز الدوري اربعة أنواع باتت هي السائدة في القرن

---

(١) الصابي، تاريخ، ص ٣٤٧.

(٢) الدوري، تاريخ، ص ٤٠.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) الدوري، مقدمه، ص. ٨٨. Cahen, les peuples, art, ikta , p. 231 - 49.

EI², art, ikta . t. III. p. 1115 - 1116.

(٦) EI², art ikta . t. III. p. 1115.

الرابع الهجري، وهي اقطاعات مدنية، اقطاعات خاصة، اقطاعات الخليفة، اقطاعات عسكرية[1]. وتنطبق هذه الانواع على فارس أيضاً، ما عدا النوع الثالث اقطاع الخليفة الذي تقلص حجمه كثيراً وبات تحت حماية وهيمنة الامراء البويهيين. وكانت الاقطاعات المدنية هي التي تمنح للموظفين بدل الرواتب، فكان الوزير عند تسلمه مهامه يعطي اقطاعات، فاذا ما عزل اخذت منه وسلمت الى خلفه في الوزارة، وكان يبلغ وارد هذه الاقطاعات خمسين ألف دينار، كما كانت تعطى مثل هذه الاقطاعات الى كبار الموظفين. فكان لحاشية الامير البويهي بفارس اقطاعات واسعة أثارت أحياناً طمع الجند[2]. خاصة وأن هذه الاقطاعات لا تفرض أية مسؤولية على صاحبها. أما الاقطاعات الخاصة، فكانت تمنح الى أفراد لهم خدمات خاصة أو قابليات خاصة دون أن يكونوا موظفين كرجال العلم والادب والمفتين. فقد اقطع عضد الدولة، الصاحب بن عباد ضياعاً جليلة بفارس[3]، ولم يكن الصاحب وزيراً عند عضد الدولة بل عند أخيه مؤيد الدولة، انما فعل ذلك تقديراً للصاحب وتأنيساً له. أما اقطاعات الامراء، فقد كان سائداً أن يقطع أولاد الامير وأحياناً أولاد اخوته اقطاعات يتراوح ارتفاعها ما بين خمسين الف دينار وعشرين ألفاً[4]. فقد اقطع عضد الدولة سنة ٣٥٧ / ٩٦٧ ابن عمه، حبشي بن معز الدولة، اقطاعاً كبيراً بفارس، أثر تمرده على أخيه بختيار[5]، كذلك فهناك شكل آخر من اقطاع الامراء بأن يتبادلوا الاقطاع فيما بينهم، كما حصل سنة ٣٨٠/٩٩٠، عندما اتفق صمصام الدولة امير فارس وبهاء الدولة امير العراق بأن يكون لكل منهما اقطاعات في اراضي الآخر[6].

ومع البويهيين عرف الاقطاع نوعاً جديداً، هو الذي عُرف باسم الاقطاع العسكري. فتم توزيع الاراضي على الجند بدلاً من الرواتب وقد سبق وتحدثنا عن الاقطاع العسكري سابقاً وعن ما ترتب على هذا النظام الجديد من تدهور للزراعة وتقليص مداخيل الخزينة وسنكتفي بالتأكيد على اتساع رقعة الاراضي المقطعة للجند بفارس شأنها في ذلك شأن باقي مقاطعات الدولة البويهية. فعماد الدولة مؤسس الدولة البويهية وأمير فارس، اقطع جنده الكثير من الاراضي وتوسع في ذلك كثيراً[7]. وفي أيام صمصام الدولة زادت اقطاعات الجند بفارس واستولوا على اقطاعات الحاشية،

---

(١) الدوري، تاريخ، ص ٤١.

(٢) ذيل، ص. ١٦٠، ٣١١.

(٣) المصدر نفسه، ص. ١١.

(٤) ياقوت، أدباء، جـ ٢ ص. ٣٠٨ - ٣٠٩.

(٥) مسكويه، جـ ٢ ص. ٢٤٦. ابن الأثير، جـ ٧ ص. ٢٦.

(٦) ذيل، ص. ١٨٤.

(٧) مسكويه، جـ ٢ ص. ٢٨٠.

الامر الذي اجبر صمصام الدولة على استرجاع بعض الاقطاعات من جنده[1]. وعندما استولى بهاء الدولة على فارس اجتمع ديلمها بشيراز وبحثوا في أمر الاقطاعات فأعيد توزيعها على أسس جديدة[2]. وعلى كل حال، فان الاقطاع العسكري، لم يعد محصوراً بالجند المحترفين، بل تطور فيما بعد، خاصة بعد مرحلة البويهيين، فباتت الاراضي توزع على الفلاحين مقابل خدمات عسكرية وهو شكل آخر من أشكال الاقطاع العسكري، ويذكر ابن البلخي ان بعض قرى فارس كانت ارضها معطاة للقرويين مقابل خدمات عسكرية[3].

والنوع الثالث من أراضي فارس، فهي اراضي الملك، منها الاراضي التي كانت ملكاً للفلاحين، ويدفعون عنها الضرائب المقررة كما هي حال الكثير من أراضي الارياف، ويذكر ابن البلخي بعضاً منها كقسم من اراضي قرى رون وأرد[4]. وقد اقتنى الموظفون وغيرهم من كانت حالتهم المالية حسنة، الضياع لأنها كانت تعتبر ملكية مستقرة وموردها نسبياً أكيد. وكان كبار الموظفين بالإضافة طبعاً الى الامير البويهي هم أهم الملاكين. وكان أحد أسباب ذلك يعود الى عادة الالجاء التي كان صغار الملاكين يسيرون عليها، بأن يضعوا أراضيهم في كثير من الأحيان في حماية احد الامراء أو الموظفين الكبار، وبتسجيل تلك الاراضي بأسمائهم في الديوان، وذلك مقابل دفع جزء من الحاصل الى الحامي[5]، وذلك للتخلص من عبث الجباة، وسوء معاملتهم، وحماية للارض من أي مغتصب، كما أن نفوذ الحامي قد يجعل الجباة والعمال يتغاضون عن جباية جزء من الضرائب المستحقة، وبمرور الزمن، كان الحامي يصبح المالك الحقيقي للارض، فيما يتبدل وضع المالك الاصلي الى حالة مزارع في الأرض[6].

وكانت بعض أراضي فارس ملجئة، ومسجلة باسماء بعض رجال الحاشية المتنفذين بالعراق، مقابل ربع الحاصل، الا أن اصحابها الاصليين كانوا يستطيعون التصرف باراضيهم كما يشاؤون[7]. وهناك صنف آخر من الملكية يسمى « الايغار » لكن يبدو انه لم يعد موجوداً أيام البويهيين[8].

---

(١) ذيل. ص. ٢٤٧، ٣١١ - ٣١٣.

(٢) المصدر نفسه، ص. ٣٢٧.

(٣) ابن البلخي، ص ٨٧٤.

(٤) المصدر نفسه، ص. ٨٧٣ - ٨٧٤.

(٥) انظر الدوري، تاريخ، ص. ٤٦ - ٤٧.

(٦) انظر الدوري، تاريخ. ص. ٤٨. Cahen, les peuples, art Iktā , p. 235 - 240.

(٧) ابن حوقل، ص. ٢٦٥.

(٨) انظر الدوري، تاريخ، ص ٤٨ - ٤٩ Cahen, les peuples, art Iktā , p. 235 - 240.

أما اراضي الوقف، والموجودة في كل مقاطعات المملكة الاسلامية، فكان بفارس بعض منها. الا اننا لا نعرف مدى حجمها واتساعها في هذا الاقليم وكل ما نعرفه أن عضد الدولة عندما بنى المارستان بشيراز خصص له وقفاً مهماً. لكن من بين أنواع الأراضي هذه، فإن نظام الاقطاع العسكري هو الذي هيمن وشمل القسم الاكبر من الأرضي الزراعية.

جـ ـ سياسة البويهيين الزراعية بفارس

لم تكن للبويهيين سياسة زراعية محددة او ثابتة، بل ارتبط الامر بشخصية الامير ووزيره وسياستهم العامة، ومدى ادراكهم لاهمية انماء الزراعة في زيادة مداخيل البلاد، وقدرتهم على توفير متطلبات ذلك الانماء. لذلك تفاوت الاهتمام بالزراعة من مرحلة الى اخرى ومن أمير الى آخر. كما لعبت الاحوال الاجتماعية، واستقرار اوضاع البلاد الامنية، دوراً مهماً في هذا المضمار.

ومنذ البداية، اختلفت الاوضاع الزراعية بفارس عما هي عليه في العراق. فعند استيلاء البويهيين على العراق، كانت الاحوال الزراعية في حالة من التدهور الشديد، نتيجة الصراعات الحادة بين الامراء في فترة امارة الامراء ٣٢٤ ـ ٩٣٥/٣٣٤ ـ ٩٤٥، وكان من نتيجتها ان انبثقت الانهر وخربت القنوات وهدمت الجسور ودمرت المزروعات وأضيفت اليها نتيجة حالة الفلتان الامني السائدة، هجمات البدو وقطاع الطرق على المزارع ونهبهم للمزروعات، وزيدت الضرائب واشتد ظلم المزارعين، في حين حافظت الحياة الزراعية بفارس على استقرارها ونشاطها، وتابعت ذلك اثر السيطرة البويهية عليها.

والعنصر الثاني الذي ساعد على نمو الزراعة بفارس خلال النصف الاول من العهد البويهي بخلاف ما كانت عليه الحال بالعراق، هو أنها قد حكمت من قبل أعظم أمراء بني بويه، عماد الدولة وعضد الدولة وشرف الدولة، حيث عرفت خلال حكمهم استقراراً سياسياً وظلت بعيدة بنسبة كبيرة عن الصراعات الداخلية وحالة الفوضى والفتن، كما نجح هؤلاء الثلاثة في ضبط جندهم، رغم أن عماد الدولة قد اكثر من توزيع الاقطاعات على جيشه لضمان ولائه. الا أن فارس لم تعرف في هذه المرحلة، حالة التسيب والفوضى الكبيرة في توزيع الاقطاعات التي شهدها العراق حيث تم توزيع اكثرية الاراضي وصار اكثر السواد مقطعاً واخذ الجند بتخريب اقطاعاتهم ثم الاستعاضة عنها بأخرى... الخ. مما أدى الى أن فسدت المشارب (نظام الري) وخربت المصالح (انشاءات الري) وحلت النكبات على التناء (المزارعين) وضعفت احوالهم فنزح بعضهم عن أرضه، وصبر البعض على الظلم النازل به، وقرر آخرون تسليم ضياعهم الى المقطع ليأمنوا شره،

وبطلت العمارات واغلقت الدواوين[1]، وامتنع الناس عن دفع الخراج احتجاجاً بأنهم لا يصلون الى غلاتهم[2].

سياسة عضد الدولة الزراعية بفارس

ليس لدينا معلومات عن أحوال الزراعة بفارس خلال عهد عماد الدولة ورغم أنه أكثر من توزيع الاقطاعات على جنده الا أنه بالمقابل كان متمكناً منهم ضابطاً لهم، فلم تحدث حالة الفلتان التي عرفها العراق، وبالتالي فليس هناك ما يدل على تدهور احوال الزراعة والمزارعين في عهده.

والواقع، فانه لا يمكننا الحديث عن سياسة زراعية، واضحة المعالم والاسس عند البويهيين الا خلال فترة حكم عضد الدولة والتي استمرت ٣٢ سنة لفارس (٣٣٨ - ٩٤٩/٣٧٢ - ٩٨٢) وحوالي خمس سنوات للعراق أيضاً (٣٦٧ - ٩٧٧/٣٧٢ - ٩٨٢). ولا شك أن عضد الدولة قد أدرك العلاقة القوية بين حالة الزرع وبين الوارد، وكان ارتفاع الواردات بالنسبة لأي أمير شرطاً أساسياً لاستمرار حكمه، وتدعيم سلطته، وقد شكلت فارس بالنسبة لعضد الدولة القاعدة المادية التي انطلق منها لتوسيع رقعة حكمه.

ولقد أبدى عضد الدولة عناية فائقة بنظام الري. وكان أهم انجازاته في هذا المجال ذاك السد الكبير الذي بناه على نهر كور والذي عُرف باسمه، وقد سبق وتحدثنا عنه مطولاً في الفصل السابق، وكانت الارض المجاورة للسد موات، فتم احياؤها بعد أن مدت اليها قنوات الماء. كما تم سقي أراضي ثلاثمائة قرية أخرى. وبات مردود هذه المنطقة كبيراً جداً[3].

كذلك، ومن أجل تأمين الماء لقلعة اصطخر وأراضيها بنى عضد الدولة خزاناً كبيراً للمياه، كما بنى لاحقاً عدداً آخر من الاحواض والخزانات، وكل ذلك ساهم في ري أراضي تلك المناطق. وتتبدى سياسة عضد الدولة بنظام الري أيضاً، من خلال ما قام به في المناطق الاخرى خارج فارس، فعندما دخل بغداد، كان الخراب يعمها، فسد بثوق الانهر، وأعاد حفر قنوات الماء وتنظيف مجاريها بعد أن سدت، وكانت هذه القنوات تروي بغداد، والمناطق المحيطة بها، كما أعاد القنوات التي أصابها الخراب في السواد، واعاد بناء كثير من السدود ومن القناطر التي على

---

(١) مسكويه، جـ ٢ ص. ٩٦ - ٩٩. الدوري، تاريخ، ص. ٥٥.
(٢) المصدر نفسه، ص. ١٧٥.
(٣) المقدسي، ص. ٤٤٤.

أفواه الانهر، وطالب الرعية بالعمارة واكد عليهم العناية بمنشآت الري بصورة خاصة، ووضع الحراس لحراسة تلك المنشآت ليل، نهار[1]. كما حفر قناة عظيمة طولها أربعة فراسخ في خوزستان[2].

واهتم عضد الدولة بأحوال المزارعين، فقام بتوجيه العمال وتوصيتهم برعاية المزارعين، وأنصافهم. كما وقف الى جانب المزارعين بوجه تعديات الجند حتى ولو كانوا من كبار قواده[3].

وكانت مسألة جباية الخراج، وموعده، من أهم المعضلات التي تواجه الفلاحين. ففي عهده وضع طريقة منتظمة للجباية، فأخر موعد جباية الخراج إلى النيروز المعتضدي[4]، وكان يؤخذ سلفاً قبل ادراك الغلات مما كان يضرّ بالمزارعين كثيراً[5]. كما بلغ من عناية عضد الدولة بالزراعة، انه نقل قوماً من البادية واسكنهم بين فارس وكرمان فزرعوا وعمروا البرية، كما كان ينقل الى بلاده ما لا يوجد فيها من مزروعات[6].

وفوق كل ذلك، نجح عضد الدولة فيما فشل فيه غيره من الامراء البويهيين، وأدى الى تخريب الحياة الزراعية، أي ضبط جنده ومنع تعدياتهم على المزارعين وتخريب الاراضي الزراعية، وضبط العلاقة بين المقطعين العسكريين وبين الفلاحين. لكن الامور لم تستمر طويلا بفارس على هذه الحال، وأخذت بالتدهور تدريجياً خاصة بعد مرحلة حكم شرف الدولة، اذ ازدادت الصراعات بين الامراء البويهيين على فارس وفوق أراضيها وازداد تحكم الجند ومطالبتهم بالاقطاع وتوسعوا بذلك، وانعكس ذلك على أحوال الزرع، وعلى مجمل الحياة الاقتصادية، حتى اننا نجد موجة من الغلاء تعم ارجان سنة ٣٨٠/٩٩٠، وضاقت المير والعلوفه، وهو الامر الذي لم يحدث قبل ذلك بفارس وبالتالي اخذت احوال الزراعة بفارس تسير الى نفس الدرك التي وصلت اليه بالعراق.

د ـ الحاصلات الزراعية

كان لتنوع المناخ بفارس، ووفرة مياهها، واتساع المساحات المزروعة فيها، ان عرفت بغنى

---

(١) مسكويه، جـ ٢ ص. ٤٠٦ ـ ٤٠٨. ذيل، ص. ٦٩. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص. ١١٣ـ١١٨.
(٢) المقدسي، ص. ٤١٩.
(٣) ذيل، ص. ٤٧ ـ ٥٠.
(٤) مسكويه، جـ ٢ ص. ٤٠٧.
(٥) الدوري، تاريخ، ص. ٥١ ـ ٥٢.
(٦) ذيل، ص. ١٨٤.

انتاجها الزراعي، وبتنوع هذا الانتاج حتى أنه ليشمل تقريباً معظم انواع المزروعات المعروفة في المملكة الاسلامية: مزروعات المناطق الباردة، والمعتدلة والحارة. وكان القمح والفاكهة بمختلف أنواعها والتمور من أهم مزروعات المقاطعة.

وقد انتشرت زراعة القمح في أرجاء فارس حيث يتوافر المناخ الملائم، فتزرع في المناطق الحارة ولكن أيضاً في المناطق الجبلية، والباردة، لكن حيث البرودة معتدلة[١]. وعرفت فارس مختلف أنواع الحبوب الأخرى ومن بينها الأرُزْ والشعير في سابور وخارق وابرقويه واصطخر[٢].

أما الفاكهة، فكانت من أشهر مزروعات فارس، وأكثرها، وقد شبه المقدسي فارس بالشام لانها تجمع اضداد الثمار[٣]، اذ كانت فيها فاكهة المناطق الحارة والباردة. وكان البستان الواحد يضم مجموعة متنوعة من الفاكهة والثمار. فيذكر المقدسي انه في سابور مثلا كان يجتمع في البستان الواحد، النخل والزيتون، والاترنج والخرنوب والجوز واللوز والتين والعنب والسدر وقصب السكر والبنفسج والياسمين وترى الانهار جارية والثمار دانية والقرى ممتدة تمش الفراسخ تحت ظل الاشجار مثل سُغْد وعلى كل فرسخ خباز وبقال.[٤] والبلح موجود بكثرة بفارس[٥]، وكانت كازرون تمتاز بنوع ممتاز من البلح يدعى جيلان[٦]. ومن الحمضيات كان هناك الليمون والبرتقال والحامض[٧]. كما كان العنب ينتج بكثافة[٨] وتنتج شيراز عنباً مشهوراً يسمى مسقابي[٩]. ومن

---

(١) انظر مناطق زراعة القمح في فارس:
مستوفي، ص. ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧.
ابن البلخي، ص. ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٩، ٣٠، ٣١٣، ٣١٥، ٣١٨، ٣١٩.

(٢) المقدسي، ص. ٤٣٦. الادريسي، ص. ٣٧٢، ٤١٧ ـ ٤١٨.

(٣) المصدر نفسه، ص. ٤٢١.

(٤) المصدر نفسه، ص. ٤٢٤. ياقوت، البلدان، جـ ٣ ص. ١٦٧.

(٥) انظر حول مناطق زراعة النخيل: مستوفي، ص. ٦٥، ١١٦، ١١٧، ١٢٤، ١٢٩، ١٣٥ ـ ١٣٧. ابن البلخي، ص. ٣١٢، ٣١٥، ٨٦٥. المقدسي، ص. ٤٢٢، ٤٢٥، ٤٢٨، ٤٣٣.

(٦) مستوفي، ص. ١٢٥.

(٧) انظر حول مناطق زراعة الحمضيات: ابن البلخي، ص. ٣١٢، ٣١٩. مستوفي، ص. ١٢٥. المقدسي، ص. ٤٣٣، ٤٤٤. ياقوت، البلدان، جـ ٣ ص. ١٦٧، ٣٧٦.

(٨) انظر حول مناطق زراعة العنب، المقدسي، ص. ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٣٣، ٤٣٤. مستوفي، ص. ١٨٨، ١٢١، ١٢٢. ابن البلخي، ص. ٣١٣. الادريسي، ص. ٣٩٩. ياقوت، البلدان، جـ ٣ ص. ١٦٧.

(٩) مستوفي، ص. ١١٢ ـ ١١٤.

الفاكهة الاخرى الرمان[١]، وكان يزرع في ارجان نوع جيد منه يسمى ملاسي[٢]. وقد امتاز المشمش بنوعيته الممتازة وبشدة حلاوته كما كان يجفف ويصدر منه الى الخارج[٣]. وكان البطيخ يمتاز بكبر حجمه وبشدة حلازته[٤] كما كان يزرع الشمام[٥]. والتين والزيتون[٦] ، وتعتبر ارجان اهم مناطق زراعتها.

أما الزهور والورود مثل الياسمين والبنفسج والسوسن والنرجس فكانت تزرع بكثرة[٧]. كذلك الجوز واللوز والبندق[٨]. بالإضافة إلى قصب السكر والخرنوب[٩] والتفاح[١٠] والدراق[١١]. واجاص شيراز مشهور في البلدان ويسمى العمري[١٢].

أما القطن فكان من الحاصلات الهامة بفارس[١٣] ، كذلك شجر التوت[١٤] . وكان بنواحي شيراز زعفران وخيار ، وبفسا سفرجل[١٥].

والواقع ان فارس كانت فائقة الغنى بالمنتوجات الزراعية حتى باتت كلمات بساتين، مزارع كثيرة الخيرات والأشجار والأثمار، مرادفة لوصف كل ناحية ومدينة.

٢ ـ الغابات ـ المراعي ـ الثروة الحيوانية (المواشي)

ضمت فارس خاصة في مناطقها الجبلية عدداً من الغابات الغنية بالاشجار وقد احتوت بعض

---

(١) المقدسي، ص. ٤٣٤. مستوفي، ص. ١١٧، ١٢٩. ابن البلخي، ص. ٢٠ ـ ٢١.
(٢) ابن البلخي، ص. ٨٦٥.
(٣) ابن البلخي، ص. ٢٣. ابن الفقيه، ص. ٢٠٠.
(٤) المصدر نفسه، ص. ٢٠ ـ ٢١.
(٥) المصدر نفسه، ص. ٣١٩.
(٦) المقدسي، ص. ٤٢١، ٤٢٥، ٤٣٣، ٤٣٧. الادريسي، ص. ٣٩٩. ابن الفقيه، ص. ٢٠٠.
(٧) مستوفي، ص. ١٢٨ ـ ١٢٩. ابن البلخي، ص. ٣١٩، ٨٦٥. المقدسي، ص. ٤٣٢، ٤٣٣. الادريسي، ص. ٣٩٤. ياقوت، البلدان، جـ ٣ ص. ١٦٧.
(٨) ابن البلخي، ص. ٣١٢، مستوفي، ص. ١١٧، ١٢٣. ابن الفقيه، ص. ٢٠٠. ياقوت البلدان، جـ ٣ ص. ١٦٧.
(٩) المقدسي، ص. ٤٣٣، ٤٢٤. ياقوت، البلدان، جـ ٣ ص. ٣٧٦.
(١٠) المصدر نفسه، ص. ٤٣٧.
(١١) الادريسي، ص. ٣٩٩.
(١٢) المقدسي، ص. ٤٤٣. ابن الجوزي، عجائب و ٧٩، ٨٠.
(١٣) مستوفي، ص. ١١٥، ١٢٤، ١٢٥، ١٣٧.
(١٤) ابن البلخي، ص. ٢٠ ـ ٢١.
(١٥) المقدسي، ص. ٤٤٣.

هذه الغابات على حيوانات متوحشة كالاسود. ففي منطقة كام فيروز غابة يعيش بداخلها اسود تمتاز بكبر حجمها. كذلك في غابة أخرى بالقرب من بحيرة أرزن وفي غابة بالقرب من حقل سيكان(١).

ومن اهم أنواع الاشجار التي احتوتها تلك الغابات كانت هناك مساحات واسعة من شجر السنديان والصفصاف(٢).

ومن جهة أخرى، فقد أتاحت طبيعة فارس حيث الجبال والوديان وجود مناطق واسعة للرعي. وكان قسم كبير من سكان فارس وهم الاكراد يعيشون على الرعي فينتقلون مع مواشيهم سعياً وراء المراعي في فصلي الصيف والشتاء(٣). وكانت الاغنام في مقدمة المواشي التي تُربى في فارس، ويذكر ابن البلخي أنه في مهرجان ونواحيها كانت تربى اعداد كبيرة من الاغنام(٤)، من أشهر أنواعها تلك التي تعرف باسم البازهر(٥). ولم تخلو جزر فارس، من المراعي فكانت جزيرة خارك تضم مساحات واسعة منها(٦)، كما كانت تربى الاغنام، والابقار في كيش(٧) (قيس). وكانت تربية الماعز تأتي في المرتبة الثانية بعد الاغنام، وكان ماعز مهروبان من أشهرها، اذ يذكر ابن البلخي انها كانت تعطي لغاية ١٨ رطلاً من الحليب(٨). وفي يزد اقتصرت تربية المواشي على الماعز التي امتازت بقساوة جلدها(٩).

أما الابقار فلم يقل حجم تربيتها عن سابقتيها، وكان هناك نوع من البقر امتاز بكبر حجمه(١٠) عن المألوف، وقد أدى غنى المقاطعة بالمواشي ان عُرفت فارس بألبانها الكثيرة(١١)، كما وفرت الاصواف والجلود مادة أولية للصناعة.

وكان عسل فارس من أشهر أنواع العسول في المملكة، وكانت خلاَّر أهم مناطقه، حتى عرف

---

(١) ابن البلخي، ص. ٢٤، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥. مستوفي، ص. ١٢٢، ١٢٣.
(٢) المصدر نفسه، ص. ٢٤. مستوفي، ص. ١١٢ - ١١٤. المقدسذ، ص. ٤٣٢، ٤٤٣.
(٣) المصدر نفسه، ص. ٨٧٤ - ٨٧٥. الاصطخري، ص. ٦٨، ٧١.
(٤) ابن البلخي، ص. ٨٦٧ - ٨٦٨.
(٥) المقدسي، ص. ٤٢٠.
(٦) الادريسي، ص. ٣٧٢.
(٧) المصدر نفسه، ص. ١٥٢.
(٨) ابن البلخي، ص. ٨٦٧ - ٨٦٨. مستوفي، ص. ١٣٠.
(٩) البلخي، ص. ٢٠ - ٢١.
(١٠) المصدر نفسه، ص. ٨٦٧ - ٨٦٨.
(١١) المقدسي، ص. ٤٣٣.

بعسل خلار، كما عرفت تارم بانتاجها الغزير منه[1].

٣ ـ الثروة المائية

ولقد حصلت فارس على بعض الموارد المائية بفضل وقوعها على خليج فارس وهو أحد خلجان المحيط الهندي، وأيضاً بفضل عدد كبير من الانهر وعدد من البحيرات الداخلية. واهم تلك الموارد: اللؤلؤ والاسماك والاملاح.

كان خليج فارس من أهم وأشهر المناطق لصيد اللؤلؤ. وقد وصف المسعودي، عملية الغوص للحصول على اللؤلؤ في الخليج الفارسي، وذكر أن ذلك يتم في الفترة « ما بين أول نيسان الى آخر أيلول، وما عدا ذلك من شهور السنة فلا غوص فيه »[2]. وكان معظم صيادي اللؤلؤ يعملون في منطقة الخليج الفارسي، التي كان انتاجها اكثر غزارة من أية منطقة اخرى على المحيط الهندي[3].

وكانت عملية الغوص لصيد اللؤلؤ فن يلقن للراغبين مقابل أجر معلوم[4]. وأهم المغاصات كانت موجودة على سواحل جزر فارس: خارك وكيش واللار[5]. وكان لؤلؤ خارك من أجلها[6]. أما الأسماك، التي كانت تشكل احدى المواد الغذائية الأساسية لسكان الخليج الفارسي، فكان صيدها يتم بصورة أساسية من البحر وأيضاً من البحيرات. وكانت فارس تحتوي على خمس بحيرات، بحيرة البختكان في كورة اصطخر ويصب فيها نهر كور وطولها نحو عشرين فرسخاً، وبحيرة دشت أرزن في كورة سابور وطولها عشرة فراسخ، وبحيرة كازرون بكورة سابور أيضاً وطولها عشرة فراسخ وبحيرة الجنكان من اردشير خره وطولها ١٢ فرسخاً، وبحيرة الباشفوية من كورة اصطخر ثمانية فراسخ[7]. ومن هذه البرك، ثلاث تُصطاد فيها الاسماك هي دشت ارزن وكان معظم سمك شيراز منها، وكازرون وكان صيدها كثيراً كذلك بحيرة الباشفوية[8]. وكان

---

(١) المقدسي، ص. ٤٢١، ٤٢٩. ياقوت، البلدان، جـ ٢ ص. ٣٨٠.

(٢) المسعودي، مروج، جـ ١ ص. ١٤٨.

(٣) الادريس، ص. ٣٧٧.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ياقوت، البلدان، جـ ٤ ص. ٤٢٢، ٤٩٧، جـ ٥ ص. ٧. أبو الفدا، ص. ٣٧٢ ـ ٣٧٣. الادريسي، ص. ١٥٣، ٣٧٧.

(٦) مستوفي، ص. ١٣٦. ابن حوقل، ص. ٥٢.

(٧) المقدسي، ص. ٤٤٦. الاصطخري، ص. ٧٥. ابن حوقل، ص. ٢٤٤. الادريسي، ص. ٤١١ ـ ٤١٢.

(٨) المصدر نفسه. المصدر نفسه. المصدر نفسه.

الصيد داخل هذه البحيرات يتم بواسطة سفن للصيد ويباع المنتوج في المناطق المحيطة بالبحيرة[١].
أما الانهر، فيبدو أن صيد الاسماك فيها ليس كبيراً، وقد امتاز سمك نهر داربجرد بان « لا شوك فيه ولا عظم ولا فقار، وله فلوس وهو من ألذ السموك »[٢].

أما السمك البحري فكان يباع بشكل خاص في المناطق والمدن الواقعة على الشاطىء. وكانت أسواق السمك في هذه المدن عامرة وقريبة من الشاطىء[٣].

والاملاح احدى المواد الغذائية الأساسية، وأيضاً مادة صناعية، فهناك نوعان منها، تلك التي تستخرج من المياه المالحة، ونوع يستخرج من الارض وسنتحدث عنه عند حديثنا عن المعادن.

وكان النوع الاول يستخرج من على طول الشاطىء، وأيضاً بكميات كبيرة من البحيرات خاصة بحيرة البختكان وجنكان[٤].

٤ ـ الثروة المعدنية

عرفت فارس عند الجغرافيين، بكثرة معادنها فيصف المقدسي هذا الاقليم قائلاً: « بأن ترابه معادن »[٥]. وكانت دار بجرد اغنى كور فارس بالمعادن[٦]. وقد احتوت المقاطعة على عدد وافر منها كالحديد، والآنك (الرصاص)، والكبريت، والفضة، والنفط، والمومياي، والاملاح والزئبق[٧].

ويحتل الحديد المرتبة الاولى بين هذه المعادن، وكانت فارس تعتبر اكبر اقليم لاستخراج الحديد ولصناعته[٨]، وأهم مناجم الحديد كانت بجبال اصطخر[٩]، فهناك عدد من المناجم، منها منجم

---

(١) الادريسي، ص. ٤١١ ـ ٤١٢.
(٢) المقدسي، ص. ٤٤٣. الادريسي، ص. ٣٩٤ ـ ٣٩٥. ابن حوقل، ص. ٣٦٢.
(٣) المصدر نفسه، ص. ٤٢٦.
(٤) المقدسي، ص. ٤٤٦. الاصطخري، ص. ٧٥. ابن حوقل، ص. ٢٤٤. الادريسي، ص. ٤١١ ـ ٤١٢.
(٥) المصدر نفسه، ص. ٤٢٠.
(٦) المصدر نفسه، ص. ٤٢٢. ياقوت، البلدان، جـ ٢ ص. ٤١٩.
(٧) الاصطخري، ص. ٩٣. ابن حوقل، ص. ٢٦٢. المقدسي، ص. ٤٤٣.
(٨) انظر متز، جـ ٢ ص. ٣٢٣.
(٩) الاصطخري، ص. ٩٣. ابن حوقل، ص. ٢٦٢.

صاحك ومنجم وقطره ومنجم صاهه [١]، وآخر في نيريز [٢]. وكان بدار بجرد وبارجان [٣]، معدن المومياي ويصف الاصطخري وابن حوقل ذاك المنجم قائلين: « وبقرية من قرى دار بجرد المومياي الذي يحمل الى الآفاق، وهي ملك للسلطان ولا نظير له، وهو غار في جبل قد وكل به من يحفظه وهو مسدود الباب والمدخل مغلق مقفل مختوم، معلم بعلامات كثيرة لمن يحضر فتحه من ثقات السلطان ويفتح في كل سنة في وقت معروف، وقد استجمع في نقرة حجر هناك ما اجتمع منه وفي غير ذلك النقرة الشيء إبعد الشيء منه، فاذا جمع يكون الموجود في كل سنة كالرمانة فيختم بمشهد من ثقاة السلطان والحكام واصحاب البرد والمعدلين من أهل الامانة، بعد أن يرضخ للحاضرين بالشيء اليسير منه وهو المومياي الصحيح وما عداه فمزور ليس بصحيح » [٤].

كذلك امتازت داربجرد بالاملاح. اذ كانت تحتوي على جبال من الملح، بعكس المدن الاخرى حيث كانت الاملاح تحت الارض. وكانت جبال الملح في دار بجرد « من الملح الابيض والاسود والاصفر والاحمر والاخضر وجميع الالوان المتفرّعة، وهي جبال على ظاهر الارض ينحت منها الموائد والغضار والآنية المستطرفة، وتحمل الى سائر مدن فارس وغيرها » [٥].

أما الفضة فكانت موجودة بكميات ضئيلة في نائين بالقرب من يزد [٦]. وهناك منجم للنحاس في سردن ويحمل انتاجه الى البصرة وسواها [٧]. وبقرية في جوار اصطخر تعرف بدار بجرد معدن للزيبق [٨]. كما كان يوجد القصدير [٩] في بدنج وهي قرية صغيرة بالقرب من كثه. وبالقرب من دار بجرد يوجد زيت البترول يخرج من الارض وهو يغلي [١٠]. وفي نيريز طين ابيض (كلس) يكتب به الصبيان الواحهم ويبيضون دورهم وطين أسود للختم. كما يوجد في هذه المنطقة حجر المغنيسيا [١١]. أما الذهب، فالاصطخري يقول انه « لا يعرف بها معدن الذهب » [١٢] في حين أن ابن

---

(١) ابن البلخي، ص. ٢٤ ـ ٢٥، ٢٩. مستوفي، ص. ١٢٢.

(٢) المقدسي، ص. ٤٤٣.

(٣) المصدر نفسه، الاصطخري، ص. ٩٣. ابن حوقل، ص. ٢٦٢. أبو الفدا، ص. ٣٣٠ ـ ٣٣١.

(٤) ابن حوقل، ص. ٢٦٢. الاصطخري، ص. ٩٣. الادريسي، ص. ٣٩٥، ٣٩٦.

(٥) ابن حوقل، ص. ٢٦٢. الاصطخري، ص. ٩٣. المقدسي، ص. ٤٤٣. ابن البلخي، ص. ٣١١. أبو الفدا، ص. ٣٣٠ ـ ٣٣١.

(٦) ابن حوقل، ص. ٢٦٢. الاصطخري، ص. ٩٣.

(٧) المصدر نفسه. المصدر نفسه.

(٨) المصدر نفسه. المصدر نفسه. أبو الفدا، ص. ٣٣٠ ـ ٣٣١.

(٩) الادريسي، ص. ٤١٨ ـ ٤١٩.

(١٠) ابن البلخي، ص. ٣١١.

(١١) المقدسي، ص. ٤٤٣.

(١٢) الاصطخري، ص. ٩٣.

حوقل يشير إلى وجود معدن الذهب فيها[1]. وما عدا هذه الإشارة، فلا شيء يشير إلى وجود الذهب بفارس.

٥ ـ الصناعة

كان لتوافر المواد الاولية الزراعية والمعدنية والحيوانية بفارس بالاضافة الى ما عرفته المقاطعة ما قبل الفتح الاسلامي من وجود لبعض الصناعات خاصة النسيج، وأيضاً، موقعها في شبكة المواصلات الدولية، واستقرار أحوالها الاجتماعية والسياسية، ان ساهم كل ذلك في أن تعرف فارس خلال هذه المرحلة حركة صناعية مزدهرة، شملت العديد من الصناعات في مختلف المجالات.

أ ـ النسيج والحياكة: كانت أهم الصناعات في فارس كما في سائر أنحاء المملكة الاسلامية في القرن الرابع الهجري. خاصة وان فارس قد احتلت موقعاً أساسياً من مواقع صناعة النسيج وحياكته في العالم الاسلامي إلى جانب خوزستان ومنطقة الدلتا المصرية... ولم تكن هذه الصناعة مستجدة بفارس بل كانت موجودة في مدن ساحل الخليج الفارسي منذ أيام الفرس القدماء[2]، إلاّ أن نموها وتطورها الكبيران قد برزا في هذا العصر. ولقد بلغ فن النسيج درجة كبيرة من الرقي والتطور، فاقت أي فن صناعي آخر، كذلك تنوعت وتعددت أشغال الحياكة بشكل واسع مترافقة مع متطلبات المجتمع القائم. فكان الناس يعنون بصورة خاصة بالملابس[3]، فلكل طبقة من الناس لباسها ولكل صنف زيه وكل مناسبة تتطلب نوعاً خاصاً من الملابس. وكان أهم ما يعتبر ترفاً أن يكون لبس الانسان حسناً، وكان الأغنياء يتنافسون في ارتداء الملابس الثمينة ويملكون صناديق واسعة للملابس تحتوي على عشرات بل مئات من القطع من نفس النوع[4]. وكانت خزائن الثياب عند الأمراء، وكبار رجال الدولة، والأغنياء تعتبر جزءاً من الثروة. كذلك فقد حظيت المنازل بنسبة كبيرة من منتوجات صناعة النسيج. فكان جمال المسكن أن تكون حيطانه معلقاً عليها الستور الجميلة الملونة، وأن تكون أرضه مفروشة بالبسط والانخاخ، وأيضاً الأنماط وهي سجاجيد تفرش على الأرض للنظر دون الدروس، يضاف إلى ذلك أنواع أخرى صغيرة، منها سجاجيد الصلاة والأغطية والمخاد والنمارق والمقاعد وغير ذلك من أنواع الوسائد[5]. ونتج

---

(١) ابن حوقل، ص. ٢٦٢.

(٢) Pigulevskaja, p. 163.

(٣) انظر متز، جـ ٢ ص. ٣٥٠.

(٤) انظر الدوري، تاريخ، ص. ١٠١.

(٥) متز، جـ ٢ ص. ٣٥٠ ـ ٣٥١.

عن كثرة الطلب على المنتوجات النسيجية، أن شجع الصناع على تحسين منتوجهم وعلى الاكثار من أنواعه.

ولقد حظيت فارس بمعظم المواد الاساسية لصناعة النسيج اي الصوف، الكتان، والقطن بالاضافة الى بعض المواد الثانوية مثل وبر الجمال، والقصب. ان مناطق انتاج الصوف هي نفسها مراكز تربية الأغنام[١]. وكانت فارس، واحدة من المراكز الكبرى لتربية قطعان الاغنام على يد قبائل الاكراد الكبيرة الموجودة في أراضيها، التي كانت تعمل بالدرجة الاولى بالرعي وكانت أصواف هذه القطعان تغذي مشاغل النسيج بفارس[٢]. ومن هذه الاصواف كانت تصنع الاقمشة السميكة المتقنة. كذلك شراشف من الاقمشة الخفيفة للاستعمال اليومي أو من الاقمشة الثمينة. وأيضاً السجاد[٣].

ورغم أن الكتان مثله، مثل الصوف يعتبر أحد أقدم المواد لصناعة النسيج، الا أن فارس في القدم لم تعرف زراعته. ويذكر المقدسي انه «تصنع بمدينة سينيز ثياب تشاكل القصب، وانه ربما حمل اليهم الكتان من مصر»، اما في عصره فيضيف قائلا: «واكثر ما يعمل اليوم (بسينيز) من الذي يزرع عندهم»[٤]. وهذا دليل على أن صناعة نسيج الكتان نقلت الى فارس من مصر، وكان الكتان ينقل بطريق البحر، وكان في أول الامر يصنع بالمدن الساحلية مثل سينيز وجنابة وتوج، ولم تنتقل صناعته الى داخل البلاد الا عندما استقلت فارس بكتانها عن مصر[٥]. وأهم مناطق زراعة الكتان بفارس، حول بحيرة البختكان[٦] حيث الرطوبة الكافية لزراعته بفضل وفرة المياه هناك. كذلك عرفت فارس زراعة القطن في يزد، ابرقويه، ايج وغيرها لكن الانتاج المحلي لم يكن يكفي حاجات الصناعة القطنية، فكان يستعمل القطن المستورد من خوزستان والهند لصناعة الاقمشة المخصصة للتصدير[٧].

كذلك الأمر بالنسبة للحرير، فلم يكن انتاج فارس من الحرير يكفي حاجات مشاغلها،

---

(١) Voir, Lombard, textiles, p. 21.

(٢) Ibid.

(٣) Lombard, textiles, p. 21.

(٤) المقدسي، ص. ٤٤٣.

(٥) متز، جـ ٢ ص. ٣٥٥.

(٦) Lombard, textiles, p. 55.

(٧) Les Strange, the land, p. 293 - 295. Lombard, textiles, p. 67.

وكانت زراعة شجرة التوت التي تستعمل اوراقه لتربية دودة القز موجودة خاصة في يزد(١). كما كان الحرير ينتج محلياً في ارجان وفرج ودار بجرد(٢). لكن فارس التي كانت أحد مراكز النسيج الكبرى، ومن أهم مراكز نسيج الحرير، كانت تستورد الكثير منه، من خراسان، جرجان، طبرستان وأيضاً من آران وارمينيا(٣).

والى جانب هذه المواد الاساسية التي كانت تقوم عليها صناعة النسيج بفارس، كان هناك عدد من المواد الاخرى الثانوية مثل شعر الماعز والجمال. وكانت الماعز تربى في فارس وأيضاً الجمال حتى أن أحد ما تمتاز به شيراز كان القماش من وبر الجمال ذا الاطراف المبطنة واللون الأسود والجنزيري ويسمى البُركان(٤).

وفي النهاية، فقد كانت تنبت في فارس الحلفاء، وكانت تستعمل لصناعة الحصر، كما في داربجرد(٥)، وأيضاً القصب(٦).

مراكز صناعة النسيج في فارس

كانت فارس واحدة من ثلاثة مراكز أساسية لصناعة النسيج في الشرق الاسلامي، الثانية كانت خوزستان والثالثة مصر(٧).

وتعدد أهمية فارس في هذا المجال، نظراً، لكثرة مشاغلها وتنوع وكثافة انتاجها، وما وصلت اليه من مستوى فني وتقني رفيع. وكان كل مركز من مراكز النسيج في فارس، متنوع الانتاج، وان كانت شهرته أحياناً تقوم على صناعة احد الانواع المحددة من الثياب او الستائر او السجاد.

ـ كازرون واحدة من أهم مراكز صناعة النسيج بفارس. خاصة صناعة ثياب الكتان حتى كانت تسمى « دمياط الاعاجم »(٨)، ويسمى أحسن الكتان الفارسي بالتوزي نسبة الى توّز وان كان أكثره يعمل بكازرون(٩).

---

(١) ابن البلخي، ص. ٢٠ ـ ٢١.
(٢) المقدسي، ص. ٤٢١، ٤٤٢، ٤٦٣.
(٣) Lombard, textiles, p. 84.
(٤) المقدسي، ص. ٤٤٣.
(٥) ابن حوقل، ص. ٢٤٤. المقدسي، ص. ٢٠٣، ٤٤٢.
(٦) المصدر نفسه.
(٧) Lombard, textiles, p. 91.
(٨) المقدسي، ص. ٤٣٣ ـ ٤٣٤.
(٩) المقدسي، ص. ٤٣٥.

ابن البلخي في وصفه لفارس حوالي ٥٠٠ / ١١٠٦م، يقدم لنا وصفاً عن كيفية صناعة الثياب التوزية بمدينة كازرون: يبل الكتان في البرك، ثم يفصل بعضه عن بعض، ويغزل، ثم تغسل خيوطه في ماء نهر الرهبان، وماء هذا النهر، وان كان قليلاً شحيحاً فان له خاصية بتبييض خيوط الكتان، مع انها لا تبيض في غيره من الماء، وهذا النهر ملك لخزانة السلطان، ودخله يرد الى بيت الامير، ولذلك لا يصرح بالغسل فيه الا للنساجين المكلفين بذلك، ويتولى الاشراف عليه ناظره، وثم سماسرة يعينون الثمن المعادل للاقمشة، ويختمون اللفائف المخزونة، قبل تسليمها للتجار الاجانب. وكان هؤلاء يثقون بالسماسرة، ويشترون اللفائف من غير أن يفكوا حبالها، بل يأخذونها كما هي. وكانت اذا وصلت اللفائف الى أي بلد اشتراها التجار من غير ان يفتحوها، واكتفوا بمجرد السؤال عن شهادة السمسار بكازرون، فكثيراً ما كان يحدث ان ينتقل الحمل من لفائف كازرون، حتى تتداوله عشر أيد، من غير ان يفك وثاقه، ولكن في هذه الايام الاخيرة ظهر الغش، وصار الناس خونة، وانعدمت الثقة كلها، وكثيراً ما وجدت البضائع المختومة بختم السلطان من نوع رديء، ولذلك انصرف التجار عن بضائع كازرون»[١].

كانت الاقمشة التوزية مشهورة باتقانها سواء كانت ناعمة ذات حياكة خفيفة مع حواشي مذهبة تحمل اسم طراز، أو ذات حياكة مرصوصة. وكان النوعان مرغوبان ويصدران خاصة الى خراسان.

وكان لكازرون سوق للاقمشة الكتانية حيث يلتقي البائعون والتجار لشراء منسوجات القصب والشطوي اللذين كانا يصنعان على الطريقة المصرية. وتصدر كازرون العمائم الصوفية الناعمة إلى مختلف الجهات[٢]. وفي فسا، كان هناك دور طراز متخصصة بصناعة الاقمشة الثمينة من الصوف وشعر الماعز المخصصة لدار الخليفة[٣]. كما كان يصنع فيها الاقمشة الحريرية الناعمة «الوش» الذي لم يكن له مثيل في أي مكان آخر، خاصة عندما يطرز بالذهب. وكان افضل من ذاك الذي يصنع في جهرم وغيرها[٤]. كما كانت فسا تصنع لحساب الدولة والتجار اقمشة المفروشات من الصوف وستائر الحرير من مختلف الانواع وستائر من الحرير الخام وأقمشة ثمينة من الحرير الخام والصوف بمثل المعاطف. ويقول المقدسي[٥] عن ذلك «ومن فسا، ثياب القز تحمل الى الآفاق،

---

(١) ابن البلخي، ص. ٣٣٧. متز، جـ ٢ ص. ٣٥٥ ـ ٣٥٦. Lombard, textiles, p. 58.

(٢) ياقوت، البلدان، جـ ٤ ص. ٤٢٩. Lombard, textiles, p. 58.

(٣) ابن حوقل، ص. ٢٦١.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المقدسي، ص. ٤٤٢. ابن حوقل، ص. ٢٦١.

واكسية حسان رقاق، وأنماط وبسط وفوط ومنيرات تشاكل الاصفهانيــة والوش والستــور الثمينــة والفروش الرفيعة والستور الابريسمية...» .

وكان العمل يتم أحياناً بواسطة الابر تدعي سوسن جرد، «وسوسن جرد فسا افضل من سوسن جرد قرقوب، لان متاع فسا من صوف والقرقوبي من ابريسيم، والصوف احكم عملاً في الصفة وابقى على مر الايام»(١).

جهرم، كانت مشهورة بسجادها الطـويـل مـن الصـوف (النخـاخ)، والمصليـات، والزلالي (السجاد الكبير) المعروف في كل مكان بالجهرمي، كذلك بالاغطية وستائر الصوف والبسة الحرير الناعم (الوش) ومن شعر الماعز(٢).

في داربجرد، كانت تصنع الالبسة من مختلف المستويات، كذلك سجاد الصوف على الطريقة الطبرستانية(٣)، والحصر الشبيهة بحصر عبـادان والستور المصنوعة بسوسن جرد(٤).

في شيراز، كانت تصنع البركانات(٥) وهي اقمشة ذات حبكة مزدوجة من شعر الجمال بلون الاسود والجنزيري. كما كانت مشهورة أيضاً بمعاطفها المقلمة(٦) (الابراد) التي كانت تعرف في مختلف البلاد باسم الشيرازي. بالاضافة الى أقمشة الحرير الخام، والديباج والحلل والاقمشة المبطنة ذات الحواشي المبطنة (المنيرات) وأقمشة الكتان الدقيقة الصنعة(٧) (القصب).

في سينيز، تصنع اقمشة الكتان المعروفة بالقماش السينيزي المشهور بمتانته ودقة صنعه بالاضافة الى الاقمشة القطنية(٨).

في ابرقويه ويزد تصنع الثياب القطنية التي تصدر إلى مختلف الانحاء «فتدخل في جمل البغـدادي اذا قصرت»(٩). وفي الغندجان تصنع البسط والستور والمقاعد واشباه ذلك ما يوازي صناعة ارمينيا. وفيها دار طراز للدولة(١٠). في أرجان تصنع الثياب والاوشحة والمناديل(١١). وفي سيراف

---

(١) ابن حوقل، ص. ٢٦١. Lombard, textiles, p. 42.

(٢) المصدر نفسه. Le strange, the lard, p. 293, 295.

(٣) المصدر نفسه، ص. ٢٦٢.

(٤) المقدسي، ص. ٤٤٢.

(٥) المقدسي، ص. ٤٤٣، Lombard, textiles, 107.

(٦) ابن حوقل، ص. ٢٦٢.

(٧) المقدسي، ص. ٤٤٣.

(٨) المصدر نفسه، ص. ٤٤٢. ابن البلخي، ص. ٨٦٧. الادريسي، ص. ٣٩٩.

(٩) ابن حوقل، ص. ٢٦١.

(١٠) ابن حوقل، ص. ٢٦١.

(١١) المقدسي، ص. ٤٤٢.

اغطية الكتان والاوشحة[1]. وفي جنابة تصنع القمصان والمناديل والعمائم[2]. وفي فسرج الثياب والسجاد والستور[3].

في يزد[4] كانت تصنع أقمشة فاخرة من الديباج، وأيضاً قماش يدعى المشطي مثل ذلك الذي يصنع في نيسابور[5].

وفي كوّار تصنع الحصر من القصب، ومنسوجات الحرير المطرز[6]. وفي جويم ابو أحمد، يصنع نوع من القماش القطني يسمى كرباس[7]. وتوجد مشاغل للنسيج في الروذان[8] وريشهر[9] وجور وداريز[10]. ويذكر ان عضد الدولة عندما بنى مدينة فناخسرو بالقرب من شيراز، امر بنقل الصوافين وصناع الخز والديباج اليها[11].

كانت معامل النسيج نوعين: الاولى وهي المختصة بصناعة احتياجات الخليفة او الامير وكان يوجد منها في معظم مدن النسيج بفارس[12]. وهي ملك للدولة وتعرف باسم دار الطراز، وتعني كلمة «طراز» في الأصل التطريز ثم صارت تعني النسيج المزين بسطور من الكتابة، وكانت الكتابة تنسج على حافة القماش، وتحوي اسم الخليفة او الامير ولقبه وبعض عبارات الدعاء. وكانت هذه الكتابة تحاك من خيوط الذهب أو من خيوط ذات ألوان زاهية. وهناك الآن، بعض قطع القماش القليلة جداً، والتي عليها بعض الكتابات، وهي من ايام البويهيين بفارس، منها قطعة عليها سطران بالخط الكوفي البسيط من الحرير الاصفر وتتضمن اشادة بـ «ملك الملوك الرحيم ابو نصر، ابن محي الدين الـ (لله)»[13]، وهو الملك الرحيم الذي حكم فارس في سنة ٤٤٠/١٠٤٨ الى سنة ٤٤٧/١٠٥٥ (أنظر سابقاً)، وهناك قطعة أخرى من هذا النوع باسم بهاء الدولة[14].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) ابن حوقل، ص. ٢٦١. Lombard, textiles, p. 55.

(٣) المقدسي، ص. ٤٤٢.

(٤) ابن البلخي، ص. ٢٠ – ٢١.

(٥) المقدسي، ص. ٣٢٣.

(٦) ابن البلخي، ص. ٣١٨.

(٧) المصدر نفسه، ص. ٣١٥.

(٨) ياقوت، البلدان، جـ ٣ ص. ٧٧.

(٩) ابن البلخي، ص. ٨٦٦.

(١٠) المقدسي، ص. ٤٣١. ياقوت، البلدان، جـ ٤ ص. ٤٥٠.

(١١) المصدر نفسه، ص. ٤٣٣.

(١٢) المصدر نفسه، ص. ٤٤٢ – ٤٤٣. ابن حوقل، ص. ٢٦٠ – ٢٦١.

(١٣) Répertoire chronologique, vol. 7 p. 114 - 115.

(١٤) Ibid, vol. 6, p. 37 - 96.

وكانت دور الطراز تنتج الثياب الفاخرة والبسط، والاعلام، والبنود، والفرش، وهذه يستعملها الخليفة أو الامير او يعطيها لكبار الموظفين كخلع وهدايا (أنظر سابقاً) وكان يعمل في هذه الدور أعداد كبيرة من الصاغة والحاكة ويشرف عليهم موظف خاص يدعى « صاحب الطراز »[1].

والى جانب دور الطراز هذه، كان هناك العديد من المشاغل الخاصة، التي كانت تؤمن احتياجات السكان وتتولى التصدير للخارج. وانتاج هذه المصانع أكثر أهمية من الأولى. ورغم أننا لا نملك رقماً عن اعداد العاملين في صناعة النسيج بفارس. الا أن ناصر خسرو الذي قام برحلته في المرحلة الاخيرة من الحكم البويهي (٤٣٧ - ٤٤٤/١٠٤٥ - ١٠٥٢) يذكر أنه كان بمدينة تنيس وهي احدى مدن الدلتا المصرية خمسون ألف رجل[2] يعمل معظمهم نساجاً.

واذا كانت مكانة فارس وأهميتها في صناعة النسيج في ذلك الوقت توازي مكانة وأهمية الدلتا المصرية، بتنا قادرين على تقدير الحجم الكبير للعاملين في صناعة النسيج في هذا الاقليم. وكثيراً ما أشار الجغرافيون الى بعض مدن فارس، بأن معظم سكانها يعملون بحياكة النسيج مثل الروذان، وغندجان[3].

ب ـ الصباغة

وقد ارتبطت صناعة الاصباغ بصناعة النسيج، لحاجة هذه الاخيرة الى تلوين الاقمشة، وقد ازداد تنوع الالوان مع الايام، نتيجة تطور ونمو صناعة النسيج لترغيب المستهلكين وتلبية لرغباتهم، حتى ارتبطت بعض الالوان ببعض الفئات الادارية او الاجتماعية، فكان اللون الاسود الشعار الرسمي للدولة العباسية، والاخضر شعار العلويين، في حين ان الملابس الصفراء المصبوغة بالزعفران كانت محببة لدى المغنين، وكان الناس يتبارون في لبس الملابس الزاهية المتنوعة الالوان[4].

وكانت الالوان المستعملة في العالم الاسلامي تستخرج من مواد نباتية باستثناء القرمز (للون الاحمر) الذي كان من مادة حيوانية. وكان بالامكان الحصول على أحد الالوان من أكثر من مصدر نباتي واحياناً معدني[5] ما عدا اللون الاخضر الذي كان مصدره معدنياً فقط (جنزار)

---

(١) انظر حول الطراز: ابن خلدون، المقدمة، ص. ٢٢٠. الدوري، تاريخ، ص. ١٠٦. Lombard, textiles, p. 219.

(٢) سفرنامه، ص. ٧٨. Voir, Lombard, textiles, p. 156, 222 - 223

(٣) مستوفي، ص. ١١٨، ١٢٨. ياقوت، البلدان، جـ ٣ ص. ٧٧.

(٤) انظر متز، جـ ٢ ص. ٢٢٥ - ٢٣٠.

(٥) هناك لائحة مفصلة حول مواد الألوان عند: Lombard, textiles, p. 118.

الامر الذي أتاح بأن تكون لمعظم المقاطعات منتوجاتها من بعض المواد الاساسية للألوان، وتستورد ما تبقى من حاجاتها من الالوان من المقاطعات الاخرى ومن الخارج[١].

أما أهم المواد المستعملة للالوان فكانت القرمز، العصفر، الحنة، الفوه للون الاحمر ومتفرعاته. والزعفران للاصفر، والنيل للازرق، اما الاسود فيتم تركيبه بمساعدة ثلاثة مواد نباتية، العفصة، السماق، وقشرة جذع الجوز[٢].

وتنتج فارس بعضاً من هذه المواد، وهي العصفر واشتهرت فسا بزراعتها وكانت تصدر كميات من هذه المادة الى الخارج[٣]. وفي منطقة يزد تزرع الحنة[٤]. وفي جور وضواحي اصطخر وشيراز يزرع الزعفران كذلك في نائين[٥]. وقد ادخل عضد الدولة الى كرمان ـ وكانت ضمن مملكته ـ زراعة حب النيل[٦].

ولذلك، فإن فارس وان لم تكن منتجة أساسية لمواد التلوين، الا أنها كانت مستهلكة كبيرة لهذه المواد تبعاً لضخامة انتاجها من النسيج وحاجتها لتلوينه، وبالتالي فقد كانت تستورد كميات من تلك المواد وتقوم بتصنيعها وصبغ منسوجاتها بها. وكان الصباغون يتفننون في مهنتهم وبعضهم كان يقوم بخلط الاصباغ الاساسية للحصول على أصباغ مركبة.

جـ ـ العطور والصابون

وتميزت فارس بصناعة لم يضاهيها فيها أحد، ألا وهي صناعة العطور واستخلاص الأدهان من النباتات والبذور. وقد قامت هذه الصناعة على ما توفر لفارس من أنواع عديدة وبكميات كبيرة من النباتات العطرية، وكانت أهم المناطق المزروعة بهذه النباتات سابور، خبر، ارجان، جور، النوبندجان، وشهرستان[٧] وغيرها. وقد حظيت سابور بمكانة خاصة في زراعة النباتات العطرية وصناعتها. وكان لكثرة رياحينها ومنتوجاتها ان روائحها العطرية كانت تعم البلد « فمن دخلها لم يزل يشم روائح طيبة حتى يخرج منها »[٨]. ويذكر المقدسي أنه كان يصنع في سابور عشرة أنواع

---

(١) Lombard, textiles, p. 117 - 145.

(٢) Ibid, p. 114.

(٣) المقدسي، ص. ٤٤٢.

(٤) المصدر نفسه، ص. ٤٤٣. ابن حوقل، ص. ٢٦٠. Lombard, textiles, p. 127

(٥) Lombard, textiles, p. 131.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص. ١١٣، ١١٨.

(٧) المقدسي، ص. ٤٢٤، ٤٣٢ ـ ٤٣٤، ٤٤٣. مستوفي، ص. ١٢٨ ـ ١٢٩. الادريسي، ص ٣٩٤. ياقوت، البلدان، جـ ٣ ص. ١٦٧. ابن البلخي، ص. ٨٦٥، ٣١٩.

(٨) ياقوت، البلدان، جـ ٣ ص. ١٦٧. ابن الفقيه، ص. ٢٠٤.

من الزيوت العطرية المستخرجة من النباتات العطرية وتصدر الى كل الجهات وهي[1]: بنفسج فينوفر، نرجس، كارده، سوسن، زنبق، مرسين، مرزنجوش، بادرنك ونارنج. كما كان يزرع ويصنع بفارس الياسمين[2] والخلاف[3].

وقد حاول البعض أن يقوم بهذه الصناعة خارج فارس، فاستحدثت الكوفة دهان الخيري، وكانت في الخيري والبنفسج تفوق سابور[4].

كذلك عرفت فارس صناعة اخرى تشبه صناعات الادهان العطرية وان كانت منفصلة عنها تمام الانفصال، وهي صناعة ماء الورد، الذي كان يحضر من زهور غير الزهور السابقة. وقامت هذه الصناعة في جور وكوار وغيرها من المدن، الا أن جور حظيت بالمكانة الاولى نظراً لغزارة انتاجها وجودته. واليها نسب احسن انواع الماورد المعروف بماء الورد الجوري[5].

وكان ماء الورد يحضر من أزهار مثل الورد، والطلع، والقيسوم، والزعفران، والخلاف. وكانت جور مختصة بماء الطلع وماء القيسوم اللذين لا نجدهما الا فيها. اما ماء الخلاف وماء الزعفران فكانا موجودان في فارس عامة[6].

ويصدر ماء الورد من جور الى سائر البلدان، فيحمل الى المغرب وبلاد الروم والاندلس واراضي افرنجة ومصر واليمن وبلاد الهند والصين[7].

أما صناعة الصابون فقد احتلت مكاناً مهماً بين الصناعات نظراً لحاجات السكان إليها، خاصة، لما كان للحمامات من أهمية في الحياة الاجتماعية وكانت ارجان تصنع الصابون الجيد وتصدر منه الى الخارج[8].

د ـ الحدادة

كان لتنوع المواد المعدنية الخام الموجودة بفارس أن ساهم في انتعاش صناعة الحديد وتنوع أنواعها. وقد استخدم الحديد، والنحاس، والصفر، والفولاذ لصنع أنواع متعددة من الأدوات

---

(١) المقدسي، ص. ٤٤٣.
(٢) المقدسي، ص. ٤٢٤، ٤٣٤.
(٣) ابن حوقل، ص. ٢٦١.
(٤) ابن حوقل، ص. ٢٦٠.
(٥) المصدر نفسه، ص. ٢٦٠ ـ ٢٦١. المسعودي، مروج، جـ ٢ ص. ٢٥٤ ـ ٢٥٥. ابن الفقيه، ص. ٤٠٤. الادريسي، ص. ٣٩٤.
(٦) المصدر نفسه، ص. ٢٦٠ ـ ٢٦١.
(٧) المصدر نفسه، ص. ٢٦٠
(٨) المقدسي، ص. ٤٤٢.

لمختلف الاستعمالات، ويعطي ابن الفقيه لفارس الفضل في اتخاذ الآلات المحكمة من الحديد ويقول انهم حاذقين بصناعة الاقفال، وتطبيع السيوف، والدروع، والجواشن[1]. وكانت كورة اصطخر، أهم منطقة في استخراج الحديد، وصناعته، خاصة في صاهه حيث كان بها منجم للحديد وللصلب. وصاهه مشهورة بصناعة المعدات الحربية كالسيوف وغيرها والتي تحمل اسمها صاهكي[2]. ويصنع الحدادون أيضاً، بعض الأواني المنزلية والأدوات الهندسية، كالاسطرلاب، والموازين ويزينون بعضاً من هذه المعدات، بواسطة الحفر، والتلبيس، والتطعيم، ونقش الحافات بنقوش ظاهرة. وهناك بعض من هذه الاواني التي صنعت في ايران في حدود سنة ٤٠٠ / ١٠٠٩م، منها: قدح من البرونز، وقدح مخروطي من الفضة، وابريق من الفضة، اسطرلاب من النحاس، اناء من الفضة وصينية من الفضة[3] وكانت الموازين تصنع في سيراف[4].

هـ ـ الصناعة الجلدية

ودباغة الجلود احدى المهن الموجودة بفارس نظراً لما كانت تملكه المقاطعة من ثروة حيوانية يستفاد من جلودها. وتعتبر مدينة روذان أهم مناطق الدباغة بفارس[5].

وجلود روذان من النوعية الجيدة ويقول عنها المقدسي: « انها أجود من الاطرابلسي »[6]. ومن الجلود كانت تصنع أنواع مختلفة من اوعية الماء والحليب، وأيضاً الاحذية.

وتُصنع القرب في ارجان وتارم وروذان. اما السطائح والدلاء فقد اختصت بهما تارم[7]. وأحذية الروذان من أشهر أنواع الأحذية المصنوعة بفارس وتسمى الشمشكات[8] وقد عُرفت هذه المدينة بكثرة الاساكفة فيها[9].

و ـ صناعات اخرى

وفارس احدى مراكز تجفيف الفاكهة وتصديرها الى الخارج، مثل المشمش والتين، والتمر

---

(١) ابن الفقيه، ص. ٢٥٤.

(٢) ابن البلخي، ص. ٢٤ ـ ٢٥.

(٣) Répertoire, chronologique, vol 5, p. 141. vol. 6, p. 83, 84, 86.

(٤) المقدسي، ص. ٤٤٢.

(٥) ياقوت، البلدان، جـ ٣ ص. ٧٧. المقدسي، ص. ٤٣٨.

(٦) المقدسي، ص. ٤٤٣.

(٧) المقدسي، ص. ٤٤٢ ـ ٤٤٣.

(٨) المصدر نفسه، ص. ٤٤٢.

(٩) المصدر نفسه، ص. ٤٣٨، ٤٤٣.

وغيرها[١]. وكانت غنية بالزيتون، فقامت بها مهنة استخراج زيوت الطعام في ارجان وسابور[٢] كما استخرجوا من الخرنوب الدبس في ارجان وفرُج[٣]. ومن العنب عصيره[٤]، والسكر من قصب السكر[٥]. ومن الاخشاب كانت تصنع الابواب والكراسي والسقوف الخشبية، وموائد الطعام في فسا[٦]، والعصي التي تستعمل قاعدة للدبابيس في دشت ارزن[٧]. وهناك اشارة لصناعة المرايا[٨]، كما كانوا يصنعون المراوح الكبيرة[٩] وزيوت الاضاءة[١٠] والخيم[١١].

وكان يصنع بفارس الحبر الاسود للكتابة وللتلوين. وكان من أحسن أنواع الحبر في العالم باستثناء الصيني[١٢].

٦ ـ التجارة

وقد بلغت التجارة في المملكة الاسلامية أوجها في القرن الرابع حتى باتت « مظهراً من مظاهر أبهة الاسلام وصارت السيدة في بلادها، وكانت سفن المسلمين وقوافلهم تجوب كل البحار والبلاد واخذت تجارة المسلمين المكان الاول في التجارة العالمية »[١٣].

ولقد احتلت فارس موقعاً تجارياً أساسياً داخل المملكة الاسلامية، فهي كما يصفها الجغرافيون « معدن التجارات »[١٤] فتجارها كانوا من أشهر تجار المملكة[١٥]، وموانئها من مراكز التجارة الاساسية، وبحارتها الذين يجوبون المحيطات على سفنهم من أشهر رجال المملكة معرفة بأطوال البحار وتسيير السفن[١٦]، أما أسواقها الداخلية فكانت عن حق مستودعاً ضخماً لكل المواد

(١) الادريسي، ص. ٤١٨ ـ ٤١٩. ابن البلخي، ص. ٢٣. المقدسي، ص. ٤٤٢ ـ ٤٤٣.
(٢) المقدسي، ص. ٤٤٢.
(٣) المصدر نفسه، ص. ٤٤٢.
(٤) ابن البلخي، ص. ٣١٢.
(٥) المقدسي، ص. ٤٤٣.
(٦) المصدر نفسه، ص. ٤٤٢.
(٧) ياقوت، البلدان، جـ ٢ ص. ٤٥٦.
(٨) ابن الفقيه، ص. ٢٥٤، ٤٠٤.
(٩) المقدسي، ص. ٤٤٣.
(١٠) ابن البلخي، ص. ٨٦٧.
(١١) المقدسي، ص. ٤٤٣.
(١٢) ابن حوقل، ص. ٢٦٢.
(١٣) متز، جـ ٢ ص. ٣٧١.
(١٤) المقدسي، ص. ٤٣١.
(١٥) المسعودي، مروج، جـ ١ ص. ١٣٨، ٢١٠. متز، جـ ٢ ص. ٣٨١.
(١٦) المصدر نفسه، ص. ٩٩، ١٠٧، ١٠٨، ١٣٨، ١٤٠، ٢١٠. ابن الفقيه، ص. ١١.

المستوردة أو المنتجة داخلياً، حيث يتم استهلاك قسم منها في الداخل فيما يعاد تصدير القسم الآخر الى أنحاء مختلفة داخل المملكة الاسلامية وخارجها الى الصين والهند، وكل ذلك بواسطة شبكة خطوط مواصلات برية وبحرية(١).

وهناك عدة عوامل ساعدت على نمو التجارة بفارس حتى بلغت هذه الدرجة من التطور، والى أن تتمكن من المحافظة على مكانتها التجارية خلال العهد البويهي. فبالإضافة الى دور فارس القديم خاصة منذ أن تمكنت الدولة الساسانية من أن تجذب الى الخليج الفارسي التجارة التي كانت غايتها القسطنطينية دون روما(٢)، كان هناك موقف الإسلام المشجع للتجارة، وحاجات المجتمع الجديد للبضائع الاجنبية، ولتصدير منتوجاته... الخ، وموقع فارس في قلب ايران وعلى الخليج الفارسي المتصل بالمحيط الهندي، وقربها من بغداد عاصمة الخلافة.

وفوق كل ذلك، فإن فارس تميزت خلال العهد البويهي بعدة خصائص ساهمت في نمو تجارتها واتساعها، فقد باتت فارس ذات وضع سياسي مميز عما قبل، فلم تعد مجرد ولاية، بل باتت امارة شبه مستقلة، واحد عواصم الدولة البويهية وأحياناً مقر الامير الاول للدولة البويهية، مما وسع من مجال فعاليات اهلها التجارية وتوسيع نشاطاتها التجارية لتلبية حاجات الامير وجماعته ورجال الدولة الذين كانوا من أكبر المستهلكين للبضائع وخاصة الاجنبية. وباستمرار، فقد كان ازدهار الحركة التجارية مرتبطاً اشد الارتباط بالاحوال الامنية، وقد رأينا سابقاً كيف أن فارس كانت من المقاطعات الاكثر استقراراً فلم تعرف الفتن الدينية ولا الاضطرابات الاجتماعية ولا حركات العيارين الذين كانوا يرهجون المدن (وسنعود للحديث عن اثر ذلك على التجارة) اما الصراعات الداخلية بين الأسرة الحاكمة، فقد ظلت فارس بعيدة عنها لفترة طويلة، ولم تعرفها بشكلها القوي والعنيف الا في اواخر الحكم البويهي. ومن جهة أخرى، فقد حظيت التجارة بفارس برعاية بعض الامراء، كعضد الدولة، الذين عملوا على القضاء على قطاع الطرق وتوفير الامن للقوافل التجارية ومنع التعديات عليها واقامة الاسواق وتنظيمها وتوفير متطلباتها. ان كل هذه الاوضاع أتاحت الى أن تعرف فارس خلال هذه المرحلة نشاطاً تجارياً كبيراً، اكد على مكانتها كإحدى اهم المراكز التجارية في بلاد الاسلام.

٧ ـ التجار

كان التجار من الناحية الاجتماعية في المرتبة الدنيا، واستناداً الى كتب الجغرافيون، فان

---

(١) Cahen, Islam, p. 129 - 130. Aubin, ruine, p. 295.

(٢) Cahen, Islam p. 129.

السلطان أو الامير يأتي في المرتبة الاولى ثم كبار الملاك، ثم الكتاب، فموظفو ادارات الدولة ثم الفقهاء والعلماء ثم يأتي التناء والتجار[1] والحرفيون وفي نهاية السلم هناك الفقراء الذين كانوا لا يملكون وسيلة ثابتة من وسائل الرزق ويعيشون على العمل اليومي او على الحسنات العارضة[2].

واتصف تجار فارس بحبهم لجمع المال والحرص عليه[3]. شأنهم في ذلك شأن كل التجار عامة. وكان هذا الحرص الشديد على المال يفسر لدى الناس بأنه بخل وينظر اليه بازدراء، كما أن المظهر الخارجي للتجار، كان يؤكد «وضاعتهم» الاجتماعية، فكان لباسهم هو نفسه لباس التناء، بل ان بعض كبار تجار فارس ما كان في لباسه يتميز عن اجيره[4]، لذلك لا عجب أن نرى الوزير ابن الفرات يصف ابن الجصاص اشهر تجار العراق في القرن الرابع الهجري قائلا: «بأنه رقيع عامي»[5].

لكن هذه النظرة «النظرية» للتجار ما كانت تعكس حقيقة مستواهم الاجتماعي ودورهم في الحياة السياسية والعامة. ذلك ان غنى التجار المالي قد وصل الى أوجهه، حتى باتوا أغنى الفئات الاجتماعية على الاطلاق، وادى تراكم الثروة لديهم الى أن باتوا أكبر «رأسماليي» العصر. وينقل لنا ابن حوقل صورة عن غنى التجار، فيقول إنه التقى سنة ٣٥٠/ ٩٦١ في البصرة أحد كبار تجار سيراف وهو أبو بكر أحمد بن عمر السيرافي، حاملاً له رسالة من أحد اصحابه، ويتابع ابن حوقل قائلاً: «فأخذ الكتاب من حيث لم ينظر اليَّ فقرأه ثم وضعه من يده ولم يَعرني لحظ عين، وسأله في الكتاب فخاطبني على معانيه واستعلام ما عرّض فيه من مخاطبته وما بينهما مما يجب وقوفه عليه من جهتي كالمستشهد بعلمي بعد تعريفه في الكتاب صورتي ومحلي منه، ثم اقبل على بعض خدمه وذكر مراكبه وحاله فوثبت غيظاً وتركته، وأنا لا أبصر ما بين يديّ من شدة ما نالني وداخلني باعراضه عني، فكأنه لاحظ مكاني فقال: ما فعل الرجل؟ فقيل: من هو؟ فقال: صاحب فلان. فقيل له: وبصاحب فلان فعلت هذا الانقباض لقد خرج وهو لا يبصر ما بين يديه ألماً وغيظاً! فقال عليَّ به؛ فلحقني كاتب له وقد بث جماعة غيره في طلبي في الطريق الذي قصدت له فقال: إن الشيخ تألم من خروجك بغير إذنه وعرّفناه ما ظهر لنا منك وقد انفذنا لردّك. فقلت: والله لقد رأيت أكثر ملوك الأرض ومن تحت أيديهم من الناس على اختلاف أطوارهم وتباين احوالهم وهم قطب الصلف، فما رأيت رجلاً أكثر زهواً ولا اقبح صلفاً وبأواً منه. فقال لي كاتبه، وحق له ذلك: هذا

---

(١) الاصطخري، ص. ٨٣ - ٨٩.

(٢) Cahen, Islam, p. 118.

(٣) الاصطخري، ص. ٨٣ - ٨٤.

(٤) الاصطخري، ص. ٨٣ - ٨٤.

(٥) التنوخي، نشوار، جـ ١ ص. ٢٦٣.

رجل اعتل في سنة ثماني وأربعين علة خيف عليه منها فأوصى فبلغ ثلث ماله مع شيء استزاده على الثلث لأنه لا وارث له، فبلغت وصيته تسعمائة ألف دينار بين مركب قائم بنفسه وآلته في يد وكيل معلوم ما لديه، وعنده بالحسبانات الظاهرة والقبوض المعلومة المعروفة من جهاتها وأوقاتها الى بربهار ومتاع من جوهر وعطر في خانباراته ومخازنه، وقل مركب خطف له الى ناحية من نواحي الهند أو الزنج أو الصين فكان له فيه شريك أو كرى الا على حسب التفضل على المحمول بغير أجرة ولا عوض: فأفحمني قوله وعدت اليه فاعتذر مما كان. وهذا وأن زاد على الثلث فلعله أوصى بنصف ماله، وما سمعت أن احداً من التجار ملك هذا المقدار ولا تصرف فيه »[1].

كان تجار فارس من أغنى تجار المملكة، وقد وصلت ثروة أحد التجار من تجارته البحرية فقط، ما يزيد عن ٦٠ مليون درهم[2]، وبلغت ثروة آخر ٤ ملايين دينار[3].

وقد عُرفت سيراف في عصر الاصطخري والمقدسي بغناها الشديد، وقد ظهر ذلك بكبر وجمال أبنيتها، ويقول المقدسي بأنه لم يرى « في الاسلام أعجب من دورها ولا أحسن. وقد بنيت من خشب الساج والآجر. شاهقة، تشتري الدار الواحدة بفوق المائة الف درهم »[4].

لقد شكل كبار تجار فارس ما يشبه « الارستقراطية المالية » فكانوا يعيشون في منازل أو قصور فخمة[5]، مع اعداد كبيرة من الخدم والعبيد، بالاضافة الى كتابهم ومحاسبيهم الذين يساعدونهم في تصريف وادارة اعمالهم.

وقد اتاح هذا الغنى للتاجر الكبير أن يلعب « دور نصير الاداب والمحسن بصدقته ومساعدته لفقراء الجماعة، وساهم بأمواله بتجميل المباني الدينية (جوامع، كنس أو كنائس) والمبرات الخيرية، كالمنشآت ذات المنفعة العامة، مدارس او سبلان ماء مثلاً. كما كان التاجر يقدم المأوى والطعام للطلاب وللمعلمين، ويستضيف الحجاج في حجهم »[6].

ومن جهة أخرى، فإن التجار باتوا قريبين جداً من رجال الدولة لحاجة هؤلاء الآخرين إليهم، اذ كان التجار في احيان كثيرة يتولون تقديم التسليفات المالية للدولة أو للوزير وغيره. وكان لبعض كبار رجال الدولة أعمال تجارية مما يعني تقوية الصلات بينهم وبين التجار. ويذكر الروذراوري ان ابن صالحان وزير شرف الدولة كانت له تجارات وحمولات بنيسابور[7]، إن هذه

---

(١) ابن حوقل، ص. ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

(٢) الاصطخري، ص. ٩٣، ٩٤.

(٣) المصدر نفسه، ص. ٨٣ ـ ٨٤.

(٤) المقدسي، ص. ٤٢٦.

(٥) ياقوت، البلدان، جـ ٤ ص. ٤٢٩.

(٦) Lombard, Islam, p. 168.

(٧) ذيل، ص. ١٣٨.

الاوضاع التي رقيت اليها حالة التجار، اكسبتهم احترام الناس واسقطت عملياً تلك النظرة المتدنية التي كان ينظر بها اليهم، والواقع انهم عملياً باتوا يشكلون طبقة « برجوازية ». « ولقد سارت برجوازية التجار في نموها وارتقائها، جنباً الى جنب نمو الطبقة العسكرية. ولئن تمت الغلبة للجند في نهاية الأمر، إلا أن البرجوازية ظلت ظاهرة اساسية تميز بها العهد الاسلامي المعهود قياساً على اوروبا في مطلع العصر الوسيط »[1].

وعلى العموم، فقد كان هناك ثلاثة أصناف من التجار الكبار، أهمهم: أولئك الذين كانوا يتولون التجارة الخارجية، مع بلدان مختلفة، إما عن طريق البحر أو عن طريق البر، ويخبرنا الاصطخري ان أهل سيراف والسواحل كانوا يتاجرون مع الخارج بحرياً، في حين أن أهل كازرون وفسا وغيرهم فهم أهل التجارات البرية. ولم يكن تجار البر أقل غنى من تجار البحر. فكان منهم أيضاً من بلغت ثروته الكثير[2]؛ ثم هناك التجار الذين يشترون البضائع محلياً ويخزنونها لبيعها في الوقت المناسب حينما يرتفع سعرها. والصنف الثالث هم التجار الذين يشترون البضائع ويبيعونها عن طريق وكلاء، تجاريين يثقون بهم[3]. وهناك طبعا، التجار الصغار الذين يعملون بالمفرق.

ولا بد من الاشارة هنا، الى الوكلاء، والسماسرة، فالاشارات الكثيرة التي وردت عنهم في اخبار التجار، تدل على أهميتهم في الحياة التجارية. وقد رأينا سابقاً عند حديثنا عن التاجر أبو بكر احمد بن عمر السيرافي، كيف أن قسماً من أمواله كان بيد الوكلاء، فالوكيل هو الذي يتولى بيع أو شراء بضاعة لحساب موكله، أي أنه كان يقوم بما تقوم به فروع الشركات التجارية في الوقت الحاضر[4]. أما السماسرة فكانوا يتولون دور الوسطاء بين التجار لبيع وشراء البضائع، وكان لا غنى عن السمسار وخدماته « بالنسبة للتاجر الأجنبي الذي لا يعرف شيئاً عن عادات البلد ولغته وأسعاره. وليس هذا السمسار سوى صورة مكبرة للسمسار الصغير الذي يتدخل في التجارة المحلية داخل الأسواق ليجمع بين صانع البضاعة وزبائنه، أو ليجمع بين المشتري وما يحتاج اليه من متاع »[5] وكلما ازدهر النشاط التجاري، ازدهر دور السماسرة وازدادت اعدادهم، وفي فارس بات لهم مركز تتم فيه عمليات البيع والشراء بواسطتهم. فقد بنى عضد الدولة للسماسرة في كازرون داراً يعملون داخلها، وبلغ دخل السلطان منها في كل يوم عشرة آلاف درهم[6]. ويبدو ان اختيار

---

(١) Cahen, Islam, p. 118.

(٢) الاصطخري، ص. ٨٤.

(٣) انظر حول أصناف التجار، الدوري، تاريخ، ص. ١٢٥ - ١٢٦.

(٤) الدوري، تاريخ، ص. ١٢٦.

(٥) Cahen, Islam, p. 138.

(٦) المقدسي، ص. ٤٣٤. ياقوت، البلدان، جـ ٤ ص. ٤٢٩.

كازرون كان يتناسب مع المكانة الهامة التي احتلتها المدينة في التجارة البرية كما اشرنا قبل قليل، وكونها أحد أهم مراكز صناعة النسيج بفارس. وكانت أرباح السماسرة كبيرة بدليل مستوى غناهم إذ كانوا يعيشون في قصور حصينة حسنة[1]. مما يعني كبر حجم العمليات التجارية التي يقومون بها.

وقد شكل التجار في بعض الأحيان، شركات فيما بينهم، وكانت الشراكة تأخذ طابعاً عائلياً بين الأخوة والاقرباء كشركة أحمد وعبد الصمد أخوي عبد الرحيم بن جعفر السيرافي[2]، واحياناً بين شخصين أو ثلاثة اشخاص، وكانت الشراكة احياناً مؤقتة على صفقة واحدة كما يتضح من خبر التاجر أبي بكر السيرافي واحياناً اكثر أو دائمة. وكان بإمكان التجار ان يشتركوا برأس المال والعمل أو بأحدهما، أو أن يقدموا رأس المال لآخرين ليتاجروا به، ويتحدد شكل الشركة بنطاق المشاركة وشكلها[3].

وكان تجار فارس ينتمون الى مختلف فئات سكان الاقليم وطوائفه، من فرس وعرب، ويهود وزرادشتيين ومسيحيين. ويذكر المقدسي ان الأسواق في شيراز كانت تزيّن في أعياد غير المسلمين[4] مما يعني وجود قطاع لا بأس به من التجار داخل الاسواق من اهل الذمة إلا أن الفرس واليهود كانوا أبرز تجار الاقليم. وكانت اكبر جاليات اليهود في فارس موجودة في أكبر مدن الأقليم التجارية، أي سيراف وشيراز، وقد سبق وتحدثنا عن ذلك في حديثنا عن الطوائف الدينية. وبرز دور اليهود التجاري بشكل خاص في أعمال الجهبذة والصيرفة.

وأدى توسع الحركة التجارية وكبر حجم العمليات المالية وأيضاً حاجة الدولة الى النقود، الى ضرورة ايجاد طرق لدفع الأموال، وتجنبها الضياع والسرقة، وتحويلها من مكان الى آخر. كما كان الأغنياء وكبار التجار بحاجة الى مراكز لايداع أموالهم، واستثمارها، وأحياناً لاستيلاف النقود. وكانت الدولة نفسها قد أخذت بالإلتجاء للاقتراض لحاجاتها الى المال، إما لتأخير موعد الجباية أو لفقر الخزينة. هكذا نشأت مهنتا الجهبذة والصيرفة.

وقد تطور مدلول كلمة جهبذ[5] من كاتب خراج الى ان بات في القرن الرابع يعني صاحب مصرف. وكان الجهابذة تجاراً أغنياء في الاصل: استعانت بهم الدولة لجهبذة بعض المناطق، وأخذت تقترض منهم الأموال سلفاً ثم يستوفون هذه الاموال من ضرائب المناطق المعينين عليها،

---

(١) المصدر نفسه. المصدر نفسه.

(٢) المسعودي، مروج، جـ ١ ص. ١٠٧ - ١٠٨.

(٣) انظر حول الشركات وأنواعها: الدوري، تاريخ، ص. ١٢٦ - ١٣٢ Cahen, Islam, p. 139 - 140.

(٤) المقدسي، ص. ٤٢٩.

(٥) انظر الدوري، تاريخ، ص. ١٥٧ - ١٦٠.

إذ كان من بين أعمال الجهبذ تفويضه بجباية ضرائب بعض المقاطعات. كما استعان كبار رجال الدولة وكبار الاغنياء بالجهابذة لايداع أموالهم عندهم خوفاً من المصادرة. لذلك كان لكبار رجال الدولة كالوزراء والعمال جهابذتهم الخاصين، وكان جهابذة العمال في أحيان كثيرة يشرفون أيضاً على ضياع وأملاك مودعهم. وكانت رؤوس اموال الجهابذة كبيرة جداً وأكبر جزء منها كان من ودائع الوزراء والموظفين الكبار، وبلغت هذه الايداعات ملايين الدينارات. مما ساهم في توسيع عمل الجهابذة فصاروا يعملون بالتسليف وان بحدود ضيقة[١].

أما الصيرفة[٢]، فكان عملها في البداية مختصاً بتقييم النقود من حيث الجودة ووزنها، وهي مهمة ضرورية للمعاملات التجارية، وأيضاً تحويل النقود أو صرفها خاصة لاغراض التجارة، ولم يكن سعر التحويل يعتمد على النقود وحدها بل على حالة الاسواق، والاعتبارات التجارية وسعر الذهب والفضة[٣]. كما أدى توسع التجارة، الى توسع أعمال الصيارفة فأخذوا يشتغلون بالتسليف ويقبلون بالودائع، ويتوسطون بين الناس «ودار الضرب» بأخذ الفضة والذهب من الناس لصكها، دافعين لاصحابها نقوداً تعادلها في القيمة الاسمية، ولهذا كانوا يستفيدون من الفرق بين القيمتين[٤]. وقد قام الصيارفة في القرن الرابع بخدمات عظيمة للتجارة، فكانوا يسلفون الأموال للتجار ويتسلمون منهم الودائع، ويسهلون تجارة الائتمان[٥]. وكان للائتمان دور مهم في التجارة خاصة البعيدة، وعدا عن عمليات الإقراض التي تفترض رد المبلغ في وقت لاحق محدداً، أو دفعه اقساطاً، فقد كان أهم عمليات الائتمان هي القراض والمضاربة. أما مصدر أموال الصرافين، فكان بالدرجة الأولى من الودائع، ثم من ارباحهم الكبيرة التي يحققونها عن طريق الفوائد المالية التي يحصلون عليها مقابل معاملاتهم النقدية[٦]. واذا كان معظم الجهابذة من اليهود فقد كان الصيارفة من المسيحيين واليهود، وأحياناً قليلة من المسلمين[٧].

والواقع أنه من الصعب التمييز بوضوح وبسهولة ما بين الجهبذة والصيرفة، لتداخل عمل الجانبين بصورة مشتركة في بعض العمليات المالية، إذ كان الجهبذ والصراف يقومان بعمليات الاقراض والتسليف وتقبل الودائع. إلا أن ما كان يميزهما عن بعض، أن الجهبذ كانت علاقته الاساسية مع الدولة، ورجالاتها الكبار كالوزراء والعمال. ولم يقم بأعمال الاقراض لأفراد الشعب

---

(١) الدوري، تاريخ، ص. ١٥٧ – ١٦٧. Voir, Cahen, Islam, p. 139 - 141.

(٢) الدوري، تاريخ، ص. ١٦٤ – ١٦٧.

(٣) المصدر نفسه، ص. ١٦٥.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) الدوري، تاريخ، ص. ١٦٦.

(٦) المصدر نفسه، ص. ١٦٦ – ١٦٧.

(٧) المصدر نفسه، ص. ١٦٧. Cahen, Islam, p. 139 - 141.

والتجار إلا بصورة جزئية وقليلة. في حين أن الصيرفي كان مجال عمله الاساسي مع التجار وسائر أفراد الشعب، وإنحصر تعامله مع الدولة بأضيق نطاق. وكان نطاق أعمال الصيرفي أوسع بكثير من الجهبذ، إذ عمل الصيرفي في التدقيق في النقود وصرفها وتحويلها، وفي اعمال الائتمان بمختلف أنواعها.

كانت الوسيلتان الاساسيتان لاعمال الجهبذة والصيرفة هما السفتجة والصك وبواسطتهما تتم مختلف أنواع المعاملات المالية(١).

الأسواق

كانت الاسواق جزءاً اساسياً من المدينة الاسلامية، وهي مركز التجارة والصناعة. ولم تخلُ أي مدينة ولو صغيرة من سوق، أما المدن الكبرى فكانت تضم عدداً من الاسواق موزعة حسب طوائف التجار. وقد سبق وتحدثنا عن أسواق فارس عند حديثنا عن المدن، وسنكتفي هنا بوصف أهم تلك الأسواق. فشيراز، باعتبارها عاصمة الاقليم، ومقر الأمير والدواوين والجيش، فقد كانت ملتقى التجار، والى أسواقها تحمل عامة المنتوجات الزراعية(٢) والصناعية المنتجة في الاقليم، كما تصب فيها أنواع السلع المختلفة المستوردة من الخارج.

وقد لاحظ الرحالة الاوروبيون الذي شاهدوا المدينة بعد أن ذهب عزها القديم، لاحظوا عظم اسواقها وتنوعها(٣)، إلا أنها كانت ضيقة الممرات مما كان يؤدي الى ازدحام داخلها كما يذكر المقدسي(٤)، وكانت أسواقها كما هي العادة متنوعة الأصناف، تنوع أنواع التجارات، إذ كان لكل طائفة من التجار سوقها، ومن هذه الأسواق هناك اشارات لسوق البزازين(٥) وسوق الدواب(٦)، وقد بنى عضد الدولة في مدينة كردفناخسرو المجاورة لشيراز، أسواق حسنة نقل إليها الصوافين وصناع الخز والديباج وكل بركان(٧). وربما كانت هذه الأسواق على شاكلة الاسواق التي بناها عضد الدولة نفسه في مدينة رام هرمز في خوزستان، وقد وصفها المقدسي قائلاً: «ما رأيت أعجب منها نظيفة ظريفة قد زوقت وبربقت وبُلطت وظللت وجعل عليها

---

(١) انظر حول السفتجة والصك: الدوري، تاريخ، ص. ١٦٨ - ١٧١. Cahen, Islam, p. 139 - 140.

(٢) ابن حوقل، ص. ٢٤٦.

(٣) آربري، شيراز، ص. ٧٣.

(٤) المقدسي، ص. ٤٢٩.

(٥) المقدسي، ص. ٤٣٠.

(٦) سيرة المؤيد، ص. ٩.

(٧) المقدسي، ص. ٤٣١.

دروب تغلق في كل ليلة يسكنها البزازون والعطارون والحصارون »[1].

وكان للتجار الذين يتاجرون بالسلع المستوردة من الخارج، مكانة مرموقة بين تجار شيراز، حتى أنهم كانوا أغنى تجار المدينة[2].

أما ارجان، فكانت تحتوي على كل أنواع المنتوجات حتى اعتبرت أنها خزانة فارس، والعراق[3]. وقد ضمنت مختلف أنواع الأسواق، وكانت أحسن هذه الاسواق، سوق الحنطة وسوق البزازين، الذي يصفه المقدسي بأنه كان على شاكلة سوق سجستان، « ذو صفوف مصلبة والأبواب من الأربعة جوانب يقابل بعضها بعضاً وتغلق كل ليلة »[4]. وبالمقابل فقد كانت سيراف ببضائعها وما احتوته أسواقها « خزانة فارس وخراسان »[5]، وعرفت بلباقة أسواقها وكبرها، وغنى تجارها، واتساع نشاطها التجاري، وكثرة التجار الاجانب فيها، حتى اعتبرت السوق الأعظم لفارس[6]. فبواسطتها كانت تمر صادرات فارس ووارداتها، وكانت فرضة لبضائع الصين خاصة[7]. ويذكر ابن البلخي ان دكاكين سوق العطارين بسيراف كانت مليئة بالزهور والكافور والصندل الخشبي وما شابه ذلك، وان احوالها الاقتصادية بقيت مزدهرة الى اواخر الحكم البويهي[8]. أما اصطخر فكانت بدورها تضم عدة اسواق، حيث يجد الشاري كل أنواع البضائع[9]. وكانت أسواق كثة معروفة بحسن عمارتها [10].

الصادرات والواردات

يقدم لنا الجغرافيون لوائح مفصلة عن صادرات فارس في هذا العصر، وهذه اللوائح نجدها عند الاصطخري وابن حوقل والمقدسي، ويمكننا استناداً الى ما ورد فيها ان نذكر صادرات كل مدينة بفارس على انفراد.

من ارجان: الدبس والصابون والزيت والثياب والفوط ومعدن المومياي.

من مهربان: الاسماك والتمور والقرب.

---

(١) المصدر نفسه، ص. ٤١٣.
(٢) مستوفي، ص. ١١٢ - ١١٤.
(٣) المقدسي، ص. ٤٢٥.
(٤) المقدسي، ص. ٤٢٥.
(٥) المصدر نفسه، ص. ٤٢٦.
(٦) المصدر نفسه، ص. ٤٢٦ ؛ الادريسي، ص. ٣٩٧.
(٧) متز، جـ ص. ٤٣٨.
(٨) ابن البلخي، ص. ٣٢٢.
(٩) الادريسي، ص. ٣٩٣.
(١٠) المصدر نفسه، ص. ٤١٨ - ٤١٩.

من سينيز : ثياب كتان.

من سيراف: الفوط واللؤلؤ وأُزرُ الكتان والموازين والبربهار .

ومن داربجرد : الثياب والحُصر والبسط والستائر والدوشاب ، والزئبق.

فُرج: الثياب والبسط والستور والدبس والبزر والكتان.

تارم: الدوشاب السوسنجرد والتمور والقرب والسطائح والدلاء والمراوح.

جهرم: البسط والستور والانماط والمصليات وثياب الوش والزلالي.

شيراز: الاكسية البركانات والمنيرات والابراد ويعمل بها خز وديباج وحلل وريحان وخيار، وزعفران.

فسا: ثياب القز والشعر واكسية وانماط وبسط وفوط ومنيرات والوشي، والستور والفروش، والعصفر والموائد والخركاهات والمناديل، وتين وسفرجل، وسرو، ومعدن المومياء.

سابور: عشرة أنواع من الادهان وفواكه كثيرة وجوز وزيت واترنج وقصب سكر، والصفصاف.

كازرون: ثياب القصب ومناذيل وثياب كتانية، والتمر.

توز: ثياب القصب ومناديل وثياب كتانية والسوسنجرد.

دريز: ثياب القصب ومناديل.

جنابة: ثياب كتان.

من جور وكول: الماورد، وماء الطلع، وماء الخلاف، ماء الزعفران، وماء القيسوم، وثياب كثيرة.

اصطخر: الارز والمأكولات.

روذان: ثياب واديم والقرب والشمشكات.

شيراز: الاجاص العمري، والبركانات والمنيرات ودوشاب وابراد.

داربجرد: ملح الطبرزد والنفطي، وسمك، ومعدن المومياي.

نيريز: حجر المغنيسيا، وحديد وطين أبيض وأسود.

يزد وابرقوة: ثياب قطن.

الغندجان: البسط، والستور، والمقاعد.

جانات (اصطخر): ثياب قطن تعرف بالجاناتي.

الواردات:

لكن بعكس الصادرات فليست لدينا لائحة مفصلة وكاملة بما كانت تستورده فارس، وسنحاول تعداد أهم الواردات استناداً إلى عدد من المصادر. ولا بد من الاشارة الى أن فارس

بصورة عامة لم تكن مستوردة للمواد الغذائية، لغناها في هذا المجال. في حين أن معظم المواد المستوردة كانت إما مواداً خاماً لحاجة صناعاتها، أو مواداً استهلاكية خاصة السلع النفيسة. ولم تكن كل مستوردات فارس من السلع النفيسة لاستهلاكها، بل كانت باعتبارها أحد المراكز الاساسية في التجارة الدولية، بمثابة المستودع لتلك المنتوجات المستوردة من الهند والصين، والتي يعاد تصديرها من جديد انطلاقاً من فارس وخاصة من سيراف الى بلدان اخرى[١].

وأهم واردات فارس:

من الهند: القطن[٢]، الاحجار الكريمة، والعنبر والكافور، والعاج، والخيزران والآبنوس والفلفل والصندل وسائر الطيب والأدوية والتوابل[٣].

من خوزستان: القطن[٤].

ومن جرجان وطبرستان: الحرير الخام[٥] وكذلك من خراسان وآران وأرمينيا وأذربيجان[٦].

ومن كرمان: حب النيل[٧].

ومن بلاد الزنج الاخشاب خاصة التك من زنجبار[٨] وأيضاً جلود الزرافة لصناعة الأحذية[٩].

ومن الصين كانت السفن تحمل الى سيراف بضائع متنوعة اهمها: الحرائر الثمينة، البورسلين، والأحجار الكريمة.

التجارة الداخلية

نعني بالتجارة الداخلية حركة تبادل المنتوجات الخاصة بالاستهلاك الداخلي، غذائية كانت أم صناعية، أو تلك التي استهدفت جلب تلك المواد إلى مراكز الاستهلاك الكبرى، داخل فارس من جهة، وبينها وبين مقاطعات الدولة البويهية من جهة أخرى، وهي أساساً تلك المحيطة بفارس: العراق، كرمان، الجبال.

داخل فارس، كانت المنتجات الزراعية والصناعية تنتقل من مراكز انتاجها الى مناطق

---

(١) الاصطخري، ص. ٩٢.

(٢) Le strange, the land, p. 293 - 295. Lombard, textiles, p. 67.

(٣) الاصطخري، ص. ٩٢.

(٤) Le strange, the land, p. 293 - 295. Lombard, textiles, p. 67.

(٥) Lombard, textiles, p. 84, 87.

(٦) Ibid;

(٧) المقدسي، ص. ٤٧٠.

(٨) ابن حوقل، ص. ٢٤٨. El, art, Siraf, p. 463.

(٩) ياقوت، البلدان، جـ ٣ ص. ١٠٠.

استهلاكها تبعاً لحاجات تلك المناطق واسواقها إما لعدم وجود تلك المنتجات عندها أو لعدم كفاية ما تنتجه، أو لقدرة أسواقها على تصريف ذلك الانتاج وخاصة في المدن الكبرى. وكان الانتاج الزراعي في الريف عادة ما يصب بالدرجة الاولى في المدن القريبة لتلك الارياف ثم ينتقل منها الى سائر مدن الاقليم الاخرى. ويذكر الجغرافيون ان عامة المنتوجات الزراعية في نواحي شيراز كانت تحمل الى شيراز[1]. كذلك كانت منتوجات هَرّاة من الفاكهة تحمل الى النواحي[2]. والأمر نفسه بالنسبة للمنتوجات الصناعية، فكانت مصنوعات داربجرد من الأواني المصنوعة من الاملاح الملونة، تصدر الى مختلف مدن فارس وايضاً الى الخارج[3]. وكذلك الحال بالنسبة لتبادل السلع بين فارس ومقاطعات الدولة البويهية، فمنتوجات كثه تحمل الى أصفهان وغيرها[4]. كما تحمل غلات فارس لبغداد[5].

وكانت المنتوجات والسلع المستوردة من الخارج، والتي كانت سيراف المستودع الاساسي لها، يحول قسم منها الى التجارة الداخلية، حيث يتم نقل بعض هذه السلع الى داخل فارس لتأمين حاجات اسواقها، ومن هنا كانت الطرق البرية هي الوسيلة الاساسية التي يتم عبرها نقل البضائع داخلياً اذ لم تكن أنهر وبحيرات فارس على العموم صالحة للملاحة[6]، رغم ان الاصطخري يقول انه كان بفارس ١٢ نهراً تحمل السفن اذا اجريت فيها[7]، إلا ان ليست هناك اية اشارة تؤكد هذا الكلام في كتب الجغرافيين أو عند المؤرخين. وفي الحالات الضرورية كان يلجأ الى الملاحة البحرية لنقل البضائع بين فارس والعراق[8].

تتصل المدن الكبرى بفارس ببعضها البعض بواسطة شبكة من الطرق، كما كانت هذه الشبكة تؤدي الى المقاطعات المجاورة. وغالباً ما حملت الابواب التي كانت للمدن اسماء المدن التي تصل اليها كما هي الحال هذه الايام في المدن الكبرى ـ فمثلاً ـ كان لشيراز ثمانية دروب (أبواب) باب اصطخر، درب تستر، درب بنداستانه، درب غسان (سينيز)، درب سلم، درب كوار، درب مندر، درب مهندر[9]، أما ارجان فكان لها ستة دروب هي درب الاهواز، درب ريشهر، درب

(١) الاصطخري، ص. ٧٧. ابن حوقل، ص. ٢٤٦.
(٢) المصدر نفسه. المصدر نفسه، ص. ٢٤٧.
(٣) ابن حوقل، ص. ٢٦٢.
(٤) المصدر نفسه، ص. ٢٤٧. الاصطخري، ص. ٧٧.
(٥) الصابي، تاريخ، ص. ٣٩٢.
(٦) متز، جـ ٢ ص. ٣٩٤.
(٧) الاصطخري، ص. ٩٩.
(٨) الصابي، تاريخ، ص. ٣٩٢.
(٩) المقدسي، ص. ٤٣٠.

شيراز، درب الرصافة، درب الميدان، درب الكيالين[1]. وأهم هذه الطرق تلك الطرق التي كانت تصل العاصمة شيراز بارجان، ونجيرم وجنابة وسيراف واصطخر ويزد ودارابجرد إلخ... وهناك أيضاً الطرق التي تصل فارس بمقاطعات البويهين المجاورة وأهمها طريق شيراز ـ سيرجان (كرمان) وشيراز ـ هرمز (كرمان)، وشيراز ـ أصفهان (الجبال) وشيراز ـ الاهواز (خوزستان) وهذه الطريق تمتد لتصل الى بغداد.

وتتولى الحكومة انشاء الطرق وصيانتها وحمايتها فإذا كانت الحكومة حازمة، كانت المواصلات آمنة، وكانت الطرق تحت اشراف صاحب ديوان البريد[2]. وتقسم الى محطات تدعى سكك، تبلغ المسافة بين كل اثنين منها فرسخان وفي كل محطة بدالة من الدواب والراكبين. وكانت مهمة البريد، نقل المراسلات والاخبار الرسمية إضافة الى مهمة خاصة وهي التجسس كما كان البريد ينقل البضائع احياناً (أنظر لاحقاً)

التجارة الخارجية

احتلت التجارة الخارجية مكانة أساسية في حياة البلاد الاقتصادية. وكان لها دور كبير في انتعاش البلاد الاقتصادي، وأيضاً في حركة التبادل الحضاري بين فارس والامبراطوريات الخارجية الكبرى كالهندية والصينية.

١ ـ التجارة البحرية:

كانت الملاحة الاساسية لفارس هي تلك التي كانت قائمة عبر خليج فارس نحو المحيط الهندي، الذي تمتد شواطئه لتصل الى بلاد الهند والصين وافريقيا..

« من الخليج الفارسي كانت المراكب تبحر الى موانىء الهند الغربية ونحو سيلان، حيث يتوقف كثير منها، في حين يصعد عدد قليل من هذه المراكب الى خليج البنغال. ولكن قد يتوجّه الكثير من السفن الإسلامية مباشرة من الخليج الفارسي إلى شبه جزيرة ملقة حيث تحط رحلها في ميناء كله الواقع الى الشمال الغربي من مدينة سنغافورة الحديثة. واذا هم استمروا في رحلتهم نزلوا في موانىء الهند الصينية أو توجهوا مباشرة الى الصين فيصلون الى مدينة كانتون، التي لم يتجاوزها أحد منهم عامة. وقد تتضافر أسباب الأمن والتجارة معاً لتمنع البحارة من عبور المحيط الواسع، لكن الريح الموسمية كانت معروفة لديهم، وفي طريق عودتهم، كانت مراكبهم تنطلق من الهند مباشرة الى

---

(١) المصدر نفسه، ص. ٤٢٥.

(٢) انظر الدوري، تاريخ، ص. ١٤٤.

الجزيرة العربية أو الى أفريقيا الشرقية قبل أن ترسي في الخليج الفارسي »[1].

« أما نشاط تجار وبحارة الخليج الفارسي في أفريقيا الشرقية ويضاف اليه نشاط اليمنيين، فلسنا نعرفه تماماً، كل ما نستطيع تأكيده انهم كانوا يترددون على السواحل الافريقية حتى جزيرة زنجبار (وهذا الاسم من اصل فارسي) الحالية. وربما بلغوا جزيرة « الكومور » والطرف الشمالي من « مدغشقر » في ظروف لا نستطيع تحديدها. وأهم الموانىء في هذه المنطقة هي ميناء « كيلوا » و « مغاديشيو »[2].

وكانت جميع مدن ساحل فارس تعمل في الملاحة البحرية، بدرجات متفاوتة تبعاً لموقعها وطبيعة خلجانها وأهميتها التجارية. وهي: مهروبان، سينيز، جنابة، ريشهر، نجيرم، سيراف، بلاد بني عمارة، بالاضافة الى جزيرتي كيش وخارك[3]. ويؤكد الجغرافيون بأن معظم اهل سيراف والسواحل كانوا يعملون في البحر[4]، إما كأرباب سفن أو بحارة أو تجاراً. وكانت مهروبان تأتي في المرتبة الثانية بعد سيراف من حيث أهميتها في حركة الملاحة بين مدن فارس. وهي مرفأ بحري تتواجد فيه خاصة كل المراكب الذاهبة الى خوزستان أو التي تأتي من البصرة وخوزستان[5]. كذلك الحال بالنسبة لسينيز، وبدرجة أقل أهمية كانت الموانىء الأخرى كجنابة ونجيرم[6].

لكن سيراف، احتلت الموقع الأول والأساسي في حركة التجارة البحرية بفارس، وكانت إلى جانب البصرة أهم مرافىء الخليج الفارسي كما كانت الى جانب عدن وعُمان اكبر مرافىء المملكة الاسلامية على المحيط الهندي[7]. وقد انفردت سيراف بهذه المكانة من بين مدن فارس الساحلية نظراً لكونها أكبر مدن الساحل، وخاصة لأنها أفضل المواقع داخل الخليج الفارسي للملاحة البحرية فكانت المراكب إذا قدمت إليها كانت في خطر إلى أن تقترب منها إلى نحو فرسخين في موضع يسمى نامبد هو خليج ضارب بين جبلين، وهو ميناء جيد للغاية، اذا حصلت المراكب فيه أمنت من جميع أنواع الرياح[8]. ذلك ان هذا الخليج كان مليئاً بالهوارات والمعاطف الصعبة

---

(١) Cahen, Islam, p. 130.

(٢) Cahen, Islam, P. 130.

(٣) المسعودي، مروج، جـ ١ ص. ١١٠. ابن حوقل، ص. ٥٢. ياقوت، البلدان، جـ ٢ ص. ٣٣٧ ـ ٣٥٩. وجـ ٤ ص. ٤٢٢، ٤٩٧.

(٤) الاصطخري، ص. ٨٤. ابن حوقل، ص. ٢٥٤.

(٥) المقدسي، ص. ٤٢٦. ابن البلخي، ص. ٨٦٧ ـ ٨٦٨. سفرنامه، ص ١٥٢.

(٦) المصدر نفسه. المصدر نفسه، ص. ٨٦٦. ياقوت، البلدان، جـ ٢ ص. ١٦٥.

(٧) متز، جـ ٢ ص. ٤٣٧.

(٨) ياقوت، البلدان، جـ ٣ ص. ٢٩٤ ـ ٢٩٥.

وأجوان مختلفة ، وكان صعب الركوب في فصل الصيف، وكانت أصعب أماكن الملاحة داخله في المنطقة بين جنابة والبصرة، وهو المكان الذي يسمى هور جنابة، لا تكاد تسلم منه سفينة عند هيجان البحر . إلا أن السفن كان بمقدورها ان تعمل بانتظام طوال السنة من عمان الى سيراف ومن سيراف الى البصرة[١] .

ولقد تمتع السيرافيون بشهرة كبيرة في عالم البحار، ويذكر المسعودي « ان السيرافيين والعمانيين هم من نواخذة البحر »[٢]. وكانوا يشكلون أكثر ملاحي المحيط الهندي[٣]. ويظهر أنهم كانوا يسترشدون بخرائط في رحلاتهم فيذكر المقدسي « ورأيت معهم (التجار) دفاتر ... يتدارسونها ويعولون عليها ويعملون بما فيها »[٤]. وقد بلغ من امتهان اهل سيراف للملاحة وللتجارة البحرية، أن كثيراً منهم كانوا يقضون حياتهم كلها في البحر، فمن ذلك ما رواه الاصطخري من أن رجلاً منهم ألف البحر حتى ذكر انه لم يخرج من السفينة نحو أربعين سنة، وكان اذا قارب البر اخرج صاحبه لقضاء حوائجه في كل مدينة، وكان اذا انكسرت السفينة التي هو فيها وتشعثت تحول عنها الى اخرى[٥].

ومن أشهر اصحاب السفن في ذلك العهد، محمد بن بابشاد، من أهل سيراف، ويذكر ان ملك الهند أمر ان ترسم له صورة لأنه كان أكبر أهل صنعته، وكانت عادة ملوك الهند ان يقتنوا صوراً لاشهر الرجال في كل حرفة[٦]. ويعدد المسعودي عدداً من كبار أرباب المراكب السيرافيين مثل محمد بن الريدوم السيرافي، وجوهر بن أحمد، واحمد وعبد الصمد اخوي عبد الرحيم بن جعفر السيرافي[٧]. كانت مراكب السيرافيين، تصل الى الهند والصين وبلاد الزنج[٨] (افريقيا الشرقية).

وقد بلغت تجارة السيرافيين مع الهند والصين أوجها في هذا العصر، وكانت التجارة البحرية مع الهند نشيطة لقربها من منطقة الخليج الفارسي. وكان الهنود يشجعون التجارة مع المسلمين، وأهم مراكز التجارة الاسلامية في الهند هي الديبل، وهي ميناء تبعد ٢٤ ميلاً الى الجنوب الغربي من مدينة (tatta) الحالية، والمنصورة على نهر السند ومدينة المولتان[٩]. وفي الدبيل كان يتم التجادل

---

(١) المسعودي، مروج، جـ ١ ص. ١٤٧. ابن حوقل، ص. ٥٢.
(٢) المصدر نفسه، ص. ٩٩.
(٣) المقدسي، ص. ٧٩، ٩٢، ٩٦.
(٤) المصدر نفسه، ص. ١٠.
(٥) الاصطخري، ص. ٨٣ - ٨٤. ابن حوقل، ص. ٢٥٤.
(٦) متز، جـ ٢ ص. ٤٣٩.
(٧) المسعودي، مروج، جـ ١ ص. ١٠٧ - ١٠٨.
(٨) ابن حوقل، ص. ٢٥٥.
(٩) الدوري، تاريخ، ص. ١٤٦ - ١٤٧.

التجاري بين الطرفين حيث كان التجار الهنود يجلبون بضائعهم من داخل الهند أو من المدن المجاورة. وكان للمسلمين في بعض مناطق الهند جاليات كبرى، فيذكر المسعودي انه شاهد سنة ٣٠٤ هـ /٩١٦ جالية إسلامية تجارية في منطقة صيمور (chaul الحالية) وفيها نحو عشرة الاف من المسلمين وسيرافيين وعمانيين ومصريين وبغداديين وبياسره من سائر الأمصار[١].

وقد فاقت شهرة تجارة سيراف مع الصين، على ما كانت عليه مع الهند، فكانت السفن السيرافية التي تصل الى الهند تتابع رحلتها الى الصين، وأحياناً كانت تتجه أساساً من الخليج الفارسي الى الصين، حيث ترسو في خانقو (كانتون) ميناء الصين الكبير[٢]. وكانت سفن العمانيين والسيرافيين والبصريين في القرن الثالث الهجري تذهب الى الصين ببضائعها وتعود محملة بالبضائع الصينية، إلا أن الحرب الأهلية التي اندلعت في الصين بين ٢٦١ و ٢٧٦/٨٧٤ و ٨٨٩ أدت الى شل الحركة التجارية واخراج التجار الاجانب من كانتون وزيتون[٣]وجعلهم يلجأون الى «كله» في ملقة التي باتت في زمن المسعودي حوالي سنة ٣٣٢ / ٩٤٤ الحد الذي تصل إليه مراكب المسلمين من السيرافيين والعمانيين، حيث يلتقي تجار المسلمين مع التجار الصينيين لتبادل البضائع، وهكذا صارت «كله» نهاية خط الملاحة الاسلامية في الشرق. إلا أن بعض التجار المسلمين كان بمقدورهم حتى في هذه الفترة الوصول بصورة إفرادية وبواسطة مراكب الصينيين الى مدينة خانقو[٤].

لكن العلاقات، عادت الى طبيعتها، في النصف الثاني من القرن الرابع، واستؤنفت الرحلات المباشرة الى كانتون وزيتون، وقد لعبت الحكومة الصينية، دوراً مهماً في اعادة تنشيط الحركة التجارية مع المسلمين، كما عادت وتشكلت من جديد الجاليات التجارية الاسلامية في كانتون وزيتون وهانج شو[٥] والتي شكل السيرافيون احد عناصرها الاساسية، ويصف المسعودي ميناء الصين الكبير كانتون والجالية التجارية التي كانت فيه قائلاً: «هي مدينة عظيمة على نهر عظيم اكبر من دجلة يصب الى بحر الصين وبين هذه المدينة وبين البحر مسيرة ستة أيام أو سبعة، وتدخل هذا النهر سفن التجار الواردة من بلاد البصرة وسيراف وعمان ومدن الهند وغيرها من الممالك بالأمتعة والجهاز وتقترب الى مدينة خانقو (كانتون) وفيها خلائق من الناس مسلمون ونصارى ويهود ومجوس بالإضافة الى سكانها من الصينيين»[٦].

---

(١) المسعودي، مروج، جـ ١ ص. ٢١٠. الدوري، تاريخ ص. ١٤٩.

(٢) انظر الدوري، تاريخ، ص. ١٤٧.

(٣) المصدر نفسه، ص. ١٤٧.

(٤) المسعودي، مروج، جـ ١ ص. ١٤٠.

(٥) متز، جـ ٢ ص. ٤٤٤ - ٤٤٥. الدوري، تاريخ، ص. ١٤٨ - ١٥٠.

(٦) المسعودي، مروج، جـ ١ ص. ١٣٨.

كذلك فلقد امتد نشاط تجار وبحارة سيراف الى افريقيا الشرقية، وقد تحدثنا قبل قليل عن خط سير سفن الخليج الفارسي الى افريقيا. ويذكر المسعودي ان السيرافيين والعمانيين كانوا على علاقة تجارية ببلاد الزنج. وان مراكبهم كانت تصل الى جزيرة قنبلو والى بلاد سفاله (موزامبيق) والواق واق من أقاصي أرض الزنج[١].

هذا النشاط الهائل لبحارة وتجار سيراف، جعل من سيراف المرفأ الاساسي لفارس الذي تمر به صادرات الاقليم ووارداته كما جعل منها مرفأ اساسياً ايضاً لبضائع الصين وبدرجة ثانية الهند. بل كانت بضائع اليمن والعراق المرسلة الى الصين تحمل على المراكب بسيراف[٢]. وكانت المراكب تقصدها من جميع البلدان. كما كانت مراكبها تصل الى معظم بلاد المحيط الهندي. حتى وصفها المقدسي بأنها باتت «دهليز الصين دون عمان وخزانة فارس وخراسان»[٣].

ولقد باتت سيراف حلقة اساسية في المواصلات الدولية، وعرفت مدن ساحل فارس أوج ازدهارها[٤] خلال هذا العصر، ـ العصر البويهي ـ بل لقد تقدمت سيراف على البصرة خلال ذلك، نتيجةً لما عانته البصرة من اضطرابات داخلية، وفتن. ولعب السيرافيون دوراً أساسياً في حركة التجارة والملاحة الاسلامية، وكانوا هم «الذين وضعوا الوثائق المبتكرة والهامة والتي بين ايدينا عن تاريخ تجارة المحيط الهندي»[٥]. وبطبيعة الحال فقد انعكست حالة النمو الكبير التي عرفتها فارس عامة ومدن ساحلها خاصة في الحركة الملاحية والتجارية الاسلامية على الاوضاع الاقتصادية للمقاطعة، فباتت سيراف من أغنى مقاطعات فارس وبدت مظاهر حالة الغنى هذه، في غنى تجارها الذين كانوا من أغنى التجار، ومن النهضة العمرانية التي شهدتها سيراف في هذا الوقت وأيضاً في ضخامة ما تدفعه من ضرائب وهذا ما سنتحدث عنه بعد قليل. كذلك فقد كان من اثر هذا المركز العظيم الذي تمتعت به سيراف ان اللغة الفارسية اصبحت اكبر لسان يتكلم به تجار المسلمين الذين يقصدون الهند وشرق آسيا ولا تزال اللغة العربية إلى اليوم تشتمل على كثير من الاصطلاحات البحرية الفارسية[٦]، ورافق حركة المبادلات التجارية تلك حركة تبادل ثقافي، خاصة مع الهند.

وقد عانت سيراف قليلاً، بعدما استولى البويهيون على عُمان وعمروا مدينة سنجار[٧] التي

---

(١) المسعودي، مروج، جـ ١ ص. ١٠٧ ـ ١٠٨.

(٢) متز، جـ ٢ ص. ٤٣٨. ابن الفقيه، ص. ١١.

(٣) المقدسي، ص. ٤٢٦.

(٤) Aubin, ruine, p. 295. Lombard, Islam, p. 236 - 235.

(٥) Cahen, Islam, p. 130.

(٦) انظر متز، جـ ٢ ص. ٤٣٩ ـ ٤٤٠.

(٧) المقدسي، ص. ٤٢٦.

ستشكل فيما بعد منافساً لسيراف. كما عانت المدينة بعض الشيء، إثر الزلزلة التي وقعت بها سنة ٩٧٦/٣٦٦ أو ٩٧٧/٣٦٧ واستمرت سبعة أيام وهدمت أكثر مبانيها، إلا أن سرعان ما أعيد عمارتها، وعادت الى ما كانت عليه سابقاً(١). إلا أن سيراف لم تبدأ أوضاعها بالتقهقر إلا في أواخر الحكم البويهي، بعدما نشبت الاضطرابات والفتن داخل المقاطعة، ومن ثم بعدما استولى اليمنيون على جزيرة قيس وعمروها وصارت منقلب التجار وفرضة الهند(٢).

التجارة البرية:

وإذا كان سكان سيراف والسواحل هم كما يقال أرباب التجارة البحرية، فقد كان سكان المدن الداخلية بفارس ككازرون وفسا وغيرهم أرباب التجارة البرية الخارجية(٣).

كانت تجارة فارس البرية ناشطة، كما حظي تجارها بثروات كبيرة(٤). شأنهم في ذلك شأن التجار البحريين. لكن فارس لم تبلغ في التجارة البرية شأنها في التجارة البحرية. فهي لم تكن مركزاً أساسياً من مراكز التجارة البرية في بلاد الإسلام، ولم تشكل حلقة أساسية في حلقات شبكة المواصلات البرية الكبرى، فقد كانت بغداد، ملتقى لشبكات الطرق الكبرى(٥) كما كانت خراسان وخوارزم وما وراء النهر(٦) المراكز الاساسية للتجارة البرية. إن ما ساعد على انتعاش التجارة البرية لفارس، فكان كثرة انتاجها الزراعي والصناعي حيث كانت تصدر قسماً منه الى الخارج، وأيضاً كونها مستودعاً كبيراً للبضائع المستوردة من الهند والصين عن طريق البحر، حيث يعاد تصدير قسم منها الى الخارج ايضاً. وكما أشرنا سابقاً، فإن طرق التجارة البرية الاساسية داخل فارس كانت تلك التي تنطلق من العاصمة شيراز، وتتصل بمعظم المدن الكبرى الاساسية أما تلك التي ترتبط بشبكة المواصلات البرية الخارجية الكبرى فكانت:

أولاً - الطريق التي تصل فارس بجنوب العراق، وهي التي تنطلق من شيراز وتمر بارجان ثم تدخل خوزستان فتمر بالاهواز ثم الى البصرة. وكانت هذه الطريق بعد أن تصل الى داخل خوزستان تتفرع منها طريق تصل الى ديزفول ثم تتجه الى بغداد.

ثانياً - الطريق التي تقطع ايران من شيراز الى نيسابور وتمر بيزد ثم تقطع المفازه الى طبس في كوهستان ومنها الى نيسابور في خراسان وكانت القوافل على هذه الطريق تتعرض لهجمات

(١) المصدر نفسه، ص. ٤٢٦ - ٤٢٧.

(٢) ياقوت، البلدان، جـ ٣ ص. ٢٩٤ - ٢٩٥. الادريسي، ص. ١٥٢.

(٣) الاصطخري، ص. ٨٤.

(٤) الاصطخري، ص. ٨٤.

(٥) انظر الدوري، تاريخ، ص. ١٥٠ - ١٥١. متز حضارة، جـ ٢ ص. ٤١٢ - ٤١٤.
Voir, Lombard. Islam, p. 238 - 239.

(٦) متز حضارة، جـ ٢ ص. ٤١٧ - ٤١٨.

اللصوص[١] في الصحراء بين يزد وطبس مما شل فاعليتها.

أما الطريق الثانية التي تصل فارس بنيسابور، فكانت تمر بسرجان في كرمان[٢]، وهناك تتفرع شرقاً باتجاه خراسان وسجيستان، وجنوباً باتجاه جيرفت وهرمز وسيراف[٣]. ومن كرمان كان ينطلق خط المواصلات القديم الذي يصل الى السند ثم الى الهند[٤].

إذاً بهذه الطرق كانت فارس ترتبط بأهم مراكز شبكات المواصلات الدولية: أي بغداد، ونيسابور والتي منها وما كانت تنطلق مجموعة كبرى من خطوط المواصلات التي تصل الى عدد كبير من بلدان الحضارات القائمة آنذاك. لكن صعوبات حقيقية كانت تعترض المواصلات على هاتين الطريقين. اذ كانت طريق فارس ـ خراسان كثيراً ما تتعرض لاعتداءات اللصوص وقبائل القفص، الأمر الذي دفع عضد الدولة إلى الفتك بهم لتأمين الأمن للقوافل التجارية، أما الطريق الى بغداد، فقد عرف بطولة وصعوبة مسارة.

البويهيون والتجارة

لقد ادرك كبار الامراء البويهيين خاصة عضد الدولة أهمية الحركة التجارية في غنى البلاد، وانتعاشها الاقتصادي، أي ومن جهة أخرى أهمية السيطرة على خطوط المواصلات الاساسية والتي تؤمن أوسع تبادل تجاري مع الممالك الأخرى. وكانت مسألة تأمين الأمن للتجار وللقوافل التجارية شرطاً أساسياً من شروط العمل التجاري. ولقد أدى عدم توفر هذا الشرط في بغداد الى تدهور كبير للنشاط التجاري بسبب ما نتج عنه من احتراق اسواق بكاملها وتدمير كل ما فيها من دكاكين، وبضائع، نتيجة الفتن الداخلية، وحركات العيارين، الذي فرضوا الخفائر على التجار ونهب اللصوص وأحياناً الجند مخازنهم، وفرض عليهم مالا لارزاق الجند، وصودروا، وهاجم البدو قوافل التجار ونهبوها[٥]. وهذه الاحداث تكررت خلال العهد البويهي للعراق، مما ادى في بعض الاحيان الى خروج التجار من بغداد، والانتقال الى مناطق اخرى حيث ظروف العمل أكثر ملائمة.

---

(١) متز، جـ ٢ ص. ٤١٧. ابن حوقل، ص. ٣٤١. Cahen, Islam, p. 176.

(٢) ابن حوقل، ص. ٣٤١.

(٣) Aubin, ruine, p. 295.

(٤) الدوري، تاريخ، ص. ١٥٣.

(٥) ابن الجوزي، عجائب و٣٧، ٥٢. المنتظم، جـ ٧ ص. ٣٣، ٦٠، ٦٥، ٢٨٧ وجـ ٨ ص. ٢٤، ٤٦، ٤٧، ٥٥، ٥٧. مسكويه، جـ ٢ ص. ٢٦، ٨٣، ٩٤، ٢١٥، ٣٠٨، ٣٢٨. الذهبي. دول، جـ ١ ص. ١٨٣، ١٦٤.

كانت سياسة البويهيين تجاه الحركة التجارية جزءاً من سياستهم العامة، التي ارتبطت بشكل أساسي بقدرات الأمير ومفاهيمه السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لذلك تمحورت الانجازات المهمة التي قام بها البويهيون في فارس لتنشيط وتقوية الحركة التجارية، بفترة حكم عضد الدولة.

أولى عضد الدولة عناية كبيرة، لتأمين الامن للطرق التجارية، وكانت طريق فارس خراسان قد عانت الكثير من هجمات اللصوص وقطاع الطرق خاصة في المنطقة الصحراوية التي تفصل بين يزد وطبس، وغالباً ما شلت هذه الأعمال الحركة التجارية على هذه الطريق، وايضاً على الحدود مع كرمان التي كانت خطوط مواصلاتها تتجه أيضاً، الى خراسان ومنها الى الهند والصين.

وتمثلت اعمال قطع الطرق ومهاجمة قوافل التجار، في هذه المنطقة بقبائل القفص والبلوص التي كانت تسكن احدى جبال كرمان والمعروفة بذات الاسم. ورغم ان ابن حوقل[1] يشير الى ان اعمال النهب وقطع الطرق كانت مقصورة على قبائل القفص دون البلوص إلا ان المقدسي ومسكويه يذكران ان البلوص كانوا اشر من القفص[2]. وقد شملت أعمال النهب والسلب وقطع الطرق التي كان يقوم بها رجال هاتين القبيلتين، كل كرمان والى قفازه سجستان وحدود فارس[3]. وكانت الطريق الصحراوية التي تربط بين يزد في فارس وطبس في كهستان وهي الطريق التجارية التي تصل فارس بخراسان اكثر المناطق عرضةً لهجمات هذه القبائل، التي استفادت من صعوبة الطريق وكثرة تعرجاتها لتقوم بهذه الهجمات، ويذكر المقدسي أنه قطع هذه الطريق من طبس إلى فارس في سبعين يوماً مع ان طولها لا يزيد على ثمانية وستين فرسخاً بتقدير ابن خرداذبه. ويصف المقدسي ذلك قائلاً: «خرجنا من طبس نريد فارس (يزد) فمكثنا فيها سبعين يوماً نعدل من ناحية الى ناحية، مرة نقع في طريق كرمان وتارة نقرب من اصفهان فرأيت من الطرق والمعارج ما لا أحصيه، وهي جبال كلها فيها رمال قليلة وعقاب هينة... ورأيت اسهلها، أعمرها طريق الري وأصعبها طريق فارس وأقربها طريق كرمان، وكلها مخيفة من قوم يقال لهم القفص يسيرون اليها من جبال كرمان قوم لا خلاق لهم، وجوه وحشة وقلوب قاسية وبأس وجلادة لا يبقون على احد ولا يقنعون بالمال حتى يقتلوا من ظفروا به... وكان البلوص أشر منهم حتى ابادهم عضد الدولة. وانكى في هؤلاء ايضاً»[4].

وقبل أن يقوم عضد الدولة بتثبيت الامن في هذه المنطقة، أدت اعمال السلب والنهب على هذه الطريق، الى توقف مرور القوافل التجارية عليها[5]. وفي فترات متلاحقة تعرض خط القوافل

---

(١) ابن حوقل، ص. ٢٧٠.

(٢) المقدسي، ص. ٤٨٨ - ٤٨٩. مسكويه، جـ ٢٩٨ - ٣٠٠.

(٣) ابن حوقل، ص. ٢٦٩.

(٤) المقدسي، ص. ٤٨٨ - ٤٨٩.

(٥) متز، جـ ٢ ص. ٤١٧.

التجارية التي تربط كرمان بسجستان وبخراسان الى هجمات اللصوص وقطاع الطرق من القفص والبلوص وغيرهم[1].

وكان عضد الدولة أول من اقر الامن في هذه المنطقة، فهاجمتهم جيوشه في سنوات ٣٥٩ و ٩٦٩/٣٦١ و ٩٧١ وانزلت بهم هزائم كاسحة، وقتلت الألوف منهم وأسرت اعدادا اخرى، وأخضعتهم، وعندما عاود البلوص اعمال قطع الطريق، والنهب، سار عضد الدولة بنفسه اليهم في أواخر سنة ٣٦٠ / ٩٧٠ ولحق بهم وقتل الكثير من رجالهم في هذه المعارك، وأخضعهم ثم تبين له بعد كل هذا، صعوبة الوثوق بتعهداتهم، فنقلهم عن جبالهم، واسكن مكانهم المزارعين[2].

ولم يكتف عضد الدولة بإخضاع هذه القبائل، بل أخضع سائر قطاع الطرق وعصابات السلب والنهب، كالخرمية والجاشكية، وكان هؤلاء يعترضون القوافل في البر والبحر خاصة على السواحل الى حدود عُمان[3]. وقد عمد خلفاء عضد الدولة على فارس على اخذ رهائن من هؤلاء اللصوص واستبدال غيرها بها بين الحين والآخر، لتستطيع القوافل المسافرة في حراسة الحكومة اجتياز هذا الاقليم آمنة[4].

أما الخطوة الثانية التي قام بها عضد الدولة لتوفير الأمن للقوافل التجارية، بناء الرباطات (المخافر) في النقاط الخطرة على الطرق التجارية، ففي حوالي منتصف القرن الرابع ابتنى عضد الدولة مخفراً معه خزان للماء العذب وقد وصفه المقدسي قائلاً: ورباط آب شتران هو معدن الخوف، ومأوى الكوج به قناة عذيبية تصب الى بركة، والرباط حسن، ما رأيت احسن منه ببلدان الأعاجم، من الحجارة والجص، على عمل حصون الشام، وعليه أبواب حديد وهو شديد العمارة، وفيه قوم يحفظونه، بناه ابن سيمجور صاحب جيش ملك المشرق[5]».

وكانت الرباطات تعني بالاساس الأماكن الذي يقيمها الزهاد على الطرق الصحراوية، حيث يجد المحتاج من المسافرين فيها مكاناً لإقامته وطعامه وعلف دابته. وكان هناك ايضاً الرباطات التي كان يقيمها المحسنون على الطرقات في الصحاري وفي المناطق غير الآهلة، لمساعدة المسافرين المحتاجين، ومن هذه الرباطات تلك التي أقامها أبو جعفر المرزبان وهو من أهل البيوتات بفارس[6]، كما كانت تتطلب الطرق البرية بالإضافة الى وجود اماكن يستريح فيها المسافرون،

---

(١) ابن حوقل، ص. ٣٤٠ - ٣٤١.

(٢) مسكويه، جـ ٢ ص. ٢٩٨ - ٣٠٠.

(٣) المصدر نفسه، ص. ٢٩٩، ٣٠١.

(٤) المقدسي، ص. ٤٨٩.

(٥) المصدر نفسه، ص. ٤٩٣. متز، جـ ٢ ص. ٤١٧.

(٦) ابن حوقل، ص. ٢٥٦.

توفير المياه لهم، ولدوابهم، ويحدثنا ابن حوقل انه كان على طرق فارس التي تربط المقاطعة بكرمان وبخراسان بين كل فرسخين أو ثلاث، قباب وخزانات يتجمع فيها ماء المطر[1]. أما داخل القرى التي كانت موجودة على بعض اجزاء الطريق، فقد كانت بمثابة اماكن لراحة المسافرين وتأمين حاجاتهم وكان أهل القرى بفارس يختارون من بين أنفسهم رجلاً مهمته توزيع الضيوف على أهل القرية وكانوا يسمونه الجزير[2].

أما فنادق المدن، فلم تكن موجودة الا بايران[3]، ويذكر المقدسي انه كان بشيراز شبستان (اي دار الليل) مثل الذي كان بنيسابور[4]، كما كان يوجد بشهرستان عدة خانات[5].

وقد سبق وأشرنا الى اهتمام عضد الدولة باقامة القناطر والجسور فوق الأنهر والمجاري المائية واصلاح ما خرب منها وتهدم، خاصة في بغداد إثر دخوله الى العراق. وكان انقطاع هذه الجسور أو عدمها يؤدي الى عرقلة حركة مرور البضائع وانتقالها. كما أشرنا الى اهتمام عضد الدولة بالاسواق، كالتي بناها في كازرون للسماسرة، أو التي بناها في مدينة كرد فناخسرو.

كانت حاجة البويهيين للاتصال فيما بينهم، بين اماراتهم الثلاث الاساسية، الدافع الاساسي، وراء تنظيم وتطوير البريد والعناية بطرقه، وكانت هذه الطرق هي نفسها الطرق التي يسلكها التجار. كما كان البريد ينقل البضائع احياناً، فكانت تنقل بواكير الفواكه من نواحي فارس وخوزستان الى عضد الدولة ببغداد فتصل طريه سليمة[6]. وفي الحالات الضرورية كان البعض يسافر على دواب البريد، فيذكر عن رسول العضد الدولة انه استأجر جملاً في قافلة البريد، من الموصل الى بغداد[7]. وكانت توجد محطات للبريد تسمى السكك وهي مزودة بالخيل والراكبين على مسافات معينة كل فرسخين تقريباً، حيث يتم استبدال الدابة بأخرى، وكانت الخيل والبغال والجمال تستعمل في البريد، وظهر في هذا العصر ميل كبير لاستعمال الجمازات لسرعتها.

وكان معز الدولة أمير العراق هو الذي استحدث أمر السعاة وأعطاهم الجرايات الكثيرة لأنه أراد أن يبلغ اخباره الى أخيه، ركن الدولة سريعاً، وتهافت «شباب» بغداد على هذه الحرفة الجديدة، وامتاز من هؤلاء اثنان، وهما فضل ومرعوش، وكان كل منهما يقطع ما يزيد على الاربعين فرسخاً في اليوم (١٨٠ كلم). وقد تعصب الناس لهما فكان احدهما ساعي السنة والثاني

---

(١) المصدر نفسه، ص. ٣٤٢ - ٣٤٦.
(٢) متز، جـ ٢ ص. ٤٠٧.
(٣) متز، جـ ٢ ص. ٤٠٧.
(٤) المقدسي، ص. ٤٣٠.
(٥) المقدسي، ص. ٣١، ٤٣٣.
(٦) ذيل، ص. ٤٠.
(٧) ذيل، ص. ٦٣.

ساعي الشيعة[1]. وأبدى عضد الدولة اهتماماً كبير بتنظيم البريد، وحرص على توفير كل مستلزماته وكان يعاقب السعاة اذا تأخروا، ويسائل عن السبب ويأمر بإزالته[2]. اذ كان البريد الوسيلة الأولى للاتصال بعمال الولايات وتوجيه التعليمات اليهم ومعرفة أحوال المقاطعات وتجمع المعلومات عن الخصوم وتحركات المعارضين والقوى الخارجية، وبلغ من تنظيم البريد في عهد عضد الدولة، أن النوب كانت تصل من شيراز الى بغداد في سبعة أيام[3].

٧ ـ النقد

كانت فارس قبل القرن الرابع الهجري احد المراكز الاساسية في المملكة الاسلامية لضرب العملة. اذ احتوت على عدد من دور الضرب موزعة على عدد من مدنها الاساسية. وتدلنا كتب قوائم النقود على أهم مراكز الضرب التي كانت بفارس. اذ احتوت تلك اللوائح على عملات مضروبة في فسا، وأرد شيرخره واصطخر ودرابجرد، وارجان[4]. ويتراوح تاريخ ضرب هذه النقود ما بين سنوات ٧٩/٦٩٨ و ١٥٦/٨٧٠ وكلها من الدراهم التي تتراوح أوزانها ما بين ٢,٦٥ غ و ٢,٩٥ غ[5].

لكن الاصطخري وابن حوقل يذكران بأنه لم يكن في كل فارس داراً للضرب سوى بشيراز[6]. مما يعني أن دور الضرب بفارس، في القرن الرابع الهجري تقلص عددها، وانحصرت بشيراز العاصمة فقط، ولا نجد تفسيراً لهذا الأمر، الا بما كان من محاولات لتسهيل الاشراف والتدقيق في عملية سك النقود. والواقع، فإنه ليس لدينا في المصادر المتوافرة عن النقود، معلومات خاصة بفارس، لذلك، فسيكون كلامنا عن النقود شاملاً للنقود البويهية بشكل عام، خاصة وأن أمراء فارس كثيراً ما تولوا حكم العراق أيضاً، مع الإشارة إلى أن اسعار صرف النقود، أي نسبة الدراهم للدنانير كانت تختلف من مقاطعة إلى أخرى.

كانت دور الضرب حكراً للدولة، وتخضع لإشراف الأمير البويهي أو من يكلفه بهذه المهمة والتي كان يتولاها أحياناً القضاة. فكان القاضي التنوخي[7] أحد قضاة البويهيين يشرف على

---

(١) ابن الأثير، جـ ٧ ص. ٢٢.

(٢) ذيل، ص. ٤٠.

(٣) ذيل، ص. ٤٠.

(٤) La Voix, catalogue, vol. 1, p. 29, 67, 74, 80, 83, 98, 99, 111, 136, 137, 144, 488, 489. Czapkiewics, monnaies, p. 128.

(٥) Ibid.

(٦) الاصطخري، ص. ٩٦. ابن حوقل، ص. ٢٦٤.

(٧) ياقوت، أدباء، جـ ٥ ص. ٣٠١ ـ ٣٠٩.

احدى دور الضرب. كذلك القاضي عبد الجبار بن أحمد[1]. وكان هناك حرص حقيقي على مراقبة سك النقود والتدقيق في عياره. وكثيراً ما حملت عهود الخليفة إلى أمراء المقاطعات والأمراء البويهيين أو العمال توصيات بالتشديد على مراقبة دار الضرب ومنع كل غش أو تلاعب. كذلك حملت عهود الأمراء البويهيين إلى عمالهم نفس تلك التوصيات[2]. وحتى عندما شاع في العصر البويهي تضمين دور الضرب، بقي الضامن تحت رقابة حكومية دقيقة. فقد أمر معز الدولة بقتل رجل ضمن عمالة دار الضرب بسوق الأهواز، لأنه «ضرب دنانير ردية»[3].

وكانت دار الضرب مفتوحة للجميع، ويحق لكل فرد ان يأتي بالذهب أو بالفضة لتضرب له[4]. وكان التجار والصرافون، في القرن الرابع الهجري يتوسطون بين الناس ودار الضرب، كما أشرنا الى ذلك سابقاً، فيأخذون من الناس المعادن الثمينة ويعطونهم ما يساويها في القيمة الاسمية من النقود. وكانت الحكومة تأخذ أجراً بسيطاً على ضرب النقود بمثابة الضريبة عن ذلك[5].

وفي هذا القرن، كانت الدولة تتبع نظام المعدنيين اي كان النظام يقوم على الدينار الذهبي والدرهم الفضي[6]. إلا أنه قد شاع استعمال احدى العملتين في فترة ما اكثر من الأخرى، وفي منطقة دون اخرى[7]. وكانت فارس تستعمل الدرهم بشكل اساسي، حتى ان الاصطخري يذكر ان المعاملات بفارس كانت تجري بالدراهم، أما الدنانير فلم يستعملها السكان إلا قليلاً"[8]. ويؤكد ذلك ابن حوقل قائلاً «فجميع بيوع فارس بالدراهم والدنانير عندهم كالعرض»[9]. وما يؤكد ذلك، الأرقام العديدة التي اوردها المؤرخون والجغرافيون فكانت في معظمها بالدراهم: الخراج، الهبات، المرتبات الاسعار المصادرات.. الخ[10].

ويبدو أن الوضع في فارس ودورها الاقتصادي قد انعكس على سائر الممالك البويهية في هذا المجال، إذ بات استعمال الدرهم بالعراق خلال العهد البويهي، أكثر من إستعمال الدينار، يدلنا على

---

(١) رسائل الصاحب، ص. ٣٩.
(٢) المصدر نفسه، ص. ٤٦ ـ ٥٠. رسائل الصابي، ص. ١٤٧ ـ ١٦٧. الدوري، تاريخ، ص. ٢١٤ ـ ٢١٥.
(٣) التنوخي، نشوار، جـ ١ ص. ٧٢. الدوري، تاريخ، ص. ٢١٥.
(٤) أبو يعلى، ص. ١٦٥. الدوري، تاريخ، ص. ٢٢١.
(٥) الدوري، تاريخ، ص. ٢٢١.
(٦) المصدر نفسه، ص. ٢٠٧ ـ ٢٠٨، ٢٢١.
(٧) المصدر نفسه، ص. ٢٠٨.
(٨) الاصطخري، ص. ٩٤.
(٩) ابن حوقل، ص. ٢٦٢.
(١٠) ابن الطقطقي، الفخري، ص. ٣٧٩. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص. ٢٤ ـ ٣٠ التعالبي، يتيمة، جـ ١ ص. ٣٢٤. المقدسي، ص. ٤٥١ ـ ٤٥٢. قدامة، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٥. ابن خرداذبه، ص. ٤٨. ابن الفقيه، ص. ٢٠٤.

ذلك قائمة واردات السواد في عهد عضد الدولة، إذ وردت بالدراهم[1]. وأيضاً الكثير من الأرقام المالية كالهبات، المصادرات، مرتبات الجند في العراق والجبال قد وردت بالدراهم[2]. إلا أن ذلك لا يعني التقليل من استعمال الدينار وتداوله في سائر المعاملات.

لذلك كانت المعاملات تجري بالدراهم والدنانير رغم غلبة احدهما على الآخر في بعض المقاطعات. فنجد أنه بفارس ورغم غلبة استعمال الدراهم، أن هناك عدداً من المؤشرات التي تؤكد أن الدنانير كانت متداولة ايضاً، فابن البلخي يورد مداخيل فارس في عهد عضد الدولة، بالدنانير، كذلك يورد مبلغ ايجار محلات مدنية كردفناخسرو بالدنانير[3].

وكان استعمال نظام المعدنيين، يتطلب تحديد عدد الدراهم في الدينار وفق نسبة ثابتة. إلا ان هذا الأمر لم يحدث بعكس الوزن حيث كان هناك وزناً شرعياً للدينار وهو ٤,٢٥ غ أما عيار الدرهم فتبع النسبة ٧/١٠ فتحدد وزن الدرهم الشرعي ٢,٩٧ غ[4]. كذلك الأمر بالنسبة لدرجة صفاء المعدن، فاعتبر الدينار الجيد والقوي هو ذاك الذي تراوحت نسبة صفاء الذهب فيه ما بين ٩٦ و٩٨ ٪ أما الدرهم الجيد فهو ذاك الذي تتراوح نسبة صفاء الفضة فيه ما بين ٩٠ و٩٩ ٪[5]. لكن هذه النسبة انقصت فيما بعد حتى اعتبر الدرهم الجيد هو الذي تبلغ نسبة الفضة[6] فيه ٧٠٪ وكانت هذه المسألة، أي درجة صفاء المعدن، احد الاسباب الاساسية التي تحدد قيمة الدراهم والدنانير فيما بينها، اي عدد كل منهما بالنسبة للآخر، باعتبار ان النقد في ذلك الوقت كان ذاتي القيمة، اي أن قيمته هي قيمة الذهب والفضة الموجودة فيه، بالإضافة الى سعر الذهب والفضة في السوق، وحركة التجارة والاوضاع الاقتصادية عامة. لذلك كانت نسبة الصرف في ارتفاع وهبوط طيلة العهد البويهي. خاصة وان العهد البويهي قد شهد تدهوراً خطيراً في جودة الدنانير والدراهم.

فقد لجأ البويهيون، إبان الأزمات المالية الحادة التي عصفت بهم، والتي تكررت باستمرار خاصة في العراق، الى التلاعب بنسبة المعدن الأصلي، أي الذهب أو الفضة بزيادة نسبة المعادن الرخيصة، مما كان يؤدي إلى زيادة اعداد النقود المضروبة، إلا أنه في الوقت نفسه يؤدي إلى اضعاف قيمتها الحقيقية في السوق. ويذكر المقريزي أن الدراهم تدهورت في العصر البويهي بإضافة نسبة عالية من الخليط الرخيص[7]، حتى في زمن عضد الدولة، نجد ان الدرهم التاجي

---

(١) المقدسي، ص. ١٣٣.

(٢) مسكويه، جـ ٢ ص. ١١٥، ١٧٤، ذيل، ص. ١٣٦، ١٧٣، ١٦٥ - ١٦٦.

(٣) ابن البلخي، ص. ٣١٦ - ٣١٨، ٨٨٧ - ٨٨٩.

(٤) النقشبندي، ص. ١٢. Ashtor, histoire des prix, p. 39 - 41.

(٥) انظر الدوري، تاريخ، ص. ٢٠٥ - ٢٠٧.

(٦) المصدر نفسه، ص. ٢١٣.

(٧) المقريزي، ص. ٢. انظر الدوري، تاريخ، ص. ٢١٥.

المستمد اسمه من احد ألقاب عضد الدولة، لم يكن مقبولاً في مصر[١]. لكن الأمر ازداد سوءاً زمن بهاء الدولة، وبلغت حالة تدهور الدراهم درجة انه في سنة ٩٩٨/٣٨٩ صار الدينار يساوي ١٥٠ درهماً، وهي نسبة لم يسمع بها قبل[٢]. كذلك الحال بالنسبة للدنانير، اذ وصلت درجة نقائها في زمن بهاء الدولة الى ادنى مستوى، فقد اظهرت تحاليل بعض الدنانير التي ما زالت موجودة منذ أيام بهاء الدولة، أن بعضها المضروب سنة ١٠٠٣/٣٩٧ كانت درجة نقائه دون ٥٠٪، وفي سنة ١٠١٣/٤٠٤ لم تتجاوز ٥٦٪[٣].

ويشير المؤرخون، الى وجود عدد من الدنانير المتداولة خلال العهد البويهي: القاساني[٤]، السابوري[٥]، الركني[٦]، الصاحبي[٧]، المطيعي[٨]، القادري[٩]، العضدي والقوامي[١٠]. ان أسماء هذه الدنانير تعود الى اسماء الخلفاء وامراء البويهيين ووزرائهم الذين امروا بضربها[١١]. وكانت هذه الدنانير ذات عيار ووزن منخفض[١٢]. فعدد من الدنانير التي ضربها امراء العراق البويهيين ما كانت تحتوي على أكثر من ٦٠٪ من الذهب[١٣]. فالدينار الركني الذي كان نصفه ذهباً ونصفه الآخر من النحاس كان يقبل سنة ١٠٢٩/٤٢٠ بثلث قيمة الدينار المعتاد[١٤]. وقد نتج عن هذا الوضع، ان أخذ التجار يفضلون التعامل بالدنانير المصرية والخراسانية وغيرها. عندها لجأت الدولة للحيلولة دون تداول النقد الفاطمي لاسباب سياسية واقتصادية الى منع التعامل بالدنانير المصرية والاقتصار على الدنانير العباسية: القادري السابوري والقاساني[١٥].

---

(١) ذيل، ص. ٦٠.

(٢) الصابي، تاريخ، ص. ٣٦٤. الدوري، تاريخ، ص. ٢١٥.

(٣) الدوري، تاريخ، ص. ٢١٦. Ehrenkreutz, strudies, JESHO, Vol, II. p. 144 - 145. Vol. VI, p. 256.

(٤) الصابي، تاريخ، ص. ٤٦٠. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص. ٢٢٢، ٣٠١.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص. ٦٠.

(٦) المصدر نفسه، ص. ٤٠. متز، جـ ٢ ص. ٣٧٧.

(٧) الصابي، تاريخ، ص. ٤٤٣.

(٨) المصدر نفسه، ص. ٤١٨. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧٦ ـ ٧٩.

(٩) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص. ٨٨.

(١٠) Cahen, peuples, art qq problèmes, p. 380.

(١١) Ibid. p. 378 - 380.

Ashtor, Histoire des prix, p. 97 - 98.

(١٢) Lane poole, catalogue. T. II. p. 199 et suivant.

(١٣) Ehrenkrentz, studies. JESHO Vol II, P. 144 - 145, 147 - 148.

الدوري، تاريخ، ص. ٢١٦. Vol Vol VI, P. 256. Ashtor, Histoire des prix, p. 98.

(١٤) متز، جـ ٢ ص. ٣٧٧. Cahen, peuples, art qq problèmes, p. 379.

(١٥) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص. ٨٨، ابن الأثير، جـ ٧ ص. ١٢.

Cahen, peuples, art qq. problèmes. P. 380. Ashtor, histoire des prix, p. 98.

وقد تدهورت قيمة النقد الفضي (الدراهم) بصورة أكبر من العملة الذهبية [1]، خاصة خلال النصف الثاني من فترة الحكم البويهي. قبل ذلك وطوال النصف الأول من القرن الرابع، كانت نسبة الدراهم للدنانير في الفترة من ٣٠٠ - ٩١٢/٣٣٢ - ٩٤٣، تتراوح ما بين ١٠/١ و ١٦/١ [2]، وحصل تدهور طفيف جداً طوال الفترة الاولى للحكم البويهي ٣٣٤ - ٩٤٥/٣٦٤ - ٩٧٤، فالارقام التي ذكرها المؤرخون والجغرافيون تشير الى ان نسبة الدراهم للدنانير في هذه الفترة كانت تتراوح ما بين ١٤/١ و ١٥/١ [3].

أول إشارة عن تدهور الدراهم البويهيين، تأتينا مع عضد الدولة، إذ يذكر الروذراوري ان الدرهم التاجي لم يكن مقبولاً في مصر [4]. ومع خلفاء عضد الدولة، اخذت قيمة الدراهم بالانخفاض [5] تدريجياً، وقد أدى انخفاض قيمة الدراهم المتداولة سنة ٩٩٣/٣٨٣ الى تمرد الجند وارتفاع الأسعار [6]. وكانت الدراهم الغياثية المتداولة في واسط والموصل سنة ٣٨٤ / ٩٩٤ تعادل كل ٢/١ ٨ منها بـ ١٠ من تلك المتداولة في بغداد، التي كانت كثيرة السوء [7]. وقد حملت هذه الدراهم اسمها «الغياثي» من أحد ألقاب الأمير بهاء الدولة «غياث الأمة». وفي سنة ٣٨٩ / ٩٩٨ انخفضت قيمة بعض الدراهم الى ما نسبته ١٥٠/١ من الدينار مما تسبب باضطرابات [8]. وفي سنة ٣٩٢ / ١٠٠١ ضرب عميد الجيوش دراهم جديدة وحدد لها قيمة صرف رسمية بالنسبة للدينار الصاحبي هي ٢٥/١ [9]. لكن في نفس الوقت كانت هناك بالتداول دراهم سوداء [10] بسبب ارتفاع نسبة النحاس فيها. وفي سنة ١٠٠٢/٣٩٣ كان الدينار القاساني يصرف بـ ٤٠ درهماً [11].

ولا بد من الاشارة، الى أن دراهم سائر البلاد الاسلامية كانت ذات نسب ومقادير مختلفة [12]، وغالباً أقل جودة، وكان بإمكانها دخول أسواق بغداد [13]. هذا التدهور للنقد في العصر البويهي كان نتيجة زيادة مقدار المعادن الرخيصة فيه، واسعار الذهب والفضة في السوق، كذلك

---

(١) Cahen, peuples, qrt qq. problèmes, p. 380.

(٢) انظر لائحة الدوري، تاريخ، ص. ٢١٢. Ashtor, histoire des prix, p. 40 - 41.

(٣) المصدر نفسه. Ibid.

(٤) ذيل، ص. ٦٠.

(٥) Cahen, peuples, art qq. problèmes, p. 381. Ashtor, histoire des prix, p. 40 - 41, 99.

(٦) ذيل، ص. ٢٥٠. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص. ١٧٢.

(٧) ذيل، ص. ٢٥٤، ٢٩٣.

(٨) الصابي، تاريخ، ص. ٣٦٤، ٣٧٣.

(٩) المصدر نفسه، ص. ٤٤٣.

(١٠) المصدر نفسه، ص. ٤٥٣.

(١١) المصدر نفسه، ص. ٤٦٠.

(١٢) المقدسي، ص. ٤١٧.

(١٣) Cahen, peuples, art qq. problèmes, p. 381.

الانخفاض الكبير في واردات هاتي المادتين، الأول نتيجة سيطرة الفاطميين على مصر واستيلائهم على مناجم الذهب السوداني(١). والثاني خلال الفترة الأخيرة للحكم البويهي نتيجة النقص الكبير من الفضة الايرانية، بسبب استنفادها من قبل محمد الغزنوي اثناء فتوحاته للهند(٢).

لقد أدى هذا التدهور الشديد للنقد في المرحلة الأخيرة للحكم البويهي، الى اضطربات شديدة، إذ سبب فساد النقد إلى ضعف القوة الشرائية وغلاء الاسعار، وكثيراً ما دفع الامر بالجند للشغب مطالبين بتغيير النقد كما اشرنا الى ذلك آنفاً.

والى جانب النقود السائدة، فقد ضرب البويهيون نقوداً خاصة للصلات والهبات، كما كان يفعل الخلفاء وكبار الامراء المحليين قبلهم(٣). وكانت دنانير ودراهم الصّلات تعطى للادباء والمغنين مكافأة لهم. فقد ضرب معز الدولة وعضد الدولة دراهم يزن الواحد منها درهمين(٤). وكان لأبي الفتح ابن العميد دراهم ودنانير في كل درهم ما قيمته خمسة دراهم، وفي كل دينار خمسة دنانير(٥)، وضرب الصاحب بن عباد ديناراً وزنه الف مثقال(٦).

وكذلك كان يجري التعامل باجزاء الدراهم والدنانير كنصف وربع الدينار أو الدرهم(٧). وطبعاً، وكما هي العادة، فقد كانت النقود تحمل الى جانب التاريخ ومكان الضرب، والتعابير الدينية، اسم ضاربها، كالخليفة أو الأمير البويهي، وكان كلما تغير الأمير البويهي، ضربت عملة تحمل اسم الأمير الجديد(٨).

الضرائب

واذا كانت الأرقام والمعلومات عن النقود بفارس تحديداً خلال العهد البويهي قليلة ونادرة كما أشرنا فإن لدينا فيما يتعلق بالضرائب معلومات وردت في كتب الجغرافيين(٩). فقد عرفت المقاطعة خلال هذا العهد، بكثرة وثقل ضرائبها. فالمقدسي الذي زار فارس خلال هذا العهد يؤكد بأن سكانها كانوا يدفعون اثقل الخراج(١٠)؛ أما بقية انواع الضرائب الأخرى فهو لكثرتها يمتنع عن

---

(١) الدوري تاريخ، ص. ٢١٤. Lombard, Islam, p. 123 - 136. Ashtor, histoire des prix, p. 40, 97 - 98.

(٢) Ashtor, histoire des prix, p. 99.

(٣) الدوري، تاريخ، ص. ٢١٦ - ٢١٧.

(٤) La Voix, catalogue, vol. 1, p. 300.

(٥) الثعالبي، يتيمة، جـ ٢ ص. ٣٥٨.

(٦) ياقوت، أدباء، جـ ٢ ص. ٣٨.

(٧) انظر الدوري، تاريخ، ص. ٢١٧.

(٨) ذيل، ص. ٨٤، ٢٥٤، ٢٩٣. La Voix, catalogue. vol. 1, p. 318, 321.

(٩) الاصطخري، ص. ٩٤ - ٩٥. ابن حوقل، ص. ٢٦٣ - ٢٦٥. المقدسي، ص. ٤٥١.

(١٠) المقدسي، ص. ٤٤٨.

تعدادها ويكتفي بالقول « ولا تسأل عن ثقل الضرائب وكثرتها »[1]. فلقد عرفت فارس كل أنواع الضرائب التي كانت سائدة في الدولة الاسلامية، أي ما عرف آنذاك بالضرائب الشرعية[2] وهي الخراج والعشر والجزية (الجوالي) والضرائب على تجار أهل الذمة والتجار المشركين الأجانب، الزكاة (أو الصدقة) وخمس المعادن والغنائم والكنوز. وأيضاً الضرائب الأخرى، والتي عرفت باسم المكوس تدليلاً على عدم شرعيتها الدينية، والتي فرضتها حاجات الدولة لموارد اضافية نتيجة تقلص أراضي الخلافة، وغنائم الحروب... إلخ وأيضاً زيادة مصاريفها الادارية والعسكرية ونفقات البلاط، وقد شملت هذه الضرائب (المكوس) الميراث، البضائع المنقولة من منطقة الى أخرى براً ونهراً داخل مقاطعات المملكة نفسها وكانت تسمى احياناً المآصر عند الأنهر والمراصد في البر (بجمارك داخلية) وأيضاً البضائع المحمولة في السفن والمجلوبة بحراً، وايضاً، مال الجهبذة... الخ. وقد باتت هذه الضرائب في القرن الرابع الهجري رغم النظرة الفقهية التي تصفها بأنها غير شرعية، ضرائب متعارف عليها، وعادية حتى لنجد ان الضرائب التي باتت تورد في عهود الخلفاء تتضمن هذه الضرائب الجديدة الى جانب الضرائب الشرعية وبصورة اعتيادية، ففي تلك العهود التي كتبها أبو اسحاق الصابي، ورد ذكر الضرائب، الخراج، العشر، الجزية (الجوالي)، مال الجهبذة والاحداث (وهي الغرامات التي تفرضها الشرطة) والزكاة (أو الصدقات) وسائر وجوه الجبايات[3].

ولم تكن هذه المكوس ثابتة، لا بنوعيتها وعددها ولا بقيمتها، إذ كان الأمر يخضع لقرارات الخليفة ولاحقاً الامير البويهي الذي بمقدوره تخفيض قيمة هذه الضرائب أو زيادتها أو الغائها لفترة أو فرض ضرائب اخرى. وفي احيان قليلة كانت السلطات تضطر لالغاء احدى تلك المكوس نتيجة احتجاجات السكان وشغبهم كما سنرى لاحقاً. هكذا تشعبت هذه المكوس وتنوعت حالاتها لتشمل مختلف مجالات النشاط السكاني. فكان كلما واجهت الدولة مصاعب مالية لجأت إلى فرض ضرائب جديدة، فظهرت ضرائب على الحوانيت والاسواق بما فيها الحمامات وضرائب على الطواحين وعلى البيوت والبنايات ووصل الأمر الى أن فرضت الضرائب على بيع بعض المواد الغذائية والسلع الأخرى[4].

على هذا الصعيد، شهد العصر البويهي زيادة كبيرة في أنواع الضرائب ومقدارها، فكان الأمراء البويهيون امام الأزمات المالية المتلاحقة التي عصفت بمملكتهم خاصة في العراق، يلجأون الى فرض

(١) المصدر نفسه، ص. ٤٥١.

(٢) أبو يعلى، ص. ٩٩ - ١٥٦. الماوردي، ص. ١٠٩ - ١٣٨. أبو يوسف، ص. ٥٩، ٨٠ - ٩١، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٨، ١٣٧.

(٣) رسائل الصابي، ص. ٩٨ - ٩٩، ١١١، ١٢٧.

(٤) الدوري، تاريخ، ص. ١٩٤ - ١٩٥.

ضرائب جديدة، حتى ان عظيم هذه الاسرة عضد الدولة، والذي عرف بإصلاحاته الكثيرة وحسن ادارته لشؤون الدولة كثيراً ما لجأ الى فرض الضرائب خاصة بعد استيلائه على العراق، وكان لكثرة الضرائب التي فرضها، أن اعتبر المؤرخون ذلك، من اكبر سيئات عضد الدولة[1]. ويعدد الروذراوري نقلاً عن هلال الصابي، الضرائب والرسوم التي فرضها عضد الدولة، في أواخر حكمه وهي: «زيادة ضريبة المساحة على الأرض واحد في العشرة، واستولى على مداخيل جميع الارحاء والطواحين بعد أن خصص لأهلها شيئاً منه، كما استولى على مداخيل الاوقاف في السواد، بعد أن خصص للمشرفين عليها مرتبات، وفرض ضريبة على اسواق الدواب والحمير والجمال وعما يباع فيها. وزاد في ضرائب الامتعة الصادرة والواردة»[2].

وكانت بعض هذه الضرائب تلغى نتيجة ردود فعل الناس المعنيين بها أو محاولة ارضاء الامير لهم، وفي احيان تالية كان يعاد العمل بها. ففي سنة ٩٧٣/٣٦٣ افتخر عز الدولة بختيار في كتاب ارسله إلى حاجبه سبكتكين بأنه احسن إلى أهل بغداد إذ يقول: «ورفعنا عنهم ما كان يؤخذ منهم لك، ولنظرائك من ضرائب الغنم المجلوبة والامتعة التي يأخذها الحجيج صادرة وواردة»[3] لكن هذا الالغاء للضريبة على البضائع التي يأخذها الحجاج أو يأتون بها، لم يكن سوى امر مؤقت، إذ نجد عضد الدولة سنة ٩٧٧/٣٦٧ يقوم بدوره بإلغاء هذه الضريبة[4]، مما يعني انها كانت قد عادت خلال تلك الفترة.

واستمر توسع البويهيين في فرض الضرائب ففي سنة ٩٨٣/٣٧٣، فرض وزير صمصام الدولة، ابن سعدان، ضريبة على الدخل. فيذكر الروذراوري أنه (ابن سعدان) «أحدث في الرسوم استيفاء العشر من جميع ما تسبب به الأولياء والكتاب والحواشي من أموالهم وأرزاقهم»[5]. وفي سنة ٣٧٥ / ٩٨٥ أعاد صمصام الدولة فرض ضريبة على المنسوجات القطنية الحريرية في بغداد التي تنسج ببغداد ونواحيها وجعل مقدارها ١/١٠ من الثمن مما ادى الى اجتماع الناس وصناع هذه المنسوجات في جامع المنصور وكادت ان تقع حركة تمرد مما اضطر السلطات إلى التراجع وإلغاء هذه الضريبة[6]. وتكرر الأمر سنة ٩٩٨/٣٨٩ عندما أعاد الوزير أبو نصر سابور نائب بهاء الدولة على العراق، فرض هذه الضريبة ولم يتراجع عن ذلك رغم الفتنة التي قامت والتي استمرت

---

(١) ذيل، ص. ٧١. ابن الأثير، جـ ٧ ص. ١١٣ - ١١٥. المقدسي، ص. ٤٤٨.
(٢) ذيل، ص. ٧١.
(٣) رسائل الصابي، ص. ٢٣٥.
(٤) المصدر نفسه، ص. ٢٤٥.
(٥) ذيل، ص. ٨٥.
(٦) المصدر نفسه، ص. ١١٧. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص. ١٢٧. ابن الأثير، جـ ٧ ص. ١٢٨. الدوري مقدمه، ص. ٦٨. Cahen, Islam, p; 124.

أربعة أيام وقمعت بشدة[1]. واستمرت هذه الضريبة الى أن ألغيت في أواخر أيام عميد الجيوش أبو علي (توفي سنة ٤٠١ / ١٠١٠) وكان نائباً لبهاء الدولة على العراق. كما كانت هناك ضرائب على المراعي حتى ان عضد الدولة انشأ لها ديواناً خاصاً لجبايتها، إلا أن بهاء الدولة عاد وألغاها[2]. ويذكر أنه كان هناك ايضاً ضريبة على الملح الى ان ألغاها جلال الدولة[3].

٨ ـ الضرائب في فارس

والواقع أن معظم هذه الضرائب نجدها بفارس، فالاصطخري وابن حوقل يعددان ضرائب فارس على الشكل التالي: « وأما أبواب المال لبيت المال على الناس فمن الزموم وما تطبق عليه الدواوين وخراج الأرضين والصدقات، وأعشار السفن، وأخماس المعادن والمراعي، والجوالي وغلة دار الضرب والمراصد في الضياع والمستقلات، وأثمان الماء وضرائب الملاحات والآجام »[4].

ونستطيع ان نضيف على هذه اللائحة، أنواعاً أخرى وردت عند المقدسي كضرائب الأسواق والحوانيت[5] (وهي غير المستغلات)، والضريبة على مداخيل الراقصات والقحاب[6].

وكان لتشعب ضرائب فارس وكثرتها واختلاف وتنوع مقاديرها، ان اعتبر ديوان فارس أصعب ديوان بين دواوين المملكة[7].

كان الخراج على ثلاثة أنواع: فأما ان يحسب تبعاً للمحصول وبنسبة مئوية تتفاوت بتفاوت خصب الأرض وطبيعة الزراعة فكانت هذه الضريبة متحولة في قيمتها الاساسية وتدعى بالمقاسمة[8].

وأما أن يحسب الخراج على أساس وحدات ثابتة من المساحة تعدل وفقاً لمردود الارض أو على أساس وحدة الاستثمار التي تتغير بتغيير المردود أو ظروف العمل وهذا ما سمي بحساب المساحة (خاصة في الحالة الأولى)[9]. أما النوع الثالث فهي « القوانين » وهي ضريبة ثابتة على بعض الأراضي والمقاطعات المعروفة لا تزد ولا تنقص قيمة خراجها، محددة بتقدير متفق عليه يعرف بالعبرة؛ يدفع زرعت الأراضي أم لم تزرع في حين أن المساحة والمقاسمة كانت تدفع الخراج اذا

(١) الصابي، تاريخ، ص ٣٣٦. الدوري مقدمه، ص. ٦٨.

(٢) ذيل، ص. ٧١، ١٧٤. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص. ١١٨.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص. ١١٨.

(٤) ابن حوقل، ص. ٢٦٣. الاصطخري، ص. ٩٤ ـ ٩٥.

(٥) المقدسي، ص. ٤٢٩.

(٦) انظر متز، جـ ٢ ص. ١٧٤.

(٧) الاصطخري، ص. ٨٨.

(٨) ابن حوقل، ص. ٢٦٣ ـ ٢٦٥. الاصطخري، ص. ٩٤ ـ ٩٥. Cahen, Islam, p. 80 - 81.

(٩) ابن حوقل، ص. ٢٦٣ ـ ٢٦٥. الاصطخري، ص. ٩٤ ـ ٩٥. Cahen, Islam, p. 80 - 81.

زرعت فقط[١]. والواقع ان النظامين الأولين هما اللذان كانا أكثر انتشاراً في المملكة الاسلامية عامة، أما في فارس فكانت معظم اراضيها على نظام المساحة. باستثناء زموم الاكراد التي كانت تدفع ضريبة ثابتة بناء على تقدير وسط (العبرة)، ما عدا قسم صغير جداً يتبع نظام المقاسمة.

وقد تنوعت كثيراً قيمة خراج الأراضي بفارس نتيجة وجود الأنظمة الثلاثة وخاصة شيوع نظام المساحة فيها. ولن ندخل في تفاصيل ذلك[٢]، المهم ان خراج فارس كان واحداً من اكبر أخرجة مقاطعات المملكة الاسلامية. وكان يبلغ ٣٣ مليون درهم، إلا أنه ارتفع ايام الخليفة المتوكل الى ٣٥ مليون درهم[٣].

لكن قيمة الخراج بفارس مثلها في بقية مقاطعات الدولة البويهية تدهورت في هذا الوقت، نتيجة سياسات البويهيين تجاه الأراضي خاصة بالنسبة لنظام الاقطاع العسكري الذي اعتمدوه. فمجمل واردات فارس بما فيها الخراج بلغت في عهد عضد الدولة كما يذكر ابن البلخي ٢,١٥٠,٠٠٠ دينار[٤] أي ٣٢,٢٥٠,٠٠٠ درهم، اذ حسبنا معدل قيمة الدينار في ذلك الوقت ١٥ درهماً. هذا رغم ان قيمة الضرائب الاخرى قد زادت في زمن البويهيين كما سنرى لاحقاً. وهذا الرقم يتوافق تقريباً مع الرقم الذي أعطاه ابن حوقل عن مجمل مداخيل فارس[٥] سنة ٣٥٠/٩٦١.

ولن ندخل في تفاصيل القوانين التي كان معمولاً بها والتي على أساسها يتم تحديد نسبة الضرائب والمكوس المختلفة[٦]، وكيفية تحصيلها. كما أن الأرقام عن مقدار هذه الضرائب بفارس قليلة جداً، أهمها تلك التي كانت تؤخذ من السفن التي ترسو في مرافىء المقاطعة. وكانت ضريبة السفن تستوفى بشكل اساسي من مرافىء سيراف ومهروبان[٧]. وقد بلغت ضرائب مدينة سيراف مع

---

(١) انظر حول أنواع الأراضي الخراجية، الاصطخري، ص. ٩٤ ـ ٩٥. ابن حوقل، ص. ٢٦٣ ـ ٢٦٥. الدوري، تاريخ، ص. ١٧٩، ١٨٤. Cahen, Islam, p. 80 - 81. Peuples, art qqs. problèmes, p. 385 - 391.

(٢) الاصطخري، ص. ٩٤ ـ ٩٥. ابن حوقل، ص. ٢٦٣ ـ ٢٦٥. انظر أيضاً حول قيمة الخراج وتنوعه خارج فارس. الدوري، تاريخ، ص. ١٨٢ ـ ١٨٦. Cahen peuples, art. qq. problèmes, p. 385 - 391.

(٣) ابن خرداذبه، ص. ٤٨. ابن الفقيه، ص. ٢٠٤ EI², art Fars, T. II. p. 831.

(٤) ابن البلخي، ص. ٨٨٧ ـ ٨٨٩.

(٥) ابن حوقل، ص. ٢٦٥.

(٦) الماوردي، ص. ١١٠، ١١١، ١١٥، ١٢٦، ١٢٦، ١٠٩، ١١٦، ١٢٢، ١٣٨، ١٣٩. أبو يعلى، ص. ١٠١، ١٠٢، ١٠٨، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٤. الدوري، تاريخ، ص. ١٧٨، ١٩٧. EI², art Dariba, p. 146 - 148. art Bayt al - Mal, p. 1176 - 1181. Cahen, peuples, art qqs problèmes, p. 385 - 391.

(٧) ابن البلخي، ص. ٨٦٧ ـ ٨٦٨. سفرنامه، ص. ١٥٢.

عشر السفن في عهد المقتدر ٢٥٣ الف دينار[١]، ولا شك ان هذه القيمة قد زادت كثيراً في عهد البويهيين نتيجة انتعاش حركة الملاحة كما رأينا. إذ يـذكـر ابـن البلخـي ان عـائـدات الجمارك بمهروبان كانت مهمة[٢]. وعندما يذكر مبلغ واردات فارس يشير الى تضمنها عشر السفن من سيراف ومهروبان[٣]، مما يؤكد على أهميتها.

أما المستغلات، وهي الضريبة على الاسواق والمباني والطواحين المقامة على أراضي الدولة، فكانت موجودة بشيراز وبغيرها[٤]. وأيضاً الضريبة على المحلات التجارية، فليس لدينا رقماً محدداً عن مجمل قيمتها، ما عدا ما يعطيه ابن البلخي عن مدخول مدينة شيراز وضاحية كردفناخسرو، إذ بلغت ٣١٦ ألف دينار[٥]، وبالطبع فمن بين هذا المبلغ ضرائب الأسواق والمحلات المبنية على أراضي الدولة أو الخاصة، كذلك الضرائب على الطواحين ودار الضرب والخراج وغير ذلك.

ولا شك ان قيمة ضرائب المحلات التجارية والاسواق في شيراز وكردفناخسرو قد احتلت نسبة كبيرة من مجموع قيمة واردات هذه المدينة، اذ بلغ مجموع «المستغلات» من المحلات التجارية في كردفناخسرو فقط ١٦ ألف دينار سنوياً[٦]. وكان لكثرة أسواق هذه المدينة، أن سماها الناس «سوق الأمير» وبلغ مجموع ما تدفعه من ضرائب ٢٠ ألف دينار[٧]. وكانت ضريبة الارث، وهي من اكره الضرائب عند الفقهاء والناس، قائمة خلال العهد البويهي. فعندما توفي ببغداد محمد بن عمر العلوي سنة ٣٩٠/٩٩٩، قرر بهاء الدولة وكان مقيماً بفارس، بأن يؤخذ منها خمسين الف دينار، ونصف الاملاك، فيما وزع الباقي على الورثة[٨].

إن مجمل واردات فارس من مختلف الضرائب والمكوس قد بلغت سنة ٣٥٠/ ٩٦١، أي خلال عهد عضد الدولة، أكثر من مليون وخمسمائة ألف دينار[٩]، ما عدا واردات ارجان التي كانت في ذلك الوقت بأيدي امير الجبال ركن الدولة، وتبلغ وارداتها ٥١٠ الآف دينار[١٠].

ان هذا الازدهار الاقتصادي الذي عرفته فارس خلال العهد البويهي، وفي كافة المجالات،

---

(١) المصدر نفسه، ص. ٨٨٧ - ٨٨٩.
(٢) المصدر نفسه، ص. ٨٦٧ - ٨٦٨.
(٣) المصدر نفسه، ص. ٨٨٧ - ٨٨٩.
(٤) الاصطخري، ص. ٩٦.
(٥) ابن البلخي، ص. ٨٨٩.
(٦) المصدر نفسه، ص. ٣١٦ - ٣١٨.
(٧) مستوفي، ص. ١١٢ - ١١٤.
(٨) الصابي، تاريخ، ص. ٣٤٧. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص. ٢١١.
(٩) ابن حوقل، ص. ٢٦٥.
(١٠) المصدر نفسه، ص. ٢٦٥.

ساهم في تجنيب المقاطعة موجات الغلاء والمجاعة التي عصفت بالعراق[1]. فلم تعرف فارس موجة غلاء حقيقية سوى في سنة ٤٤٧ / ١٠٥٥. وهي السنة التي استولى فيها السلاجقة على العراق، فارتفعت فيها أسعار المواد الغذائية بصورة كبيرة خاصة في شيراز[2]. قبل ذلك عرفت أرجان موجة غلاء عابرة بسبب الحرب التي شهدتها بين صمصام الدولة وبهاء الدولة[3].

ولا شك أيضاً، بأن هذا الازدهار الاقتصادي كان احد الاسباب لعدم انتشار حركات العيارين وعصابات اللصوص في فارس. اذ كان وراء ظهور تلك الحركات في أواخر القرن الثاني الهجري وأوائل القرن الثالث تدهور اوضاع الفئات الدنيا من المجتمع، التي ازدادت ابان العهد البويهي نتيجة شدة الأزمات الاقتصادية التي عرفها العراق آنذاك، واضطراب الأحوال الاجتماعية، وسيدخل العيارون طرفاً في الصراعات الدينية والسياسية القائمة، مشكلين في الوقت نفسه عنصراً اساسياً من عناصر الاضطراب الداخلي. إذ ادت الفتن والاضطرابات واعمال القتل والنهب التي قاموا بها وبصورة شبه متواصلة خلال هذه المرحلة، في دفع الوضع الاقتصادي الى المزيد من التدهور. اذ كانت اعمال العيارين تصيب بالدرجة الاولى الأغنياء والتجار، وكان ميدانها الاساسي الاسواق التجارية[4]. ولم تكن هذه الحركة محصورة بالعراق، بل إنها كانت موجودة في مختلف مدن ايران[5]، ما عدا فارس التي لم تعرف اي وجود لهم داخلها طوال العهد البويهي [6].

كذلك، لم تتعرض فارس للكثير من الكوارث الطبيعية التي كثيراً ما اصابت المقاطعات الأخرى[7]. وكان ما يعتبر كارثة طبيعية: الزلازل، الرياح الشديدة، شدة المطر، وسقوط الثلج

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص. ٧٦، ١٣٢، ١٣٦، ١٤١، ١٧٢، ٢٢٢، جـ ٨ ص ٢٢، ٢٥ ـ ٣٨، ٦٧، ١٠٥، ١٣٠، ١٣٢، ١٦٣، ١٧٣، ١٧٩. سبط، جـ ١٢ و١٢، ٢٢، ٢٧. ابن الجوزي، عجائب و٣٦، ٤٢، ٤٣، ٥١، ٥٢، ٥٣. ابن كلأثير، جـ ٧ ص. ٣٦، ١٢٢، ١٦٢، ٢٣٨، ٣٠٩ وجـ ٨ ص. ٣.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨ ص. ١٦٣، ١٦٦. عجائب و٥٢. ابن الأثير، جـ ٨ ص. ٦٩.

(٣) ذيل، ص. ١٨٤.

(٤) التنوخي، نشوار، جـ ١ ص. ٤٨ ـ ٤٩. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص. ٧٥، ١٥٣، ١٧٤، ٢٢٠، ٢٣٧، وجـ ٨ ص. ١٩، ٢٩، ٢٥، ٤٠، ٤٧، ٤٩، ٥١، ٥٤، ٥٥، ٦٢، ٦٦، ٧٥، ٧٨، ٧٩، ٨٢، ٩١، ١١٩، ١٢٧، ١٦٠، ١٩٢، ١٩٧. الذهبي، دول، جـ ١ ص. ١٦٤. سبط، جـ ١٢ و٥، ٢٢. التوحيدي، امتاع، جـ ٣ ص. ١٦٠ ـ ١٦١. ابن الجوزي، عجائب و٤٣، ٤٤، ٤٨، ٥٠، ٥١. ابن الأثير، جـ ٧ ص. ٥١، ١٥٦، ١٦٨، ٢١٤، ٢٩٩، ٣٢٣، ٣٤٤، وجـ ٨ ص. ٥، ٨، ٧٠، ٧١.

(٥) **Cahen, mouvements, II, p. 44 - 46.**

(٦) انظر حول العبارون: **Cahen, mouvements, I, II, III.**

(٧) ابن الجوزي، عجائب و٣٧، ٣٨، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٩، ٥٠، ٥٦. سبط، جـ ١٢ و٣، ٥، ٦، ١٣.

بأحجام كبيرة، مما يؤدي الى خسائر بشرية واقتصادية في الانشاءات والزرع، ويسبب موجات من الغلاء الشديد. بالاضافة الى الأوبئة التي لا علاج لها، كالجدري، والصفيرة، الخوانيق وغيرها. مما يؤدي الى وفاة المئات والالاف من السكان.

وقد أصيبت سيراف سنة ٩٧٧/٣٦٧ بزلزال كبير اجبر سكانها الى الهرب سبعة ايام الى شاطىء البحر، وتهدمت أكثر الدور فيها وتزعزعت. لكن المدينة في هذا الوقت كانت تعيش أوج ازدهارها الاقتصادي، وسرعان ما أعيد تعمير ما تهدم منها حتى عادت الى ما كانت عليه في السابق[١]، وفي سنة ١٠٠٧/٣٩٨ أدت هزة خفيفة الى إغراق عدة مراكب بسيراف وتهدم جزء من البلد[٢]. وفي سنة ١٠٥٣/٤٤٤ وقعت هزة اخرى بأرجان تسببت ببعض الدمار[٣]. كما أدت العواصف الشديدة سنة ١٠٠٧/٣٩٨ الى تدمير بعض المزروعات بشيراز وهدمت قسماً من البلد[٤]. وفي سنة ١٠٣٠/٤٢٢ أدى تأخر المطر الى الأضرار بالزرع في نواحي فارس وأرجان[٥]. وفي سنة ١٠٣٣/٤٢٥ أصابت موجة من وباء الخوانيق الذي كان منتشراً ببغداد والموصل، بعض نواحي فارس. فمات بسببه عدد من السكان[٦]. إلا أن كل ما ذكرناه، لا يعتبر سوى شيء بسيط أمام ما كان يصيب المدن والمناطق الأخرى[٧].

---

(١) المقدسي، ص. ٤٢٦ ـ ٤٢٧. ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص. ٩٧.
(٢) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص. ٢٣٨.
(٣) المصدر نفسه، ص. ٨ ص. ١٥٤. عجائب و٥١، ٥٢.
(٤) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٧ ص. ٢٣٨.
(٥) المصدر نفسه، جـ ٨ ص. ٦٠.
(٦) المصدر نفسه، جـ ٨ ص. ٧٧.
(٧) المصدر نفسه، ص. ٦٠ ـ ٦٩، ٧٧، ٧٩. عجائب و٣٧ ٣٨، ٤٤ ـ ٥٦. سبط، جـ ١٢ و٣، ٥، ٦، ١٣.

نهاية الامارة البويهية في فارس

اذن، لقد توافر لفارس الكثير من المقومات الاساسية التي أتاحت لها أن تكون واحدة من أهم مقاطعات المملكة الاسلامية اقتصادياً. كما أتيح لها في ذاك العصر، خاصة خلال الثلثين الأولين من الحكم البويهي كل العناصر المساعدة لترسيخ حالة الاستقرار والنمو الاقتصادي التي كانت تعيشها المقاطعة، بل ودفعها الى الامام. فعرفت خلال هذه المرحلة أوج نموها المديني والسكاني والاجتماعي والاقتصادي. وكانت بالفعل العاصمة الثانية للدولة البويهية. وعندما بلغ تدهور احوال بغداد امنياً واقتصادياً، درجة لا تحتمل، نقل بعض الامراء البويهيين مقر امارتهم من بغداد الى شيراز. وتحولت شيراز الى مقر القرار والسلطة في الخلافة العباسية لبعض الوقت.

كل هذا، جعل من فارس هدفاً لكل أمير بويهي، يسعى للسيطرة عليها، اذ غالباً ما كانت هي الطريق المؤدي للسيطرة على العراق، كما أشرنا في بداية هذا البحث. وكانت هي المعقل الاساسي لدولتهم لما اتصفت به من استقرار، وغياب قوى المعارضة التقليدية، وخلوها من الفتن والاضطرابات وغناها الاقتصادي والمالي، كما أشار عضد الدولة. لذلك كانت آخر معقل للبويهيين يسقط أمام الهجمة السلجوقية. فمنها كان منطلق دولتهم، وفيها انتهت هذه الدولة.

اتسمت علاقة فارس بالبويهيين، بعلاقة تبادلية. فكلما نجح البويهيون في توفير الامن وأجواء التسامح وتسهيل متطلبات الحركة التجارية وتوفير متطلبات النمو الاقتصادي، وفوق كل ذلك ضبط الجيش وابعاده عن صراعاتهم الداخلية، «أعطتهم» بالمقابل كل متطلبات استمرار حكمهم لها.

ولقد أدرك كبار الامراء البويهيين أهمية فارس لذلك اختارها علي بن بويه مؤسس الدولة، مقاطعته ومقره، تاركاً العراق قلب المملكة الاسلامية آنذاك الى أخيه. كذلك ظل عضد الدولة وبعد استيلائه على العراق، يعتبرها أساس ملكه.

لكن أحوال فارس ستأخذ بالتدهور منذ أيام صمصام الدولة، أي منذ أن نقل البويهيون

صراعاتهم الى داخلها. وكان نظام الوراثة المتبع لديهم أحد أسباب تلك الصراعات، ومنذ أن فقد امراء فارس القدرة على ضبط الجيش وبات جيش فارس بصراعاته وانقساماته وتعدد ولاءاته وبأعماله مثلما كان عليه جيش العراق.

صحيح أن فارس قد خضعت لنظام الاقطاع العسكري مثلها مثل بغداد، والذي كان سبباً آخر من أسباب تدهور أحوال المملكة البويهية. الا أن فارس أيام امرائها الكبار الثلاثة، أي حتى نهاية حكم شرف الدولة، قد تمكنت من التقليل من فداحة الخسائر التي ألحقها هذا النظام بأوضاع الزراعة وبمداخيل الضرائب، حيث تم في البداية تفادي حالة التسيب والفوضى والتخريب وتوسيع الاقطاعات كيفما شاء الجند كما جرى في العراق. لكن هذا الامر الذي زاد من سوء نتائج الاقطاع العسكري سرعان ما انتقل الى فارس منذ أن ضعف أمراؤها وباتوا تحت رحمة جندهم يسعون لارضائهم بأية طريقة. وكان ذلك سبباً آخر من أسباب تدهور أحوال فارس.

وإذ تمكنت فارس من أن تعوض الخسارة الاقتصادية في ميدان الزراعة التي ألحقها بها نظام الاقطاع العسكري، بتلك النهضة التجارية التي عرفتها في هذا العصر، وباتت مداخيل مينائي سيراف ومهروبان وضرائب الاسواق التجارية تعوض انخفاض قيمة الخراج. الا أن ازدهار الحياة التجارية يفترض كما أدرك ذلك عضد الدولة، توفير الامن الداخلي، وتأمين سلامة المواصلات الخارجية. لكن ما ان بدأ الضعف يدب في أوصال الامارة البويهية بفارس وخاصة في السنوات الاخيرة من حكمهم التي عرفت صراعات مستمرة بين الامراء البويهيين داخل المقاطعة، حتى عاد قطاع الطرق والقراصنة الى العمل بحرية في تهديد القوافل التجارية البرية والبحرية مما أضعف النشاط الاقتصادي الداخلي والخارجي.

لكن الضربة الاوجع لفارس كانت قد تلقتها قبل ذلك، أي عندما نجح الفاطميون حوالي سنة ٣٩١/١٠٠٠ من تحويل تجارة المحيط الهندي، من الخليج الفارسي الى البحر الاحمر. وأيضاً عندما تمكن الغزنويون عبر سيطرتهم على خطوط المواصلات البرية المؤدية الى الهند والصين من اضعاف التجارة الخارجية البرية لفارس، ثم جاء التهديد السلجوقي وحالة الذعر والفوضى التي عمت ايران نتيجة التقدم السلجوقي ومن ثم استيلائهم على كل مناطق المملكة البويهية ليضيق الخناق على فارس التي كانت تعيش أسوأ لحظاتها مع أسوأ امرائها فولاستون. الذي لم يستطع أن يقف بوجه احدى قبائل الاكراد المحلية شبنكاره التي نشرت الفوضى والدمار بارجاء فارس، ثم أطاحت بفولاستون، ونصب رئيسها فضلويه، اصغر اخوة فولاستون أميراً، فيما هو الحاكم الفعلي لفارس. لكن الامر لم يستمر طويلا اذ لم يستطع فضلويه الوقوف بوجه السلاجقة الذين دخلوا شيراز سنة ٤٥٤ مطيحين بالامارة البويهية هناك، فيما فر فضلويه الى احدى قلاع فارس ليتابع صراعه مع

السلاجقة. ومهما يكن من أمر، فلا شك أن فارس قد عرفت أوج ازدهارها واحتلت مكانة مرموقة داخل المملكة الاسلامية خلال العهد البويهي، بعدهم غرقت بحالة مذهلة من الدمار والفوضى، بسبب صراع الشبنكاره مع السلاجقة، وأعمال السلب والنهب والدمار التي نشرتها تلك القبيلة في المناطق الداخلية للمقاطعة، وقراصنة جزيرة قيس في المناطق الساحلية.

ملاحق

وزراء البويهيين في فارس والعراق

وزراء فارس

عماد الدولة	: ـ ٠٠٠ ـ ٣٢٢	: ابو سعيد اسرائيل بن موسى (كاتب)
٣٢٢ ـ ٣٣٨	ـ ٣٢٢ ـ ٣٣٨	: ابو العباس بن محمد الحناط القمي (كاتب)
عضد الدولة	: ـ ٠٠٠ ـ ٣٦٤	: نصر بن هرون
٣٣٨ ـ ٣٧٢	ـ ٣٦٤ ـ ٣٦٩	: ابو القاسم المطهر + نصر بن هرون
	ـ ٣٦٩ ـ ٣٧٢	: نصر بن هرون
شرف الدولة	: ـ ٣٧٢ ـ ٣٧٣	: ابو القاسم العلاء بن الحسن
٣٧٢ ـ ٣٧٩	ـ ٣٧٣ ـ ٣٧٤	: علي بن العباس بن فسانجس
	ـ ٣٧٤ ـ ٣٧٩	: أبو منصور محمد بن صالحان
صمصام الدولة	: ـ ٣٧٩ ـ ٣٨٢	: العلاء بن الحسن
٣٧٩ ـ ٣٨٨	ـ ٣٨٢ ـ ٣٨٣	: ابن القاسم الدلجي
	ـ ٣٨٣ ـ ٣٨٧	: العلاء بن الحسن
	ـ ٣٨٧ ـ ٣٨٨	: أبو الطيب الفرخان
بهاء الدولة	: ـ ٣٨٨ ـ ٣٩٠	: الموفق ابو علي بن اسماعيل
٣٨٨ ـ ٤٠٣	ـ ٣٩٠	: أبو علي بن استاذ هرمز
	ـ ٣٩٠ ـ ٣٩٣	فخر الملك أبو غالب بن خلف
	ـ ٣٩٣ ـ ٣٩٧	ابو الفضل محمد بن سودمنذ
	ـ ٣٩٧ ـ ٤٠٣	: فخر الملك أبو غالب بن خلف

سلطان الدولة :	ـ ٤٠٣ ـ ٤٠٦	: فخر الملك ابو غالب بن خلف
٤٠٣ ـ ٤١٥	ـ ٤٠٦ ـ ٤٠٨	: عميد أصحاب الجيوش الحسن بن سهلان
٤٠٣ ـ ٤١٥	ـ ٤٠٨ ـ ٤٠٩	: جعفر بن ابو الفرج بن فسانجس
	ـ ٤٠٩ ـ ٤١٠	: ذو السعادتين ابو غالب الحسن بن منصور
	ـ ٤١١ ـ ٠٠٠	: عميد أصحاب الجيوش الحسن بن سهلان
	ـ ٠٠٠ ـ ٤١٥	: الاوحد ابو محمد بن مكرم

أبو كاليجار :	ـ ٤١٥ ـ ٤١٧	: ـ.....
٤١٥ ـ ٤٤٠	ـ ٤١٧ ـ ٤١٨	: أبو محمد بن باشاذ
	ـ ٤١٨ ـ ٤٣٣	: العادل ابو منصور بهرام بن مافنه
	ـ ٤٣٣ ـ ٠٠٠	: مهذب الدولة ابو منصور هبة الله ابن احمد الفسوي
	ـ ٤٣٩ ـ ٤٤٠	: كمال الملك ابو المعالي بن عبدالرحيم

الملك الرحيم :	ـ ٤٤٠ ـ ٤٤٣	: كمال الملك ابو المعالي بن عبدالرحيم
٤٤٠ ـ ٤٤٧	ـ ٤٤٣ ـ ٠٠٠	: منصور بن شاه مروان
	ـ ٤٤٥ ـ ٤٤٦	: سابور بن المظفر
	ـ ٤٤٦ ـ ٤٤٧	: شرف الامة عبدالرحيم بن الحسين بن عبدالرحيم
	ـ ٤٤٧	: سعد بن ابو الفرج بن فسانج
فولاستون :	ـ ٤٤٧ ـ ٤٤٩	: العادل هبة الله بن احمد الفسوي
٤٤٧ ـ ٤٥٤		

٢ ـ وزراء العراق

معز الدولة :	ـ ٣٣٢ ـ ٣٣٩	: أبو جعفر الصيمري
٣٣٤ ـ ٣٥٦	ـ ٣٣٩ ـ ٣٤٥	: ابو محمد المهلبي[٢]
	ـ ٣٤٥ ـ ٣٥٢	: ابو محمد المهلبي
	ـ ٣٥٢ ـ ٣٥٦	: العباس بن الحسين الشيرازي[٢] + محمد بن العباس بن فسانجس[٢]

عز الدولة بختيار :	ـ ٣٥٦ ـ ٣٥٧	: العباس بن الحسين الشيرازي[٢] +
٣٥٦ ـ ٣٦٧		:محمد بن العباس بن فسانجس[٢]
	ـ ٣٥٧ ـ ٣٥٩	: العباس بن الحسين الشيرازي
	ـ ٣٥٩ ـ ٣٦٠	: محمد بن العباس بن فسانجس
	ـ ٣٦٠ ـ ٣٦٢	: العباس بن الحسين الشيرازي
	ـ ٣٦٢ ـ ٣٦٦	: محمد بن بقية
عضد الدولة[٣] :		
٣٦٧ ـ ٣٧٢		
صمصام الدولة :	ـ ٣٧٢ ـ ٠٠٠	: الحسين بن سعدان[٢]
٣٧٢ ـ ٣٧٦	ـ ٣٧٣ ـ ٣٧٤	: الحسين بن سعدان
	ـ ٣٧٤	: عبدالعزيز بن يوسف[٢]
	ـ ٣٧٥	: عبدالعزيز بن يوسف + أحمد بن برمويه
	ـ ٣٧٥	: ابو الريان حمد بن احمد
	ـ ٣٧٥	: .....
شرف الدولة[٣] :		
٣٧٦ ـ ٣٧٩		
بهاء الدولة :	ـ ٣٧٩ ـ ٣٨٠	: أبو منصور محمد بن صالحان
٣٧٩ ـ ٤٠٣	ـ ٣٨٠ ـ ٣٨١	: ابو نصر سابور بن اردشير
	ـ ٣٨١	: عبدالعزيز بن يوسف
	ـ ٣٨١ ـ ٣٨٢	: علي بن احمد الابرقوهي
	ـ ٣٨٢ ـ ٣٨٣	: ابو نصر سابور + ابن صالحان
	ـ ٣٨٣	: علي بن احمد الابرقوهي
	ـ ٣٨٣	: أبو نصر سابور
	ـ ٣٨٤	: عبيد الله بن حمدويه
	ـ ٣٨٤	الفاضل أبو نصر الحسين بن الحسن

	ـ ٣٨٥	: أبو القاسم علي بن احمد
	ـ ٣٨٦	: أبو نصر سابور
	ـ ٣٨٦	: عيسى بن مسارجس
	ـ ٣٨٨	الموفق ابو علي بن اسماعيل
	ـ ٣٨٨ ـ ٤٠٣[٣]	: .....
سلطان الدولة[٣] : ـ ٤٠٣ ـ ٤١٢		
مشرف الدولة : ٤١٢ ـ ٤١٦	ـ ٤١٢	: ذو السعادتين ابو غالب بن منصور
	: ـ ٤١٢ ـ ٤١٤	: مؤيد الملك الرخجي
	ـ ٤١٤ ـ ٤١٥	: الحسين بن علي المغربي
جلال الدولة : ٤١٦ ـ ٤٣٥	ـ ٤١٦ ـ ٤٢١	: ابو علي بن ماكولا
	ـ ٤٢٢	: محمد بن الفضل بن اردشير
	ـ ٤٢٢	: أبو اسحق ابراهيم بن ابو الحسين
	ـ ٤٢٣	: أبو القاسم بن ماكولا
	ـ ٤٢٣	عميد الدولة ابو سعد بن عبدالرحيم
	ـ ٤٢٤	: أبو القاسم بن ماكولا
	ـ ٤٢٥	عميد الدولة ابو سعد بن عبدالرحيم
	ـ ٤٢٥	ابو القاسم بن ماكولا
	ـ ٤٢٦	عميد الدولة ابو سعد بن عبدالرحيم
	ـ ٤٢٧	: كمال الملك ابو المعالي بن عبدالرحيم
	ـ ... ـ ٤٣٥	: ....
أبو كاليجار[٣] : ـ ٤٣٥ ـ ٤٤٠		
الملك الرحيم[٣] : ـ ٤٤٠ ـ ٤٤٧		

١ - لقد أضفنا لائحة بأسماء وزراء العراق، للتدليل على حالة الاضطراب السياسي التي كان يعيشها العراق مقارنة مع فارس. وهذا واضح من اعداد وزراء بغداد وقصر مدة حكمهم. لكن، كذلك بسبب ارتباط المقاطعتين في فترات كثيرة مع بعض وتحت سلطة أمير واحد وأحياناً وزير واحد.

● إن مراجع لائحة وزراء فارس، نجدها في الفصل الخامس من الكتاب في القسم الخاص بوزارة فارس. أما بالنسبة لوزراء العراق، فيمكن الرجوع إلى مسكويه الجزء الثاني، وذيل تجارب الأمم، وتاريخ الصابي، كذلك عند ابن الأثير الجزء ٧ و٨. استناداً إلى تواريخ حكمهم.

● هناك لائحة بوزراء البويهيين عامة، نجدها في كتاب زامبور لكنها غير كاملة وغير دقيقة، انظر Zambaur, manuel de généalogie, p. 214 - 215

٢ - تولوا شؤون الوزارة دون أن يحملوا لقب الوزير.

٣ - نفس وزراء فارس خلال هذه الفترة. إذ كانت المقاطعتان تحت حكم أمير واحد، والوزير أما مقيماً بفارس أو بالعراق وله نائب عنه في المقاطعة الثانية. انظر الفصل السابع.

البويهيون(*)

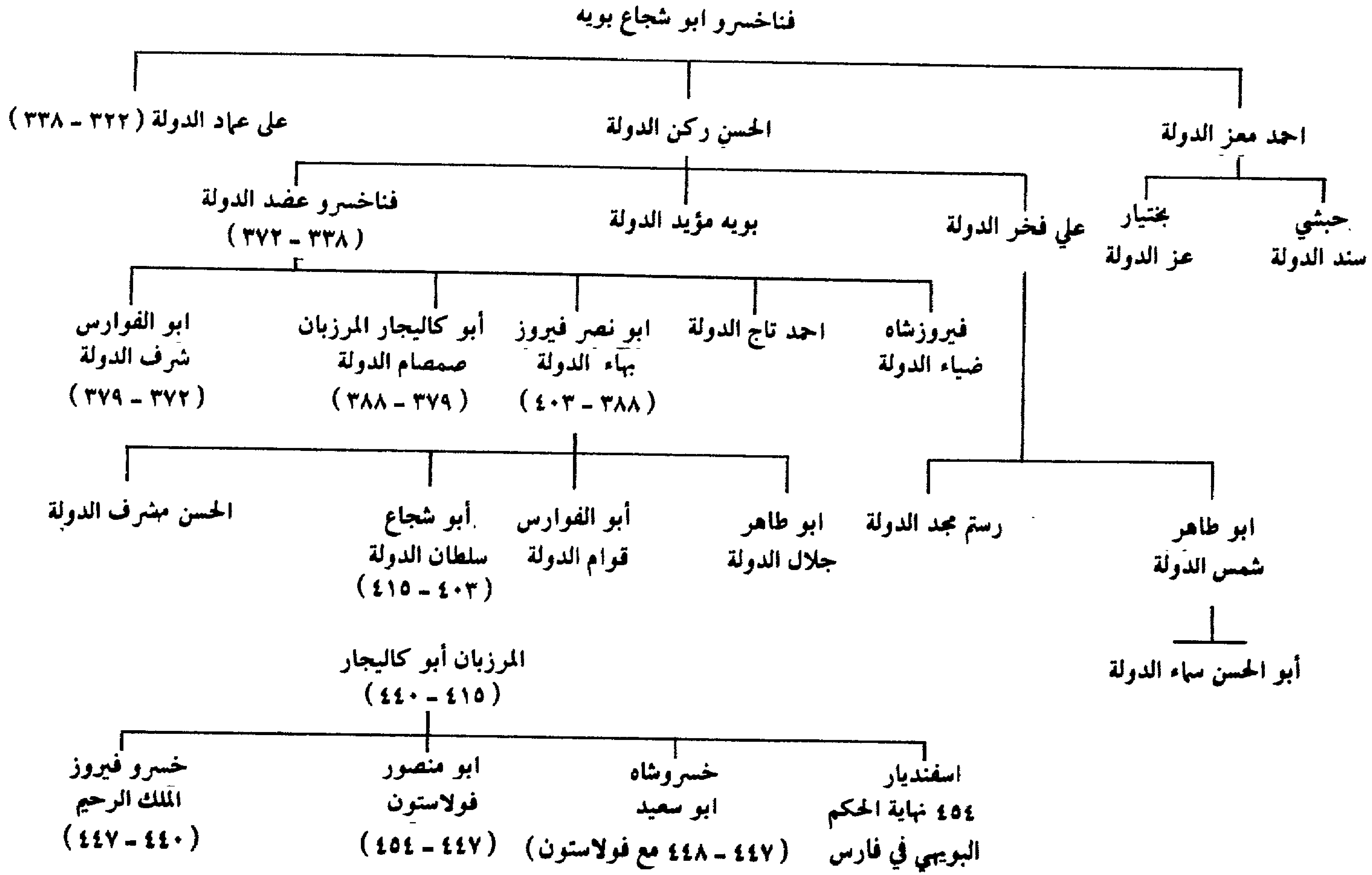
فناخسرو ابو شجاع بويه
احمد معز الدولة
الحسن ركن الدولة
على عماد الدولة (٣٢٢ - ٣٣٨)
حبشي
سند الدولة
بختيار
عز الدولة
علي فخر الدولة
بويه مؤيد الدولة
فناخسرو عضد الدولة
(٣٣٨ - ٣٧٢)
فيروزشاه
ضياء الدولة
احمد تاج الدولة
ابو نصر فيروز
بهاء الدولة
(٣٨٨ - ٤٠٣)
أبو كاليجار المرزبان
صمصام الدولة
(٣٧٩ - ٣٨٨)
ابو الفوارس
شرف الدولة
(٣٧٢ - ٣٧٩)
ابو طاهر
شمس الدولة
رستم مجد الدولة
أبو الحسن سماء الدولة
ابو طاهر
جلال الدولة
أبو الفوارس
قوام الدولة
أبو شجاع
سلطان الدولة
(٤٠٣ - ٤١٥)
الحسن مشرف الدولة
المرزبان أبو كاليجار
(٤١٥ - ٤٤٠)
اسفنديار
٤٥٤ نهاية الحكم
البويهي في فارس
خسروشاه
ابو سعيد
(٤٤٧ - ٤٤٨ مع فولاستون)
ابو منصور
فولاستون
(٤٤٧ - ٤٥٤)
خسرو فيروز
الملك الرحيم
(٤٤٠ - ٤٤٧)

(★) انظر الفصل الخامس:

ـ لم يتضمن هذا الجدول للأسرة البويهية، كامل السلالة البويهية، إنما معظم الأمراء الذين حكموا مقاطعات الدولة البويهية الأساسية. ونجد لائحة السلالة البويهية شبه كاملة عند زامبور. «Zambaur, Manuel de généalogie»، وقد أتمها Bowen فيما يتعلق بالقسم الأخير منها. انظر: Bowen, H: the last buwayhids. J.R.A.S. Part II April, 1929.

ـ (....) التاريخ الموضوع بين هلالين. هو فترة حكم أمراء فارس..

أمراء الدولة البويهية

	فارس	خوزستان		عُمان	العراق	الجبال	
٣٢١						(عماد الدولة)	
٣٢٢	عماد الدولة						
٣٢٣						(ركن الدولة)	
٣٢٤			(معز الدولة)				
٣٢٦		(معز الدولة)					
٣٣١						ركن الدولة	
٣٣٤		معز الدولة			معز الدولة		
٣٣٨	عضد الدولة		عضد الدولة				
٣٥٥				معز الدولة			
٣٥٦		عز الدولة	عضد الدولة	عضد الدولة	عز الدولة		
٣٥٧						**اصفهان ـ همذان**	**الري**
٣٦٦						مؤيد الدولة	فخر الدولة
٣٦٧		عضد الدولة			عضد الدولة		
٣٦٩							مؤيد الدولة
٣٧٢	شرف الدولة	تاج الدولة	شرف الدولة (*)	شرف الدولة (*)	صمصام الدولة		
٣٧٣						فخر الدولة	فخر الدولة
٣٧٥		شرف الدولة					
٣٧٦					شرف الدولة		
٣٧٩	صمصام الدولة	بهاء الدولة	صمصام الدولة	صمصام الدولة	بهاء الدولة		
٣٨٥		صمصام الدولة					
٣٨٧						شمس الدولة	مجد الدولة
٣٨٨	بهاء الدولة	بهاء الدولة	بهاء الدولة	بهاء الدولة			
٤٠٣	سلطان الدولة (*)	سلطان الدولة	أبو الفوارس قوام الدولة	سلطان الدولة	سلطان الدولة		
٤١٢					مشرف الدولة	سماء الدولة	
٤١٥	أبو كاليجار(**)	ابو كاليجار		أبو كاليجار		٤١٢ ـ بنوكاكويه . اصفهان	
٤١٦					جلال الدولة	٤١٤ ـ بنوكاكويه : همذان	
٤١٩			أبو كاليجار				
٤٢٠							الغزنويون
٤٣٥					ابو كاليجار		
٤٤٠	الملك الرحيم(***)	الملك الرحيم	فولاستون	المظفر بن أبي كاليجار	الملك الرحيم		
٤٤٧	فولاستون	السلاجقة		٤٤٢ : الخوارج	السلاجقة		
٤٤٨			السلاجقة				
٤٥٤	اسفنديار (فضلويه)						
٤٥٤	السلاجقة						

( ): سيطرة جزئية

(★) De Zambaur, Bosworth ، يضعان مشرف الدولة أميراً لفارس خلال الفترة ما بين ٤١٢ ـ ٤١٥ . في حين أن هذه المقاطعة كانت تحت سلطة الأمير سلطان الدولة ومنذ سنة ٤٠٣ إلى ٤١٥ .

كذلك، يعتقدان، بأن كرمان بعد وفاة عضد الدولة سنة ٣٧٢ ، كانت تحت إمرة صمصام الدولة والأصح أنها كانت تحت سيطرة شرف الدولة.

ويذهب De Zambaur إلى أن صمصام الدولة كان أميراً لعمان سنة ٣٧٢ ، في حين أنها كانت تحت سلطة شرف الدولة ما بين ٣٧٢ ـ ٣٧٩ ثم تحت إمرة صمصام الدولة ما بين ٣٧٩ ـ ٣٨٨ .

ورغم أن Lane - poole ، لا يقع في تلك الأخطاء ، إلا أنه ، شأنه زميليه ، يقدم لنا لائحة غير كاملة خاصة للفترة لأخيرة من الحكم البويهي.

Voir, De Zambaur, Manuel de généalogie, p. 212 - 213. Bosworth, the islamc dynasties p. 94 - 95. Lane - poole, Mohammandan dynasties, p. 141 - 142.

وتبقى أفضل لائحة تلك التي تجدها في الموسوعة الإسلامية : EI[2], art Buyides, T.I. p. 1397.

(★★) بعد وفاة سلطان الدولة تحولت فارس إلى محور للصراع بين أبو كاليجار وريث سلطان الدولة، وعمه أبو الفوارس قوام الدولة أمير كرمان. وطوال عامين ٤١٥ ـ ٤١٧ تبادل الأميران حكم المقاطعة اكثر من مرة إلى أن استقرت تحت إمرة أبو كاليجار سنة ٤١٧ (أنظر الفصل الخامس).

(★★★) كذلك ما بين ٤٤٠ و ٤٤٧ ، تبادل الملك الرحيم وأخوه فولاستون حكم فارس أكثر من مرة. إلى أن قبل فولاستون الخضوع لسلطة الملك الرحيم سنة ٤٤٧ . لكن السلاجقة استولوا في هذه السنة على بغداد وأطاحوا بالملك الرحيم. فيما انفرد فولاستون وأخوه الآخر أبو سعيد حكم فارس. لكن فولاستون قتل أخاه، وانفرد بحكم الإمارة من ٤٤٨ إلى ٤٥٤ . (أنظر الفصل الخامس).

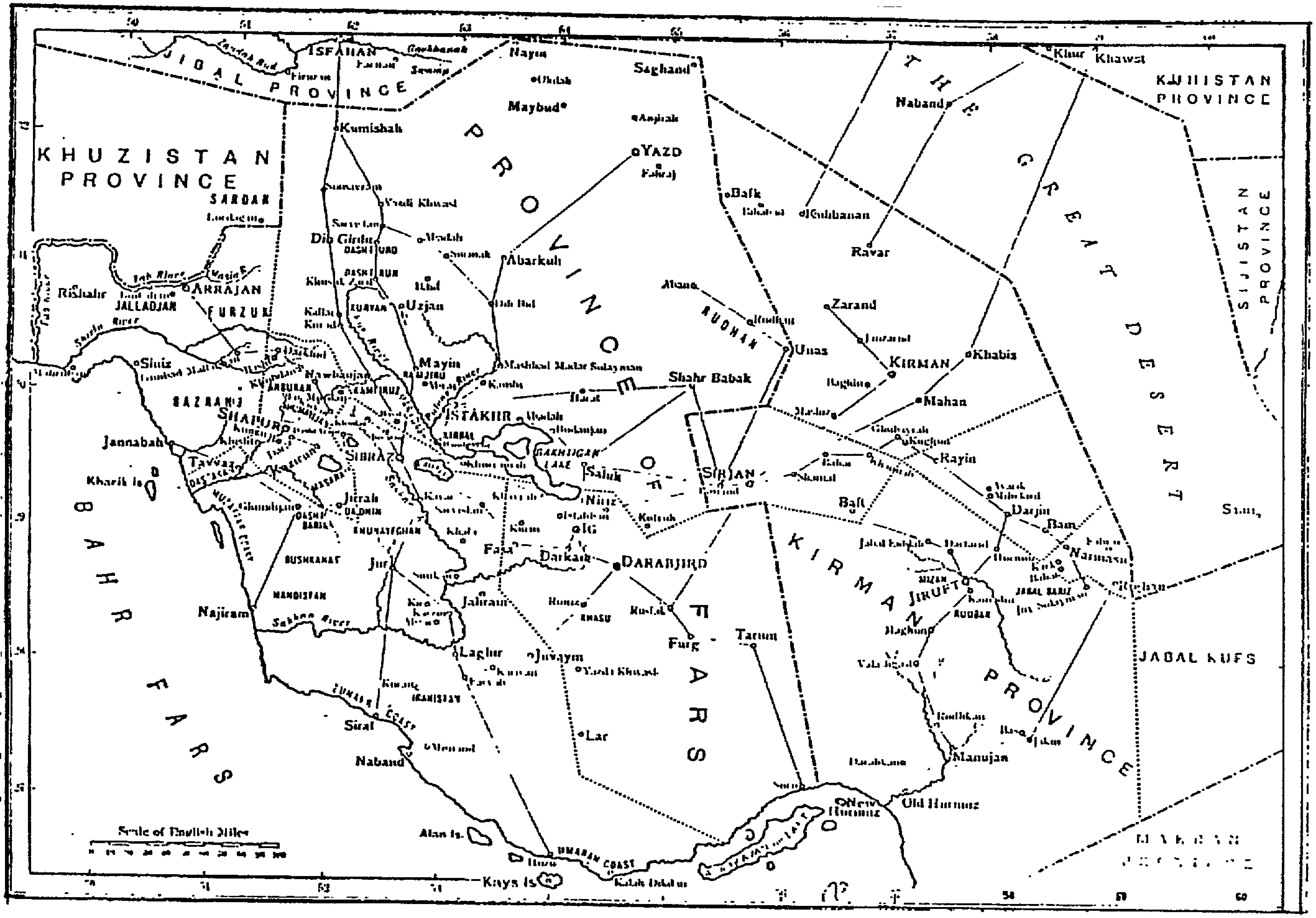

Le Strange, g: the lands of the eastern caliphate. مأخوذة من كتاب:

فارس وكرمان

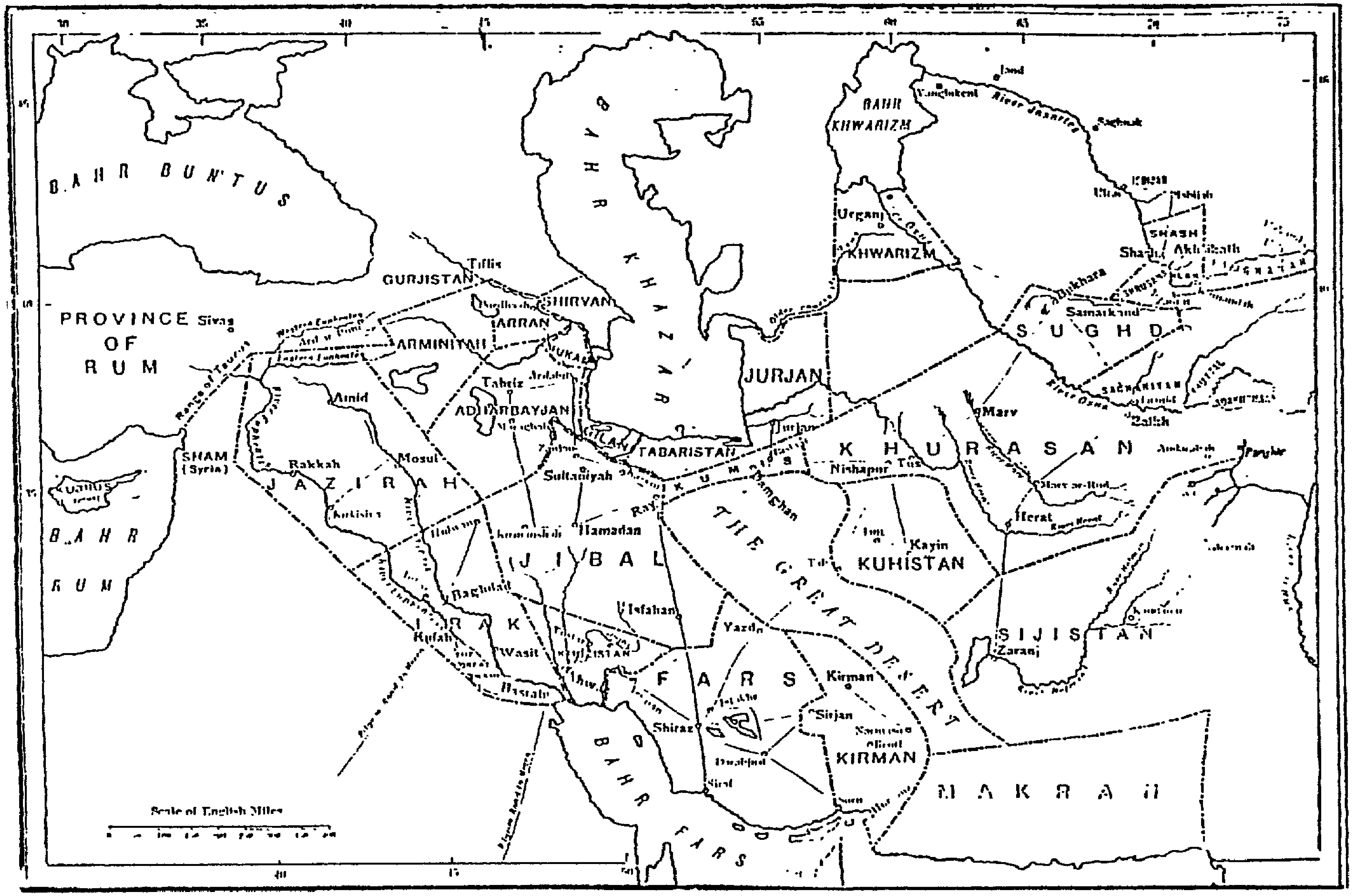

Le Strange, g: the lands of the eastern caliphate. مأخوذة من كتاب: مقاطعات الخلافة العباسية

المصادر والمراجع العربية

- **ابن الأثير**، عز الدين علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠ / ١٢٣٢): الكامل في التاريخ، ٩ أجزاء، تحقيق النجار مصر. اعادة ط دار الكتاب العربي، بيروت ط ٢ سنة ١٩٦٧.

(ابن الاثير)

- **ابن تغري بردي**، جمال الدين يوسف (ت ٨٧٤ / ١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتاب المصرية، ١٩٣٢.

(ابن تغري بردى، النجوم)

- **ابن الجوزي**، عبدالرحمن بن علي، أبو الفرج (ت ١٢٠٠/٥٩٧): المنتظم في تاريخ الملوك والامم. حيدر آباد ١٣٥٧هـ.

(ابن الجوزي، المنتظم)

- **ابن الجوزي**، عبدالرحمن بن علي: عجائب البدائع. مخطوط. المخطوطات العربية رقم ١٥٦٧. المكتبة الوطنية، باريس

(ابن الجوزي، عجائب)

- **ابن الجوزي** (سبط)، أبو المظفر يوسف بن قيزوغلي (ت ٦٥٤ / ١٢٥٧)؛ مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، جـ ١٢. مخطوط. المخطوطات العربية رقم ١٥٠٦ المكتبة الوطنية، باريس.

(سبط)

- **ابن حوقل**، ابو القاسم النصيبي: المسالك والممالك (صورة الارض)، دار الحياة، بيروت

(ابن حوقل)

- **ابن خرداذبه**، عبيدالله: المسالك والممالك، المكتبة الجغرافية العربية، جـ ٤ باعتناء دي خويه ـ ليدن ١٨٨٩.

(ابن خرداذبه)

ـ **ابن خلدون،** عبدالرحمن (ت ١٤٠٥/٨٠٨): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ٧ مجلدات. دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ١٩٧٥.

(ابن خلدون)

ـ **ابن خلكان،** شمس الدين احمد بن محمد (ت ١٢٨٢/٦٨١): وفيات الاعيان وانباء الزمان. ط. عباس. ٨ أجزاء بيروت ١٩٦٨ ـ ١٩٧٢.

(ابن خلكان، وفيات)

ـ **ابن رسته،** احمد بن عمر: الاعلاق النفيسة. المكتبة الجغرافية العربية جـ ٧، باعتناء دي خويه ليدن ١٨٨٩.

(ابن رسته)

ـ **ابن الطقطقي،** محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩ / ١٣٠٩): الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية. ط باعتناء درنبورغ باريس ١٨٩٥.

(ابن الطقطقي)

ـ **ابن عباد،** الصاحب أبو القاسم اسماعيل (ت ٩٩٥/٣٨٥): رسائل الصاحب بن عباد. تحقيق ضيف وعزام. دار الفكر العربي القاهرة ١٣٦٦ هـ.

(رسائل الصاحب)

ـ **ابن الفقيه،** احمد بن محمد الهمذاني: مختصر كتاب البلدان. المكتبة الجغرافية العربية، جـ ٥، باعتناء دي خويه ليدن ١٨٨٥.

(ابن الفقيه)

ـ **ابو الفدا،** عماد الدين (ت ١٣٣١/٧٣٢): تقويم البلدان، باعتناء رينو وسلان باريس ١٨٤٠.

(ابو الفدا)

ـ **ابو يعلى،** الفراء الحنبلي: الاحكام السلطانية، القاهرة ١٩٣٨.

(ابو يعلى)

ـ **ابو يوسف،** يعقوب ابن ابراهيم (ت ٧٩٨/١٨٢): كتاب الخراج القاهرة. ط ٣. ١٣٨٢ هـ.

(ابو يوسف)

ـ **الادريسي،** محمد بن أحمد (ت ١١٦٦/٥٢٦): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. الترجمة

الفرنسية، جومبير باريس ١٨٤٠.

(الادريسي)

- **آربري. آ:** شيراز. بيروت ١٩٦٧.

(آربري)

- **الاصطخري**، ابراهيم بن محمد الفارسي: (ت ٣٤٠/ ٩٥١): المسالك والممالك. مصر. ج.ع.م ١٩٦١.

(الاصطخري)

- **الاصفهاني**، ابو الفرج (ت ٣٥٦/٩٦٦): الاغاني ١٥ جزءاً القاهرة ١٩٢٧.

(الاغاني)

- **الاصفهاني**، حمزة بن الحسن (ت بعد ٣٥٠/٩٦٠): تاريخ سني ملوك الارض والانبياء، باعتناء غوتوالد. بطرسبورغ ١٨٤٤.

(الاصفهاني)

- **أمين**، حسين: تاريخ العراق في العصر السلجوقي. بغداد ١٩٦٥.

(أمين، تاريخ)

- **بروكلمان**، كارل: تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة فارس وبعلبكي ط ٧، بيروت ١٩٧٧.

(بروكلمان)

- - **البلاذري**، أحمد بن يحي (ت ٢٧٩/٨٩٢): كتاب فتوح البلدان، تحقيق رضوان. القاهرة.

(البلاذري، فتوح)

- **البيروني**، أبو الريحان الخوارزمي: الاثار الباقية عن القرون الخالية، مخطوط. المخطوطات العربية رقم ١٤٨٩، المكتبة الوطنية - باريس.

(البيروني، الآثار)

- **البيهقي**، ظهير الدين (ت ٥٦٥/١١٦٩): تاريخ حكماء الاسلام، دمشق ١٩٤٦.

(البيهقي)

- **التنوخي**، أبو علي المحسن بن علي (ت ٣٨٤ / ٩٩٤): جامع التواريخ، أونشوار المحاضرة

واخبار المذاكرة: الجزء الاول باعتناء مرغليوث لندن ١٩٢١.. والجزء الثامن، باعتناء مرغليوث. دمشق ١٩٣٠.
(التنوخي، نشوار)

ـ **التنوخي**، أبو علي المحسن بن علي: الفرج بعد الشدة. تحقيق عبود الشالجي، ٥ أجزاء. بيروت ١٩٧٨.
(التنوخي، الفرج)

ـ **التوحيدي**، ابو حيان (ت ٤١٤/١٠٢٣): الامتاع والمؤانسة. تحقيق احمد امين، بيروت، دار الحياة.
(التوحيدي، امتاع)

ـ **الثعالبي**، أبو منصور عبدالملك (ت ٤٢٩/١٠٣٨): يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر. ٤ أجزاء، القاهرة ١٩٧٤.
(الثعالبي، يتيمة)

ـ **الجهشياري**، محمد بن عبدوس (ت ٣٣١/٩٤٢): الوزراء والكتاب. القاهرة ١٩٣٨.
(الجهشياري)

ـ **حتي**، فيليب. تاريخ العرب، بيروت ١٩٦١.
(حتي)

ـ **حسن**، علي وابراهيم حسن: النظم الإسلامية، القاهرة ط ٣. ١٩٦٢.
(حسن، النظم)

ـ **حسن**، زكي محمد: الفنون الايرانية في العصر الاسلامي، القاهرة، ط ٢. ١٩٦٤.
(حسن، فنون)

ـ **الدوري**، عبدالعزيز: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري. بيروت ط ٢. ١٩٧٧.
(الدوري، تاريخ)

ـ **الدوري**، عبد العزيز: مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، بيروت ١٩٦٩.
(الدوري، مقدمة)

ـ **الذهبي**، الحافظ شمس الدين (ت ٧٤٨/١٣٤٨): كتاب دول الاسلام. جزءان، ط ٢. حيدر آباد ١٣٦٤ هـ.
(الذهبي، دول)

ـ **الروذراوري،** أبو شجاع ظهر الدين (ت ١٠٩٥/٤٨٨): ذيل كتاب تجارب الامم. باعتناء آمدروز ومرغليوث الجزء الثالث من كتاب تجارب الامم. القاهرة ١٩١٦ اعاد طبعه. المثنى بغداد.

(ذيل)

ـ **الزبيدي،** محمد حسن: المنتزع من كتاب التاجي لابو اسحاق الصابي، بغداد ١٩٧٧.

(المنتزع)

ـ **زكار،** سهيل: تاريخ اخبار القرامطة: ثلاثة نصوص لابن العديم، ثابت بن سنان والمقريزي عن القرامطة.

(زكار)

ـ **السيوطي،** جلال الدين عبدالرحمن (ت ١٥٠٥/٩١١): تاريخ الخلفاء، القاهرة ١٩٥٢.

(السيوطي)

ـ **الشيرازي،** المؤيد في الدين هبة الله (ت ١٠٧٧/٤٧٠): سيرة الداعي الفاطمي المؤيد الشيرازي. تحقيق كامل حسين، القاهرة ١٩٤٩.

(سيرة المؤيد)

ـ **الصابي،** ابو اسحاق، ابراهيم بن هلال (ت ٩٩٤/٣٨٤): المختار من رسائل أبي اسحاق الصابي. تحقيق شكيب ارسلان، بيروت ـ دار النهضة.

(رسائل الصابي)

ـ **الصابي،** ابو اسحاق: التاجي في اخبار الدولة البويهية، قسم من الكتاب ـ انظر الزبيدي.

ـ **الصابي،** هلال بن المحسن (ت ١٠٥٦/٤٤٨): رسوم دار الخلافة بغداد ١٩٦٤.

(الصابي ـ رسوم)

ـ **الصابي،** هلال بن المحسن: كتاب الوزراء، تحفة الأمراء بتاريخ الوزراء. تحقيق فراج، القاهرة ١٩٥٨.

(الصابي، وزراء)

ـ **الصابي،** هلال بن المحسن: كتاب التاريخ. القسم الثامن باعتناء آمدروز ومرغليوث. وهو ملحق بكتاب ذيل تجارب الامم. القاهرة ١٩١٩.

(الصابي، تاريخ)

ـ **الطبري،** محمد بن جرير (ت ٩٢٣/٣١٠): تاريخ الرسل والملوك. ٦ مجلدات ١١ جزءاً.

دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

(الطبري، تاريخ)

ـ **عريب**، بن سعيد القرطبي: صلة تاريخ الطبري. ملحق بكتاب الطبري الجزء الثاني عشر دار احياء التراث العربي، بيروت.

(عريب)

ـ **عزت**، عبدالعزيز: «ابن مسكويه». القاهرة ١٩٤٦.

(عزت عبدالعزيز)

ـ **العزيز**، حسين قاسم: البابكية. دار الفارابي ـ بيروت ومكتبة النهضة ـ بغداد.

(البابكية)

ـ **قدامة بن جعفر**، ابو الفرج (ت ٣٣٦/٩٤٨): كتاب الخراج وصناعة الكتابة. المكتبة الجغرافية العربية باعتناء دي خويه ج ٦. ليدن ١٨٨٩.

(قدامة)

ـ **القفطي**، علي بن يوسف (ت ٦٤٦/١٢٤٨): اخبار العلماء بأخبار الحكماء. بيروت. دار الآثار.

(القفطي)

ـ **لويس**، برنار: أصول الاسماعيلية. بيروت ١٩٨٠.

(لويس)

ـ **الماوردي**، علي بن محمد (ت ٤٥٠/١٠٥٨): الاحكام السلطانية. القاهرة.

(الماوردي)

ـ **متز**، آدم: الحضارة العربية في القرن الرابع الهجري. ترجمة أبو ريده. مجلدان. ط ٤ بيروت، دار الكتاب العربي ١٩٦٧.

(متز)

ـ **مرغليوث**. د. س: دراسات عن المؤرخين العرب، ترجمة نصار. دار الثقافة ـ بيروت.

(مرغليوث)

ـ **المسعودي**، علي بن الحسين (ت ٣٤٦/٩٥٦): مروج الذهب ومعادن الجوهر. ٤ أجزاء. تحقيق عبدالحميد، القاهرة ١٩٦٥.

(المسعودي، مروج)

ـ **المسعودي**، علي بن الحسين: التنبيه والاشراف، القاهرة ١٩٣٨، اعاد طبعه. المثنى، بغداد.
(المسعودي، تنبيه)

ـ **مسكويه**، ابو علي احمد بن محمد (ت ١٠٣٠/٤٢١): تجارب الامم وتعاقب الهمم، باعتناء مرغليوث وآمدروز. جزءان. القاهرة ١٩١٤، اعاد طبعه المثنى ـ بغداد.
(مسكويه)

المقدسي، شمس الدين (ت ١٠٠٠/٣٩١): احسن التقاسيم الى معرفة الاقاليم، المكتبة الجغرافية العربية. باعتناء دي خويه ط ٢، ليدن ١٩٠٦.
(المقدسي)

ـ **المقريزي**، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥ / ١٤٤١): شذور العقود في ذكر النقود. النجف، ط ٥، ١٩٦٧.
(المقريزي)

ـ النقشبندي، ناصر السيد محمود: الدينار الاسلامي في المتحف العراقي. الجزء الاول، بغداد ١٩٥٣.
(النقشبندي)

ـ **الهمذاني**، محمد بن عبدالملك (ت ١١٢٧/٥٢١): تكملة تاريخ الطبري، تحقيق كنعان، ط ٢، بيروت ١٩٦١.
(الهمذاني)

ـ **ياقوت**، بن عبدالله الحموي (ت ١٢٢٩/٦٢٦): معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٩٥٥ ـ ١٩٥٧.
(ياقوت البلدان)

ـ **ياقوت** بن عبدالله الحموي: ارشاد الاريب إلى معرفة الاديب (معجم الادباء)، باعتناء مرغليوث، القاهرة ١٩٢٣.
(ياقوت، أدباء)

المراجع الفارسية

- **ابن البلخي**: فارس نامه، القسم المترجم الى الانكليزية والخاص بمقاطعة فارس.

«Description of the province of Fars in persia» Translated . G. Le strange. J.R.A.S. 1912.

(ابن البلخي)

- **ابن زركوب**: شيراز نامه. مخطوط

Manuscrit persan No.1051. B.N. Paris.

(شيراز نامه)

- **حدود العالم**: الترجمة الانكليزية.

The region of the world. trad v. Minorsky, london 1937.

(حدود العالم)

- **المستوفي**، حمد الله: نزهة القلوب

éd. trad. G. Le Strange. leyde, London 1919.

(مستوفي)

- **ناصر خسرو**، سفر نامه. ترجمة الخشاب - بيروت. ط ٢، ١٩٧٠.

(سفر نامه)

- **نظام الملك**: سياسة نامه.

trad. shefer. Paris. 1893.

(سياسة نامه)

المراجع الأجنبية

Arkoun, M: *Cöntribution à l'étude de l'humanisme arabe au IV°/X siècle: Miskawayh Philosophie et Historien,* J. Vrin, Paris, 1970.

Ashtor, Eliahu: *Histoires des prix et des salaires dans l'Orient Médiéval,* Paris, 1969.
(Ashtor, hist. des prix)

———: *A social and economic history of the Near East in the middle ages,* London, 1976.

Aubin, J.: *La ruine de siraf et les routes du Golfe persique aux XI° et XII° siècle,* C.C.M. N°3, 1959.
(Aubin, la ruine de Siraf)

Azizi, Mohsen: *La domination arabe et l'épanouissement du sentiment national en Iran.* Paris, 1938.
(Azizi, domination)

Berge, M.: *Conseils politiques à un ministre. Epitre d'Abu Hayyan Al-Tawhidi au Vizir Ibn Sa'Dān Al-'Arid,* Arabica, T.XVI, 1969.

Bosworth, C.E.: *Mahmud of Ghazna in Contemporary Eyes and in Later Persian litterature.* Iran J. B.I.P.S., Volume IV, 1966.
(Bosworth, Mahmud of chazna)

———: *Military Organization under the buyids of Persia and Iraq.* Oriens, Vol. 18-19, 1967.
(Bosworth, military)

———: *The Medieval History of Iran, Afghanistan and Central Asia,* London 1977.

Bowen, Harold: *The last buwayhids,* J.R.A.S. Part II, April 1929

Burgel, J. Christoph: *Die Hofkorrespondenz Adud Ad-dawla, 1965, Wiesbaden*
(Burgel, Hofkorrespondenz)

Busse, Heribert,: Iran under the Buyids, The Cambridge history of Iran, Vol. 4, Chap. 7, p. 250-304, Cambridge University Press.
(The Cambridge)

Cahen, Cl.: *L'Islam des orgines au début de l'Empire Ottoman,* Bordas, 1970.
(Cahen, Islam)

———: *Les peuples musulmans dans l'histoire mèdièvale,* Damas, 1977

— art. quelques problèmes économiques et fiscaux de l'Iraq buyide d'après un traité de mathématiques.
(Cahen, les peuples, art. qq. problèmes)

— art. Histoire économico-sociale et islamologie: le problème préjudiciel de l'adaptation entre les autochtones et l'Islam.
(Cahen, les peuples, hist.éco-soc)

— art. l'évolution dè l'iqtā' du IX° au XIII° siècle: Contribution à une histoire comparée des

sociétés médiévales.
(Cahen, les peuples, art. Ikta)
— art. Les changements techniques militaires dans le Proche-Orient médiéval et leur importance historique.
(Cahen, les peuples, art. changements techniques)
———— : *Fadluwayh le Shavankareh*, s.i. T.7, 1978, fascicule 1
(Cahen, Fadluwayh)
———— : *Mouvements populaires et autonomisme urbain dans l'Asie Musulmane du Moyen Age*, Arabica, V, 1958, VI, 1959.
(Cahen, mouvements)
Combe et Sauvaget J., Wiet, G.: *Répertoire Chronologique d'épigraphie arabe*, 16 v. Le Caire, 1933.
(Répoertoire chronologique)
Czapkiewicz, M. Kmietowicz, F.: *Skarb monet arabskich zokolic drohiczyna nadbugiem, Krakuw*, 1960, (*Le trésor de monnaies arabes de* Drohiczyn sur Bug)
(Czapkiewizc, monnaies)
Dozy, R. *Supplément aux dictionnaires arabes;* Leyde, 1881, Nouvelle édition, 2 tomes, Beyrouth, 1968.
Ehrenkreutz, A.S.: *Studies in the Monetary history of the near east in teh middle ages*, Jesho, II, 1959, VI, 1963.
(Ehrenkreutz)
Frye, R.N: *The Heritage of Persia*, 5° éd. Ohio, U.S.A. 1963.
(Frye, heritage)
———— : *The Golden Age of Persia*, pub. Weindenfelf and Nicolson, London, 1975
(Frye, the golden)
Goeje (De), M.J.: *Mémoires sur les carmathes du Bahrain*, 2° éd. Leiden, 1886.
(De Goeje, mémoires)
Kabir, Mafizullah: *Ustad Abu L-Fadl Ibn al-amid*, IC, volume 35, 1961.
———— : *Cultural development under the buwayhids of Baghdad, J.A.S. Pakistan*, Vol. 1, N° 1, 1956.
(Kabir, cultural)
———— : *The function of the Khalifah during the Buwayhid Period, J.A.S. Pakistan*, Vol. II, 1957.
(Kabir, function)
———— : *Administration of justice during the Buwayhid's Period*, IC Vol. XXXIII, 1959.
(Kabir, administration)
———— : *The Buwayhids of Jibal and Rayy, J.A.S. Pakistan* Vol. III, 1958.
(Kabir, the buwayhid.of Jibal)
———— : *The Religion Background to the rise and fall to the Buwayhids.* Indo-iranica Vol. 14, N°1, 1961.
(Kabir, religions)
Khadjvian, Muhammad Kazem: *L'histoire de l'Iran Musulman du 1ère au 3ème S.H. selon les historiens iraniens.* Thèse 3° cycle, Sorbonne, 1977.
(Khadjavian)
Kazimirski, A. de B. *Dictionaire arabe-francais, Paris, 1860. Nouvelle édition. 2 tomes. Beyrouth, Librairie du Liban.*
Lavoix, H.: Catalogue de monnaie musulmane de la bibliothèque nationale, 3 vol. Paris, 887-1891.
(Lavoix, Catalogue)
Le Strange, G.: *The lands of the Eastern Caliphate.* Cambridge, 1905.
(Le Strange, The Land)

Lane Poole, St.: *Catalogue of Oriental Coins in the British Museum, V.I.-X, London, 1875-1890.*

(Lane Poole, Catalogue)

Lombard, M. (m. 1965): Les textiles dans le Monde Musulman VII°-XII° siècle, Mouton, Paris 1978.

(Lombard, textiles)

—————— : *L'Islam dans sa première grandeur (VIII°-XI siècle)* Flammarion, Paris, 1971.

(Lombard, Islam)

Madelung, Wilfred: *Abu Ishaq Al Sabi, On the alids of Tabaristan and Gilan, J.N.E.S.* Vol. 26, 1967.

(Madelung, Alids)

—————— : *The Assumption of the title Shahanshah by the reign of the daylam, J.N.E.S.* Vol. 28, 1969.

(Madelung, the Assumption)

Minorsky, V.: *La domination des Daylamites,* Paris, 1932.

(Minorsky, domination)

—————— : *Etude géographique et historique sur la perse,* Acta Orientalia, volumes (X-1931, XVI-1937, XXI-1951, XXII, 1957)

(Minorsky, étude geo-hist)

—————— : La perse au moyen age, Roma, 1957.

(Minorsky,la perse)

Pigulevskaja, N.: *Les villes de l'état iranien aux époques parthe et sassanide.* Paris, Mouton, 1963

(Pigulevskaja)

Richter-Bernburg, Lutz: *Adud Amir Malik Shahanshah: Ad-daula's Titulature re-examinated,* Iran, J.B.I.P.S., Vol. XVIII, 1980.

Shaban, M.A.: *Islamic History, a new interpretation.* 2 vol., Cambridge University press, London.

(Shaban, history)

Wiet, G.: *Epigraphie arabe de l'éxposition d'art persan du Caire,* Le Caire, 1935

(Wiet, épigraphie)

—————— : *Les travaux d'utilité publique sous le gouvernement des buyides,* Art Asiatique, 1970, T.XXI.

(Wiet, travaux)

ENCYCLOPEDIE

1 - Encyclopédie de l'Islam

2° édition, jusqu'au tome 3

EI², art: *Adud Al-Dawla; 'Annāzides; Al-'Arab; Baghdad; Bahr Faris, Al-Baridi; Bayt-Al-Mal; Buwayhides ou Buyides; Dariba; Daylam; Djalal Al-Dawla; Djaysh; Diwan; Fakhr Al-Dawla; Fars; Gilan; Hadjib; Hamdanites; Hasanwayh; Ibn 'Abbad; Ibn 'Amid; Ibn Bakiyya; Ibn Makula; Ibn Ra'ik; Iklim; Ikta'; Ilyasides; 'Imad Al-Dawla.*

Ancienne édition:

EL; art: *Kakuyides; Kurd; Lur; Madjd Al-Dawla; Marwanides; Mazyadites; Mu'izz Al-Dawla; Musafiri; Nuh, 'Ukailides; Perse; Rukn Al-Dawla; Samanides; Samsam Al-Dawla; Shams; Al-Dawla; Seldjukides; Shi'a; Sultan al-Dawla; Washmgir B. ziyar, Ziyarides.*

LES LIVRES DE GENEALOGIES DYNASTIQUES

Bosworth, C.E.: *The islamic dynasties,* Edinburgh, 1967.

Lane Poole, S.: *The Mohammadan dynasties,* Paris, 1925.

De Zambaur, Ed.: *Manuel de généalogie et de chronologie pour l'histoire de l'Islam,* German, 1955.

PERIODIQUES

I.C.: *Islamic culture;* the Hyderabad quarterly review.
Iran. J.B.I.P.S.: *Iran,* Journal of the British Institude of Persian Studies.
Arabica: *Arabica,* revue d'études arabes.
J.A.S. Pakistan: Journal of the *Asiatique* society of *Pakistan.*
J.N.E.S.: Journal of the *Near Eastern* Studies, the American Journal of *Semitic* languages and literatures.
Oriens: Journal de la société international d'études orientales.
C.C.M.: Cahiers de civilisation médiévale.
J.R.A.S.: The journal of the Royal Asiatic society, of Great Britain and Ireland.
Indo-Iranica: The Quaterly organ of the Iran society.
S.I.: Studia Iranica.
Arts asiatiques: Cahiers publiés par l'école française d'Extrême-Orient.
J.E.S.H.O.: Journal of the Economic and Social History of the Orient.

المعاجم

١ - **ابن دريد**: ابو بكر محمد بن الحسين (ت ٣٢١/٩٣٩): جمهرة اللغة. حيدر آباد ١٣٤٤ هـ.

٢ - **ابن منظور**، (ت ٧١١ / ١٣١١): لسان العرب. ١٥ جزءاً، بيروت ١٩٥٦.

٣ - **الجوهري**، اساعيل بن حماد (ت ٣٩٣/١٠٠٢): الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية. ٣ أجزاء. القاهرة ١٩٥٦.

لمطابقة التاريخ الهجري - الميلادي

Freeman-Grenville, G.P.S.: The muslim and christian calendars, London, 2° éd. 1977.

الفهرس

الإهداء ٥
مقدمة ٧

القسم الأول

الفصل الأول

نطاق البحث ١٥
دراسة المصادر والمراجع ٢١

الفصل الثاني

الأحوال العامة للخلافة العباسية عشية السيطرة البويهية ٤٧

الفصل الثالث

الديلم، الزيدية، بنو بويه ٨٣

الفصل الرابع

فارس، من الفتح العربي وحتى السيطرة البويهية ـ نظرة عامة ١٠١

القسم الثاني

الفصل الخامس

بويهيو فارس ١٢١

الفصل السادس

سياسات البويهيين في فارس ١٦٩

الفصل السابع

التنظيمات والأجهزة الادارية والسياسية في فارس ٢١١

الفصل الثامن

الحياة الاجتماعية، أحوال المدن والنشاط العمراني ٢٧٥

الفصل التاسع

الحياة الثقافية ٣١٣

الفصل العاشر

الأوضاع الاقتصادية ٣٣٩
نهاية الإمارة البويهية في فارس ٣٩٩

ملاحق

وزراء البويهيين في فارس والعراق ٤٠٥
المصادر والمراجع العربية ٤١٧
المراجع الفارسية ٤٢٥
المراجع الأجنبية ٤٢٧

كانت السيطرة البويهية، إيذاناً ببدء مرحلة جديدة في حياة الدولة العباسية، وهي مرحلة انتقال السلطة فعلياً وبصورة شبه كاملة من أيدي العرب إلى أيدٍ غير عربية، تمثلت أساساً في قوى وشعوب انطلقت من جنوب بحر قزوين ومناطق ما وراء النهر (البويهيون، الأتراك بمختلف أسرهم الحاكمة) حاملة معها إلى داخل الدولة الإسلامية، التي كانت قد بلغت درجة عالية من التطور والرقي، ليس فقط عادات وتقاليد تتسم بالتخلف، بل والأهم من ذلك، مفاهيمها حول السلطة والملك والغلبة والولاء ودور العقيدة والأمة ونظرتها إلى الخلافة والخلفاء، وواجبات الملك والرعية.. الخ وستشكل هذه المفاهيم ـ التي ستأخذ بالتغلغل والترسخ ببطء داخل الدولة والمجتمع الإسلامي ـ عناصر هامة كانت وراء حالة الجمود والتقهقر التي ستعاني منها الدولة الإسلامية منذ ذلك الوقت؛ أي منذ السيطرة البويهية.

تحاول هذه الدراسة أن تقدم صورة عن أحوال الدولة العباسية خلال السيطرة البويهية، من خلال مقاطعة فارس.